الحسن بن علي رضي الله عنهما

السيد السبط الكريم والمجدد المصلح العظيم

بقلم
عبد الستار الشيخ

دار القلم
دمشق

الحسن بن علي رضي الله عنهما

السيد السبط الكريم والمجدد المصلح العظيم

(٣هـ - ٤٩هـ)

دار القلم
دمشق
أسسها: محمد علي دولة
سنة ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م

الطبعة الأولى
١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٦م

تُطلب جميع كتبنا من:

دار القلم ـ دمشق
هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣
www.alkalam-sy.com

الدار الشامية ـ بيروت
هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)
ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

توزّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير ـ جدّة
٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٥٧٦٢١ فاكس: ٦٦٠٨٩٠٤

الحسن بن علي رضي الله عنهما

السيّد السبط الكريم والمجدّد المصلح العظيم

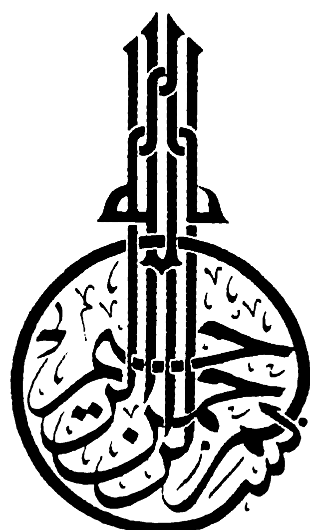
(٣هـ - ٤٩هـ)

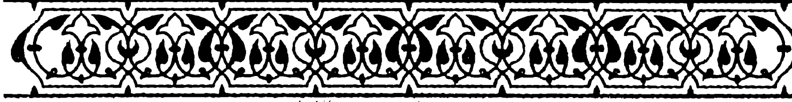
بقلم

عبد الستّار الشيخ

دار القلم

دمشق

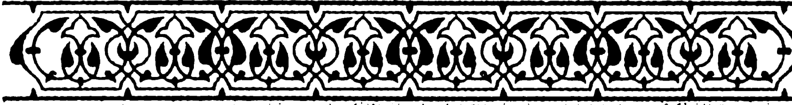

بسم الله الرحمن الرحيم



هذا الرجل

قال الله تعالى:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].



قال رسول الله ﷺ

«إنَّ ابْنِي هذا سـيِّدٌ، ولعلَّ اللهَ أن يُصْلِحَ به بينَ فئتينِ عظيمتينِ من المسلمين».

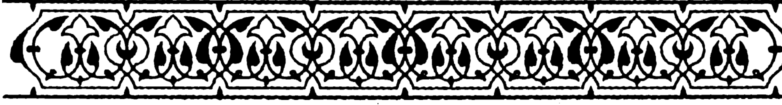
«إنَّ الحسنَ والحُسينَ هما رَيْحانَتَايَ من الدُّنيا».

«اللهمَّ إنِّي أُحِبُّه فأَحِبَّه، وأَحِبَّ مَن يُحِبُّه».

«مَنْ أَحَبَّ الحسـنَ والحُسـينَ فقد أَحَبَّنـي، ومَـن أَبْغَضَهما فقد أَبْغَضَنِي».

«الحسن والحسين سيِّدا شـبابِ أهل الجنة، إلا ابْنَيِ الخالةِ عيسى ابنَ مريم ويحيى بنَ زكريا».

«إنَّ هذا مَلَكٌ لم ينـزلِ الأرضَ قطُّ قبلَ هذهِ الليلة اسـتَأْذَنَ ربَّه أن يسـلِّم علَيَّ ويبشِّرَني بأن فاطمةَ سـيدةُ نسـاءِ أهلِ الجنةِ، وأن الحسن والحسين سيِّدا شبابِ أهلِ الجنة».



قال الحسن بن علي رضي الله عنهما

ـ (مَنْ أَدْمَنَ الاختلافَ إلى المساجد رَزقه الله إحدى خمسٍ خصالٍ: أخاً مستفاداً، أو رحمةً مستترة له، أو عِلْماً مُسْتَطْرَفاً، أو كلمةً تدلُّ على هدىً، أو يترك الذنوب خَشيةً أو حياءً).

ـ (يا ابنَ آدم إنك لم تَزَلْ في هَدْمِ عُمُرِك منذُ سقطتَ من بطْنِ أمِّك، فَجُدْ بما في يَدِك لِما بين يَدَيْكَ، فإنَّ المؤمنَ يتزوَّد والكافر يتمتَّع، ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧]).

ـ (الحِلْمُ زينةٌ، والوفاء مروءةٌ، والعَجَلةُ سَفَهٌ، والسَّفَهُ ضعفٌ، ومجالسةُ أهلِ الدناءة شَيْنٌ، ومُخَالَطَةُ أهلِ الفِسْقِ رِيبَةٌ).

ـ (قد كانت جَماجِمُ العربِ في يدي يُحارِبون مَنْ حاربتُ، ويُسالِمونَ مَن سالَمْتُ، فتركتُها ـ الخلافة ـ ابتغاءَ وجهِ الله تعالى وحَقْنِ دماءِ أُمة محمد ﷺ).

ـ (خَشيتُ أن يأتي يومَ القيامة سبعونَ ألفاً أو ثمانون ألفاً أو أكثر أو أقلّ كلُّهم تنضح أوداجُهم دماً، كلُّهم يَستعدي الله فيمَ هُرِيقَ دَمُه!).

المقدمـــة

إنَّ الحمدَ للهِ نَحمدُهُ، ونَستعِينُه ونَستغفِرُه، ونعوذُ باللهِ من شُرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أَعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه ﷺ.

أما بعد:

•• فإنَّ حكمةَ الله تعالى اقتَضَتْ أن يجتبي رسلَه ليكونوا هُداةَ البشرية لإخلاصِ التوحيد له وعبوديته وحدَه وتحقيقِ الاستخلاف في الأرض، وجعلَ سبحانه نبيَّنا محمداً ﷺ خاتمَ الأنبياء ورسالتَهُ خاتمةَ الرسالات ومهيمنةً عليها، واختارَ له الرجالَ الذين يقومون معه بهذا العبء الجليل، ويَخلُفونه من بعده في حفظ الرسالة وحمايتها ونفيِ الزَّغَلِ عنها وحَمْلِها إلى الناس جميعاً إلى يوم الدين.

وقد قام رسول الله ﷺ بالمهمة العظيمة أتمَّ قيام وأكملَه وأحسنَه، وأَفرغَ في قلوب أصحابه الكرام من قلبه الطاهر وروحِه النقي وفكرِه الثاقب وإخلاصه الخالص وعزماته القوية، ما يَصقُلُ معادنَ أولئك الرجال. واستطاع بعد عملٍ مضنٍ وجهادٍ طويل ومكابدة دؤوبة أن يُنشئ جيلاً كان أصدقَ إيماناً وأصلبَ عوداً وأضوأ بصيرة وأمضَى عزيمة

وأرفَعَ إخلاصاً من أصحاب موسى وحواريي عيسى عليهما الصلاة والسلام، الذين لم يستطيعوا حِفظَ الرسالة وحمايةَ التوحيد بُعيد وفاة الرسولين الكريمين! أمَّا أصحابُ محمد ﷺ فقد تحوَّلوا بعد وفاته ﷺ إلى حصونٍ سامقةٍ تكسَّرتْ أمواجُ الردَّة عند أقدامهم، ومَضَوا قُدُماً إلى الأمام يمنعون شعارَ التوحيد أن تطويه الخرافة، وحملوا رسالة ربهم على عواتقهم الشامخة وانطلقوا بعزماتهم الصبَّارة يبلِّغون الإسلام إلى العالمين حتى تحققت عالمية الرسالة.

والتاريخ الإسلامي أَحْفَلُ تواريخ أُمم الأرض بأكابر الرجال وأفذاذِ القادة وجهابذة العلماء وصفوة الدعاة الحكماء، بما في حَيَواتهم من مواطن العِبر ومنارات الاقتداء والاتساء... والمسلمون اليوم أحوجُ ما يكونون إلى بَعْث ماضيهم واستثارة تاريخهم الذي يضمُّ بين جَنَباته كنوزاً ضخمة من سِيَر أولئك الرجال العظام الذين صنعوا أحداث التاريخ الكبرى، وثروةً فكرية لا تفنى من عصارة تجاربهم ومواقفهم وأعمالهم التي قدَّموها للأُمة وللإنسانية، والتي أثمرت حِفْظَ كينونة المسلمين واستمرارَ دولتهم.

أقدِّم بهذه الكلمات بين يدي سيرة رجل من تلك الصفوة المختارة من البشر، أكرمه الله تعالى بثلاث مزايا كبرى: الأولى: أنه من الصحابة الكرام رضي الله عنهم. والثانية: أنه من بيت النبوة ومن أصحاب الكساء الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]. والثالثة: أنه سيدٌ جليل من سادات الأُمة الكبار. ذلكم هو الحسن بن علي بن أبي طالب، الذي أَصلح اللهُ به بين المسلمين وحقنَ دماءهم وجَمع شملَهم ووحَّد دولتهم!



•• ولقد تهيأ للحســـن من أســـباب التربية الباهـــرة وعوامل النبوغ وأركان الســـيادة ما لا يتوفر إلا للواحد بعد الواحد من الناشـــئة، وسِيق إليه من عوامل الرعاية والنشـــأة الصالحة واللطائـــف الربانية والمكارم النبوية؛ ما جعله مبرزاً على لِداته، متميزاً في زمانه وبيئته، مســـدَّداً في مواقفه وأعماله ومنهج حياته ورياسته.

تفتحت عيناه في حَجْـــرِ النبوة، وغَـــذَاه جدُّه رســـول الله ﷺ من مَعين حكمته ورحمته وأخلاقه وشمائله، ونفث فيه من روحه أروعَ الخصال وأكرمَ الفِعال وأنبـــلَ الصفات، وتولاه بالتربية والتعليـــم والترقية لمداركه ومَلَكاته وأفكاره وغاياته. هذا مع ما رشَـــح إلى قلب الغلام وروحه ونَفْسه من والده الجليل علي وأُمه الكريمة فاطمـــة البتول؛ من نفحات الكتاب العزيز وهَدْي النبـــوة وموروثات الهاشـــميين الكرام. فنشـــأ فـــي بيئة طابعها حيـــاة الجدِّ والاجتهاد والـــورع والتقوى والعبادة والرجولية، والزهـــد والتقلل من الدنيا والتقشف في المعاش، والاقتداء بالجدِّ الأعظم ﷺ والأبوين الجليلين رضي الله عنهما.

من جميع ذلك صيغت مَلَكات الحسن ومواهبُه وأعماله وآماله على أفضل ما تصاغ شخصية فتىً نشـــأ في بيئة أركانها تعاليمُ القرآن الكريم وهَدْي النبـــوة وتوجيهات علي وفاطمة، ومِدادُهـــا أنبلُ الأخلاق وأرفع الشمائل؛ فأنجب ذلك رجلاً فذاً في حياته الخاصة والعامة، متكاملاً في أعمال القلوب والأرواح ونتاجات العقل والفكر وممارســـات الحواس والجوارح ـ فكان رضي الله عنه واحداً من كَمَلَة الرجال.

•• والدارس الفاحص لحياة الحســـن ومواقفه وأعماله وهَدْيه، يجدُ ما يتمناه ويأمله من رجل نشأ وترعرع في رحاب النبوة وكان واحداً من آل البيت الأطهار.

لقد كان رضي الله عنه على جانب كبير من الزهد والورع والنُّبل والحِلْم والتواضع وعفة اللسان والبر بوالديه وبأمهات المؤمنين الطاهرات، إليه المنتهى في الجود والكرم وسماحة النفس وسخاء اليد. أما في علاقاته مع الناس فمضرب الأمثال للنخوة والشهامة والنجدة وإعانة المحتاجين وإغاثتهم ورِفْدهم في السرَّاء والضرَّاء، مع المسامحة والصفح عن مَنْ يَبْدُرُ منه الإساءة إليه، بل العفو عنه وبَذْل العطاء والمكافأة له لإزالة الوحشة من قلبه وما عَلِق في نفسه من بغضاء، حتى نال بذلك محبَّةَ الداني والقاصي والمحب والجافي!

وهو في العبادة على نهج جدِّه ﷺ وسَنَن أبَويْه الجليلين، في صلاته وصيامه وحجِّه وخشيته وملازمته القرآن الكريم، وبَلَغ في ذلك شأواً بعيداً فحجَّ ماشياً خمساً وعشرين حجة والنجائب معه تُقاد لا يركبها!

ونال من العلم نصيباً وافراً، وسمع من النبي ﷺ أحاديثَ قليلة، وورث من أبيه فصاحةَ اللسان ونصاعةَ البيان، فكان لَسِنا فصيحاً وخطيباً حكيماً، أُثِرتْ عنه حِكَم ومواعظ وخُطب جليلة.

وتميَّز بشخصية فذَّة متكاملة الأركان متناسقة البنيان؛ قد صِيغت من عناصر فطرية ومَلَكات موهوبة وعوامل موروثة وركائز مكتسبة، تستوعب في مجموعها أفضل مكونات الشخصية القيادية وتتلخص في:

الأصل الكريم والموروث الأصيل، صفات السيادة والقيادة الرشيدة، العلم والفِقه، الحِلْم والأناة، الزهد والورع، السماحة والنُّبل، الاستقلالية والذاتية في صنع القرار، التصميم على الإصلاح ووحدة الكلمة، فِقه الواقع وطبائع المجتمع، التحرر من ضغط الواقع

والجمهور، النظرة الســديدة للحُكْمِ والخلافة بأنها تكليف لا تشــريف وابتلاء لا استعلاء.

مما جعلــه متئداً في قراراتــه، ثابتاً على منهجــه، واضحاً صريحاً، متناســقاً في حياته ومواقفــه ومعاملاته مــع جميع شــرائح المجتمع ومكونات الأُمة.

•• ويكمِّل ذلك ويتمِّمه ويزكِّيه ويرفعُه ما كان للحســن من فضائل سامية ومناقب جليلة؛ فهو أحدُ أصحاب الكساء من أهل البيت الأطهار، وممن نال مرتبة الســيادة في الدنيا والآخرة، وهو وأخوه الحسين سيدا شــباب أهل الجنة، وكانت له من قلــب جده ﷺ أرفعُ منــازل الحبِّ والثناء، فكان يحبُّه حبّاً لا مزيد عليه حتى شبَّهه بأنه ريحانته من الدنيا، وأَمَر الأُمة أن تحبَّه، وأن يتوالى ذلــك في الناس جيلاً بعد جيل، ودَعَا لمن يحبُّه، وأعلنَ أن حبَّه رضي الله عنه من حبِّــه ﷺ، وبُغْضَه من بُغْضِه، بل إنه سأل الله تعالى أن يحبَّه وأن يحبَّ من يحبُّه!

واستجابةً من المسلمين لأمره ﷺ وإجلالاً له وتنفيذاً لرغبته؛ فإن الأُمــة قد تعلقت بهذا الســبط الكريــم وأحبّوه وأجَلُّــوه وأثنوا عليه ونشــروا ســيرته وهديه قَرْناً بعد قرن من لَدُن الصحابة وإلى زماننا وإلى ما شاء الله.

•• وكانت علاقة الحســن مــع الصحابة عامة والخلفاء الراشــدين خاصة علاقة حبٍّ متبادَل، وتقدير وإجلال وإكــرام واحترام وبرٍّ وصِلة من الصحابة إليه ومنه إليهــم، لم يعكِّر صفوَها تقلبــات الأيام وتباين المواقف والأحداث. وكان الخلفاء وسواهم يفاخرون به ويحسنون إليه

ويقدِّمونــه على أبنائهــم وغيرهم مــن الصحابة. وأما هــو فقد بادلهم الحسنى بمثلها وزيادة، وحياتُه ومواقفه مع أبي بكر وعمر وعثمان تؤكد ذلك، ومن أشهرها مشــاركتُه في الغزو والفتوحات زمن عثمان وتحت لواء ولاته من أمويــن وغيرهم، ووقوفُه بجانــب ذي النورين في أيام المحنة الكبرى وملازمته دارَه ودفاعه عنه ضد الســبئية الذين حاصروه ثم قتلوه ﵁.

وكان موقف الحســن مع أبيه أمير المؤمنين عليٍّ يقوم على مزيتين جليلتين: فهو من جهة البنــوَّة كان نِعم الابنُ البار بأبيــه يُجلُّه ويطيعه ويُحسن إليه ويأتمر بأمره.

وأما من جهة الرأي واتخاذ المواقف فــكان يُخالِف أباه في منهجه في معاملة المخالفين له في الاجتهاد بشأن البيعة وقَتْل قتلة عثمان، فقد خالف أباه في حلِّ تلك المعضلة بالقوة وإرغام المخالف، ونَصَحه غيرَ مــرة أن لا يخرج من المدينــة، وأن لا يذهب إلى العــراق، ولا يواجه مخالفيه بالقتال، ثم هو مع ذلك أطــاع أباه وخرج معه في حروبه لعله يسكِّن من المواجهة والقتال ويهدِّئ من هَيجان الطرفين، ولم يَثبت أنه استبسل في القتال أو قتل أحداً بسيفه، بل كان داعيةَ إصلاح ومسالمة، وعندما وضعت الحــرب أوزارها ونَــدِم كبارُ رجال الطرفين، اســتبان صوابُ رأي الحسن ﵁.

●● وقد فصَّلنا في هذا الكتاب جميعَ ما تقدم، وسِــرْنا مع الحســن في أيامــه ومواقفه وأعماله وهَدْيه وســيرته في مختلــف مراحل حياته خطوة فخطوة ومرحلــة فأخرى، وأَفَضْنا في القــول إذا ما توافرت مادة ذلك، واختصرنا حيث شــحَّت المصادر، ووجَّهنــا قلمَ البحث للعرض

والتحليل والنقد في جميع المحطات وســائر المنعطفات في حياة هذا السيد، معتصمين بالدليل والاعتدال وآداب الخلاف.

حتى إذا ما وصلنا مع الحســن إلى ذروة أعمالــه وأجلِّ مآثره؛ أَطلقنا العَنَان للبحث وســمحنا للقلم بالإســهاب والاستفاضة في التنقيب والتفتيش ثم الجمــع والتأليف فالعرض والتحليل ثم النقد والتوجيه، وأخيراً إثبات النتائج وتأصيل الأصيل وبهرجة الدخيل ـ ذلك هو مشــروعُه الضخم وعملُه الفريد في (الصلح الخالد) الذي عقده مع معاوية بن أبي ســفيان، وعلى إثره وُئِدت الفتن وأُغمِدت السيوف وحُقِنت الدماء وجُمعت الكلمة ووُحِّدت الدولة وكان عام الجماعة.

وقد اســتغرق هذا الباب أكثر مــن ثلث الكتاب، حيث اســتوعبنا البحث في دوافــع الصلح، ورغبــة الطرفين فيه، وشــروطه، ومراحله وأحداثه، والوفاء بشروطه، وثمراته الطيبة، وملحقات به ومكمِّلات له، وختمناه بدَحْضِ افتراءات وتزييف أكاذيب.

•• وفي أثناء فصول الكتاب ومباحثه وقفنا طويلاً أمام ظاهرة خطيرة تكررت بصماتها في سِــيَر الســادة الأماجد: (علي ـ فاطمة ـ الحسن ـ الحسين)؛ تلكم هي: الأكاذيب والفِرى والأحاديث الموضوعة والأخبار الباطلة والتحليلات الزائفة؛ التي تسلَّلت إلى سِيرهم المكتوبة والمروية، مع طهارة سيرتهم الحقيقية منها وتنزُّهِهم عنها!

ويجد القارئ ذلك في دواوين الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وعامة كتب التاريخ والتراجم التي عنيت بالترجمة لهؤلاء الســادة

الأفاضل. وقد تعرضنا في هذا الكتاب إلى شيءٍ كثيرٍ من ذلك فيما يتعلق بحياة الحسن وسيرته وهديه ومواقفه وأعماله، وأشرنا إلى تلك الافتراءات والأكاذيب والأباطيل، وأوضحنا وجه الحق فيها، في:

مناقب الحسن وفضائله، وادعاء الوصية له بالخلافة، والزعم بأنه إمام معصوم، وأنه أحد الأئمة الاثني عشر، وفرية انتشار السبّ واللعن على المنابر وفي الصلوات والقنوت، من أهل العراق لأهل الشام، ومن أهل الشام لأهل العراق، والزعم بأن معاوية داسَ بقدمِه على شروط الصلح، وأنه كان غدَّاراً، واتهامه ومن معه من أهل الشام بأنه وراء اغتيال الحسن أكثر من مرة، وأنه سعى إلى قتله بالسُّمِّ وتحقق له ذلك، وأكاذيب بشأن دفن الحسن في حجرة عائشة مع جدِّهِ ﷺ، وأن أم المؤمنين عائشة رفضت ذلك وأخرجتْ ناصيتَها بيدها وهدَّدتْ بجزِّها! وأن ابن عباس والحسين ومحمد بن القاسم أساؤوا لها القول، وأكاذيب كثيرة على معاوية خاصة وعلى بني أمية عامة.

●● وخَتمنا الكتابَ بالحديث عن حياة الحسن في عهد معاوية نحو عشر سنين، وبيان العلاقة الطيبة بين الرجلين الكبيرين، ثم فصل الوداع لريحانة النبي ﷺ وبعض مراثي المسلمين له وحزنهم عليه.

●● وإني لأرجو أن يكون هذا الكتاب قد حقق الغاية التي وُضِع لأجلها، ووفى الصحابي الجليل والسبط الكريم والمصلح العظيم الحسنَ بن علي بعض حقِّه علينا.



ولله الحمـــد أولاً وآخراً على ما تفضل به علينـــا ووفقنا لخدمة دينه وحَمَلةِ رسالته وأصحاب نبيه ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين.

ونسأله تباركت أسماؤه أن يتجاوز عن زلّاتنا وأخطائنا، وأن يجعلنا مِمَّنْ أخلَصَ قولَه وعملَه لوجهه سبحانه، وأن يُدخِلنا برحمته في عباده الذين قال تعالـــى فيهـــم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ [الأحقاف: ١٦].

عبد الستار الشيخ

الباب الأول

أخبار الحسن ونشأته وشمائله ومكونات شخصيته



الفصل الأول

أخباره الشخصية وأسرته

المبحث الأول اسمه ونسبه وحِليته:

اسمه ونسبه ونسبته وكنيته[(١)]:

الحســن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصيّ بن كلاب بن مرَّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب، القُرشــي الهاشمي المَدَنيّ، سِبْط رسول الله ﷺ وريحانتُه.

يُكنّى أبا محمد، كنّاه بها جميع من ترجم له.

صفته وحليته:

•• أطبقتْ أقوال أقارب الحســن والصحابة الذين وصفوه وكل مَنْ ترجم له على أنه أشبَهُ الناس صفةً وخَلْقاً بجدِّه ﷺ.

وكان من صفة سـيدنا رسـول الله ﷺ أنه رَبْعَة ليس بالطويل البائن ولا بالقصير وهو إلى الطول أقربُ، شديدُ البياض مُشْرَب بِحُمرة، مدوَّر الوجه يتلألا كالقمر ليلة البدر وكأن الشـمس تجري في وجهه، واسعُ العينين شديدُ سواد الحدقة، غزيرُ شعر أهدابهما مع طول، واسع الجبين

---

(١) المعرفة والتاريـخ ١١٦/٣، تاريخ بغداد ١٣٩/١، الاسـتيعاب ٣٦٨/١، تهذيب الأسـماء واللغات ١٥٨/١، سير أعلام النبلاء ٢٤٥/٣ ـ ٢٤٦.

دقيق الحاجبين، ضخم الرأس، كثُّ اللحية، سواءُ الظهر والبطن، عظيمُ المنكِبين والعَضُدين والذراعين، رَحْبُ الكَفَّيْن والقدمين، إذا افترَّ ضاحكاً افترَّ عن مِثل سَنَا البرق، قد كساه الله لباسَ الجمال وألقى عليه محبة ومهابة، أجمع ناعتُوه على أنهم لم يَروا قبلَه ولا بعده مثلَه[١].

على نحو هذه الخلقة البديعة الفائقة كانت صفة الحسن رضي الله عنه.

•• عن علي بن أبي طالب قال: (الحسنُ أشبَهُ الناس برسول الله ﷺ ما بين الصَّدْر إلى الرأسِ، والحسينُ أشبَهُ الناس بالنبي ﷺ ما كان أسفلَ من ذلك)[٢].

ـ وعن عُقْبَةَ بنِ الحارث قال: (خرجتُ مع أبي بكر الصديق من صلاة العصر بعد وفاة النبي ﷺ بليالٍ، وعليٌّ يمشي إلى جَنْبه، فمرَّ بحسنِ بن عليٍّ يلعبُ مع غِلْمانٍ، فاحْتَمَله على رقبتِه وهو يقول:

وَا بأبي شِبْهُ النبيِّ ليس شَبِيهاً بِعَليٍّ

قال: وعليٌّ يضحك)[٣].

قوله (بأبي): أي أفديه بأبي.

ـ وعن أنس بن مالك قال: (لم يكنْ أحدٌ أشبَهَ بالنبيِّ ﷺ من الحسنِ بن علي)[٤].

---

(١) انظر: الشمائل المحمدية للترمذي، كتب السيرة النبوية، السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ٤٢٧ ـ ٤٢٩، السيرة النبوية للدكتور محمد أبي شهبة ٦٠٩/٢ ـ ٦١٠.

(٢) أخرجه أحمد (٧٧٤)، والترمذي (٤١١٣)، وابن حبان (٦٩٧٤)، وقال الترمذي: حسن غريب، وصححه أحمد شاكر.

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٤٢)، والنسائي في «الكبرى» (٨١٠٥)، وأحمد (٤٠) واللفظ له.

(٤) أخرجه البخاري (٣٧٥٢) واللفظ له: والترمذي (٤١١٠)، وابن حبان (٦٩٧٣).

ـ وعن أبي جُحَيْفَةَ السُّـوَائيِّ قال: (رأيتُ النبيَّ ﷺ وكان الحسنُ بن علي ﵉ يُشْبِهُه)[١].

•• وقد كان آخرون يشبهونَ النبي ﷺ في صفته:

قال الحافظ: (والذين كانوا يُشبَّهون بالنبي ﷺ غير الحسن والحسين: جعفر بن أبي طالـب، وابنه عبد الله بـن جعفر، وقُثَم بـن العباس بن عبد المطلب، وأبو سـفيان بن الحارث بن عبد المطلب، ومسـلم بن عَقيل بن أبي طالب.

ومن غير بني هاشم: السائبُ بن يزيد المُطَّلِبي الجدّ الأعلى للإمام الشـافعي، وعبد الله بن عامر بـن كُرَيْـز العَبْشَـمي، وكابس بن ربيعة الحُسَمي[٢]، فهؤلاء عشرة...)[٣].

•• ومما جاء في حلية الحسن:

عن قيس مولى خبَّـاب قال: (رأيتُ الحسـن والحسـين يَخْضِبان بالسَّوَاد)[٤].

وقد روي ذلك من غير وجه[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٤٤)، ومسـلم (٢٣٤٣)، والترمذي (٣٠٣٨، ٣٠٣٩)، وغيرهم. وقال الدكتور علـي الصلابي في كتابه «الحسـن بن علي ص ٦١»: أخرجـه البخاري (٣٥٤٤) إسناده صحيح. انتهى. فتأمل؛ جاء في زماننا من يصحح حديث البخاري، فيا للعجب!!

(٢) كان في زمن معاوية بن أبي سـفيان، انظر: الأنسـاب ١٣٨/٤، تعليق العلّامة عبد الرحمن المُعَلّمي، توضيح المشتبه ٣٦٣/٢.

(٣) الفتح ٧٠٣/٨ ـ ٧٠٤، شرح الحديث (٣٧٥٢)، وانظر تتمة كلامه.

(٤) التاريخ الكبير ١٥١/٧.

(٥) سير أعلام النبلاء ٢٦٨/٣، ٢٧٣.

وفي رواية عن مستقيم بن عبد الملك قال: (رأيتُ الحسنَ والحسين شابًا ولم يَخْضِبا، ورأيتُهما يركبان البَراذِينَ بالسُّروج المُنَمَّرة)[١].

السروج المنمَّرة: هي السروج المتخذة من جلود النمور.

قلت: لعل مستقيم بن عبد الملك رأى الحسن قبل أن يَخْضِب، أو أن الحسن كان يخضب تارة ولا يخضب أخرى، والله أعلم.

وكان الحسن يلبس الخاتم في يساره، فعن جعفر الصادق، عن أبيه محمد بن علي الباقر قال: (كان الحسنُ والحسينُ يَتَختَّمان في يَسارِهما)[٢].

المبحث الثاني أُسرته الكبرى:

أولاً ـ جدَّاه ووالداه:

جدُّه: محمد رسول الله ﷺ، سيد الخلق، ومنتهى الكمال الإنساني، ونبراس البشرية وإمام أئمتها وهادي هداتها، وصفوة صفوتها، وبؤرة أنوارها، ميزان الحق ومعيار التقوى ومَعْدِن الصدق وذروة النبل، ولباب الرحمة، وغاية الكرم والسماحة والشجاعة والمروءة، ومنبع الخيرات، وفيض المكرمات...

أكمل الخَلْق روحاً وعقلاً، وأعلاهم قدراً وذِكْراً، وأشرفهم مجداً وعزاً، وأهداهم طريقاً وهدياً، وأكرمهم أصلاً ومَحْتِداً، وأعزُّهم بيتاً ومنبعاً.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٧٣/٣، مجمع الزوائد ١٦١/٥.

(٢) أخرجه الترمذي (١٨٤٠)، وعبد الرزاق (١٣٦٣)، وقال الترمذي: حديث صحيح. وقال الألباني: صحيح موقوف، وقال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات إلا أنه منقطع، محمد بن علي لم يسمع من جده. سير أعلام النبلاء ٢٦٨/٣.

جدّتـــه: خديجة بنـــت خُوَيْلد بن أسَـــد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشية الأســـدية، كانت من فضليات النســـاء وسيدات قريش، كاملة العقل، ســـديدة الرأي، كريمـــة الخصال، نبيلة الأفعـــال، طاهرة الســـيرة، سَـــريَّة ثرية تاجرة جليلة، اشـــتهرت في الجاهلية والإسلام بـ (الطاهرة)، وكانت تسمى (سيدة نساء قريش).

وهي أول الخلق إسلاماً، ووزيرة صِدْق للنبي ﷺ، وإحدى الكاملات من نساء الأُمة، ومن سيدات نســـاء أهل الجنة، بشَّرها جبريل عليه السلام ببيت في الجنة من قَصَب لا صَخَب فيه ولا نَصَـــب، ولها من قلب النبي ﷺ المقام الأرفع، ولم يتزوج عليها قط، ورزقه الله منها الولد.

أبوه علي بن أبي طالب:

ابن عم رســـول الله ﷺ وصهره على ابنته فاطمـــة البتول، الصحابي العَلَم والمجاهـــد البطل والعالم الفقيـــه المجتهد الإمـــام الكبير، أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين، وأبو السِّـــبْطين الكريمين رضي الله عنهم وأرضاهم.

أُمه فاطمة الزهراء:

البَضْعة النبوية بنت رســـول الله ﷺ وأحبُّ بناته إليه وأكرمهن عليه، أم السِّـــبْطين الجليلين الحسن والحســـين، وإحدى أربع نسوة هن خير النســـاء، وواحدة من ســـيدات أهل الجنة، ومن أصحاب الكساء وأهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهَّرَهم تطهيراً.

وقد ترجمنا ترجمة حافلة في كتابيـــن لها ولزوجها رضي الله عنهما وأرضاهما.

ثانياً ـ أعمامه وعماته، وأخواله وخالاته:

كان لعلي بن أبي طالب ثلاثة إخوة هم أعمام الحسن بن علي، وهم:

١ ـ طالب بن أبي طالب: لم يسلم، مات مشركاً بعد غزوة بدر.

٢ ـ عَقيل بن أبي طالب: صحابي، أسلم عام الفتح وحَسُن إسلامه.

٣ ـ جعفر بن أبي طالب: صحابي جليل من السابقين الأولين، هاجر الهجرتين، واستشهد في غزوة مؤتة (٨هـ) وكان أحد أمرائها.

عماته: للحسن عمتان هما:

١ ـ أم هانئ بنت أبي طالب: صحابية جليلة من عِلْيَة النساء.

٢ ـ جمانة بنت أبي طالب: صحابية أيضاً، رضي الله عنها وعن أختها.

أخواله:

القاسم وعبد الله ـ ويلقب بالطيب والطاهر ـ وإبراهيم، والثلاثة ماتوا صغاراً.

خالاته:

زينب وهي أكبرهن ورقية، وأم كلثوم.

وقد ذكرت طرفاً صالحاً من أخبار أخواله وخالاته في ترجمة السيدة فاطمة الزهراء.

ثالثاً ـ إخوته وأخواته:

١ ـ **الحسين**: السيد الشريف الشهيد أبو عبد الله، سيد شباب أهل الجنة مع أخيه الحسن، وُلد سنة (٤هـ)، وسنفرد له ترجمة مستقلة إن شاء الله.

٢ ـ **محسِّن**: مات صغيراً جداً إثر ولادته.

٣ ـ **أم كلثوم الكبرى**: وُلدت في حدود سنة (٦هـ)، تزوجها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

٤ ـ **زينب الكبرى**: ولدت في حياة النبي ﷺ، وتزوجت ابن عمها عبد الله بن جعفر.

٥ ـ **أخوه لأبيه محمد بن علي**: يعرف بابن الحَنَفِيَّة وهي خولة بنت جعفر من بني حَنيفة، كان سيداً جليلاً وإماماً نبيلاً، ورعاً كثير العلم، مائلاً لعبد الملك بن مروان لإحسانه إليه.

ومن الشيعة من يتغالى فيه ويدَّعي له الإمامة والعصمة، ولقبوه بالمهدي، ويزعمون أنه لم يمت، وكل ذلك باطل. توفي سنة (٨١هـ)، ودفن بالبقيع.

٦ ـ **أخوه عمر الأكبر**: وُلد في خلافة عمر بن الخطاب، روى الحديث عن أبيه علي، وروى عنه أبناؤه: عبيد الله وعلي ومحمد.

بقي حياً حتى وفد على الوليد بن عبد الملك الذي تولى الخلافة سنة (٨٦هـ).

٧ ـ **أخوه العباس الأكبر**: ويلقب بالسَّقّاء، شهد مع أخيه الحسين كربلاء، واستشهد معه فيها.

وللحسن من أبيه إخوة وأخوات كثيرون قد استوعبنا التعريف بهم في كتابنا «علي بن أبي طالب».

المبحث الثالث أُسرته الصغرى:

أولاً ـ زوجاته:

●● عددهن:

ذكر أكثر الذين ترجموا للحسن رضي الله عنه أنه كان مِزْواجاً، وقلَّ ما تفارقه أربع حرائر، وقد أوردت مصادر ترجمته أسماء أزواجه، وبعضاً من قصص زواجه بهن أو طلاقه لبعضهن.

وبالغَتْ بعض المصادر فذكَرت أن الحسن تزوج (٧٠) امرأة وقيل (٩٠) امرأة، بل ذكر بعضهم أنه تزوج بـ (٢٥٠) زوجة، وبَلَّغ آخرون العددَ إلى (٣٠٠)!!

عن علي بن الحسين قال: (كان الحسن مِطْلاقاً للنساء، وكان لا يفارق امرأة إلا وهي تحبه، وأَحْصَنَ تسعين امرأة)[١].

وقال أبو الحسن المدائني[٢]: (كان الحسن أحصن تسعين امرأة)[٣].

وفي رواية عن المدائني قال: (وكان الحسن كثير التزوج... أحصيتُ زوجات الحسن بن علي فكنَّ سبعين امرأة)[٤].

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٩١.

(٢) هو علي بن محمد بن عبد الله المدائني الأخباري، أثنى عليه ابن معين وأبو عاصم النبيل والطبري والذهبي وغيرهم. انظر: ميزان الاعتدال ١٥٣/٣، سير أعلام النبلاء ٤٠٠/١٠. وقد خلط الدكتور علي الصلابي ـ على عادته! ـ بينه وبين (علي بن المديني) الإمام الجبل شيخ البخاري في «صحيحه». انظر كتابه: الحسن بن علي، ص ٢٤. وزاد غلطه فطعن على المدائني فضعَّفه، وليس كما قال. وكذلك أساء الكلام في المدائني: الدكتور حسين إبراهيم الحاج حسن ـ وهو من الرافضة الجدد ـ في كتابه «الإمام الحسن رائد الواقعية السياسية» ص ٣٣ ـ ٣٤.

(٣) تهذيب الكمال ٢٣٦/٦، سير أعلام النبلاء ٢٦٧/٣.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٣٧/٨ ـ ٢٣٨.

وذكر أبو طالب محمد بن علي الحارثي المكي الصوفي المتوفى سنة (٣٨٦هـ) في كتابه «قوت القلوب» قال: (تزوج الحسن بن علي مئتين وخمسين، وقيل: ثلاث مئة)[١].

قلت: الرواية الأولى مرسلة، والثانية منقطعة، فهما ضعيفتان. ورواية صاحب «قوت القلوب» بلا إسناد، وبينه وبين الحسن مفاوز، ثم هو ممن لا يُعوَّل عليه في هذا الشأن، فلا قيمة لروايته.

وعلى هذا فما جاء بشأن كثرة عدد زوجات الحسن مما لا يُعتمد عليه ولا يوثق به ولا تركن النفس إليه. ولو أخذنا بأقل الروايات عدداً وقلنا أن الحسن رُزق من كل زوجة ـ في المتوسط ـ ولداً واحداً؛ لكان عدد أولاده سبعين، وهذا لم يوجد، فأكثر ما ذُكِر عن عدد أولاده أنهم (٢٢) ما بين ذكر وأنثى.

وابن عساكر وهو الذي يستوعب أخبار من يترجم له لم يذكر مثل هذه الأعداد الكبيرة، والسيوطي وهو المشهور بكثرة الجمع والاستقصاء لم يورد إلا الرواية الأولى.

ولو قلنا: إن الحسن تزوج بضع عشرة امرأة، لكان هذا العدد كبيراً وكان الحسن كثير التزويج.

•• ذكر أسمائهن[٢]:

والنسوة اللائي ذكر الأخباريون أسماءهن من زوجات الحسن قد بلغن اثنتي عشرة امرأة، وهن:

---

(١) قوت القلوب ١/٢٤٦.

(٢) نسب قريش ٤٦ ـ ٥٠، جمهرة أنساب العرب ٣٨ ـ ٣٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨/٢٣٧ ـ ٢٣٨.

١ ـ خولة بنت منظور بن زبان الفزارية.

٢ ـ أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله.

٣ ـ أم بشر بنت أبي مسعود الأنصاري.

٤ ـ جعدة بنت الأشعث بن قيس.

٥ ـ هند بنت سهيل بن عمرو.

٦ ـ حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر.

٧ ـ امرأة من كلب.

٨ ـ امرأة من بنات عمرو بن أهتم المنقري.

٩ ـ امرأة من ثقيف.

١٠ ـ امرأة من بنات علقمة بن زرارة.

١١ ـ امرأة من شيبان.

١٢ ـ أسماء بنت عطارد بن حاجب التميمي.

١٣ ـ أُمهات أولاد شتى.

ثانياً ـ قصص حول زواج الحسن من بعض نسائه ومواقف له منهن:

روى ابن عون عن محمد بن سيرين قال: (خطب الحسن بن علي إلى منظور بن سيَّار بن زبَّان الفَزَاري ابنتَهُ، فقال: والله إني لأُنكحك، وإني لأعلمُ أنك غَلِق طَلِق مَلِق، غير أنك أكرمُ العرب بيتاً وأكرمه نسباً)[1].

---

(١) مختصر ابن عساكر ٢٨/٧، تهذيب الكمال ٢٣٦/٦، شرح نهج البلاغة ٢٣٨/٨. غلق: كثير =



وروى المدائني بإسناده عن ابن أبي مُلَيْكة قال: (تزوج الحسن بن علي خولة بنت منظور، فبات ليلةً على سطح أُجْمٍ، فشدَّتْ خمارها برجْلِه والطرف الآخر بخَلْخَالها، فقام من الليل، فقال: ما هذا؟! قالت: خفتُ أن تقوم من الليل بوَسَنِك فتسقط، فأكونَ أشأمَ سَخْلَةٍ على العرب! فأحبَّها، فأقام عندها سبعة أيام. فقال ابن عمر: لم نَرَ أبا محمد منذ أيام، فانطلِقوا بنا إليه، فأتوه، فقالت له خولة: احتبسْهم حتى نُهيِّئ لهم غداءً. قال ابن عمر: فابتدأ الحسن حديثاً ألهانا بالاستماع إعجاباً به، حتى جاءنا الطعام)(١).

وعن ابن سيرين قال: (تزوج الحسن بن علي امرأة، فأرسل إليها بمئة جارية مع كل جارية ألف درهم)(٢)!

قلت: كان الحسن جواداً زاهداً لا يمسك مالاً!

وعن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي قال: (كان الحسن بن علي قَلَّ ما تفارقُه أربعُ حرائر، فكان صاحبَ ضرائر، وكانت عنده ابنةُ منظور بن سيَّار الفَزَاري، وعنده امرأة من بني أَسَد من آل جَهْم، فطلَّقَهما، وبعث إلى كل واحدة منهما بعشرة آلاف درهم وزقاق من عسل متعةً، وقال لرسوله يسار أبي سعيد وهو مولاه: احفظ ما تقولان لك. فقالت الفزارية: بارك الله فيه وجزاه خيراً، وقالت الأَسَديَّة: متاعٌ قليلٌ من حبيب مفارق! فرجع فأخبره.

= الضجر، وردَّه ابن أبي الحديد. طلق: كثير طلاق النساء، ورواه ابن الأثير في «النهاية»: طِلِّيق. ملق: الذي ينفق ماله حتى يفتقر. وقيل غير ذلك في ضبط الكلمات ومعناها.

(١) مختصر ابن عساكر ٢٧/٧، تهذيب الكمال ٢٣٦/٦. أُجْم: كل بيت مربع مسطح. أشأم سخلة: السَّخْل: المولود المُحبَّب إلى أبويه. ورجال سُخَّل وسُخَّال: ضعفاء أرذال.

(٢) الحلية ٣٨/٢، مختصر ابن عساكر ٢٨/٧، تهذيب الكمال ٢٣٧/٦، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد: ٢٨٤/٤ وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

فراجَعَ الأَسديَّةَ وترك الفَزارية)[١].

وقال سويد بن غَفَلة: (كانت عائشة الخَثْعَميَّة عند الحسن بن علي، فلما قُتل علي وبويع الحسن دخل عليها، فقالت: لِتَهْنِكَ الخلافةُ، فقال: بقتل عليٍّ تُظهِرين الشماتة؟! اذهبي فأنتِ طالق ثلاثاً. قال: فتلفَّعتْ بثيابها وقالت: والله ما أردتُ هذا. وقعدت حتى انقضت عدَّتها، فبعث إليها ببقية من صَدَاقها وبمتعةٍ عشرين ألف درهم. فلما جاءها الرسول ورأت المال، قالت: متاع قليل من حبيب مفارق)[٢].

ما قيل في كون الحسن مِطْلاقاً:

عن جعفر بن محمد الصادق، عن أبيه محمد الباقر: قال علي: (يا أهلَ العراق، لا تزوِّجوا الحسن بن علي فإنه رجلٌ مِطْلاقٌ. فقال رجل من هَمْدان: والله لَنزوِّجَنَّه، فما رضي أَمْسَك وما كرِهَ طَلَّق)[٣].

قلت: إسناده مُعْضَل، محمد الباقر لم يدرك علي بن أبي طالب، بل لم يدرك جدَّه الحُسين بن علي.

وروى الواقدي عن حاتم بن إسماعيل عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: قال علي: (مازال حسنٌ يتزوَّجُ ويطلِّق حتى خشيتُ أن يكون يورِّثنا عداوة في القبائل)[٤].

إسناده معضل أيضاً، وفيه الواقدي وهو ضعيف.

---

(١) مختصر ابن عساكر ٢٧/٧ ـ ٢٨، تهذيب الكمال ٢٣٧/٦.
(٢) مختصر ابن عساكر ٢٨/٧، سير أعلام النبلاء ٢٦٢/٣، مجمع الزوائد ٣٣٩/٤.
(٣) مختصر ابن عساكر ٢٨/٧، تهذيب الكمال ٢٣٦/٦، سير أعلام النبلاء ٢٥٣/٣.
(٤) سير أعلام النبلاء ٢٦٢/٣، ٢٦٧، تاريخ الخلفاء ١٩١.

وكان علي ﷺ يقـول لأهل الكوفـة: (لا تزوّجوه فإنـه مِطْلاقٌ)، فيقولون: (والله يا أمير المؤمنين لو خَطب لنا كل يوم زوَّجناه منّا، ابتغاءً في صِهْر رسول الله ﷺ!)[١].

وروى الواقدي بإسـناده عن علي بن الحسين قال: (كان الحسن بن علي مِطْلاقاً للنساء، وكان لا يفارِقُ امرأة إلا وهي تحبُّه)[٢].

•• فهذه الأخبار كلها ضعيفة، وهي تعتضد فيقوي بعضُها بعضاً مما يفيد أن للخبر أصلاً، لكـن ليس كما يدل ظاهر الأخبـار بحيث يُظَنّ بالحسن أنه يعبث بالطلاق ويستسهله، فحاشاه من ذلك، وما كان سلف الأُمة يتهاونون بعقد الزوجية وبناء الأسـرة، الذي يُعـدّ الطلاق عاملاً خطيراً فـي هدمه، والصحابة أرعـى خلق الله لبيـت الزوجية والأولاد وكيان الأسرة، وبخاصة سادات أهل البيت والحسن منهم ﷺ.

وهذه الأخبار تُحمل على تعدد وقوع الطلاق من الحسن، إنما ليس بتلك الكثرة التي يوحي بها ظاهر الروايات، وعلى هذا يُحمل كلام أبيه علي ﷺ الذي كان يسـتنكر وقـوع الطلاق لأكثر مـن زوجة من ابنه الحسن، ويريد أن يكفَّه عن ذلك رعايةً لسمعة آل البيت، حتى لا يكونوا قدوة ومثلاً في هذا الأمـر المرغوب عنه، وليحافـظ كذلك على كيان الأُسـرة ومصلحة الأبناء؛ فلهذا تراه يناشـد النـاسَ أن لا يزوِّجوا ابنه الحسـن، وهم يأبون إلا مصاهرتـه رغبةً فيه لشـرفه ومنزلته، واتصالاً بالنبي ﷺ بسـبب لأن الأسـباب تنقطع يـوم القيامة إلا مَـنْ كان له برسول الله ﷺ سبب ونسب.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ١١/٥٢٥ ـ ٥٢٦.

(٢) مختصر ابن عساكر ٢٨/٧، تهذيب الكمال ٢٣٧/٦.

•• وقد تمسك بأخبار كثرة زواج الحسن وكثرة طلاقه بعضُ المغرضين الشانئين، وأساؤوا الظن وانحرفوا عن جادة الحق وركبوا الهوى؛ فطعنوا على الحسن ووصموه بما هو منه بريء وعنه متنزِّه.

من أولئك المستشرق الإنجليزي (لامنس) الذي يقول في ترجمة الحسن من «دائرة المعارف البريطانية»: (ولما تجاوز ـ أي الحسن ـ الشباب، وقد أنفق خير سني شبابه في الزواج والطلاق، فأُحصي له حوالي المئة زوجة، وألصقت به هذه الأخلاق السائبة لقبَ: المِطْلاق، وأوقعت علياً في خصومات عنيفة.

وأثبت الحسن كذلك أنه مبذِّر كثير السَّرَف، وقد خصص لكل من زوجاته مسكناً ذا خدم وحَشَم، وهكذا نرى كيف يبعثر المال أيام خلافة علي التي اشتد فيها الفقر!)[1].

وهذه الكلمات من هذا المستشرق هي نَفْثةُ مَصْدور، فقد اعتمد على روايات واهية تالفة بَيَّنَّا وهاءَها وسقوطها، وزاد الأمر سوءًا فرمى الحسن بصفات قائمة على الكذب والبهتان، فأضاف إلى الأخبار الواهية أكاذيبَ وأباطيل واتهامات لا تصدر عن باحث منصف:

فزعم أن الحسن مبذِّر كثيرُ السَّرَف وأنه خصص لكل زوجة مسكناً وخدماً وحَشَماً، وهذا مما لم يَرِد حتى في الروايات التالفة التي اعتمد عليها، وتوجد رواية واحدة فقط قد أوردناها تذكر أن الحسن ساق إلى إحدى زوجاته جواري وأموالاً، وهذا لو ثبت لم يكن بِدْعاً، فكثيرٌ من الأشراف وذوي المكانة يبذلون في مثل هذه

---

(١) دائرة المعارف البريطانية ٧/٤٠٠.

المناسـبة أموالاً طائلة، قد فعل ذلك أناس قبل الحسـن وفي زمانه ومن بعده إلى زماننا هذا.

ورمى الحسـن بأنه ذو أخلاق سـائبة حتى لُقِّـب بالمطلاق، وقد أوضحنا وجه الحق في كونه مِطْلاقاً، وأما أنه ذو أخلاق سـائبة؛ فكذبٌ على كذب، فسيرةُ الحسـن تشهد أنه شـريف نبيل ورع زاهد متواضع عَفّ كريم سمح أوَّاه شديد الخشية لله!

فأنَّى لمستشرق أن يرمي أمثال الحسن في سيرته وأخلاقه؟!

وأما قوله: إن كثرة زواج الحسـن وطلاقه قد أوقعـت أباه علياً في خصومات عنيفة، فهذا من (كيس لامنس)، وما وقفنا على رواية واحدة تفيد ذلك في هذا الخصـوص، بل الذي كان هو العكـس فإن القبائل أجابوا علياً برغبتهم في تزويج الحسـن لتحقيق المصاهرة والنسب مع النبي ﷺ.

والعجيب أن لامنس يحاضر في الأخلاق ويلوم الحسـن ويجترئ عليه لتعدد زوجاته، وهو وأمثاله يستبيحون تعدد العشيقات والخليلات بلا ضابط مـن خلق ولا رادع مـن مجتمع أو قيم، فهـذا عند لامنس لا يُعتبر أخلاقاً سائبة!!

ثالثاً ـ أولاده:

اختلف المؤرخون وأصحاب التراجم في عدَّة أبناء الحسـن، فأكثر ما ذكروه أنهم ثلاثة وعشرون، خمسة عشر ذكراً وثمان بنات[١].

---

(١) صفة الصفوة ٧٥٩/١.

وذكر بعض من ترجم للحسن من الأولاد ما لم يذكره غيره، وقد جمعتُ أقوالهم فكان الذين وقفت عليهم في مختلف كتب التاريخ والتراجم[١]: ثلاثين نفساً، (٢٢) ذكراً و(٨) بنات، وهم:

١ ـ الحسن ٢ ـ زيد ٣ ـ عَمْرو ٤ ـ القاسم ٥ ـ أبو بكر ٦ ـ عبد الرحمن ٧ ـ الحسين ٨ ـ طلحة ٩ ـ علي الأكبر ١٠ ـ عبد الله ١١ ـ محمد الأصغر ١٢ ـ يعقوب ١٣ ـ إسماعيل ١٤ ـ حمزة ١٥ ـ جعفر ١٦ ـ محمد الأكبر ١٧ ـ علي الأصغر ١٨ ـ عقيل ١٩ ـ عُمر ٢٠ ـ أحمد ٢١ ـ إبراهيم ٢٢ ـ عبيد الله. هؤلاء الذكور.

والإناث هن: ١ ـ أم الحسين ٢ ـ أم عبد الله ٣ ـ فاطمة ٤ ـ رقية ٥ ـ أم سلمة ٦ ـ أم الخير ٧ ـ سُكينة ٨ ـ أم الحسن.

•• أما محمد الأصغر، وجعفر، وحمزة، وفاطمة: فقد دَرَجوا، أي ماتوا وانقرضوا.

وأما الحسن، وزيد، وطلحة، والقاسم، وأبو بكر، وعبد الله: فقتلوا بكربلاء مع عمِّهم الحسين الشهيد.

ولم يُعْقِب من أولاده سوى الحسن وزيد، فَعَقِبُه وذرّيتُه منهما، والباقي انقرض.

الحسن بن الحسن بن علي[٢]:

أُمه خولة بنت منظور، إمام جليل، قليل الرواية والفتيا.

---

(١) نسب قريش ٤٦ ـ ٥٠، جمهرة أنساب العرب ٣٨ ـ ٣٩، سير أعلام النبلاء ٢٧٩/٣، سبل الهدى والرشاد ٥٢٦/١١ ـ ٥٢٧، الدوحة النبوية ١٠٠.

(٢) طبقات ابن سعد ٣١٩/٥، تهذيب الكمال ٨٩/٦، سير أعلام النبلاء ٤٨٣/٤.

روى عن أبيه الحسن بن علي، وابن عمه عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وبنت عمه فاطمة بنت الحسين، وكانت زوجته.

وحدّث عنه: أبناؤه: إبراهيم والحسن وعبد الله، وابن عمِّه الحسن بن محمد بن علي، وإسحاق بن يسار، وسعيد بن أبي سعيد مولى المَهْري، والوليد بن كثير المدني، وغيرهم.

له ستة أولاد هم: محمد، وعبد الله، والحسن، وإبراهيم، وجعفر، وداود.

زيد بن الحسن بن علي[١]:

روى عن أبيه الحسن، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عباس.

وحدّث عنه: ابنه الحسن بن زيد، وعبد الله بن عَمْرو بن خِدَاش، وعبد الرحمن بن أبي المَوالِ، وغيرهم.

كان من سادات أهل البيت، جواداً ممدَّحاً كبير القدر، توفي سنة (١٢٠هـ) وعاش تسعين سنة.

وهو والد أمير المدينة المنورة الحسن بن زيد، ولي المدينة لأبي جعفر المنصور.

والحسن هذا هو والد السيدة نفيسة صاحبة المشهد بالقاهرة[٢].



(١) طبقات ابن سعد ٣١٨/٥، تهذيب الكمال ٥١/١٠، سير أعلام النبلاء ٤٨٧/٤.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٠٦/١٠، البداية والنهاية ٢٦٢/١٠، ولابن كثير هنا كلام قيم حول مشهد السيدة نفيسة.

الفصل الثاني

مولده ونشأته في محاضن النبوة وآل البيت

توطئة:

تهيأ للحسن بن علي ما لا يتهيأ إلّا للقلّةِ من بني آدم، وتوفّر له من عناصر التربية الباهرة ما لم يتوفر إلا للواحد بعد الواحد من الأطفال والناشئة، وسيقت إليه عوامل الرعاية والعناية والنشأة الصالحة الكريمة فأحاطت به اللطائف الربانية والنفحات القرآنية والمكارم النبوية والفضائل الهاشمية.

وُلد الغلام في أحضان النبوة وكَنَف آل البيت الأطهار، وتنسَّم نفحات الوحي وتنزلات الكتاب الكريم، وصُنع على عين رسول الله ﷺ وترعرع في كنف عزِّه واغتذى من ينابيع أخلاقه، وعَلَّ ونَهَل من فيض حبّه وحُنوّه وعطفه ورحمته، وغمره ﷺ بجميل مداعبته وملاعبته وعنايته وملاطفته، وتفقَّدَ أحواله في نهاره وليله، وفي ساعات راحته وعبادته وطعامه وشرابه وظَعْنه وإقامته.

وكان ﷺ شغوفاً به، يجدُ فيه الرَّوح والريحان والسعادة والسُّلْوان، يضمُّه إليه ويشمّه ويُقبِّله، ويحمله على عاتقه ويضعُه على فخذه ويدعو له، ويُركبه على ظهره ويتمادى في سجوده ليهنأ الطفل الصغير في ركوب ظهر جدِّه!

ويسعى ﷺ إلى بيت ابنته فاطمة ويسأل عنه، وإذا لم يجده لَحِق بأبيه ليطمئن عليهِ ويردّه إلى بيته ويُقِرَّ به عينه. وكان يُردِفُه خلفه، وأحياناً يحمل معه سبطَيْه الحسن والحسين أحدهما أمامه والآخر خلفه. وبلغ الأمر به ﷺ أنه كان يخطب فرأى الحسن والحسين يمشيان ويَعثُران، فنزل عن المنبر وحملهما ووضعهما بين يديه...

المبحث الأول ـ الحسنُ في الأيام الأولى من حياته:

مولده[١]:

وُلد الحسن في نصف شهر رمضان سنة (٣هـ)، وهذا أصح ما قيل في تاريخ مولده، وعليه الأكثر، منهم ابن سعد وخليفة بن خياط والزبير بن بكار والطبري وابن عبد البر وغيرهم، ورجحه الحافظ في «الإصابة» وقال: إنه الأثبت، وجزم به الذهبي في «العبر».

قال الليث بن سعد: وَلدَت فاطمة بنت رسول الله ﷺ الحسن بن علي في شهر رمضان من سنة ثلاث، وولدت الحسين في ليالٍ خلون من شعبان سنة أربع[٢].

ـ وقيل: وُلد في شعبان سنة (٣هـ)، وصححه الذهبي في «السير» فخالف ما ذكره في «العبر»[٣].

---

(١) نسب قريش ٢٣، ٤٠، تاريخ خليفة ٦٦، تاريخ بغداد ١٤٠/١، تاريخ الطبري ٥٣٧/٢، الاستيعاب ٣٦٨/١، سير أعلام النبلاء ٢٤٦/٣، ٢٤٨، الإصابة ٣٢٨/١.

(٢) الذرية الطاهرة للدولابي ٦٩، الدوحة النبوية ٧١.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٤٨/٣، العبر ٦/١.

ـ وعن قتادة قال: وَلَدت فاطمةُ الحسنَ بعد «أُحد» بسنتين، وكان بين وقعة أُحُد ومَقْدَم النبي ﷺ المدينة سنتان وستة أشهر ونصف، فولدتْه لأربع سنين وتسعة أشهر ونصف من التاريخ(١).

والقول الأول هو الصحيح الأثبت كما قال الحافظ وغيره.

تسميته:

إن من هَدْي الإسلام وسُننه وآدابه تسميةَ المولود في الأيام الأولى من ولادته، وكان من توجيهات النبي ﷺ أنه أرشد الناس وعلَّمهم وأمرهم أن ينتقوا لأولادهم أحسنَ الأسماء وأجملَها وأصدقها وأحبَّها إلى الله تعالى، وباشر بنفسه الشريفة تسمية أبنائه(٢).

عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنكم تُدعَوْن يومَ القيامة بأسمائِكُم وأسماءِ آبائِكم، فأَحْسِنُوا أَسماءَكم**»(٣).

وعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**أحبُّ الأسماء إلى الله تعالى: عبد الله وعبد الرحمن**»(٤).

وعن أبي وَهْب الجُشَمِيِّ وكانت له صحبة قال: قال رسول الله ﷺ: «**تَسَمَّوْا بأسماءِ الأنبياء، وأَحَبُّ الأسماء إلى الله: عبدُ الله وعبدُ الرحمن، وأصدَقُها: حارِثٌ وهمَّامٌ، وأقبَحُها: حَرْبٌ ومُرَّة**»(٥).

---

(١) تهذيب الكمال ٢٢٢/٦، وبنحوه في المستدرك ١٦٩/٣.

(٢) انظر: تربية الأولاد في الإسلام ٧٦/١ ـ ٨١.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٩٤٨)، وأحمد (٢١٦٩٣)، وابن حبان (٥٨١٨)، وغيرهم. قال شعيب: رجاله ثقات إلا أنه منقطع.

(٤) أخرجه مسلم (٢١٣٢)، وأبو داود (٤٩٤٩)، وغيرهما.

(٥) أخرجه أبو داود (٤٩٥٠)، وأحمد (١٩٠٣٢)، وغيرهما، وصححه الألباني وحسّنه شعيب.

كذلك وجَّه النبي ﷺ إلى تغيير الأسـماء القبيحة والتي فيها مدعاة للاسـتخفاف أو الاسـتهزاء أو التشـاؤم أو مظنَّة الحزن والمرارة وقلة البركة ونحو ذلك.

وقام هو ﷺ بمواقف عملية تربويـة ليكون قدوة جليلة، كما هو في كل خير.

عن عبد الله بن عمر: أنَّ رسول الله ﷺ غَيَّر اسمَ عاصيةَ، وقال: «**أنتِ جميلةُ**»(١).

وروى شُـريح بن هانئ بن يزيد، عن أبيه هانئ: (أنَّـه لما وَفَدَ إلى رسول الله ﷺ مع قومه سمعهم يكنُّونه بأبي الحَكَم، فدعاه رسول الله ﷺ فقال: «**إن الله هو الحَكَمُ، وإليه الحُكْمُ، فلِمَ تُكَنَّى أبا الحَكَم**»؟ فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني، فحكمتُ بينهم، فرَضِيَ كلا الفريقين، فقال رسول الله ﷺ: «**ما أحسَنَ هذا! فما لَكَ من الولد**»؟ قال: لي شُرَيحٌ ومسـلمٌ وعبدُ الله، قال: «**فمَنْ أكبرُهم**»؟ قال: قلت: شُريح، قال: «**فأنتَ أبو شُرَيح**»)(٢).

قال أبو داود: (وغيَّر النبي ﷺ اسمَ العاصِ، وعزيزٍ، وعَتَلَة، وشيطانٍ، والحَكَمَ، وغُراب، وحُباب، وشِهاب فسمَّاه هشاماً، وسمَّى حَرْباً: سِلْماً، وسـمَّى المُضطَجِـع: المُنْبَعِث، وأرضاً تسـمَّى عَفِرة سـمَّاها: خَضِرَة، وشِعْبَ الضلالة سمَّاه: شِـعَبَ الهدى، وبنو الزِّنْيَة سمَّاهم: بني الرِّشْدَة، وسمَّى بني مُغْوِية: بني رِشْدة).

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٣٩)، وأبو داود (٤٩٥٢)، والترمذي (٣٠٥٠)، وغيرهم.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٥٥)، والنسـائي فـي الكبرى (٥٩٠٧)، والبخـاري في الأدب المفرد (٨١١)، وغيرهم، وصححه الألباني.

قال أبو داود: (تركتُ أسانيدَها للاختصار)(١).

•• وقد سلك النبي ﷺ هذا المنهج التربوي الجليل مع أقرب الناس إليه، فَغيَّر أسماءَ أسباطِه الثلاثة من فاطمة رضي الله عنها وعنهم:

عن علي بن أبي طالب قال: (لما وُلد الحسن سمَّيتُه حَرْباً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «**أروني ابْنِي، ما سَمَّيْتُموه**»؟ قال: قلتُ: حَرْباً، قال: «**بل هو حَسن**». فلما وُلد الحسين سمّيتُه حرباً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «**أروني ابني، ما سمَّيْتُموه**»؟ قال: قلتُ: حَرْباً: قال: «**بل هو حُسين**». فلما وُلد الثالث سمَّيتُه حرباً، فجاء النبي ﷺ فقال: «**أَرُوني ابْني، ما سمَّيْتُموه**»؟ قلت: حرباً، قال: «**بل هو مُحَسِّنٌ**». ثم قال: «**سمَّيتُهم بأسماء وَلدِ هارون: شَبَّر، وشِبِّير، ومُشَبِّر**»)(٢).

وفي حديث آخر عن عليٍّ قال: (كنتُ رجلاً أحبُّ الحرب، فلما وُلد الحسنُ هممتُ أن أسمِّيه حرباً، فسمَّاه رسول الله ﷺ: الحسن، فلما وُلد الحسينُ هممتُ أن أسمِّيه حرباً، فسماه: الحسين، وقال: «**إني سمَّيتُ ابنَيَّ هذين باسم ابنَي هارون: شَبَّر وشِبِّير**»)(٣).

ـ وقد جاء في تسميته سبب آخر، فعن محمد بن علي المعروف بابن الحَنفيَّة، عن أبيه علي بن أبي طالب قال: (لما وُلد الحسن سمَّاه حمزة، فلما وُلد الحسين سمَّاه بعمِّه جعفر، قال: فدَعاني رسول الله ﷺ

---

(١) سُنن أبي داود: عقب الحديث (٤٩٥٦). وقد ذكر العلّامة شعيب الأرنؤوط تلك الأسانيد التي تركها أبو داود.

(٢) أخرجه أحمد (٧٦٩)، وابن حبان (٦٩٥٨)، والحاكم ١٦٥/٣ وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه الطبراني (٢٧٧٧)، وذكره الهيثمي في المجمع ٥٢/٨ وقال: رواه البزار والطبراني بنحوه بأسانيد ورجال أحدها رجال الصحيح.

فقال: «**إنـــي أُمِرتُ أن أُغيِّر اســـمَ هذيـــن**»، فقلت: الله ورســـوله أعلمُ، فسمَّاهما حسناً وحسيناً)(١).

قلت: الحديثـــان متفقان فـــي النتيجة حيث إن النبي ﷺ غيَّر اســـم السِّبْطين إلى الحسن والحســـين، لكن السبب مختلف، فلعل علياً لحبِّه الحرب رغب أولاً بتســـمية ولده حرباً، فعَلِم كراهية رسول الله ﷺ لهذا الاسم، فأراد تسميته باسم عمِّه، فجاء التوجيه النبوي إلى تسميته باسم أولاد الأنبياء، والله أعلم.

•• وتذكر بعض الأخبار أن اسم (الحسن) لم يكن معروفاً من قبل:

قال أبو أحمد العَسْكري: (سمَّاه النبي ﷺ (الحسن) وكَنَاه أبا محمد، قال: ولم يكن هذا الاسم يُعرف في الجاهلية. ثم روى عن ابن الأعرابي عن المُفَضَّل قال: إن الله تعالى حَجب اسمَ الحسن والحسين حتى سمَّى بهما النبي ﷺ ابنيه الحسن والحســـين، قال: فقلت له: فاللذَيْن باليمن؟ قال: ذاك (حَسْـــن) بإســـكان الســـين، و(حَسِـــين) بفتح الحاء وكســـر السين)(٢).

وروى ابن ســـعد والدُّولابي عن عمران بن ســـليمان قال: (**الحسن والحســـين اســـمان من أســـماء أهل الجنة، ما ســـمَّتِ العرب بهما في الجاهلية**)(٣).

---

(١) أخرجـــه أحمـــد (١٣٧٠)، والطبراني في الكبيـــر (٢٧٨٠)، وصححه أحمد شـــاكر، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٥٢/٨.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات ١٥٨/١، أسد الغابة ٩/٢ ـ ١٠.

(٣) تاريخ الخلفاء ١٨٨، سبل الهدى والرشاد ٥٠٣/١١.

رعاية نبوية للحسن منذ أيامه الأولى، وسُنن الإسلام بشأن المولود:

•• عن سودة بنت مِسْرَح قالت: (كنتُ فيمن حضر فاطمةَ بنتَ رسول الله ﷺ حين ضربها المخاضُ، قالت: فأتانا رسول الله ﷺ فقال: «**كيف هي ابنتي، فديتُها**»؟ قالت: قلت: إنها لَتَجهدُ يا رسول الله، قال: «**فإذا وَضعَتْ فلا تسبقيني به بشيء**». قالت: فوَضَعتْ، فسَرَرْتُه ولفَفْتُه في خِرقةٍ صفراءَ، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «**ما فعلت ابنتي فديتُها، وما حالُها، وكيف بُنَيَّ**»؟ فقلت: يا رسول الله، وضعَتْه، وسَررْتُه وجعلتُه في خرقة صفراء، فقال: «**لقد عَصيتِني**» قالت: قلتُ: أعوذ بالله من معصية الله ومعصية رسوله! سَررتُه يا رسول الله ولم أجدْ من ذلك بُدّاً، قال «**ائتِني به**»، قالت: فأتيتُه بـه، فألقى عنه الخِرقة الصفراء ولفَّه في خِرقة بيضاءَ، وتَفَل في فيه، وألْبَأه بريقِه)[1].

ولما وُلد الحسن نالَتْه بركات جدِّه رسول الله ﷺ فأذَّن في أُذنه:

عن أبي رافع قال: (رأيتُ رسولَ الله ﷺ أَذَّنَ في أُذُنِ الحسنِ بن علي حين ولدَتْه فاطمةُ بالصلاة)[2].

وسرُّ التأذين كما يقول ابن القيم: (أن يكون أولُ ما يَقرع سمعَ الإنسان كلماتِ النداء العلوي المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته، والشهادةَ التي أول ما يدخل بها في الإسلام، فكان ذلك كالتلقين له شِعارَ الإسلام

(١) مختصر ابن عساكر ٦/٧ ـ ٧، تهذيب الكمال ٢٢٢/٦ ـ ٢٢٣، وذكره الهيثمي في المجمع ١٧٤/٩ ـ ١٧٥ وقال: رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما عمر بن فيروز وعمر بن عمير، ولم أعرفهما، وبقية رجاله وثقوا. ومعنى سَررتُه: قطعتُ سُرَّته. ألبأه بريقه: صَبَّ ريقَه في فيه، كما يُصَبّ اللِّبأ في فم الصبي، وهو أول ما يُحلب عند الولادة.

(٢) أخرجه أبو داود (٥١٠٥)، والترمذي (١٥٩٤) وقال: حسن صحيح، وحسّنه الألباني.

عند دخوله إلى الدنيا، كما يُلَقَّــن كلمة التوحيد عند خروجه منها، وغيرُ مُستنكَرٍ وصولُ أثرِ التأذين إلى قلبه وتأثُّره به وإنْ لم يشعر)[١].

•• وأَمر النبي ﷺ بحلْقِ شــعر الحسن والتصدقِ بوزن الشعر فضة، وأَظهر الفرحَ به والســرورَ بمقدمه، وأَشْهَرَ الســنَّة في المولود فذبح له عقيقتَه وخَتَنَه في اليوم السابع من ولادته.

عن علي بن أبي طالب قال: (عَقَّ رســولُ الله ﷺ عن الحســن بشاةٍ وقال: «**يا فاطمةُ احْلِقي رأسَه، وتصدَّقي بِزِنَةِ شَعْره فِضَّةً**»، فوَزَنَّاه فكان وزنُه درهماً أو بعضَ درهم)[٢].

وعن أبي رافــع قال: (لمَّا وَلدتْ فاطمةُ حَســناً، قالت: أَلَا أَعقُّ عن ابني بدمٍ؟ قال: «لا، ولكن احلِقي رأسَــه ثم تصدَّقي بوزنِ شَــعْره من فضّة على المســاكين أو الأَوْفَاضِ ـ وكان الأوفاض ناســاً من أصحاب رسول الله ﷺ محتاجين في المسجد أو في الصُّفَّة ـ ففعلتْ ذلك. قالت: فلما ولدتُ حُسيناً، فعلتُ مثلَ ذلك)[٣].

ونقل الحافظ عن شــيخه الحافظ العراقي في «شرح الترمذي» قال: (يُحمل علــى أنه ﷺ كان عَقَّ عنه، ثم اســتأذنتُه فاطمة أن تَعقَّ هي عنه أيضــاً فمنعها). ثــم قال الحافــظ: (ويَحتمِــل أن يكون مَنَعهــا لضيقِ ما عندهم حينئذٍ، فأرشــدها إلى نوع من الصدقة أخف، ثم تيسَّر له عن قُرْب ما عَقَّ به عنه)[٤].

---

(١) انظر: تحفة المودود بأحكام المولود ٣٩ ـ ٤٠، تربية الأولاد في الإسلام ٧٠/١.

(٢) أخرجه الترمذي (١٥٩٧) وقال: حسن غريب، وحسّنه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

(٣) أخرجه أحمــد (٢٧١٨٣)، وذكره الحافظ فــي الفتح: ٣٨٦/١٢ شــرح الحديث (٥٤٧٢) وسكت عليه، وقال شعيب: إسناده ضعيف.

(٤) الفتح ٣٨٦/١٢ ـ ٣٨٧.

وعن جعفر الصادق، عن أبيه محمد الباقر قال: (وَزنَتْ فاطمةُ بنت رسول الله ﷺ شَعْرَ حسنٍ وحُسين وزينبَ وأمِّ كلثوم، فتصدَّقَتْ بِزِنةِ ذلك فِضَّةً)[١].

وعن أم المؤمنين عائشة قالت: (عَقَّ رسول الله ﷺ عن حَسنٍ وحُسينٍ يومَ السابعِ، وسمَّاهما، وأَمر أن يُماط عن رأسِهما الأذى)[٢].

وعن عِكْرمةَ، عن ابن عباسٍ: (أن رسول الله ﷺ عَقَّ عن الحَسن والحُسين كَبْشاً كَبشاً). لفظ أبي داود.

وفي رواية عن ابن عباس قال: (عَقَّ رسول الله ﷺ عن الحسن والحسين بكَبْشَيْنِ كَبْشَينِ). لفظ النسائي[٣].

وقوله (بكبشين كبشين): أي عق عن كل واحد بكبشين، ولذلك كَرَّر، ويَحتمِل أن التكرير فيها للتأكيد، والكبشان عن الاثنين، على أن كل واحد عق عنه بكبش. أفاده السِّنْدي[٤].

وعن جابر بن عبد الله: (أن رسول الله ﷺ عَقَّ عن الحسن والحسين وخَتَنَهما لسبعةِ أيامٍ)[٥].

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ ٥٠١/٢، والبيهقي في السنن الكبرى ٣٠٤/٩، قال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات إلا أنه منقطع، هامش سُنن الترمذي ٣٤٢/٣، وقال عبد القادر الأرنؤوط: حديث حسن بشواهده، جامع الأصول: حديث (٥٦١٩).

(٢) أخرجه ابن حبان (٥٣١١)، والحاكم ٢٣٧/٤، والبيهقي ٣٠٣/٩، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وصححه الحافظ في فتح الباري ٣٧٧/١٢ شرح الحديث (٥٤٦٧).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٨٤١)، والنسائي في الكبرى (٤٥٣١) والصغرى ١٦٦/٧، وصححه ابن حزم وابن دقيق العيد وابن كثير وغير واحد. ثم جاء الدكتور علي الصلابي فأورد الحديث في كتابه «الحسن بن علي: ص ٢٠» وعلّق عليه بقوله: في إسناده ضعف!!

(٤) حاشية السندي على سُنن النسائي ١٦٦/٧.

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٥٦٧)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٥٩/٤.

وقبل أن يولد الحسن رأت أم الفَضْل زوجُ العباس بن عبد المطلب رؤيا جزعتْ منها، فجاءت إلى رســول الله ﷺ تخبره بها، فبشَّرها خيراً، وعَبَرها لها.

عــن أم الفَضْــل قالت: (رأيــتُ كأن فــي بيتي عضواً مــن أعضاء رســول الله ﷺ، قالت فجَزعْتُ من ذلك، فأتيتُ رســول الله ﷺ فذكرتُ ذلك له، فقــال: «**خيراً رأيتِ، تلِــدُ فاطمة غلامــاً، فتَكْفُلِينَه بلبنِ ابنك قُثَم**». قالت: فولدتْ حسناً، فأُعطِيتُه، فأَرضعْتُه حتى تحرَّك ـ أو: فَطَمتُه ـ ثم جئتُ به إلى رسول الله ﷺ فأجلَسْــتُه في حِجْرِه، فَبالَ، فضربتُ بين كتفَيْه، فقــال: «**ارفُقِي بابنــي رحمكِ الله ـ أو: أصْلحــكِ الله ـ أوجعتِ ابني**»! قالت: قلتُ: يا رســول الله، اخلَعْ إزارك والبَــسْ ثوباً غيره حتى أغسلَه، قال: «**إنما يُغسل بولُ الجارية، ويُنضَحُ بولُ الغلام**»)[1].

المبحث الثاني ـ الحسن في كنف والديه:

وُلد الحسن من أشرف أرومة وأطهر أصل، وتفرَّع من ذروة الشرف والســيادة والنُّبل، فانبثق فرعُه من أصل بني هاشــم، وخرج شَطْؤه من شجرة النبوة والطاهرة خديجة الكبرى، ونَسَل من علي وفاطمة؛ فوَرِث المجد والرفعة كابراً عن كابر، ونَبَع من معين الشرف والطهر والفضائل والمكارم والكمال الإنساني.

وتفتحت عيناه فــي أرض الهجرة مدينةِ رســول الله ﷺ طيبة الطيبة، وترعرع في كَنَف أُمه البتول وأبيه فخر الرجال الأبطال والعلماء الحكماء،

---

(١) أخرجه ابن ماجــه (٣٩٢٣)، وأحمد (٢٦٨٧٥)، وأبو يعلــى (٧٠٧٤)، وغيرهم، وصححه شعيب الأرنؤوط.

وبقي في حضن الوالدة الشابة حتى بلغ من العمر ثماني سنين، حيث فارقتْهُ ولَحِقتْ بأبيها ﷺ، واستمر الفتى في رعاية أبيه حتى بلغ مبلغ كَمَلةِ الرجال، ومات عليٌّ وللحسن من العمر سبع وثلاثون سنة.

في مثل ذلك المحضن الطاهر الكريم نشأ الحسن وتربى على أفضل أخلاق الرجال وأنبل شِيَم الكرام، وعاش في أُسرته حياة الزهد والورع والنُّبل، مع الجود والسماحة، مزداناً بالحلم والعلم، متوَّجاً بالرأفة والرحمة، متدرِّجاً نحو معارج الكمال في ذاته ومع عامة الناس، داخل بيته وخارجه، في أيام الضيق والمَسْغبة، وأوقات السعة والجِدَة، لم تغيِّره الظروف القاسية، ولا غرَّتْه الدنيا بزخارفها، فنشأ على أخلاق أبوَيْه وجدَّيْه، واستمر عليها في جميع أحواله وأيامه وظروف حياته.

•• فمنذ الأيام الأولى من حياة الحسن كانت والدته الزهراء تغذوه مع لبن الأُمومة (موروثات البيت النبوي)، فتنتقل إليه جبلَّتُها وفطرتها وأخلاقها وشمائلها. ويَرْمُق الطفل الصغير أمَّه في حركاتها وأعمالها وتصرفاتها وعبادتها؛ فيقلِّدها في جميع ذلك، وتنطبع في ذاكرته وقلبه وعقله الباطن مكوناتُ شخصية أمه، ويكتسب منها ما ورثَتْه هي من مَعِين النبوة وشمائلها الفريدة. ولا ريب أن أبناء الأكابر والسادة الأشراف ينشؤون على ماعوَّدهم آباؤهم، طال ما حَفَّتْهم الرعاية وتولَّتْهم العناية مع القدوة الصالحة والأسوة الصادقة.

عن ابن أبي مُلَيْكَة قال: (كانت فاطمةُ تُنَقِّزُ الحسن بن علي، وتقول:
بِأَبي شِبْهُ النبي ليسَ شَبيهاً بعليّ)[1].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٦٤١٥)، وذكره الحافظ في «الفتح»: ٨/٧٠٢ ـ ٧٠٣ شرح الحديث (٣٧٥٠) وقال: فيه إرسال. تنقز الحسن: ترقصه.

ومن رعاية الأبويـن الكريمين لابنهما أنهما كانا يسـمحان له بأن يلعب مع أترابه مـن الصبيان بما هو مباح من الأشـياء؛ فعن عُقبة بن الحارث قال: (صلَّى أبو بكر رضي الله عنه العصر، ثم خرج يمشي، فرأى الحسنَ يلعبُ مع الصِّبيان، فحمله على عاتقه وقال: بأبي شبيهٌ بالنبيِّ، ولا شبيهٌ بعليٍّ، وعليٌّ يضحكُ)[1].

قال الحافظ: (في الحديث تركُ الصبي المميِّز يلعب، لأن الحسن إذ ذاك كان ابنَ سبع سـنين، وقد سـمع من النبي ﷺ وحَفِظ عنه، ولعبُه محمول على ما يليق بمثلـه في ذلك الزمان من الأشـياء المباحة، بل على ما فيه تمرين وتنشيط ونحو ذلك، والله أعلم)[2].

ومن ملامح حياة الزهد وخشونة العيش التي عاشها الغلام في كَنَف والديه؛ ما رواه سَـهْل بن سـعد: (أن علي بن أبي طالـب دخل على فاطمة، وحسنٌ وحسينٌ يبكيان، فقال: ما يبكيهما؟ قالت: الجوعُ! فخرج عليٌّ، فوجد ديناراً بالسـوق، فجاء إلى فاطمـة فأخبرها، فقالت: اذهَبْ إلى فلان اليهوديِّ فخُذْ لنا دقيقاً، فجاء اليهوديَّ فاشترى به دقيقاً، فقال اليهوديُّ: أنت خَتَنُ هذا الذي يزعم أنه رسول الله؟ قال: نعم، قال: فخذْ دينارك ولك الدقيقُ. فخرج علي حتى جاء به فاطمة، فأخبرها، فقالت: اذهب إلى فـلان الجزار فخُذْ لنـا بدرهم لحماً، فذهـب فرهن الدينارَ بدرهم لحمٍ، فجاء به، فعَجَنتْ ونَصَبَتْ وخَبزَتْ، وأرسـلَتْ إلى أبيها، فجاءهم، فقالت: يا رسـول الله، أذكر لـك فإن رأيتَه لنا حـلالاً أكلناه وأكلتَ معنا، من شأنه كذا وكذا، فقال: «**كلوا باسم الله**»، فأكلوا. فبيناهم

---

(١) أخرجه البخاري وغيره، وقد تقدم: ص ٢٤ حاشية (٣).

(٢) الفتح ٤٥٠/٨ شرح الحديث (٣٥٤٢).

مكانهم إذا غلامٌ يَنْشُد اللهَ والإسـلامَ الدينار، فأمر رسول الله ﷺ فدُعي له، فسأله، فقال: سَقَط مني في السوق، فقال النبي ﷺ: «**يا عليُّ، اذهَبْ إلى الجزار فقل له: إن رسـول الله ﷺ يقول لك: أرسِـلْ إليَّ بالدينار، ودِرهمُكَ علَيَّ**»، فأرسل به، فدفعه رسول الله ﷺ إليه)[١].

•• وتجلَّتْ رعاية علي رضي الله عنه لابنه منذ صغره وحتى اكتمال رجوليته، بل نجد علياً ينفح ابنَه بنصائحه وتوجيهاته وحِكَمه وآدابه حتى في آخر أيام حياته، وقد اطمأن إلى أن الحسـن بلغ شأواً جليلاً بين أنداده، وأن الأُمة تنظـر إليه نظرة الإجلال والإكبار لتكامل صفاته وشـمائله، ولأنه من سلالة النبوة وأكابر أهل البيت الأطهار.

يقول علي لابنه ناصحاً وموجهاً[٢]:

(فإني أُوصِيك بتقوى الله أي بُنَيَّ ولزومِ أمره، وعِمارة قلبك بذِكْره، والاعتصام بحَبْلِه، وأيُّ سـببٍ أوثقُ من سـببٍ بينك وبين الله إنْ أنت أخذتَ به؟!

أَحْـيِ قلبك بالموعظـة، وأَمِتْـه بالزهادة، وقـوِّه باليقيـن، ونَوِّرْه بالحكمة، وذَلِّلْـه بذِكْر المـوت، وقرِّرْه بالفَناء، وبَصِّـرْه فجائعَ الدنيا، وحذِّرْه صولةَ الدهر وفُحـشَ تقلُّبِ الليالي والأيام، واعْرِض عليه أخبارَ الماضين، وذكِّرْه بما أصاب مَن كان قَبْلك من الأولين.

---

(١) أخرجه أبو داود مختصراً (١٧١٤) و(١٧١٥)، ومطولًا (١٧١٦) وهذا لفظه، وحسّنه شعيب بالسياقة المختصرة.

(٢) اقتطفنا هذه النصائح من (وصية طويلة) وردت في «نهج البلاغة»، وإن كنا نشكك في صحة نسـبة الكثير من هذا الكتاب لعلي رضي الله عنه، كما أوضحنا مبررات ذلك في كتابنا «علي بن أبي طالب»، وإنما أوردنا هنا طرفاً من هذه النصائح لما فيها من حِكَم وفوائد غالية.

وسِـرْ في ديارهم وآثارهم، فانظُرْ فيما فعلوا، وعمَّا انتقلوا، وأينَ حلُّوا ونزلوا؛ فإنك تجدُهم انتقلوا عن الأحبة، وحَلُّوا دار الغربة، وكأنك عن قليل قد صِرتَ كأحدهم.

فأَصْلِحْ مثواكَ، ولا تبعْ آخرتك بدنياك، ودَعِ القولَ فيما لا تعرف والخطابَ فيما لا تُكَلَّف، وأَمْسِكْ عن طريقٍ إذا خِفْتَ ضلالته، فإنَّ الكفَّ عند حيرةِ الضلال خيرٌ من ركوب الأهوال).

ثم يقول له:

(وَأْمُـر بالمعروف تكنْ من أهلِـه، وأَنْكِرِ المنكرَ بيدِك ولسانِك، وبايِنْ مَن فَعَلَه بِجُهدِك، وجاهِدْ في الله حقَّ جهادِهِ، ولا تأخذْكَ في الله لومةُ لائم.

وخُضِ الغمراتِ إلى الحقِّ حيث كان، وتَفقَّهْ في الدِّين، وعوِّدْ نفسَك الصبرَ على المكروه، ونِعْمَ الخُلقُ التصبُّرُ في الحق.

وأَلْجِئ نفسَك في أمورك كلِّها إلى إلهكَ، فإنكَ تُلجِئُها إلى كَهْفٍ حَريزٍ، ومانعٍ عزيزٍ.

وأخْلِصْ في المسألة لربِّك، فإنَّ بيدِه العطاءَ والحرمانَ).

(يا بُنيَّ أكثِرْ مِن ذِكْرِ الموت وذِكْر ما تهجُم عليه وتُفْضِي بعد الموت إليه، حتى يأتيك وقد أخذتَ منه حِذْرَك، وشدّدْتَ له أَزْرَك، ولا يأتيك بغتةً فَيَبْهَرَك.

وإياكَ أن تغترَّ بما ترى من إخلاد أهل الدنيا إليها، وتكالُبِهم عليها، فقد نبأكَ الله عنها، ونَعتَتْ لك نفسَها، وتكشَّفَتْ لك عن مساويها، فإنما

أهلُها كلاب عاوية، وسباعٌ ضاريةٌ، يَهِرُّ بعضُها على بعضٍ، ويأكُل عزيزُها ذليلَها، ويقهر كبيرها صغيرها).

(أَكْرِمْ عشيرتَكَ، فإنهم جناحُك الذي به تطيرُ، وأصلُك الذي إليه تصيرُ، ويدُك التي بها تَصُولُ.

أَستودِعُ الله دينَك ودُنياكَ، وأسألُه خيرَ القضاءِ لك في العاجِلة والآجِلة، والدنيا والآخرة، والسلام)[١].

وروى الإمام العلّامة الحافظ الفقيه أبو الفرج المُعافَى بن زكريا[٢] بإسناده عن شعبة عن أبي إسحاق الهَمْداني، عن الحارث الأعور: أن علياً سأل ابنَه الحسن عن أشياء من أمر المروءة[٣]، وأصغى إلى أجوبته، ثم قال عليٌّ لابنه ناصحاً ومرشداً ومعلِّماً ومربياً:

(يا بُنيَّ، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**لا فقرَ أشدُّ من الجهل، ولا مالَ أعودُ من العقل، ولا وحشةَ أوحشُ من العُجْب، ولا مظاهرةَ أوثقُ من المشاورة، ولا عقلَ كالتدبير، ولا حَسَبَ كحُسنِ الخُلق، ولا ورعَ كالكَفِّ، ولا عبادةَ كالتفكُّر، ولا إيمانَ كالحياءِ والصبرِ، وآفةُ الحديث الكذبُ، وآفةُ العلم النسيانُ، وآفةُ الحِلْم السَّفَه، وآفةُ العبادة الفترةُ، وآفةُ الظَّرف الصَّلَف، وآفةُ الشجاعة البَغْي، وآفةُ السماحةِ المَنُّ، وآفة الجَمال الخُيَلاء، وآفةُ الحَسَب الفخرُ**».

---

(١) انظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٢٩/٨، ٢٦٣، ٢٦٧ ـ ٣١٠ مع الشرح.

(٢) ترجمته في سير أعلام النبلاء ٥٤٤/١٦.

(٣) سنوردها بتمامها: ص ١٢٨ ـ ١٣٠.

يا بُنيَّ، لا تَستخِفنَّ برجلٍ تراه أبداً، فإنْ كان أكبرَ منك فَعُدَّ أنه أبوك، وإن كان مثلك فهو أخوكَ، وإن كان أصغرَ منك فاحسبْ أنه ابنُك).

قال أبو الفرج المُعافى: (وفيما رواه أمير المؤمنين عن النبي ﷺ ما لا غِنى لكلّ لبيبٍ عليمٍ ومِدْرَهٍ حكيمٍ عن حفظه وتأمُّله، والمسعودُ مَن هُدي لتقبُّلِه، والمَجْدُود من وُفِّق لامتثالِه وتقبُّله)[1].

قلت: الحارث الأعور ضعيف، وقد أورد ابن كثير الخبر بطوله وقال معقِّباً: إسناد هذا الأثر وما فيه من الحديث المرفوع ضعيف. انتهى.

وإنما أوردتُ هذا الخبر لما فيه من النفع والفائدة، والآثارُ الضعيفة مما يتساهل العلماء في إيرادها في التاريخ والتراجم والسير والمغازي، وكثير من الأخبار فيها هو من هذا القبيل بل وأضعف منه.

ومن جميلِ تعاهدِ علي لابنه الحسن ومتابعته له في تنشئته وتربيته على مختلِفِ مناهج التعليم والتوجيه: أنه رغب في الاستماع إلى منطقه ولغته وفصاحته وأسلوبه في الحديث والخطابة، واقتداره على حُسْن الأداء والأخذ بقلوب السامعين، فالحسن وارثُ علمِ عليٍّ الذي هو من أفراد الخطباء الحكماء والأدباء البلغاء.

قال عليٌّ للحسن يوماً: (يا بُنيَّ، ألا تخطُب حتى أسمعك؟ فقال: إني أستحيي أن أخطُبَ وأنا أراك! فذهب علي فجلس حيث لا يراه الحسن، ثم قام الحسن في الناس خطيباً وعليٌّ يسمع، فأدى خطبة بليغة فصيحة، فلما انصرف جعل عليٌّ يقول: ذريةً بعضُها من بعض والله سميع عليم)[2].

---

(١) مختصر ابن عساكر ٣٢/٧، تهذيب الكمال ٢٣٩/٦ ـ ٢٤٠، البداية والنهاية ٣٩/٨ ـ ٤٠.
(٢) البداية والنهاية ٣٧/٨. وانظر نماذج من خطبه: ص ١٣١ ـ ١٣٢.

واستمر الوالد المربي الشفيق في توجيه ابنه ـ الذي ناهز السابعة والثلاثين من عمره ـ فنَفحه في آخر أيامه بنصيحة لطيفة وحكمة بليغة:

عن عقبة بن أبي الصَّهْباء قال: (لمَّا ضَرب ابنُ مُلْجَم علياً، دخل عليه الحسن وهو باكٍ، فقال له: ما يبكيك يا بُنيَّ؟ قال: وما لي لا أبكي وأنت في أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا!

فقال: يا بني، احفظ أربعاً وأربعاً لا يضرُّك ما عملتَ معهن، قال: وما هنَّ يا أبتِ؟ قال: إن أغنى الغنى العقل، وأكبر الفقر الحُمق، وأوحش الوحشة العُجْب، وأكرم الحَسَب حسن الخلق.

قال: قلت: يا أبتِ هذه الأربع، فأعلِمْني الأربعَ الأخرى، قال: إياك ومصادقةَ الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك، وإياك ومصادقة الكذاب فإنه يقرِّب إليك البعيد ويبعّد عليك القريب، وإياك ومصادقة البخيل فإنه يقعد عنك أحوجَ ما تكون إليه، وإياك ومصادقة الفاجر فإنه يبيعك بالتافه)(١).

تنبيه على افتراء وكذب:

وعناية عليٍّ بابنه ورعايته له وتوجيهه إلى أفضل الأعمال وأكرم الخصال، وترقية شمائله إلى ذروة المفاخر والمكارم جاريةٌ على طريقة السادة في حرصهم على تنبُّل أبنائهم، وهكذا كان عامة الصحابة وخاصة أكابرهم في تربيتهم ورعايتهم لأبنائهم، بَيْدَ أن الأمر لم يصِلْ إلى أن يُدَّعى لعليٍّ أنه يهيِّئ ابنه ليكون للناس إماماً يمحو عنهم الجاهلية ويعلمهم الإسلام الصحيح!

(١) تاريخ ابن عساكر «ترجمة علي بن أبي طالب» ٣/٣٠٤، حياة الصحابة ٣/٥٠١ ـ ٥٠٢.

يقول أحد الغُــلاة ـ ممن يَدّعي إمامة أهل البيــت وعصمتَهم ـ في ترجمة الحســن: (وظل أبــوه منصرفاً إلى إتمــام المنهــج ليُكْمِل فيه شخصية إمام يسع الإنسانية بِرّاً، ويَعمر الأرض قِسْطاً.

لقد دأب على تثقيفه وتهيئته لحلِّ المشاكل المتأزِّمة التي كان ينتظرها، كيف لا، وهــو يرى حوله أوضاعــاً صعبة، وأشــخاصاً خارجين عن أمر ربهم، وأحقاداً مســتعِرة؟! لذلك عمد إلى إعداد الحســنين للقيام بالدور اللائق بهما، واســتمر يَعِظ ويوصي ويجهد ليجعلَهما خليفتَي أُمة لم تَزَلْ في بداية عهدها لم تنسَ الجاهلية، ولم تتفهم الإسلام الصحيح!!)[1].

وهذا كذبٌ صُراح وافتراءٌ مفضوح، فلقد كان في عصر النبوة وعهد الخلفاء الراشــدين آلاف من الصحابة الأخيار الذيــن صُنعوا على عَيْن النبوة، وحملوا الرســالة وبلَّغوهــا للعالمين وفتحوا القلــوب بالقرآن، وعلَّموا البشرية مبادئ الإســلام الصحيح الصافي النقي، وقادوا الناس بالعدالة والرحمة والمســاواة وأرفــع المبادئ الإنســانية التي جاء بها الإسلام، والحسنُ واحد من تلامذة مدرسة النبوة والخلافة الراشدة...

المبحث الثالث ـ الحسن في محاضن النبوة وثمرة من صنعتها المباركة:

فَقَد ســيدنا رســول الله ﷺ أبناءه الذكور صغــاراً، ابتلاءً لــه ورفعاً لمنزلته، وليكون أُســوة وسَــلْوة لمن يَفقــد أطفاله من المســلمين وما أكثرهم! وقد عــوَّض الله تعالى نبيه ﷺ عــن بنيه بأولاد ابنته أســباطِه الكرام، فأفرغ ﷺ في حياتهم عصارة رحمة الأبوة وخلاصة تربية النبوة...

---

(١) الإمام الحسن رائد الواقعية السياسية ٥٠ ـ ٥١.

وتجلَّتْ في مواقفه ﷺ معهم، وأساليبِ تعامله وتربيته لهم، ورعايته واهتمامه بهم، وحنوّه عليهم، وتهذيبهم وتعليمهم وترقية مَلَكاتهم ومداركهم وأفهامهم وأفكارهم ـ أروعُ أساليب التربية، وأنبلُ طرق الرعاية، وأرقُّ مشاعر الرحمة، وأرفَعُ مسالك الترقي العاطفي والعقلي والفكري.

وخَطَّ ﷺ في منهج تربيته للحسنين أدقَّ وأرقَّ وأجملَ أساليب التربية للصغار، منذ ولادتهم وحتى نهاية مرحلة الطفولة، وكأنَّ الله سبحانه ادَّخَر لرسوله ﷺ أسباطه من فاطمة لِيصبَّ في حياتهم وشخصيتهم منهجَ النبوة في تربية الأطفال ومعاملتهم، وليكون في ذلك أسوة ومنهجاً للآباء والأجداد والتربويين والمعلمين وكذا المسؤولين على اختلاف درجات مسؤولياتهم.

•• آداب وسُنن نبوية شريفة:

ـ عن ابن عباسٍ قال: (كان رسول الله ﷺ يُعَوِّذُ الحسنَ والحُسينَ يقول: «**أُعِيذُكُما بكلمات الله التامة من كلِّ شيطانٍ وهامَّةٍ، ومن كلِّ عين لامَّةٍ**»، ويقول: «**هكذا كان إبراهيمُ يعوِّذُ إسحاقَ وإسماعيلَ**»). لفظ الترمذي.

وفي رواية البخاري: (كان النبيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الحسنَ والحسين، ويقول: «**إن أباكما كان يُعوِّذُ بهما إسماعيلَ وإسحاقَ**»)[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٧١)، وأبو داود (٤٧٣٧)، والترمذي (٢١٨٨)، وغيرهم.
هامَّة: واحدة الهوام ذوات السموم. لامَّة: أي ذات لَمَم، والمراد به: كل داء وآفة تُلِمُّ بالإنسان من جُنون وخَبَل.

ـ وعن أبي هريرة قال: (كنَّا عند رسـولِ الله ﷺ وهو يَقْسِمُ تَمْراً من تمر الصدقة، والحسنُ بن علي في حِجْرِه، فلما فَرغ حَملَه النبي ﷺ على عاتِقه، فسَالَ لعابُه على النبي ﷺ، فرَفَع النبي ﷺ رأسَه فإذا تمرةٌ في فيهِ، فأَدْخَلَ النبي ﷺ يـدَه فانتزعها منه، ثم قـال: **«أمَا علمتَ أن الصدقةَ لا تحِلُّ لآلِ محمد»**).

وفي رواية عن أبي هريرة قال: (أَخذ الحسـنُ بن علي رضي الله عنهما تَمْرة من تمر الصدقة فجعلها في فيهِ، فقال النبي ﷺ: **«كِـخْ كِخْ»**، لِيطْرَحَها! ثم قال: **«أمَا شعَرْتَ أنَّا لا نأكلُ الصَّدَقة»**)[1]؟!

قال الحافظ: (في الحديث تأديبُ الأطفال بما ينفعُهم، ومنعُهم مما يضرهم ومن تناول المحرمات وإن كانوا غيـرَ مكلَّفين ليتدرَّبوا بذلك. وفيه الإعلامُ بسبب النهي ومخاطبةُ من لا يميّز لقصد إسماع من يميز، لأن الحسن إذ ذاك كان طفلاً)[2].

وقد جاء هذا الحديث الجليل من رواية الحسن نفسه:

عن ربيعة بن شَـيْبان، أنه قـال للحسـن بن عليٍّ: (مـا تَذكُر من رسـول ﷺ؟ قال: أدْخَلَني غرفةَ الصدقة، فأخذتُ منها تمرةً فألقيتُها في فمي، فقال رسول الله ﷺ: **«أَلْقِها، فإنها لا تَحِلُّ لرسولِ الله ﷺ ولا لأحد من أهل بيته»**)[3].

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٩١)، ومسـلم (١٠٦٩)، وأحمـد (٧٧٥٨)، والرواية الأولى لأحمد، والثانية للبخاري.

(٢) الفتح ٥٧٠/٤ شرح الحديث (١٤٩١).

(٣) أخرجـه أحمد (١٧٢٤)، وذكره الحافـظ في الفتح: ٥٧٠/٤ وقال: إسـناده قوي، وصححه أحمد شاكر وشعيب الأرنؤوط.

ـ وعن أبي السَّمْح قال: (كنتُ أخدُم النبي ﷺ، فكان إذا أراد أن يغتسل قال: «**وَلِّني قَفَاكَ**»، فأُولِّيه قفايَ فأستُرُه به. فَأُتِيَ بحسن ـ أو: حسينٍ رضي الله عنهما ـ، فبَالَ على صدره، فجئتُ أغسِلُه، فقال: «**يُغسَلُ من بولِ الجارية، ويُرَشُّ من بولِ الغُلام**»)(١).

•• رحمة غامرة وحب عميق ومداعبات لطيفة:

كان مما جَمَّلَ الله تعالى به نبيَّه ﷺ ـ وكل صفاته وشمائله جليلة جميلة رفيعة ـ رحمتُه الغامرة التي أضفاها على أهله وأولاده وأسباطه والناس أجمعين، وحبُّه العميق ومداعباتُه اللطيفة للصغار عامة وللحسنين خاصة. وقد حَفِظتْ لنا كتبُ السنَّة مواقفَ رائعة تمثِّل أنموذجاً فذّاً في التربية السلوكية، وتنمية المشاعر المرهَفة والآداب الرفيعة عند الصغار.

ـ عن يَعْلى بن مرَّة العامري أنه قال: (جاء الحسن والحسين يَسْعَيانِ إلى النبي ﷺ، فضَمَّهُما إليه وقال: «**إنَّ الولدَ مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ**»)(٢).

ـ وعن معاوية بن أبي سفيان قال: (رأيتُ رسولَ الله ﷺ يَمُصُّ لسانَه أو قال: شفَتَه ـ يعني الحسنَ بن علي صلوات الله عليه ـ وإنَّه لن يُعَذَّب لِسانٌ أو شَفَتانِ مَصَّهُما رسولُ الله ﷺ)(٣).

ـ وعن أبي هريرة قال: (لا أزال أُحِبُّ هذا الرجلَ بعد ما رأيتُ رسولَ الله ﷺ يصنعُ ما يصنعُ؛ رأيتُ الحسنَ في حِجْر النبي ﷺ وهو

(١) أخرجه أبو داود (٣٧٦)، وابن ماجه (٥٢٦)، وصححه الألباني، وقال شعيب: إسناده جيد.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٦٦٦)، وأحمد (١٧٥٦٢)، والحاكم ١٦٤/٣، وغيرهم، وصححه الألباني، وقال شعيب: حسن لغيره. مبخلة مجبنة: أي يحمل الأبوين على البخل والجبن.

(٣) أخرجه أحمد (١٦٨٤٨)، وقال شعيب: إسناده صحيح.

يُدخِل أصابعَه في لحية النبي ﷺ، والنبي ﷺ يُدخل لسانَه في فمه، ثم قال: «**اللهم إنِّي أُحِبُّه فأَحِبَّه**»)[١].

ـ وعن أسامة بن زيد قال: (كان نبيُّ الله ﷺ يأخذُني فيُقعِدُني على فخذِهِ، ويُقعدِ الحسنَ بن علي على فخذِهِ الأخرى، ثم يَضُمُّنا ثم يقول: «**اللهمَّ ارحَمْهُما فإني أَرحَمُهما**»).

وفي رواية عن أسامة قال: (كان النبي ﷺ يأخذُني والحسنَ فيقول: «**اللهم إني أُحِبُّهما فأَحِبَّهُما**»)[٢].

ـ وعن أبي هريرة قال: (قبَّلَ رسولُ الله ﷺ الحسنَ بن علي، وعنده الأَقْرع بنُ حابس التميميُّ جالساً، فقال الأقرع: إنَّ لي عشَرةً من الولد ما قَبَّلْتُ منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «**مَن لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ**»)[٣].

قال الحافظ: (وفي جواب النبي ﷺ للأقرع إشارة إلى أن تقبيل الولد وغيره من الأهل المحارم وغيرهم من الأجانب؛ إنما يكون للشفقة والرحمة لا للذَّة والشهوة، وكذا الضمُّ والشمُّ والمعانقة)[٤].

ـ وروى عروة بن الزبير، عن أبيه الزبير بن العوام: (أن رسول الله ﷺ قبَّلَ حَسناً وضَمَّه إليه وجعل يَشمُّه، وعنده رجلٌ من الأنصار، فقال

---

(١) أخرجه الحاكم ١٦٩/٣، وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٠٣)، والنسائي في الكبرى (٨١١٥)، وابن حبان (٦٩٦٣)، وأحمد (٢١٧٨٧) و(٢١٨٢٨) واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٩٧) واللفظ له، ومسلم (٢٣١٨)، وأبو داود (٥٢١٨)، والترمذي (٢٠٢٣)، وغيرهم.

(٤) الفتح ٤٨٣/١٣ (٥٩٩٧).

الأنصاري: إنَّ لي ابناً قد بَلَغ ما قبّلْتُه قطُّ! فقال رسول الله ﷺ: «**أرأيتَ أنْ كان الله نَزَع الرحمةَ من قلبك، فما ذَنْبي**»؟!)[(١)].

•• النبي ﷺ يلاعب الحسن والحسين، ويأذن لهما باللعب على ظهره حتى في الصلاة:

لا يوجد أحدٌ من خَلْق الله تعالى بَلَغ ما فعله الرسول الأعظمُ ﷺ مع الغلمان والصبيان، وأوَّلُهم وأَوْلَاهم ريحانتاه الحسن والحسين: من دماثةِ الأخلاق، ولِين الجانب، ومراعاةِ رغبات الصغار، وإسعادِهم بما يحبونه، والإذنِ لهم بممارسة هواياتهم وتفريغ طاقاتهم، والإدلال على الآباء والأجداد...

والعجيبُ أن يَحدُث هذا مع أجلِّ وأعظم خلق الله سبحانه، الذي يحمل أعظمَ رسالة، ويقوم بدور هو أرفعُ وأخطرُ ما يقوم به إنسان في قيادة البشرية والبلاغ عن الله للإنسانية كافة!

والعجيب كذلك أن يَحدُث هذا في بيت النبوة، والأعجبُ منه والأدعى للغرابة بل للاستهجان ـ حتى من قِبَل الصحابة الكرام ﷺ ـ أن يقع ذلك من النبي ﷺ في أثناء الصلاة، بل وفي المسجد النبوي الذي أُسِّس على التقوى!

مواقفُ لا يستطيع أي إنسان إلا أن يقف أمامها مبهوراً وهو يقرأ أخبار الحسنين مع جدِّهما العظيم، وهما يرتحلانه في الصلاة أو يَثِبان على ظهره في سجوده، فيتمادى في الإطالة ليستمتعا بذلك، وهو أمرٌ في غاية الجلالة من رجل عظيم، فما بالك أن يكون من رسول الله ﷺ؟!

(١) أخرجه الحاكم ١٧٠/٣، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

فهل يجرؤ امرؤٌ منّا أن يفعل ذلك بحضـرة أهله وأحبابه، فضلاً عن أن يفعله أمام الناس عامة، بَلْه في المسجد؟!

إنها تربية النبوة، فإسعادُ الأطفال والتحبُّب إليهم واللِّينُ لهم شيءٌ، وهيبةُ الرجال وجلالُ النبوة شيءٌ آخر، إذ لا يخدش ذاك في هذا.

ـ عن أبـي بَكْرة: (أن رسـول الله ﷺ كان يصلّي، فإذا سـجد وَثَب الحسـنُ على ظهره وعلى عُنقه، فيرفَعُ رسـولُ الله ﷺ رفعـاً رفيقاً لئلا يُصْـرَعَ، قال: فعل ذلك غيرَ مرَّة، فلما قضَى صلاته قالوا: يا رسـول الله رأيناكَ صنعتَ بالحسـن شـيئاً ما رأيناك صنعتَهُ! قال: «إنَّه رَيْحانتي من الدنيا، وإنَّ ابني هذا سـيِّدٌ، وعسـى اللهُ تبارك وتعالى أن يُصْلِح به بين فئتين من المسلمين»). لفظ أحمد.

وعند ابن حِبَّان فـي أوله: (كان رسـول الله ﷺ يصلِّـي بنا، وكان الحسنُ يجيءُ وهو صغيرٌ، فكان كلما سـجدَ رسولُ الله ﷺ، وَثَب على رقبتِه وظَهْره...) الحديث[1].

فأفادت هذه الرواية أن ذلك كان في المسجد وفي صلاة الجماعة!

ـ وعن عبد الله بن مسـعود قال: (كان النبي ﷺ يصلّي، فإذا سـجدَ وَثَب الحسنُ والحسينُ على ظهره، فإذا أرادوا أن يَمنعُوهما، أشار إليهم أنْ دَعُوهما، فلما صلّى وَضَعهما في حَجْره، ثم قال: «مَنْ أحبَّنِي فَلْيُحِبَّ هَذينِ»)[2].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٠٥١٦)، وابن حبان (٦٩٦٤)، والطبراني (٢٥٩١)، وغيرهم، وقال شعيب: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (٨١١٤) واللفظ له، وابن حبان (٦٩٧٠)، وابن خزيمة (٨٨٧)، وغيرهم، وقال شعيب: إسناده حسن.

وعن أبي هريرة قال: (كنَّا نصلّي مع رسول الله ﷺ العِشاء، فإذا سجد وَثَب الحسن والحسين على ظهره، فإذا رفَع رأسَه أخذَهما بيدِه من خَلْفه أخذاً رفيقاً ويَضَعُهما على الأرض، فإذا عادَ عادا، حتى إذا قضَى صلاته أقعدَهُما على فخِذَيْه، قال: فقمتُ إليه فقلتُ: يا رسول الله أَرُدُّهما، فَبَرقَتْ بَرْقةٌ فقال لهما: «**الْحَقَا بأمِّكُما**»، قال: فمَكَثَ ضوؤُها حتى دخلا)[1].

ـ وعن عبد الله بن شَدَّاد، عن أبيه شدّاد بن الهاد اللَّيْثي قال: (خَرج علينا رسولُ الله ﷺ في إحدى صلاتَي العَشيِّ الظهرِ أو العصرِ، وهو حاملٌ الحسنَ أو الحسينَ، فتقدَّم النبي ﷺ فوَضَعَه، ثم كَبَّر للصلاة فصلَّى، فسجدَ بين ظَهْرانَي صلاتِه سجدة أَطالَها، فقال أَبي: فرفَعْتُ[2] رأسي، فإذا الصبيُّ على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجدٌ، فرَجعتُ في سُجودي، فلما قضَى رسول الله ﷺ الصلاة، قال الناس: يا رسول الله، إنك سجدتَ بين ظَهْرانَيْ صلاتِك هذه سجدةً قد أَطَلْتَها، فظَنَنَّا أنه قد حَدَثَ أمرٌ أو أنه قد يُوحى إليك! قال: «**فكلُّ ذلك لم يكنْ، ولكنَّ ابني ارْتَحَلَني، فكَرِهتُ أن أُعْجِلَه حتى يَقْضِيَ حاجتَهُ**»!)[3].

---

(١) أخرجه أحمد (١٠٦٥٩) واللفظ له، والحاكم ١٦٧/٣ وصححه ووافقه الذهبي، وقال شعيب: إسناده حسن.

(٢) وقع في المسند ٤٩٣/٣ ـ ٤٩٤: (فقال: إني رفعت)، وهو تحريف.

(٣) أخرجه أحمد (١٦٠٣٣) واللفظ له، والنسائي في الكبرى (٧٣١)، وفي الصغرى ٢٢٩/٢، والطحاوي في شرح المشكل (٥٥٨٠)، والحاكم ١٦٥/٣ ـ ١٦٦ وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

•• شــدة اهتمام النبي ﷺ بالحسن وأخيه الحسين، وشــوقه إليهما، ورعايته لهما، ومتابعته شؤونهما:

لم يقتصر رســول الله ﷺ في رعايته للحســن وأخيه الحســين عند حــدود البيت وفي كَنَــف والديهما، بل توســع اهتمامه بهما ليشــملَ حياتهما داخل البيت وخارجه، وفي ملاعــب الطفولة ومراتِعِ الغِلْمان، ويتتبَّع خطواتهما في الأكل والشرب واللعب، والغدوِّ والرَّوَاح، والنهار والليل، ولا يصبــر على فراقهما طويلاً فيأتي بيت ابنته فيســأل عنهما، وإذا لم يجدْهما توجَّه إليهما حيث كانا ليطمئن عليهما، ويمســح على رأسَيْهما، ويضمّهما ويَشُمُّهما ويُقبّلهما، ويحملهما على عاتقه، ويُركِبهما معه على الدابة أحدهما أمامه والآخر خَلْفه، ويُلاعبهما ويُثير الشــجاعة فيهما ليتصارعا فيتدرَّبا على الفتوة والقوة، وإذا نزلَتْ بهما حاجة أسرع لتلبيتها حتى إنه ليحلبُ الشاة فيسقيهما!

ـ عن عمر بن الخطاب قال: (رأيتُ الحســنَ والحسين على عاتِقَي النبي ﷺ فقلتُ: نِعْمَ الفرسُ تحتكما، فقال النبي ﷺ: **«ونِعْمَ الفارســانِ هما»**)(١).

ـ وعن أبي هريرة قال: (سَمِعَتْ أُذُناي هاتان وأَبصرَتْ عيناي هاتان رسولَ الله ﷺ وهو آخذٌ بكَفَّيْه جميعاً حســناً ـ أو حسيناً ـ وقدماه على قدم رسول الله ﷺ، وهو يقول:

«حُـــزُقَّـــةٌ حُـــزُقَّـــهْ   تَـــرَقَّ عَـــيْـــنَ بَـــقَّـــهْ»

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائــد ١٨١/٩ ـ ١٨٢ وقال: رواه أبو يعلــى في الكبير ورجاله رجال الصحيح. وهو في كنز العمال ١٠٦/٧، وحياة الصحابة ٦٨٩/٢.

فيرقى الغــلام حتى يضَعَ قدمَيْه على صَدْر رســول الله ﷺ. ثم قال: «**افتَــحْ فاكَ**»، ثــم قبَّله، ثم قــال: «**اللهمَّ إنــي أُحبُّه فأَحِبَّــه وأَحِبَّ من يُحِبُّه**»)(١).

الحُزُقَّة: الضعيف المتقارب الخطو من ضَعْفه، والقصير الذي يقرِّب خُطاه، ذكرهــا ﷺ له على ســبيل المداعبة والتأنيس له. تــرقَّ: اصعَدْ. وعَيْن بَقَّة: أشار إلى البَقَّة ولا شيءَ أصغرُ من عينها لصغرها(٢).

وقيل: أراد النبــي ﷺ بالبقة ابنتَهُ فاطمةَ، فقال للحســن: تَرَقَّ يا قرَّة عين بَقَّــة. فالنبي ﷺ في هذه المداعبة اللطيفة الرقيقة يُرقِّص الحســن، ويَضَع قدمَيْه على قدمه الشريفة، ويدعوه إلى الصعود بقدميه الضعيفتين على صدره الشريف، ويؤنسه بهذه الكلمات ويدرِّبه على الوقوف ونقل الخطوات القصيرة المتقاربة!

ـ وعن البَهِيّ مولــى الزبير قال: (قلتُ لعبد الله بــن الزبير: أخبِرْني بأقربِ الناس شَــبَهاً برسول الله ﷺ، فقال: الحســنُ بن علي كان أقربَ الناس شــبهاً برســول الله ﷺ وأحبَّهم إليه، كان يجيءُ ورســول الله ﷺ ســاجدٌ فيقعُ على ظهره فلا يقوم حتى يتنحَّى، ويجــيءُ فيَدخُل تحت بطْنِه، فَيَفْرِجُ له رجلَيْه حتى يخرج)(٣).

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٧٦/٩ وقــال: رواه الطبراني، وفيه أبو مزرد ولم أجد من وثقه، وبقية رجاله رجال الصحيح. وهو عند ابن عســاكر، مختصره: ١٠/٧ ـ ١١، وبنحوه عند الحاكم في: معرفة علوم الحديث ٨٩ ـ ٩٠.

(٢) النهاية لابن الأثير ٣٧٨/١، معرفة علوم الحديث ٩٠.

(٣) ذكره الهيثمي في مجمــع الزوائد ١٧٥/٩ ـ ١٧٦، وقال: رواه البــزار، وفيه علي بن عابس وهو ضعيف. وهو في تهذيب الكمال ٢٢٥/٦، وســير أعلام النبلاء ٢٤٩/٣، وقال شعيب: إسناده ضعيف.

ـ وعـن أبي أيـوب الأنصاري قـال: (دخلتُ على رسـول الله ﷺ والحسـنُ والحسـينُ رضي الله عنهما يلعبان بيـن يديـه، أو: في حَجْـره، فقلت: يا رسـول الله، أَتحبُّهما؟ فقال: «**وكيف لا أُحِبُّهمـا وهما ريحانتاي من الدنيا أَشمُّهما**»؟!)[1].

●● عن علي بن أبي طالب قال: (زارنا رسـول الله ﷺ فباتَ عندنا، والحسن والحسـين نائمان، فاستسقى الحسـن، فقام رسول الله ﷺ إلى قِرْبة لنا فجعل يعصرها في القَدَح ثم يسـقيه، فتناوله الحسين ليشربَ، فمنَعَه وبدأ بالحسـن، فقالت فاطمة: يا رسـول الله، كأنه أحبُّهما إليك، فقال: «**لا، ولكنه استسـقى أول مرة**»، ثم قال رسول الله ﷺ: «**إنِّي وإيَّاكِ وهذينِ وهذا الراقدَ** ـ يعني علياً ـ **يوم القيامة في مكان واحد**»)[2].

ـ وعن أبي هريرة: (أن مروان بـن الحَكَم أتاه في مرضه الذي مات فيه، فقال مروان لأبي هريرة: ما وجدتُ عليك في شـيء منذ اصطحبنا إلا في حبِّك الحسـنَ والحسـينَ! قال: فتحفَّزَ أبو هريرة فجلس، فقال: أشـهدُ لَخرجنا مع رسـول الله ﷺ حتـى إذا كنَّا ببعض الطريق سـمع رسول الله صوت الحسن والحسين وهما يبكيان وهما مع أمهما، فأسرَعَ السير حتى أتاهما، فسمعتُه يقول: «**ما شأنُ ابنَيَّ**»؟ فقالت: العطشُ! قال: فأَخلَفَ رسول الله ﷺ يدَه إلى شَنَّةٍ يتوضأ بها فيها ماء، وكان الماء يومئذ إعذاراً، والنـاس يريدون الماء، فنادى: «**هل أحـدٌ منكم معه ماء**»؟ فلم

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٨١/٩ وقال: رواه الطبراني، وفيه الحسـن بن عنبسة وهو ضعيف.

(٢) أخرجه أحمد (٧٩٢)، والطيالسـي (١٩٠)، وابن أبي عاصم في السنة (١٣٢٢)، والطبراني في الكبير ٣١/٣ ـ ٣٢ (٢٦٢٢)، وصححه أحمد شاكر، والألباني في الصحيحة (٣٣١٩).



يبقَ أحدٌ إلا أَخْلَف يدَه إلى كَلاله يبتغي الماء في شَنَّةٍ فلم يجدْ أحدٌ منهم قطرة، فقال رسول الله ﷺ: «**ناوليني أحدَهما**»، فناولَتْه إياه من تحت الخِدْر، فرأيتُ بياضَ ذراعيها حين ناولَتْه، فأخذَه فضَمَّه إلى صدره وهو يَضْغُو ما يَسْكت، فأدْلَعَ له لسانَه، فجعل يَمُصُّه حتى هدأ وسَكَن، فلم أسمع له بكاء، والآخر يبكي كما هو ما يسكت، فقال: «**ناوليني الآخر**»، فناولَتْه إياه، ففعل به كذلك، فسكَتَا فما أسمعُ لهما صوتاً. ثم قال: «**سيروا**»، فَصَدَعْنا يميناً وشمالاً عن الظعائن حتى لقيناه على قارعة الطريق. فأنا لا أُحِبُّ هذين وقد رأيتُ هذا من رسول الله ﷺ؟!)(١).

ـ وعن سلمان الفارسي قال: (كنَّا حول رسول الله ﷺ، فجاءت أم أيمن فقالت: يا رسولَ الله، لقد ضَلَّ الحسن والحسين، قال: وذاك رأدَ النهار ـ يقول: ارتفاع النهار ـ فقال النبي ﷺ: «**قوموا فاطلبوا ابْنَيَّ**». وأَخذ كل رجل تجاه وجهه، وأخذتُ نحوَ النبي ﷺ، فلم يَزَل حتى أتى سفحَ جبلٍ وإذا الحسن والحسين رضي الله عنهما ملتزق كل واحد منهما صاحبَه، وإذا شُجاعٌ قائم على ذَنَبه يخرج من فيه شررُ النار! فأسرع إليه رسول الله ﷺ، فالتفتَ مخاطباً لرسول الله ﷺ، ثم انسابَ فدخل بعض الأَجْحار! ثم أتاهما فأفرَقَ بينهما، ثم مسح وجوهَهما وقال: «**بأبي وأُمي أنتما ما أكرمكما على الله**»!! ثم حمل أحدهما على عاتقه الأيمن والآخر على عاتقه الأيسر، فقلتُ: طُوبَاكُما، نِعْمَ

---

(١) مختصر ابن عساكر ١٦/٧ ـ ١٧، تهذيب الكمال ٢٣٠/٦ ـ ٢٣١، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٨٠/٩ ـ ١٨١، وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات. الشنة: القربة الصغيرة. إعذاراً: اعتذرت المياه: انقطعت. كلاله: الكلال: الحمل والثِّقل. يضغو: يصيح.

المَطِيّة مطيتُكما، فقال رسول الله ﷺ: «**ونِعْمَ الراكبان هما، وأبوهما خيرٌ منهما**»)[١].

ـ وعن فاطمة بنت النبي ﷺ: (أنَّ رسول الله ﷺ أتاها يوماً، فقال: «**أينَ ابنايَ**»؟ يعني حسناً وحسيناً، قالت: أصبحنا وليس في بيتنا شيءٌ يَذوقُه ذائقٌ، فقال عليٌّ: أذهبُ بهما، فإني أتخوَّف أن يبكيا عليكِ وليس عندك شيء، فذهب إلى فلانٍ اليهودي! فتوجَّه إليه النبي ﷺ، فوجدهما يلعبان في شَرَبَة بين أيديهما فَضْلٌ من تمر، فقال: «**يا عليُّ، ألا تَقلِب ابنَيَّ قبل أن يشتدَّ الحرُّ**»؟ قال علي: أصبحنا وليس في بيتنا شيءٌ، فلو جلستَ يا رسول الله حتى أجمع لفاطمة فَضْلَ تمراتٍ! فجلس رسول الله ﷺ وعليٌّ ينزع لليهودي كل دلوٍ بتمرة، حتى اجتمع لفاطمة فَضْلٌ من تَمْر، فجعله في خِرْقَةٍ، ثم أقبل فحمل النبي ﷺ أحدهما وعليٌّ الآخر، حتى أَقْلَبَهُما)[٢].

ـ وعن علي قال: (قعد رسول الله ﷺ موضع الجنائز، وأنا معه، فطلَع الحسن والحسين، فاعتركا، فقال النبي ﷺ: «**إيها حسن خُذ حسيناً**»، فقال علي: يا رسول الله، أعلى حسينٍ تواليه وهو أكبرهما؟! فقال: «**هذا جبريل يقول: إيهاً حسين**»)[٣].

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٨٢/٩ وقال: رواه الطبراني، وفيه أحمد بن راشد الهلالي وهو ضعيف. والخبر في حياة الصحابة ٦٨٩/٢ ـ ٦٩٠. الشجاع: الحية الذكر.

(٢) أخرجه الدولابي في الذرية الطاهرة (١٩٣)، والطبراني في المعجم الكبير ٤٢٢/٢٢ (١٠٤٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب ٢١٠/٤ ـ ٢١١ وقال: إسناده حسن، وكذا حسّنه الهيثمي في المجمع ٣١٦/١٠، شَرَبة: حوض يكون في أصل النخلة وحولها يُملأ ماء لتشرب. تقلب ابنيّ: تعودُ بهما.

(٣) مختصر ابن عساكر «ترجمة الحسين» ١٢٢/٧، سير أعلام النبلاء ٢٨٤/٣. إيها: معناها هنا: التحريض والتشجيع والاستحسان.

وفي رواية عن ابن عباس: أن الحسن والحسين اصطرعا بين يدي رسول الله ﷺ، فجعل يقول: «**هِي يا حسن، خُذْ يا حسن**»، فقالت عائشة: تعين الكبير؟! قال: «**إن جبريل يقول: خُذْ يا حسين**»[١].

وجاء الخبر مثله أيضاً من رواية أبي هريرة[٢]، وهذه الأخبار يشد بعضها بعضاً فتقوى.

•• ومن مظاهر حبِّ النبي ﷺ للحسن والحسين، واهتمامه بهما ورعايته لهما، ودعوته المسلمين لإكرامهما وحبِّهما والإحسان إليهما:

ما رواه سَلَمة بن الأَكْوَع قال: (لقد قُدْتُ بنبيِّ الله ﷺ والحسن والحسينِ بغلتَهُ الشهباءَ، حتى أدخلتُهم حجرة النبي ﷺ، هذا قُدَّامَهُ وهذا خَلْفه)[٣].

ـ وعن أبي هريرة قال: (خرج علينا رسول الله ﷺ ومعه الحسن والحسين، هذا على عاتِقِه وهذا على عاتقه، وهو يَلْثِم هذا مرّةً ويَلْثِمُ هذا مرة، حتى انتهى إلينا، فقال له رجل: يا رسول الله إنك تحبُّهما، فقال: «**مَن أحبَّهما فقد أَحَبَّني، ومَن أَبغضَهما فقد أَبغَضَنِي**»)[٤].

ـ وعن أسامة بن زيد قال: (طَرقْتُ النبيَّ ﷺ ذاتَ ليلةٍ في بعضِ الحاجة، فخرجَ النبيُّ ﷺ وهو مُشْتمِلٌ على شيء لا أدري ما هو، فلما فرغتُ من حاجتي، قلتُ: ما هذا الذي أنتَ مُشتمِلٌ عليه؟ فكَشَفه، فإذا

(١) سير أعلام النبلاء ٢٦٦/٣.
(٢) سبل الهدى والرشاد ٥١٥/١١.
(٣) أخرجه مسلم (٢٤٢٣)، والترمذي (٢٨٩٠)، وغيرهما.
(٤) أخرجه أحمد ٤٤٠/٢ (٩٦٥٣)، ومن طريقه الحاكم ١٦٦/٣ وصححه ووافقه الذهبي.

حســنٌ وحســينٌ على وَرِكَيْه، فقال: «**هذانِ ابنايَ وابْنَا ابنتي، اللهمَّ إنِّي أحبُّهما، فأَحِبَّهما وأَحِبَّ من يُحبُّهما**»(١).

ـ وعن أبي هريرة قال: (خرجتُ مع رســول الله ﷺ فــي طائفةٍ من النهار، لا يُكلِّمُني ولا أُكلِّمُه، حتى جاء ســوقَ بني قَيْنُقاعَ، ثم انصرفَ حتى أتى خباءَ فاطمةَ، فقال: «**أَثَمَّ لُكَعُ، أَثَمَّ لُكَعُ**»، يعني حسناً، فظنَنَّا أنه إنما تَحْبِسُه أُمُّه لأن تُغَسِّــلَه وتُلبِسَه سِــخَاباً، فلم يَلْبَثْ أن جاءَ يسعى، حتى اعْتَنَق كلُّ واحــدٍ منهما صاحبَهُ، فقال رســول الله ﷺ: «**اللهمَّ إنِّي أُحِبُّه فأَحِبَّهُ وأَحْبِبْ مَن يُحِبُّه**»)(٢).



(١) أخرجه الترمذي (٤١٠٣)، وابن حبان (٦٩٦٧)، وقال الترمذي: حسن غريب، وصححه ابن حبان، وحسنه الألباني، وأما شعيب الأرنؤوط فقال: إسناده ضعيف.

(٢) أخرجه البخاري (٢١٢٢)، ومســلم (٢٤٢١)، وأحمــد (٨٣٨٠)، وغيرهم. لكع: اللكع هنا بمعنى الغلام الصغير. السخاب: خيط من خرز يلبسه الصبيان والجواري.

الفصل الثالث

مناقبه الجليلة ومنزلته الرفيعة

آلُ البيت الأطهار لهم المنزلة السامقة في قلوب المسلمين منذ عصر الرسالة وإلى قيام الساعة، وهم الذين زكّاهم الله تعالى في كتابه العزيز، وأَمر رسولُ الله ﷺ كل مسلم بأن يصلّي ويبارك عليهم في صلاته كل يوم مرات كثيرة، وهم وصيتُه للمسلمين عامة في «حديث الثقَلَيْن» وغيره، من ذلك قوله ﷺ: **«والذي نَفْسي بيدِه؛ لا يُبْغِضُنا أهلَ البيتِ رجلٌ إلا أَدْخَله الله النَارَ»**(١).

والحسن بن علي رضي الله عنهما أحد أولئك السادة الأبرار الكرام، قد تبوَّأ مكاناً عليّاً في قلوب المسلمين خاصَّتِهم وعامّتِهم سَلَفاً وخَلَفاً، ما تأخر عن ذلك إلا من كان في قلبه مرض.

لكنْ مع هذا فإن أهل الحق والاعتدال والاستقامة لم يخرجوا عن هَدْي السُّنَّة في وضع الحسن بالمكان اللائق به، وأنه كغيره من الصحابة الكرام يجوز عليه ما يجوز عليهم، فلم يُغالوا فيه، ولا ادَّعَوا له الإمامة والعصمة والتنزّهَ عن الخطأ، ولا أنه من طينة غير طينة بني آدم، أو أنه يتفرَّد بصفات ومَلَكات لا يتصفُ بها إلا أمثاله من الأئمة المعصومين، فهذا من الضلال المبين الذي لا يقول به إلا المبتدعة الذين شوهوا الإسلام وأدخلوا عليه ما ليس منه!

---

(١) أخرجه ابن حبان (٦٩٧٨)، والحاكم ١٥٠/٣ وصححه، وحسنه شعيب الأرنؤوط.

المبحث الأول ـ مناقب الحسن وفضائله:

•• آية التطهير وحديث الكساء:

ـ روت الصدِّيقة عائشَةُ أم المؤمنين قالت: (خرجَ النبيُّ ﷺ غداةً وعليه مِرْطٌ مُرَحَّلٌ من شعر أسودَ، فجاء الحسنُ بن علي فأدْخَلَه، ثم جاء الحسينُ فدَخَل معه، ثم جاءت فاطمةُ فأَدْخَلَها، ثم جاء عليٌّ فأَدْخَلَه، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣])[١].

ـ وعن أم سَلَمة قالت: (في بيتي أُنزِلَتْ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾) قالت: فأَرْسَل رسول الله ﷺ إلى فاطمةَ وعليٍّ والحسن والحسين؛ فقال: «**هؤلاء أهلُ بيتي**»، قالت: فقلتُ: يا رسولَ الله، أَمَا أنا من أهل البيت؟ قال: «**بلى إنْ شاء الله**»[٢].

ـ وعن عُمر بن أبي سَلَمة ربيبِ النبي ﷺ قال: (نَزلَتْ هذه الآية على النبي ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾) في بيت أم سلمة، فدَعَا النبي ﷺ فاطمةَ وحسناً وحسيناً فَجَلَّلهُم بكساءٍ، وعليٌّ خَلْف ظهره فجلَّلهم بكساءٍ ثم قال: «**اللهمَّ هؤلاء أهلُ بَيْتي، فأَذْهِبْ عنهم الرِّجْسَ وطهِّرهم تطهيراً**». قالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: «**أنتِ على مكانِكِ، وأنتِ إلى خيرٍ**»)[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٢٤)، والبغوي في شرح السُّنة (٣٩١١). مِرْط: كساء. مُرَحَّل: موشًّى منقوش عليه صور رِحال الإبل.

(٢) أخرجه البغوي في شرح السُّنة (٣٩١٢)، والطحاوي في شرح المشكل (٧٦٨)، والحاكم ١٤٦/٣ وصححه ووافقه الذهبي، وصححه البغوي، وقال شعيب: لا بأس بإسناده.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٤٨٣) و(٤١٢١)، وأحمد (٢٦٥٩٧)، والطحاوي في شرح المشكل (٧٧١)، وصححه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

ـ وعن شَـدَّاد أبي عمّارٍ قال: (دخلتُ على وَاثِلَةَ بنِ الأَسْقَع وعنده قـوم فَذَكَـروا علياً، فلما قاموا قـال لـي: ألا أُخبِرُك بما رأيتُ من رسول الله ﷺ؟ قلتُ: بلى، قال: أتيتُ فاطمة ﵂ أسألها عن عليٍّ، قالت: توجَّه إلى رسول الله ﷺ، فجلستُ أنتظرُه، حتى جاء رسول الله ﷺ ومعه عليٌّ وحسـن وحسـين ، آخذٌ كلَّ واحد منهما بيده حتى دخل، فأدنى علياً وفاطمة فأجلسهما بين يديه، وأجلَس حسناً وحسيناً كلَّ واحد منهما على فَخِـذِه، ثم لَفَّ عليهم ثوبَهُ ـ أو قال: كِسـاءً ـ ثـم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، وقـال: «**اللهمَّ هؤلاء أهلُ بيتي وأهلُ بَيْتي أحقُّ**».

زاد في روايةٍ: (قال وَاثِلةُ: فقلتُ من ناحية البيت: وأنا يا رسـول الله من أهلِـك؟ قال: «**وأنـتَ من أهلـي**»، قال: واثلـةُ: إنها لمـن أَرْجَى ما أَرْتَجِي)[١].

ودعاءُ النبي ﷺ بأن يُطَهِّرَهم تطهيراً، كدعائِه بـأن يزكِّيهم ويُطيِّبَهُمْ ويجعلَهم مُتْقِيْنَ، ونحو ذلك... وقـد يكون من تمام تطهيرهِم صيانتُهم عن الصدقة التي هي أوساخ الناس.

وبالجملة فالتطهير الذي أراده الله، والذي دعا به النبي ﷺ؛ ليس هو العصمة بالاتفاق، فإن أهل السُّنَّة عندهم لا معصومَ إلا النبي ﷺ[٢].

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٩٨٨)، والطحاوي في شـرح المشـكل (٧٧٣)، وابـن حبان (٦٩٧٦)، والحاكم ١٤٧/٣، وغيرهـم، والرواية الأولى لأحمد، والثانية لابن حبان، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وصححه شعيب الأرنؤوط.

(٢) منهاج السُـنّة النبوية ١١٠/٤ ـ ١١٢، مقتطفات. وانظر ما كتبتـه في كتابي «فاطمة الزهراء: الباب السابع: أهل البيت الأطهار».

ومن مناقبه:

ـ عن أبي بَكْرةَ قال: (رأيتُ رسولَ الله ﷺ على المِنْبر، والحسنُ بن علي جَنْبَه، وهو يُقْبِلُ على الناس مرةً وعليه أخرى، ويقول: «**إنَّ ابْني هذا سيّدٌ، ولعلَّ اللهَ أنْ يُصِلح به بين فئتينِ عظيمتينِ من المسلمين**»)[١].

وقد روى هذا الحديث غيرُ واحد من الصحابة؛ قال ابن عبد البر: (وتواترت الآثار الصحاح عن النبي ﷺ أنه قال في الحسن بن علي: «إنَّ ابني هذا سيد...» ولا أسودَ ممَّن سمَّاه رسول الله ﷺ سيداً)[٢].

ـ وتقدم من حديث أبي هريرة: أن الحسن والحسين كانا يَثِبان على ظهر النبي ﷺ في الصلاة، قال أبو هريرة: (فقمتُ إليه فقلتُ: يا رسول الله أَرُدُّهما، فبَرقَتْ بَرْقةٌ، فقال لهما: «**الْحَقَا بأمِّكما**»، قال: فمَكَثَ ضوؤُها حتى دخلا)[٣].

ـ وهو سيد شباب أهل الجنة، وهو ريحانة النبي ﷺ، وكان يحبُّه حباً لا مزيدَ عليه، وحَضَّ الأُمة جميعها على محبته... وغير ذلك مما سيأتي بيانه في المباحث التالية.

والأحاديث كثيرة في فضائله ومناقبه ومنزلته من قلب النبي ﷺ وعند المسلمين عامة، وقد حفظها ووعاها وأدّاها جمهرةٌ من الصحابة رضي الله عنهم، وممن روى مناقب الحسن:

١ ـ أبو هريرة، ٢ ـ عبد الله بن مسعود، ٣ ـ عبد الله بن عُمر،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٠٤)، وغيره من الأئمة، وسيأتي شرحه مفصلًا: ص ٢٣٠ فما بعدها.
(٢) الاستيعاب ٣٦٩/١.
(٣) تقدم: ص ٦٥ حاشية (١).

٤ ـ عبد الله بن عَمْــرو، ٥ ـ عبد الله بن عباس، ٦ ـ ســعيد بن زيد، ٧ ـ سعد بن أبي وقاص، ٨ ـ أنس بن مالك، ٩ ـ أبو أيوب الأنصاري، ١٠ ـ أبو ســعيد الخُدْري، ١١ ـ حذيفة بن اليمان، ١٢ ـ جابر بن عبد الله، ١٣ ـ المِقدام بن مَعْدِي كَرِب، ١٤ ـ سلمان الفارسي، ١٥ ـ بُريدة بن الحُصَيْب، ١٦ ـ البراء بــن عــازب، ١٧ ـ يَعْلى بــن مُــرَّة، ١٨ ـ أســامة بن زيــد، ١٩ ـ معاوية بن أبي ســفيان، ٢٠ ـ مالك بن الحُوَيْرِث، ٢١ ـ أُمّ المؤمنين عائشة، ٢٢ ـ أُمّ المؤمنين أُمّ سلمة، وغيرهم.

وهــي حقيقة ثابتة مســطورة في جميــع كتب السُــنَّة، وفي هؤلاء الأصحاب أبو هريرة ومعاوية والصديقة عائشــة، وهذا مما يكذِّب أهلَ الهوى والضلال الذين يطعنون على الصحابة الكرام ويتهمونهم بكراهية أهــل البيت، ويخصُّــون منهم أبا هريــرة ومعاوية وعائشــة، فيرمونهم بالموبقات، ولهم موقف طويل بين يدي الله تعالى!!

المبحث الثاني: منزلة الحسن عند جدّه رسول الله ﷺ:

قد ظهر لنا من احتضانِ النبي ﷺ لولدَيِ ابنتهِ: الحســن والحسين، وتربيتهِ لهما وحرصه عليهما وشغفِه بهما؛ ما يُنبئ عن منزلتهما عنده.

والرســول الأعظم ﷺ قد شــمل بحبِّه ورحمته وإحسانِه وجميلِ أخلاقه جميــعَ حواريِّيه وأصحابــه وأتباعه، وخَصَّ منهم السِّــبْطَين الكريمين بمزيد من الحب والإكــرام، لأنهما بقيتُه وجزءٌ من البَضْعة النبوية فاطمة ومن أهل البيت الأطهار. وقد نال الحسنُ القِدْح المُعلَّى مــن المحبــة والعطــف واللطــف والمكانــة المتميزة عنــد جدّه الحبيــب ﷺ، وتــدلُّ المواقف والأحــداث والأخبار علــى أن تلك

(المنزلة الحَسَنيَّة) كانت ثابتة راسخة في كل الأوقات، ممتدة شاملة لجميع جوانب الإعزاز والإكرام، كما تُظهرُه الأحاديث الكثيرة التي نقلها الجَمُّ الغَفير من الصحابة؛ مما يدلُّ على أن ذلك قد تكرر منه ﷺ في محافل عديدة ومناسبات كثيرة وأزمان متطاولة وبأشكال متنوعة، كلها تُجمِع على تلك المنزلة العلية للحسن في شِغَاف القلب النبوي الطاهر.

إنك ترى النبي ﷺ يأخذُ الحسن ويضمُّه ويشمُّه ويَذكُر أنه ريحانتُه من الدنيا، ويُقبِّله ويَمصُّ لسانَه، ويُعلِن محبته له، ويدعو اللهَ تعالى أن يُحبَّه، ويأمر الأُمة أن تحرِص على إكرامه وإجلاله ومحبته، ودعا ربه أن يُحِبَّ من يحبُّ الحسن... فاجتمعت لهذا السبط المبارك محبة الله ورسوله والمؤمنين إلى يوم الدين، فهل وراء تلك المنزلة منزلة؟!

•• **الحسن ريحانة رسول الله ﷺ:**

ـ عن عبد الرحمن بن أبي نُعْمٍ: (أن رجلاً من أهل العراق سألَ ابنَ عُمر عن دمِ البعوضِ يُصيبُ الثوبَ، فقال ابن عمر: انظروا إلى هذا يَسألُ عن دم البعوضِ، وقد قتلوا ابنَ رسول الله ﷺ!! وسمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إن الحسنَ والحسينَ هما رَيْحَانتايَ من الدنيا**»)[1].

ـ وعن أبي بَكْرةَ، عن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ ابنَيَّ هذينِ رَيْحَانتايَ من الدنيا**»[2].

(١) أخرجه البخاري (٣٧٥٣)، والترمذي (٤١٠٤) واللفظ له، وأحمد (٥٥٦٨)، وغيرهم.
(٢) صحيح الجامع الصغير (١٥٢٩)، وقال الألباني: صحيح.

ـ وعن سعد بن أبي وقاص قال: (دخلتُ على رسول الله ﷺ، والحسنُ والحسينُ يلعبان على بطنه، فقلتُ: يا رسول الله أَتحبُّهما؟ فقال: «**وما ليَ لا أُحِبُّهما وهما ريحانتاي**»)(١).

ـ وعن أنسٍ بن مالك قال: (دخلتُ على رسول الله ﷺ، والحسنُ والحسينُ يتقلَّبان على بَطْنِه، قال: ويقول: «رَيْحانَتَيَّ من هذه الأُمة»)(٢).

ـ وعن أنس قال: (سُئل رسول الله ﷺ: أيُّ أهلِ بيتِك أحبُّ إليكَ؟ قال: «**الحسنُ والحسينُ**». وكان يقول لفاطمةَ: «**ادْعُوا لي ابنَيَّ**»، فَيشُمُّهما ويَضُمُّهما إليه)(٣).

قال الحافظ: (قوله «**ريحانتاي**»: المعنى أنهما مما أكرمني الله وحَبَاني به، لأن الأولاد يُشَمّون ويُقَبَّلون فكأنهم من جُملة الرياحين. وقوله «**من الدنيا**»: أي نَصيبي من الرَّيحان الدنيوي)(٤).

•• حب نبوي غامر للحسن:

ـ عن البراء بن عازب قال: (رأيتُ رسول الله ﷺ واضعاً الحسنَ بن عليّ على عاتِقِه، وهو يقول: «**اللهمَّ إنِّي أُحِبُّه فأَحِبَّه**»)(٥).

ـ وعن أبي هريرة: (أن النبيَّ ﷺ قال للحسن: «**اللهمَّ إنِّي أُحِبُّه، فأَحِبَّه وأَحِبَّ من يُحِبُّه**»، قال: وضَمَّه إلى صَدْره)(٦).

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٨١/٩ وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.
(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (٨١١١)، ورجاله كلهم ثقات.
(٣) أخرجه الترمذي (٤١٠٦) وقال: حديث غريب، وضعفه الألباني وشعيب.
(٤) الفتح ٤٧٩/١٣ شرح الحديث (٥٩٩٤).
(٥) أخرجه البخاري (٣٧٤٩)، ومسلم (٢٤٢٢) واللفظ له، والترمذي (٤١١٧)، وغيرهم.
(٦) أخرجه البخاري (٢١٢٢)، ومسلم (٢٤٢١)، وابن ماجه (١٤٢)، وغيرهم، واللفظ لابن ماجه.

ـ وعن أسامة بن زيد حدَّث عن النبي ﷺ: (أنَّه كان يأخُذُه والحسنَ، فيقول: «**اللهمَّ أَحِبَّهُما فإنِّي أُحِبُّهما**»)(١).

قال الحافظ: (قوله «اللهم أحبهما فإني أحبهما»: هذا يُشعِر بأنه ﷺ ما كان يحب إلا لله وفي الله، ولذلك رتَّب محبة الله على محبته، وفي ذلك أعظمُ منقبةٍ لأسامة والحسن)(٢).

ـ وعن سعيد بن زيد: (أن النبي ﷺ احتَضَن حسناً وقال: «**اللهمَّ إني أُحِبُّه فأَحِبَّه**»)(٣).

ـ وعن عطاءٍ: (أن رجلاً أَخبره أنه رأى النبيَّ ﷺ يَضُمُّ إليه حَسناً وحُسيناً، يقول: «**اللهمَّ إنِّي أُحِبُّهما فأَحِبَّهما**»)(٤).

•• النبي ﷺ يحضُّ الأُمة على محبة الحسن، ويُعلن أن حبَّه ﷺ من حبِّه ﷺ:

ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن أَحَبَّ الحسنَ والحسينَ فقد أَحبَّني، ومَن أبغَضَهما فقد أَبغَضَني**»(٥).

ـ وعن عبد الله بن مسعود قال: (كان النبي ﷺ يصلّي، فإذا سجد وَثَب الحسن والحسين على ظهره، فإذا أرادوا أن يمنعوهما، أشار إليهم: أَنْ دَعُوهما. فلما صلّى وَضَعَهما في حَجْره، ثم قال: «**مَن أَحبَّني فَلْيُحِبَّ هذين**»).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٣٥).

(٢) الفتح ٦٩٠/٨ ـ ٦٩١.

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٧٦/٩ وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير يزيد بن يُحنَّس وهو ثقة.

(٤) أخرجه أحمد (٢٣١٣٣)، وقال شعيب: إسناده صحيح رجاله ثقات.

(٥) أخرجه ابن ماجه (١٤٣)، والنسائي في الكبرى (٨١١٢)، وأحمد (٧٨٧٦)، وحسنه الألباني وشعيب.

وفي رواية: قال ﷺ: **«دَعُوهُمـــا، بأبي هما وأُمِّي، مَن أحبَّني فلْيُحب هذين»**(١).

ـ وعن زُهير بن الأَقْمَر قال: (بينما الحســنُ بن علي يَخطُب بعدما قُتل علــيٌّ ﵁، إذ قام رجــلٌ مــن الأَزْدِ آدَمُ طُوَالٌ فقــال: لقد رأيتُ رســول الله ﷺ واضعَهُ في حَبْوَته، يقــول: **«مَن أحبَّني فلْيُحبَّــهُ»**، فَلْيُبلِّغِ الشاهدُ الغائبَ، ولولا عزمةُ رسول الله ﷺ ما حدَّثتُكم)(٢).

•• ومن دلائل منزلة الحسن الرفيعة عند جدِّه ﷺ:

ـ مــا رواه بُرَيْدة بن الحُصَيْب قال: (كان رســول الله ﷺ يَخْطُبنا، إذ جاء الحسنُ والحســينُ عليهما قميصانِ أحمرانِ يَمشيان ويَعْثُرانِ، فَنَزل رســول الله ﷺ من المِنْبر، فحملَهُما ووضَعَهُما بين يَديْهِ ثم قال: **«صَدَق اللهُ: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾** [التغابــن: ١٥] **نظرتُ إلى هذيــنِ الصَّبيَّيْنِ يَمْشيان ويَعْثُرانِ، فلم أصبِرْ حتى قطعتُ حديثي ورفَعْتُهما»**)(٣).

ـ وتقدَّم حديثُ أبــي هريرة قال: (خرج علينا رســول الله ﷺ ومعه الحسن والحســين، هذا على عاتِقِه وهذا على عاتِقِه، وهو يَلْثِم هذا مَرّةً ويَلْثِمُ هذا مرة، حتى انتهى إلينا...) الحديث(٤).

---

(١) أخرجه النســائي في الكبرى (٨١١٤)، وابن خزيمة (٨٨٧)، وابن حبان (٦٩٧٠)، وغيرهم، وقال شعيب: إسناده حسن.

(٢) أخرجه أحمد (٢٣١٠٦)، والحاكم ٣/١٧٣ ـ ١٧٤، وقال شعيب: حديث صحيح.

(٣) أخرجه أبو داود (١١٠٩)، والترمذي (٤١٠٨)، وابن ماجه (٣٦٠٠)، والنســائي في الكبرى (١٧٤٣)، وصححه الألباني وشعيب.

(٤) تقدم ص ٧١ حاشية (٤).

المبحث الثالث ـ مكانة الحسن عند الصحابة وعامة المسلمين:

ومنزلة الحسن رضي الله عنه عند جميع الصحابة وعموم المسلمين تتفرع من كونه سِبْطَ النبي ﷺ والمحبَّبَ إليه والمقرَّبَ عنده، وكذلك مما سمعوه وشهدوه على أشرفِ منبر ومِنْ أصدقِ لسانٍ وهو لسانُ الصادق المَصْدوق حيث يُثني على الحسن ويصفُه بالسيادة والسُّؤْدُد والإصلاح في الأُمة، وأيضاً من كونه رضي الله عنه أحدَ أشراف آل البيت الأطهار ومن أصحاب الكساء، هذا فضلاً عما جَمَّلَه الله سبحانه به من كريم الخِصال وجلائل الأعمال... كل ذلك جعلَه يتبوَّأ قمةَ المجد والثناء عند خير القرون فمن بعدهم من أجيال الأُمة الذين عرفوا للنبي ﷺ وأهلِ بيته الكرام منزلتَهم وفضْلَهم.

•• عن عُقْبة بن الحارث قال: (صلَّى أبو بكر رضي الله عنه العصرَ ثم خرج يَمشي، فرأى الحسنَ يلعبُ مع الصِّبيان، فحَملَهُ على عاتِقِه وقال:

بِأَبِي شَبيهٌ بالنبيِّ لا شَبِيهٌ بِعَلِيِّ

وعليٌّ يَضحكُ)[1].

ـ وعن محمد بن إبراهيم التَّيْمي: (أن عمر بن الخطاب لمَّا دَوَّن الدِّيوان وفَرض العطاء، أَلحَقَ الحسنَ والحسينَ بفريضة أبيهما مع أهل بدر؛ لقرابتِهما من رسول الله ﷺ؛ ففَرضَ لكلٍّ واحد منهما خمسةَ آلاف درهم)[2].

ـ ويروي مُدرِك أبو زياد مولى علي بن أبي طالب، فيقول: (كنا في حِيطان ابن عباس، فجاء ابن عباس وحسن وحسين فطَافُوا في البستان

(١) أخرجه البخاري وغيره، وقد تقدم: ص ٢٤ حاشية (٣).
(٢) تهذيب الكمال ٦/٢٣٢ ـ ٢٣٣، سير أعلام النبلاء ٣/٢٥٩.

فنظروا، ثم جاؤوا إلى ساقية فجلسوا على شاطئها... ثم قاموا فتوضؤوا، ثم قُدِّمتْ دابةُ الحسن، فأَمْسَكَ له ابنُ عباس بالرِّكاب وسوَّى عليه ـ ثيابَهُ ـ ثم جيء بدابةِ الحسين، فأَمْسَك له ابنُ عباس بالرِّكاب وسوَّى عليه ـ ثيابَه ـ. فلما مضيا قلتُ: أنت أكبر منهما تمسك لهما وتسوِّي عليهما ـ ثيابَهما ـ! فقال: يا لُكَع، أَتدري من هذان؟! هذان ابنا رسول الله ﷺ! أَوَليس هذا مما أَنْعَم الله عليَّ به أن أمسك لهما وأسوِّي عليهما ـ ثيابهما ـ!)[1].

ـ عن رجاء بن ربيعة قال: (كنتُ جالساً بالمدينة في مسجد الرسول ﷺ، في حلقة فيها أبو سعيد ـ الخُدْري ـ وعبد الله بن عَمْرو، فمرَّ الحسن بن علي فسلَّمَ، فردَّ عليه القوم، وسكتَ عبدُ الله بن عمرو، ثم اتَّبَعَه[2] فقال: وعليكَ السلام ورحمة الله، ثم قال: هذا أحبُّ أهلِ الأرض إلى أهل السماء، والله ما كلَّمتُه منذ ليالي صفين. فقال أبو سعيد: أَلَا تنطلِقُ إليه فتعتذرُ إليه؟ قال: نعم...)، فقام عبد الله فاعتذر إليه[3].

ـ وروى عبد الله بن عروة بن الزبير قال: (رأيتُ عبد الله بنَ الزبير قعد إلى الحسن بن علي في غَدَاة من الشتاء باردةٍ، قال: فوالله ما قام حتى تفسَّخَ جَبِينُهُ عَرَقاً! فغاظني ذلك، فقمتُ إليه فقلت: يا عمُّ، قال: ما تشاء؟ قلت: رأيتك قعدتَ إلى الحسين بن علي فما قمتَ حتى تفسَّخَ جبينُك عَرقاً! قال: يا ابن أخي، إنه ابنُ فاطمة، لا والله ما قامتِ النساء عن مثلِه!)[4].

---

(١) تاريخ ابن عساكر ٦٩/١٤، مختصره ٢١/٧ ـ ٢٢. حيطان: مفردها حائط، وهو البستان.

(٢) أي اتبعه ببصره، كما يتضح من السياق.

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٧٦/٩ ـ ١٧٧ وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير هاشم بن البَريد وهو ثقة. والخبر مطوَّل اقتصرت فيه على المراد.

(٤) تاريخ ابن عساكر ٧٠/١٤، مختصره ٢٢/٧، تهذيب الكمال ٢٣٣/٦.

ـ وعن عبد الله بن نافع الكوفي ـ وكان نافعٌ مولى للحسن بن علي ـ قال: (عادَ أبو موسى الأشعريُّ الحسن بن علي، فقال له عليٌّ: أعائِداً جئتَ أم زائراً؟ فقال أبو موسى: بل جئتُ عائداً، فقال علي: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: **«مَن عادَ مريضاً بَكَراً شَيَّعَهُ سبعون ألف مَلَك، كلُّهم يستغفرُ له حتى يُمسِي، وكان له خَرِيفٌ في الجنة، وإنْ عادَهُ مساءً شَيَّعَه سبعون ألف مَلَكٍ، كلُّهم يستغفرُ له حتى يُصْبِحَ، وكان له خريفٌ في الجنة»**)(1).

ـ وعن عبد الله بن يَسَار: (أن عَمْرو بنَ حُرَيثٍ عادَ الحسنَ بن علي، فقال له عليٌّ: أتعودُ الحسنَ وفي نفسك ما فيها؟ فقال له عَمْرو: إنك لستَ بربِّي فتصرفَ قلبي حيث شئتَ! قال عليٌّ: أَمَا إنَّ ذلك لا يمنعُنا أن نؤديَ النصيحةَ، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«ما من مسلمٍ عادَ أخاه إلا ابتَعَثَ الله له سبعين ألفَ مَلَكٍ يصلُّون عليه من أي ساعاتِ النهار كان حتى يُمْسِي، ومن أي ساعات الليل كان حتى يُصْبِحَ»**)(2).

• وعلى هذا السبيل النقي المصفَّى من أي غِلٍّ أو بُغْضٍ أو حسدٍ؛ كان منهج جميع الصحابة رضي الله عنهم... أما أبو هريرة ومعاوية رضي الله عنهما، اللذان يَخصُّهما الرافضة من بين الأصحاب بمزيدٍ من السبِّ والشَّتْم والإقذاع بل والتضليل والتكفير ـ فإلى القارئ النبيه وكلِّ من لديه حياءٌ ودينٌ وعقلٌ وإنصافٌ؛ نَسوق هذه الأحاديث الثابتة والحقائق الدامغة:

---

(١) أخرجه أحمد (٧٠٢) و(٩٧٥) وهذا لفظه، وأبو داود (٣٠٩٨) و(٣١٠٠)، والترمذي (٩٩١)، وغيرهم، وصححه أحمد شاكر والألباني وشعيب.

(٢) أخرجه أحمد (٧٥٤) و(٩٥٥)، وصححه أحمد شاكر وحسنه شعيب. وعمرو بن حريث من صغار الصحابة، نزل الكوفة، وتوفي سنة (٨٥هـ).

•• أخرج البخاري وغيره عن أبي هريرة قال: (كنتُ مع رسول الله ﷺ في سوق من أسواق المدينة، فانصرفَ فانصرفتُ، فقال: «**أينَ لُكَعُ** ـ ثلاثاً ـ؟ **ادْعُ الحسنَ بن علي**»، فقام الحسنُ بن علي يمشي وفي عُنُقه السِّخَاب، فقال النبي ﷺ بيدِهِ هكذا، فقال الحسن بيده هكذا، فالْتَزَمَه فقال: «**اللهمَّ إني أُحبُّه فأَحِبَّه، وأَحِبَّ مَن يُحبُّه**». قال أبو هريرة: فما كان أحدٌ أحبَّ إليَّ من الحسنِ بن علي بعد ما قال رسول الله ﷺ ما قال)[(١)].

وفي رواية أحمد: قال أبو هريرة: (ما رأيتُ الحسنَ إلا فاضتْ عيني)[(٢)].

ـ وعن عُمير بن إسحاق قال: (كنتُ أَمْشِي مع الحسن بن علي في طُرق المدينة، فلَقِينا أبا هريرة، فقال للحسن: اكشِفْ لي عن بطْنِك جُعِلتُ فِداكَ حتى أُقبِّلَ حيثُ رأيتُ رسول الله ﷺ يُقبِّلُه، قال: فكَشَفَ عن بَطْنِهِ فقَبَّلَ سُرَّتَهُ!)[(٣)].

ـ وعن سعيد المَقْبُرِيّ قال: (كنا مع أبي هريرة، فجاء الحسنُ بن علي بن أبي طالب فسَلَّم علينا، فرَدَدْنا عليه السلامَ، ولم يَعلم به أبو هريرة، فقلنا له: يا أبا هريرة، هذا الحسن بن علي قد سَلَّم علينا، فلَحِقَهُ وقال: وعليكَ السلام يا سيِّدي، ثم قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنه سيّد**»). لفظ الحاكم.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٨٤)، وابن حبان (٦٩٦٣)، وغيرهما، انظر ما تقدم: ص ٧٢ حاشية (٢). فقال بيده هكذا: هو من إطلاق القول على الفعل، أي: مَدَّها، ليحتضن الحسن.

(٢) مسند أحمد ٥٣٢/٢ (١٠٨٧٢)، الحلية ٣٥/٢، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية: ٣٤/٨، وقال: هذا على شرط مسلم.

(٣) أخرجه ابن حبان (٦٩٦٥) واللفظ له، وأحمد (٧٤٦٢)، والحاكم ١٦٨/٣، والطبراني (٢٥٨٠)، وغيرهم، وصححه شعيب الأرنؤوط.



وفي رواية الطبراني: (فقيلَ لأبي هريرة: تقولُ يا سيِّدي؟! فقال: أشهدُ أن رسول الله ﷺ قال: «إنه سيِّد»)(١).

ـ وعندما لامَ مروانُ بن الحكم أبا هريرة في مبالغته في حبِّ الحسن والحسين، روى له واحداً من المواقف العجيبة في حُبِّ النبي ﷺ لسبطَيْه، ثم قال أبو هريرة لمروان: (فأنا لا أُحِبُّ هذين، وقد رأيتُ هذا من رسول الله ﷺ؟!)(٢).

ـ أضفْ إلى ذلك الأحاديثَ الكثيرة التي رواها أبو هريرة وحدَّث بها الملأ في مناقب الحسن وفضائله الجمَّة الرفيعة.

●● وهذا معاوية رضي الله عنه يروي فضائل الحسن، ويُثني عليه، ويبين منزلته من قلب النبي ﷺ:

ـ عن معاوية قال: (رأيتُ رسولَ الله ﷺ يَمُصُّ لسانَه أو قال: شَفَتَه ـ يعني الحسنَ بن علي صلوات الله عليه ـ وإنه لن يُعذَّبَ لسانٌ أو شفتانِ مَصَّهُما رسولُ الله ﷺ!)(٣).

ـ وقال أبو هاشم الجُعْفِيّ: (فاخَرَ يزيدُ بن معاوية الحسنَ بن علي، فقال معاوية ليزيدَ: فاخرتَ الحسنَ؟ قال: نعم، قال: لعلك تقول: إنَّ أمَّك مثلُ أمِّه، وأمه فاطمةُ بنت رسول الله ﷺ!! ولعلك تقول: إن جدَّك مثلُ جدِّه، وكان جدُّه رسولَ الله ﷺ!! وأما أبوك وأبوه فقد تحاكما إلى الله جلَّ وعزَّ، فحَكَم لأبيكَ على أبيه)(٤).

---

(١) أخرجه الحاكم ١٦٩/٣، وصححه ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في المجمع ١٧٨/٩ رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٢) تقدم الخبر بطوله: ص ٦٨ ـ ٦٩ حاشية (١).

(٣) تقدم: ص ٦١ حاشية (٣).

(٤) مختصر ابن عساكر ٢٣/٧، سير أعلام النبلاء ٢٦٠/٣.

قلت: لعل معاوية أراد بهذا الكلام الأخير أن الخلافة آلت إليه بتنازل الحسن عنها.

ـ بل إن معاوية امتدح الحسن وأباه رضي الله عنهما، وكتب بذلك إلى واليه الشهير على العراق زياد بن أبيه؛ ليؤكد له منزلة الحسن الرفيعة عند الأُمة قاطبة، قال معاوية:

أمَا حسنٌ فابنُ الذي كان قبلَهُ   إذا سارَ سارَ الموتُ حيثُ يَسيرُ
وهَلْ يلدُ الرِّئْبالُ إلا نظيرَه   وذَا حسنٌ شِبْهٌ له ونظيرُ
ولكنَّه لو يُوزَنُ الحِلْمُ والحِجَا   بأمرٍ لقالوا يَذْبُلٌ وثَبيرُ(١)

وقد نقلت هذا الخبر من أهم شرح لكتاب «نهج البلاغة»، وهو شرح ابن أبي الحديد.

فهذه الأخبار عن أبي هريرة ومعاوية، فَضْلاً عن غيرهما من الصحابة الأجلّاء، مما يَدْحَضُ أكاذيبَ المبتدعة وأصحابِ الهوى الذين يقعون في صحابة نبينا ﷺ، ويَفضحُ ما في سرائرهم من بغضاء للصحابة واتهامهم بأنهم يُعادُون أهلَ البيت ويَسبُّونهم وقد تآمروا عليهم واغتصبوهم حقَّهم!!

•• وعلى هذا الهدي الأبلج سارت الأُمة قرناً بعد قرن من لدن التابعين إلى زماننا وحتى قيام الساعة؛ تجلُّ آلَ البيت وتحبهم وتعظِّم شأنهم دونما غلوٍّ أو تفريط.

ـ هذا علي رضي الله عنه يقول للناس: لا تزوِّجوا الحسنَ فإنه مِطْلاقٌ، قد خشيتُ أن يورِّثنا العداوة في القبائل!

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣٦٦/٨، الرئبال: الأسد. يذبل: جبل بنجد. ثبير: جبل بمكة.

فيقولون: والله يا أمير المؤمنين لو خَطب لنا كل يوم زوَّجناه منَّا؛ ابتغاءً في صِهْر رسول الله ﷺ[١]!

ـ وروى عمار بن معاوية الدُّهْنيُّ، عن أبي سعيد قال: (رأيتُ الحسنَ والحسينَ صلَّيَا مع الإمام العصرَ، ثم أتيا الحَجَر فاسْتَلَماه، ثم طافا أُسبوعاً وصلَّيا ركعتين، فقال الناس: هذان ابنا بنت رسول الله ﷺ، قال: فحَطَمَهُما الناسُ حتى لم يستطيعا أن يمضيا، ومعهما رجلٌ من الرُّكانَات، وأَخذ الحسنُ بيدِ الرُّكاني، ورَدَّ الناسَ عن الحسن، وكان يُجلُّه. وما رأيتُهما مرَّا بالرُّكْن الذي يلي الحَجر من جانب الحجر إلا استلماه. قال عمارٌ: قلتُ لأبي سعيد: فلعلَّه بقي عليهما بقيةٌ من أُسبوع قطَعَتْه الصلاة؟ قال: لا، بل طافا أسبوعاً تاماً)[٢].

●● واستمر المسلمون خَلَفاً عن سَلَف على إجلال الحسن وجميع أهل البيت الأطهار، وترى ذلك من العامة والخاصة، كما يتجلى ذلك في رواية مناقبهم وفضائلهم في كافة كتب السُّنَّة، واستيعابِ تراجمهم في كتب الصحابة والتاريخ والسِّير والتراجم والطبقات، وكذلك إفرادهم بالتصنيف، والحرص على إحياء أسمائهم بتسمية الأبناء والبنات بأسماء علي والحسن والحسين وفاطمة، وهذا شائع منتشرفي جميع بلدان المسلمين وأمصارهم وأُسرهم، وتجد ذلك واضحاً في بلاد الشام فأسماؤهم أشهر وأكثر من كثير من أسماء بني أمية حتى في حاضرة

(١) تقدم مفصلًا: ص ٣٤ ـ ٣٥.

(٢) تاريخ ابن عساكر ٦٩/١٤، واختصره ابن كثير في البداية والنهاية ٣٧/٨. أسبوعاً: أي سبع مرات. حطمهما الناس: ازدحموا عليهما. الرُّكاني: لعلَّه منسوبٌ إلى رُكانة بن عبد يزيد بن هاشم المطلبي الذي صارع النبيَّ ﷺ فصَرعَه النبيُّ ﷺ. انظر: الأنساب ١٥٤/٦، هامش.

خلافتهم دمشق! فَقَلَّ أن ترى أسماء: معاوية ويزيد ومروان وعبد الملك والوليد وهشام، بينما تنتشر أسماء السِّبْطين الكريمين وأبيهما وأمهما عليهم رضوان الله أجمعين.

المبحث الرابع ـ المبشر بالجنة:

من أجلِّ مناقبِ الحسن ما بَشَّره به جدُّه رسول الله ﷺ أنه من أهل الجنة، وأنه مع أخيه الحسين سيِّدا شبابها، وقد روى ذلك جماعةٌ من الصحابة الكرام، واعتنَى بجمعها أئمةُ الإسلام وأودعوها في كتب السُّنة المعتمدة المشهورة.

وهذا يشير إلى أن النبي ﷺ قال ذلك في محافل جامعة من صحابته ﵃، وأَعلَنَه على الملأ مرة بعد أخرى، فقد روى ذلك: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وحذيفة بن اليمان، وابن عُمر، وابن مسعود، وجابر بن عبد الله، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، والبراء بن عازب، وأسامة بن زيد، وغيرهم[1].

ـ عن حذيفةَ بن اليمان قال: (سأَلَتْني أُمِّي: منذُ متى عهدُك بالنبي ﷺ؟ قال: فقلتُ لها: منذ كذا وكذا، قال: فنَالَتْ منِّي وسَبَّتْني! قال: فقلت لها: دَعِيني فإني آتي النبيَّ ﷺ فأصلِّي معه المغربَ، ثم لا أَدَعُه حتى يستغفرَ لي ولكِ.

قال: فأتيتُ النبي ﷺ فصلَّيتُ معه المغرب، فصلَّى النبي ﷺ العشاء ثم انفَتَلَ، فتَبِعْتُه، فعَرَضَ له عارِضٌ فناجَاهُ ثم ذَهب، فاتَّبعتُه فسمِعَ

(١) انظر: المعجم الكبير للطبراني ٢٤/٣ وما بعدها، مجمع الزوائد ١٨٢/٩ ـ ١٨٤، وذكرت هنا سبعة أحاديث.

صوتي فقال: «مَن هذا»؟ فقلتُ: حذيفةُ، قال: «ما لَكَ»؟ فحدَّثْتُه بالأمر، فقال: **«غَفَر الله لك ولأُمِّكَ»**، ثم قال: **«أَمَا رأيتَ العارِضَ الذي عَرَض لي قُبَيْلُ»**؟ قال: قلتُ: بلى، قال: **«فهو مَلَكٌ من الملائكة لم يَهبِط الأرضَ قبل هذه الليلة، فاسْتَأْذَنَ ربَّه أن يسلِّم علَيَّ، ويُبشِّرَني أن الحسنَ والحسينَ سيِّدا شباب أهلِ الجنَّة، وأن فاطمةَ سيِّدةُ نساءِ أهل الجنة»**(١).

ـ وعن أبي سعيد الخُدْريِّ قال: قال رسول الله ﷺ: **«الحسنُ والحسينُ سيِّدا شباب أهل الجنة»**(٢).

ـ وفي رواية بأطول منها عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: **«الحسنُ والحسينُ سيِّدا شبابِ أهل الجنة، إلا ابنَي الخالةِ عيسى ابن مريمَ ويحيى بنَ زكريا»**(٣).

ـ وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«الحسنُ والحسينُ سيِّدا شبابِ أهل الجنة، وأبوهما خيرٌ منهما»**(٤).

ـ وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَن سَرَّه أن يَنظر إلى سيد شباب أهل الجنة؛ فَلْيَنظرْ إلى الحسنِ بن علي»**(٥).

---

(١) أخرجه الترمذي (٤١١٥)، والنسائي في الكبرى (٣٧٩)، وأحمد (٢٣٣٢٩) واللفظ له، وابن حبان (٦٩٦٠)، وقال الترمذي: حسن غريب، وصححه الألباني وشعيب.

(٢) أخرجه الترمذي (٤١٠١)، والنسائي في الكبرى (٨٤٧٢ ـ ٨٤٧٤)، وأحمد (١٠٩٩٩)، وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الألباني وشعيب.

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (٨١١٣)، وابن حبان (٦٩٥٩)، والطحاوي في شرح المشكل (١٩٦٧)، وغيرهم، وصححه شعيب، والألباني في صحيح الجامع (٣١٨١).

(٤) أخرجه الحاكم ١٦٧/٣ وصححه وأقره الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣١٨٢).

(٥) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٣٥/٦ وعزاه إلى ابن سعد، وقال: إسناده لا بأس به، ولم يخرجوه.

ـ وعن البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**»[١].

ـ ومن حديث عليٍّ أن رسول الله ﷺ قال لابنتِه فاطمة: «**إنِّي وإيّاكِ وهذينِ وهذا الراقدَ ـ يعني علياً ـ يومَ القيامة في مكانٍ واحدٍ**»[٢].

المبحث الخامس ـ أحاديث ضعيفة وواهية وموضوعة في مناقب الحسن:

اتضح مما سبق أن الحسن بن علي ﵄ ذو مقام رفيع ومنزلة سامقة، مناقبه جَمَّة وفضائلُه كثيرة، والثناءُ عليه منتشر مشهور، جاءت بذلك الأحاديث الثابتة التي يَشُعّ منها ضياءُ كلام النبوة...

بَيْدَ أن فريقاً من الرواة الضعفاء والمغفَّلين والمتَّهمين والمتروكين أبَوْا إلا أن يشوِّهوا سيرة هذا السيد، فزَعَموا حبَّهم للحسن وجاؤوا بروايات ضعيفة أو تالفة. وزاد بعضهم الأمر سوءًا فافتروا على رسول الله ﷺ وكَذَبوا عليه ونَسَبوا إليه (روايات) زعموها أحاديثَ في مناقب الحسن، فأساؤوا له وأجرموا بحق أنفسهم وبحقّ السُّنَّة النبوية!

ولذا كان لِزاماً علينا أن نشير إلى طَرَف من تلك الأخبار التي ننزِّه سيرة الحسن عنها، وأيضاً للردِّ على مَن يزعمُ للحسن العصمة وأنه فوق الصحابة والناس بل وجميع البشر!

١ ـ عن فاطمة بنتِ رسول الله ﷺ: (أنها أَتَتْ بالحسن والحسين إلى

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/١٨٤ وقال: رواه الطبراني وإسناده حسن.

(٢) تقدم بتمامه: ص ٦٨ حاشية (٢).

رســول الله ﷺ في شَــكْواه التي توفِّي فيها، فقالت: يا رسولَ الله، هذانِ ابناكَ فورِّثْهُما شيئاً، فقال: «**أمَّا حســنٌ فلَهُ هَيْبَتي وسُؤْدُدِي، وأمَّا حُسين فلَهُ جَراءتي وجُودِي**»[١] (ضعيف).

٢ ـ عن كَثِير النَّوَّاء، عن أبي إدريس، عن المُسَيَّب بنِ نَجَبَة قال: قال علي بن أبي طالب: قال رســول الله ﷺ: «**إنَّه لم يكنْ نبيٌّ قبْلي إلا وقد أُعطي ســبعةَ رُفقاءَ نُجَباءَ وزراءَ، وإني أُعْطِيت أربعةَ عشرَ: حمزة، وجعفر، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وحسن، وحسين، وعبد الله بــن مســعود، وأبــو ذر، والمِقْــداد، وحذيفــة، وعمار، وسلمان**»[٢] (ضعيف).

٣ ـ عن أبي هريرة قال: نَظَر النبيُّ ﷺ إلى عليٍّ والحسن والحسين وفاطمــةَ، وقال: «**أنا حَــرْبٌ لمن حارَبَكم وسِــلْمٌ لمن ســالَمَكُم**»[٣] (ضعيف جداً).

وعن زَيْدُ بن أَرْقَمَ؛ أن رســولَ الله ﷺ قال لِعليٍّ وفاطمةَ والحســنِ والحسينِ: «**أَنا حَرْبٌ لمن حارَبْتُم، وسِلْمٌ لمن سالَمتُم**»[٤] (ضعيف).

---

(١) مجمع الزوائد ١٨٤/٩ ـ ١٨٥، كنز العمال (٣٤٢٧٢)، مختصر ابن عســاكر ٢١/٧، شــرح نهج البلاغة لابن الحديد ٢٢٩/٨. قال الهيثمــي: رواه الطبراني وفيه من لم أعرفهم، وقال الألباني: ضعيف. انظر: ضعيف الجامع الصغير (١٢٤٢).

(٢) ســنن الترمذي (٤١١٩)، المستدرك ١٩٩/٣، مختصر ابن عســاكر ١٩/٧، ضعيف الجامع الصغير (١٩١٢)، قــال الذهبي: كثير واهٍ، وضعفه الألباني، وشــعيب الأرنؤوط وقال: كثير ضعيف والمسيب مجهول.

(٣) أخرجه أحمد (٩٦٩٨)، وقال شعيب: إسناده ضعيف جداً.

(٤) أخرجــه الترمذي (٤٢٠٨)، وابــن ماجه (١٤٥)، وابــن حبــان (٦٩٧٧)، وضعفه الألباني وشعيب.



٤ ـ عن علي بن أبي طالب: أن رسول الله ﷺ أخذ بيدِ حَسنٍ وحُسينٍ فقال: «**مَن أَحبَّني وأَحَبَّ هذينِ وأباهمـا وأمَّهما؛ كان معي في دَرَجتي يومَ القيامة**»(١). (منكر جداً).

٥ ـ عن سَلْمان الفارسيِّ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**الحسن والحسين ابنايَ؛ مَن أَحبَّهما أحبَّني ومَن أحبَّني أحبَّه الله ومن أَحبَّه الله أَدْخَلَه الجنة، ومَن أَبْغَضَهما أَبْغَضني ومن أبغَضَني أبغَضَه الله ومن أبغَضَه اللهُ أَدْخَلَه النار**»(٢) (منكر).

٦ ـ روى الطبراني وغيره عن أحمد بن محمد بن الحجَّاج بن رشْدِين بن سَعْد قال: حدثنا حُميد بن علي البَجَلي، حدثنا ابن لَهِيعة، عن أبي عُشَّانة، عن عُقْبَة بنِ عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «لمَّا استقرَّ أهلُ الجنة في الجنة، قالت الجنة: يـا ربِّ أليسَ وعَدْتَني أن تُزَيِّنَني بِرُكْنَيْنِ من أركانك؟ قال: أَلَم أُزَيِّنْكِ بالحسن والحسين؟! قال: فمَاسَتِ الجنةُ مَيْساً كما تَمِيسُ العروسُ»(٣)! (باطل).

قال ابن عَديّ: أحمد بن محمد بن الحجاج، كذَّبوه وأُنكِرت عليه أشياء. وذكر الذهبي في «ميزان الاعتدال» هذا الحديثَ في ترجمة (أحمد بن محمد بن الحجاج). وقال: هذا من أباطيله. وحُميد بن علي البجلي: واهٍ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٤٠٦٦)، وأحمد (٥٧٦)، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٥٤/٣ وقال: إسناده ضعيف والمتن منكر، وفي ١٣٥/١٢ وقال: هذا حديث منكر جداً، وضعفه الألباني وشعيب.

(٢) أخرجه الحاكم ١٦٦/٣ وصححه، وتعقبه الذهبي فقال: هذا حديث منكر.

(٣) تاريخ بغداد ٢٣٨/٢ ـ ٢٣٩، مختصر ابن عساكر ١٩/٧ ـ ٢٠، ميزان الاعتدال ١٣٣/١ ـ ١٣٤، مجمع الزوائد ١٨٤/٩، تنزيه الشريعة ٤٠٧/١. ماسَتْ: تَبخترَتْ واختالَتْ.

وذكر ابن عَرَّاق هـذا الحديثَ فـي «تنزيه الشـريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة».

٧ ـ عن ابن عباس قال: قال رسـول الله ﷺ «أيها الناسُ، ألا أُخبِرُكم بخير الناس جَدّاً وجدَّةً؟ ألا أُخبرُكم بخير الناس عمّاً وعمَّةً؟ ألا أخبركم بخير الناس خالاً وخالـةً؟ ألا أخبركم بخير الناس أباً وأماً؟ الحسـن والحسين: جَدُّهما رسولُ الله ﷺ، وجدّتُهما خديجة بنت خُوَيْلد، وأمُّهما فاطمة بنـت رسـول الله ﷺ، وأبوهما علي بـن أبي طالـب، وعمُّهما جعفر بن أبي طالـب، وعمتُهمـا أم هانئ بنت أبي طالـب، وخالُهما القاسـم بن رسـول الله ﷺ، وخالاتُهما زينب ورقيـة وأم كلثوم بناتُ رسـول الله ﷺ. جدُّهما في الجنـة، وجدَّتُهما في الجنـة، وأبوهما في الجنـة، وأمُّهما فـي الجنة، وعمّهما فـي الجنة، وعمَّتُهمـا في الجنة، وخالُهما في الجنة، وخالاتُهما في الجنة، وهما في الجنة، ومَن أحبَّهما في الجنة»[1] (باطل).

قلت: في إسـناده (أحمد بـن محمد بن عمر بن يونـس اليَمَاميّ) وترجَمَتُه مُظْلِمة: كذَّبه أبو حاتم وابن صاعد، وقال أبو حاتم: قدِم علينا وكان كذَّاباً. وقال الدارقطني: متروك. وقـال الخطيب: غير ثقة. وذكره الدارقطني في كتابه «الضعفـاء والمتروكين»، وبرهان الدين الحلبي في كتابه «الكشف الحثيث عمَّن رُمي بوضع الحديث».

وترجَمَتُه مستوعَبة في كتب المجروحين.

---

(١) أخرجه ابن عسـاكر مختصـره: ٢٠/٧، وذكره الهيثمـي في المجمـع ١٨٤/٩ وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسـط، وفيهمـا أحمد بن محمد بن عمر بـن يونس اليمامي وهو متروك.

٨ ـ روى مَسْروح أبو شهاب، عن سفيانَ الثوريِّ، عن أبي الزُّبير، عن جابر بن عبد الله قال: (دخلتُ على رسول الله ﷺ وهو يمشي على أربع، وعلى ظَهْرِه الحسنُ والحسينُ، وهو يقول: «نِعْمَ الجملُ جَمَلُكما، ونِعْمَ العِدْلانِ أنتُما»)[1] (باطل).

أَورد هذا الحديث في ترجمة (مسروح):

ابن حِبَّان في «المجروحين» وقال: مسروح أبو شهاب لا يجوز الاحتجاج بخبره لمخالفته الأثبات في كل ما يروي.

والعُقَيْلي في «الضعفاء» وقال: مسروح لا يُتابَعُ على حديثه.

وقال ابن أبي حاتم في ترجمة (مسروح): سألتُ أَبي عنه وعَرضتُ عليه بعض حديثه، فقال: لا أعرفُه، وقال: يَحتاج أن يتوبَ إلى الله ﷻ من حديث باطل رواه عن الثوري[2]!

قلت: يشير أبو حاتم إلى هذا الحديث.

وذكر الذهبي كلام أبي حاتم هذا، وعقَّب عليه فقال: إي والله، هذا هو الحق، إنَّ كلَّ من روى حديثاً يَعلمُ أنه غير صحيح؛ فعليه التوبة أو يَهتِكُهُ.

ووقع في «البداية والنهاية»: (وقال الترمذي: عن أبي الزبير، عن جابر)، فذكر الحديث، وعقَّب ابن كثير فقال: على شرط مسلم ولم يخرِّجوه.

---

(١) المعجم الكبير للطبراني (٢٢٦١)، كتاب المجروحين ٣٥٢/٢ ـ ٣٥٣، الضعفاء الكبير للعقيلي ٢٤٧/٤، ميزان الاعتدال ٩٧/٤، مجمع الزوائد ١٨٢/٩، البداية والنهاية ٣٦/٨، مختصر ابن عساكر ١٥/٧.

(٢) الجرح والتعديل ٤٢٤/٨.

وهذا الحكم من ابن كثير، إنْ ثبت عنه، فهو سهو منه رَحِمَهُ اللَّهُ، وما وقع في كتابه: (وقال الترمذي)، أظنه محرَّفاً عن (وقال الثوري)، ويؤكد ذلك قول ابن كثير: (ولم يخرجوه)، فمثل هذه العبارة يقولها فيما ليس في الكتب الستة، والحديث ليس في سُنن الترمذي.

٩ ـ قال أبو بكر محمد بن حَيَّوَيْه: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الدَّبَريُّ، أخبرنا عبد الرزاق بن همَّام، حدثني أَبي، عن مِيناء بن أبي ميناء مولى عبد الرحمن بن عوف قال: (خُذوا عنِّي قبل أن تُشَابَ الأحاديثُ بالأباطيلِ؛ سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**أنا الشجرةُ، وفاطمةُ فرعُها، وعليٌّ لِقاحُها، والحسن والحسين ثمرتُها، وشَيعَتُنا ورقها، وأصلُ الشجرة في جنَّة عَدْنٍ وسائرُ ذلك في سائر الجنة**»)[١] (موضوع).

وقد اشتدَّ إنكارُ الذهبي على الحاكم لإيراده أمثالَ هذا الخبر الموضوع في «المستدرك على الصحيحين»، وكذلك أنكر قوله بأن (ميناء)[٢] صحابيّ سمع من النبي ﷺ، فقال: (قلتُ: ما قال هذا بشرٌ سوى الحاكم، وإنما ذا ـ أي ميناء ـ تابعي ساقط، وقال أبو حاتم: كذاب يكذب، وقال ابن معين: ليس بثقة. ولكن أظن أن هذا وُضِع على الدَّبَرِيِّ فإن ابن حَيَّوَيْه متَّهم بالكذب! أفما استحييتَ أيها المؤلف أن تورد هذه الأخلوقات من أقوال الطُّرُقيَّة فيما يُستدرك على الشيخين؟!)[٣].

---

(١) المستدرك ١٦٠/٣، تنزيه الشريعة ٤١٤/١، وهو في كتب الشيعة: بصائر الدرجات: ص ٩١ ـ ٩٣، أمالي المفيد: ص ٢١٥، المجلس (٢٨) الحديث (٥)، وبنحوه في أصول الكافي ١٢٧.

(٢) هو ممن يروي عن الصحابة، متهم بالكذب، وترجمته مظلمة في كتب «المتروكين والوضاعين».

(٣) تلخيص المستدرك ١٦٠/٣.

١٠ ـ الأئمة ونور الله(١):

روى الكُلِيني بسنده إلى الإمام أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام قال: (قال الله تبارك وتعالى: يا محمد إنـي خلقتُك وعلياً نوراً، يعني روحاً بلا بدن، قبل أن أَخلق سماواتي وأرضي وعَرْشـي وبحري، فلم تزل تهلِّلني وتمجِّدني، ثم جمعتُ روحَيْكما فجعلتُهما واحدة، فكانت تمجِّدني وتقدِّسني وتهلّلني. ثم قسمتُها ثنتين، وقسمتُ الثنتين اثنتين فصارت أربعةً: محمد واحد، وعليّ واحد، والحسن والحسين ثنتان. ثم خلق الله فاطمة من نورٍ ابتدأها روحاً بلا بدن، ثم مَسَحها بيمينه فأفضى نورُه فينا).

قال الفيض الكاشاني: (ثم) في قوله (ثم جمعت روحيكما) ليست للتراخي في الزمان، بل في المرتبة.

وفي (باب أن الأئمة عليهم السلام نورُ الله عز وجل)، روى الكُلِيني بسنده عن صالح بن سَهْل الهَمْداني قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: (في قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٍ﴾ فاطمةُ عليها السلام، ﴿فِيهَا مِصۡبَاحٌ﴾ الحسنُ، ﴿ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ الحسينُ، ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ﴾ فاطمةُ كوكب دُرِّيٌّ بين نساء أهل الدنيا، ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ﴾ إبراهيمُ عليه السلام، ﴿زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ﴾ لا يهودية ولا نصرانية، ﴿يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ﴾ يكاد العلمُ يتفجر بها، ﴿وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖ﴾ إمامٌ منها بعد إمام، ﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ يهدي الله للأئمة من يشاء، ﴿وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِ﴾. قلتُ: ﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ﴾؟ قال: الأولُ وصاحبُه! ﴿يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ﴾ الثالثُ! ﴿مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ﴾ الثاني! ﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ﴾ معاويةُ وفتنُ بني أميَّة!

---

(١) أصول الكافي «كتاب الحجة» باب مولد النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته: ص ٢٦٣، الوافي للفيض الكاشاني ٣/٦٨٠ الحديث (١٢٨٠).

﴿إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ﴾ المؤمنُ في ظلمةِ فتنتهِم، ﴿لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا﴾ إماماً من ولد فاطمة عليها السلام، ﴿فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ إمام يوم القيامة).

ومثل هذه الأخبار التي ترويها كتب الرافضة هي أسوأُ من الأحاديث الباطلة والموضوعة، حيث تزعمُ أن علياً وفاطمة والحسن والحسين وبقية (الأئمة) مخلوقون من نور الله، فهذا يعني أن فيهم جزءًا إلهياً، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً!

وهذا يُضاد ما جاء في الكتاب العزيز والسُّنة النبوية الصحيحة:

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ﴾ [الحج: ٥].

وقال سبحانه: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ﴾ [الروم: ٢٠].

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «الناسُ كلُّهم بنو آدَمَ، وآدمُ خُلِقَ من تراب»(١).

وعن أبي موسى الأَشعريِّ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ خلقَ آدمَ من قبْضَةٍ قبضَها من جميع الأرض، فجاء بنو آدمَ على قَدْرِ الأرض، فجاء منهمْ: الأحمرُ والأبيضُ والأسودُ وبَيْنَ ذلك، والسَهْل والحَزْنُ، والخبيثُ والطّيبُ**»(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود (٥١١٦)، والترمذي (٤٢٩٩) و(٤٣٠٠)، وغيرهما، وقال الترمذي: حديث حسن، وحسنه الألباني وشعيب.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٩٣)، والترمذي (٣١٨٨)، وغيرهما، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني وشعيب.

وانظرا ما كتبناه في كتابنا «فاطمة الزهراء» الباب السابع، في بيان ما روي من أباطيل وبلايا في مناقبها ومناقب أهل البيت الأطهار.

الفصل الرابع

أخلاقه وشمائله وعبادته

كان الحسن رضي الله عنه دَيِّناً خيِّراً، سيِّداً شـريفاً جليلاً، ورعاً زاهداً نبيلاً، حليماً متواضعـاً حيياً، مَهيباً جـواداً، مُحبَّباً مُمَدَّحـاً، فصيحاً بليغاً، ذا حشمة وسَـكينة ووقار، عَفَّ اللسـان، كبيرَ الشـأن، منقطع القرين في السخاء والجود والإحسان.

ورث من جـدِّه ﷺ وأبيه رضي الله عنه أخـلاق النبوة وفضائل بني هاشـم ومكارمهم، فكان خيـاراً من خيار، تمثَّلت في شـمائله آية الإنسـانية الفضلى، ما رآه إنسان إلا هابَهُ، ولا خالَطَه أحدٌ إلا أحبَّه.

المبحث الأول ـ أخلاقه وشمائله:

والمتتبع لسيرة الحسن ومسـيرة حياته وأعماله وعلاقاته مع الناس في مختلِف طبقاتهم ومسـتوياتهم، وهَدْيه مع أهلـه وأقاربه والمقرَّبين عنده؛ يجد أنه اقتفى أثرَ جدِّه رسـول الله ﷺ وأبيـه رضي الله عنه في التقلُّل من الدنيا والزهدِ فيها، ولِين الجانب للناس والإحسـانِ إليهم والسعي في حاجاتهم وبَذْل الخير لهم. فاجتمعتْ عليه القلوب، وهَفَت إليه النفوس، فكان في المجتمع عَلَماً من أعلام الهدى والخير والإحسـان، حتى قال القائل وقد رأى من الحسن ما رأى: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ٣٤].

زهده وورعه:

من أفضلِ ما يتصف به الإنسان، ويتجمَّل به ويحقِّقُه في حياته ووقائع أيامه؛ أن يخلو قلبُه من الجَشَع والطمع والتمسك بالدنيا، مع التورُّع عن الدنايا والنأْيِ عن الشبهات وصغائر الصفات... هذا في عامة الناس، وهو في السادة ورموز الأُمة والمجتمع أَحْرَى وأَوْلى، وقد ضرب الحسن في هذا أروع الأمثلة في الأمور الصغيرة والجليلة على حد سواء.

●● روى مُدْرِكٌ أبو زياد مولى علي بن أبي طالب قال: (كنَّا في حِيطان ابن عباس، فجاء ابنُ عباس وحَسن وحُسين، فطافوا في البستان فنظروا، ثم جاؤوا إلى ساقية فجلسوا على شاطئها، فقال لي حسن: يا مُدرك، عندك غداءٌ، قلت: قد خبزنا، قال: ائتِ به، قال: فجئتُه بخبز وشيءٍ من ملح جَريش وطاقَتَيْ بَقْل، فأكل ثم قال: يا مدرك ما أطيبَ هذا! ثم أُتي بغدائه، وكان كثيرَ الطعام طيِّبَه، فقال: يا مدرك، اجمع لي غلمانَ البستان، قال: فقدَّم إليهم فأكلوا ولم يأكل، فقلت: ألا تأكل؟ فقال: ذاك عندي أشهى من هذا. ثم قاموا فتوضؤوا)[١].

ـ وعن سَلْمى امرأةِ أبي رافعٍ قالت: (دخلَ علَيَّ الحسنُ بن علي وعبدُ الله بن جعفر وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم، فقالوا: اصنَعِي لنا طعاماً كان يُعجب النبيَّ ﷺ أَكْلُه، فقالت: يا بَنِيَّ إذاً لا تشتهونه اليومَ! فقمتُ فأخذتُ شعيراً فطحنتُه ونَسَفْتُه، وجعلتُ منه خبزةً، وكان أُدْمُه الزيتَ، ونَثرتُ عليه الفُلفل، فقرَّبتُه إليهم، وقلت: كان النبي ﷺ يحبُّ هذا)[٢].

(١) مختصر ابن عساكر ٢١/٧ ـ ٢٢، وتقدم طرف منه: ص ٨٢ ـ ٨٣ حاشية (١).

(٢) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب ١٩٧/٤ ـ ١٩٨، وقال: رواه الطبراني بإسناد جيد، والهيثمي في المجمع ٣٢٥/١٠ وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير فايد مولى ابن أبي رافع وهو ثقة.

سلمى صحابية، وهي مولاة النبي ﷺ وخادِمتُه، وكذا زوجُها أبو رافع مولى رسول الله ﷺ، وقد رويا عنه ﷺ.

ـ ولما تنازل الحسن لمعاوية عن الخلافة، كان له على معاوية في كل عام جائزة، وكان يَفِد إليه فربما أجازَهُ بأربعِ مئةِ ألف، وراتبُه كل سنة مئة ألفٍ، فانقطع سنة عن الذهاب، وجاء وقت الجائزة، وأَعْسَر الحسن وأَضاق إضاقةً شديدة، فأراد أن يكتب إلى معاوية ليبعثَ بها إليه، فلما نام تلك الليلة رأى رسول الله ﷺ في المنام فقال له: يا بُنيّ أَتكتبُ إلى مخلوق بحاجتك؟ وعلّمه دعاءً يدعو به، فترك الحسن ما كان هَمَّ به من الكتابة. فذَكَره معاوية وافتقده، وقال: ابعثوا إليه بمئتي ألف، فلعل له ضرورة في تركه القدومَ علينا! فَحُمِلتْ إليه من غير سؤال[1].

●● ويذكرون في سيرة الحسن أنه دخل السوق لحاجة يقضيها، فساومَ صاحبَ دكان في سلعة، فأخبره بالسعر العام، ثم عَلِم أنه الحسنُ بن علي ﵄ سِبْط رسول الله ﷺ، فنَقَص في السعر إجلالاً له وإكراماً، ولكن الحسن لمَ يقبل منه ذلك، وترك الحاجة، وقال: إنني لا أرضى أن أستفيد من مكانتي من رسول الله ﷺ في شيء تافه[2].

ومن ورعِه أنه كان لا يرى أُمهات المؤمنين زوجات النبي ﷺ:

قال أبو جعفر الباقر: (كان الحسن والحسين لا يريان أمهات المؤمنين، فقال ابن عباس: إن رؤيتَهنّ حلالٌ لهما)[3].

(١) البداية والنهاية ٣٧/٨، وأوردها مطولة: السيوطي في تاريخ الخلفاء ١٩٣.
(٢) المرتضى للندوي ٢٢٨.
(٣) سير أعلام النبلاء ٢٦٥/٣.

وعقّب الذهبي على هذا فقال: الحِلّ مُتيقَّن.

ومن أعظم الأدلة على ورعه تنازلُه عن الخلافة رغبةً فيما عند الله، وحرصاً على وحدة الأُمة وحقن دماء المسلمين:

قال جُبَيْر بن نُفير: (قلتُ للحسن بن علي: إن الناس يقولون إنك تريد الخلافة؟! فقال: قد كانت جماجمُ العرب في يدي يُحاربون مَنْ حاربتُ، ويُسالمون من سالمت، فتركتُها ابتغاءَ وجه الله تعالى وحقْنِ دماء أُمة محمد ﷺ)[١].

وذكر الحسنُ الأسبابَ التي دفَعَتْه للصلح مع معاوية، ومنها قوله: (خشيتُ أن يأتي يومَ القيامة سبعون ألفاً أو ثمانون ألفاً أو أكثر أو أقلّ، كلُّهم تنضح أوداجُهم دماً، كلّهم يَستعدي الله فيمَ هُرِيقَ دمُه!)[٢].

قال ابن عبد البر: (دَعَاه ورعُه وفضلُه إلى أن ترك المُلك والدنيا رغبةً فيما عند الله)[٣].

وقال الحافظ في قصة تنازل الحسن عن الخلافة: (فيها منقبةٌ للحسن بن علي فإنه تَرَكَ المُلك لا لِقلَّة ولا لِذلَّة ولا لِعلَّة، بل لرغبتِه فيما عند الله، لِما رآه من حَقْن دماء المسلمين)[٤]. وسيأتي تفصيل ذلك.

تواضعه وحلمه وعِفَّة لسانه:

من أجمل الأخلاق الإسلامية وأوجبها وبخاصة في الكبار وقادة

---

(١) أخرجه الحاكم ١٧٠/٣ وصححه ووافقه الذهبي. جماجم العرب: أي سادات العرب.
(٢) تهذيب الكمال ٢٥١/٦، مختصر ابن عساكر ٣٨/٧.
(٣) الاستيعاب ٣٦٩/١.
(٤) الفتح ٣٨٧/١٦ شرح الحديث (٧١٠٩).

الأُمة وأعلامها: التواضعُ والحِلْم وطهارةُ اللسان وعفته، وقد كان سيدنا رسول الله ﷺ أسوة الناس جميعاً في جميع ذلك، وقد أثنى على المتواضعين وتوعَّد المتكبرين ومثَّلَ لهم بأبشع الأمثلة! وامتدح صحابياً على الملأ لِخَلَّتَيْن تميَّز بهما: الحِلْم والأَنَاة، وأَرشد الصحابةَ إلى ضبط اللسان، وأخبر الأُمة بأن الرجل يقول الكلمة لا يلقي لها بالاً يهوي بها في النار سبعين خريفاً!

ولقد تمثّل الحسن رضي الله عنه هذه التوجيهات النبوية على نحو فذّ، وهو الذي نشأ في محاضن النبوة وترعرع وشَبَّ في رعاية والده الجليل علي رضي الله عنه وأرضاه.

عن ابن مهدي قال: مرَّ الحسن بن علي على فقراء قد وضعوا كُسيرات من الخبز على الأرض، وهم قعود يلتقطونها ويأكلونها، فقالوا له: هَلُمَّ يا ابنَ بنت رسول الله إلى الغداء، قال: فنزل، وقال: إنَّ اللهَ لا يُحبُّ المُستكبرين، وجَعل يأكل معهم حتى اكتفوا والزاد على حاله ببركته! ثم دعاهم إلى ضيافته، فأطْعَمَهم وكَسَاهم وأَغْدَق عليهم من إحسانه)[١].

ومن صور تواضعه أنه مرَّ على صِبيان يتناولون الطعام، فدعوه لمشاركتهم، فأجابهم إلى ذلك، ثم حملهم إلى منزله فمنَحهم من برِّه ومعروفه، وقال: اليدُ لهم لأنهم لم يجدوا غير ما أطعموني، ونحن نجد مما أعطيناهم[٢].

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٢٣/٤، حياة الإمام الحسن لباقر شريف القرشي ٢٩١/١.
(٢) صلاح الأُمة في علو الهمة ٤٣٧/٥، علي بن أبي طالب للصلابي ٢٢٣.

•• عن رُزَيْق بن سَوَّار قال: (كان بين الحسن بن علي وبين مروان بن الحَكَم كلامٌ، فأقبلَ مروانُ فجعل يُغْلِظ له، وحسنٌ ساكت، فامتَخَط مروانُ بيمينه، فقال له الحسن: ويحكَ! أما علمتَ أن اليمين للوجه والشمالَ للفَرْج؟! أُفٍّ لكَ! فسكت مروان)[١].

ومع هذا الذي حدث بين الرجلين، فإنه لم يَمنع مروانَ من قول الحق والشهادة للحسن رضي الله عنه بالحِلْم الراسخ!

عن جُويرية بن أسماء قال: (لمَّا مات الحسن بن علي بكى مروان في جنازته، فقال له حُسين: أَتبكيه وقد كنتَ تُجرِّعُه ما تجرِّعُه؟! فقال: إني كنتُ أفعل ذلك إلى أحلمَ من هذا، وأشار بيده إلى الجَبَل)[٢].

وذكر ابن عائشة[٣] أن رجلًا من أهل الشام قال: (دخلتُ المدينة ـ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ـ فرأيتُ رجلاً راكباً على بغلةٍ، لم أرَ أحسنَ وجهاً ولا سَمْتاً ولا ثوباً ولا دابة منه، فمالَ قلبي إليه، فسألتُ عنه، فقيل: هذا الحسن بن علي بن أبي طالب، فامتلأ قلبي له بُغْضاً وحَسدتُ علياً أن يكون له ابنٌ مثله، فَصِرْتُ إليه وقلت له: أأنتَ ابن علي بن أبي طالب؟ قال: أنا ابنُه، قلت: فعل بك وبأبيك، أسبُّهما! فلما انقضَى كلامي قال لي: أَحسبك غريباً، قلت: أَجَلْ، قال: مِلْ بنا؛ فإن

(١) مختصر ابن عساكر ٢٩/٧، سير أعلام النبلاء ٢٦٦/٣.

(٢) مختصر ابن عساكر ٢٩/٧، تهذيب الكمال ٢٣٥/٦، مقاتل الطالبيين ٨٢ ـ ٨٣.

(٣) هو الإمام العلاّمة المحدث الأخباري الثقة عُبيد الله بن محمد بن حفص بن عمر القرشي التيمي البصري، يعرف بابن عائشة وبالعَيْشي لأنه من ولد عائشة بنت طلحة بن عبيد الله، كان من سادات أهل البصرة غير مدافَع، سخياً كريماً، أنفق على إخوانه أربع مئة ألف دينار في الله عز وجل، حتى التجأ إلى أن باع سقف بيته. انظر: سير أعلام النبلاء ٥٦٤/١٠، تهذيب الكمال ١٤٧/١٩.

احتجتَ إلى منزلٍ أنزلناك أو إلى مالٍ آسيناك أو إلى حاجة عاوَنّاك! قال: فانصرفتُ عنه وما على الأرض أحبُّ إليَّ منه، وما فكرتُ فيما صَنَع وصنعتُ إلا شكرتُه وخَزيتُ نفسي!!)[١].

وقال صالح بن سُليمان: (قدِمَ رجل المدينة وكان يُبغض علياً، فقُطِعَ به، فلم يكن له زادٌ ولا راحلة، فشكا ذلك إلى بعض أهل المدينة، فقال له: عليك بحسن بن علي، فقال الرجل: ما لقِيتُ هذا إلا في حسنٍ وأبي حسن! فقيل له: فإنك لا تجدُ خيراً منه. فأتاه فشكا إليه، فأمر له بزادٍ وراحلةٍ، فقال الرجل: الله أعلمُ حيثُ يجعل رسالته. فقيل للحسن: أتاكَ رجلٌ يُبغضك ويُبغض أباكَ، فأمرتَ له بزادٍ وراحلةٍ؟! قال: أفلا أشتري عِرْضي منه بزاد وراحلة؟!)[٢].

●● ومن الأمثلة على عِفَّة لسانِه واختيارِ عباراته حتى لا يجرح جليسَه، ولا يخدش من مكانته هو ونُبْله؛ ما رواه عُمير بن إسحاق قال:

(ما تكلَّم عندي أحدٌ كان أحبَّ إليَّ إذا تكلم أن لا يسكتَ من الحسن بن علي، وما سمعتُ منه كلمةَ فحشٍ قطُّ، إلا مرة، فإنه كان بين حُسين بن علي وعَمْرو بن عثمان بن عفان خصومة في أرض، فعَرَض حسين أمراً لم يَرضه عمرو، فقال الحسن: فليس له عندنا إلا ما رَغِمَ أنفُه. قال: فهذه أشدُّ كلمة فحش سمعتُها منه قط!)[٣].

---

(١) وفيات الأعيان ٦٧/٢ ـ ٦٨، وبنحوه في مختصر ابن عساكر ٢٦/٧.

(٢) ابن عساكر ٧٦/١٤، مختصره ٧٦/٧.

(٣) تهذيب الكمال ٢٣٥/٦، مختصر ابن عساكر ٢٩/٧، البداية والنهاية ٣٩/٨، وذكره اليعقوبي في تاريخه ١٣٦/٢، لكنه عزاه لمعاوية بن أبي سفيان بدل عمير بن إسحاق.

برُّه بأبيه وبأُمهات المؤمنين:

من برِّ الابن بأبيه طاعتُه بالمعروف، وامتثال أمره، وعدمُ التقدم بين يديه أو التحدث قبله والمشـي أمامه ودخول المجلس قبله، وكذا صلة رحمه وصديقه الذي لا يوصل إلا به.

كما أن من برِّ المؤمنين عامة بالنبي ﷺ وإجلالهم له تعظيمَ شأن آل بيته، والإحسانَ إلى أزواجه الطاهرات بكل خير ممكن.

وقد كان الحسـن في هذا وذاك على جانب عظيم من البر والصلة والإكبار والإجلال والإحسان.

أخـرج البيهقي عن الحسن بن الحسـن بن علي، عـن أبيه: (أن عمر بن الخطاب خَطَب أمَّ كلثوم، فقال لـه عليٌّ: إنها تصغُر عن ذلك، فقال عمر: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**كلُّ سَـبَبٍ ونَسَبٍ منقطعٌ يومَ القيامة إلا سَبَبي ونَسبي**»[1]، فأحبُّ أن يكون لي من رسول الله ﷺ سَببٌ ونَسبٌ، فقال علي للحسن والحسين: زوِّجا عمَّكما، فقالا: هي امرأة من النساء تختارُ لنفسـها. فقام علي مُغْضَباً، فأمسـك الحسن بثوبه وقال: لا صبرَ لي على هجرانك يا أبتاه! قال: فزوَّجاه)[2].

وعند ابن عسـاكر: (عن علي بـن أبي طالب أنه قـال: قُمْ فاخطُبِ الناسَ يا حسـن، قال: إني أَهابُـكَ، لن أخطبَ وأنـا أراك! فتغيَّبَ عنه حيث يسمع كلامه ولا يراه. فقام الحسـن فحمدَ الله وأثنى عليه وتكلم

---

(١) الحديث المرفوع صححه الألباني بطرقه في: السلسـلة الصحيحـة (٢٠٣٦). وانظر كتابي «عمر بن الخطاب»: ص ٣٤ ـ ٣٥.

(٢) كنز العمال ٢٩٦/٨، حياة الصحابة ٤٨٠/٢.

ثم نزل، فقال علي: ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣٤])(١).

وكان الحسن إذا صلّى الصبح وانتشَرَ النهار، أَلَمَّ ببيوت أُمهات المؤمنين، يزورهنّ ويبرُّهنَّ ويَهدي إليهن(٢).

جوده وسخاؤه وسماحة نفسه:

الجودُ والكرمُ والسخاءُ سَجيَّة أصيلة من سجايا الحسن وبَضْعَةٌ من نفسه وجزءٌ من طبيعته، تتفاعل مع عقله وفكره ويدِه لتؤدي عملاً كأنه واجب رتيب وفعل فطري أصيل؛ فهو ﵁ قد وَرث السخاءَ والعطاء كابراً عن كابر، وكيف لا يكون كذلك وقد وَلَدَتْه فاطمة بنت رسول الله ﷺ الذي كان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، وأَنجبه عليٌّ الذي نَسَله أبو طالب كبيرُ بني هاشم وكريُمها وزعيمُها؟!

وجُودُ الحسن لم يكن انفعالياً وطارئاً مع الأحداث، ولا ينتظر السائل ليأتيه فيقدّم له رِفْدَه ويبذل له مالَه، بل كان يُبادر بالأَعطيات ويُغدِق الأموال على البعيد والقريب والعدو والصديق، ويَسَعُ بسخائه كلَّ من عرفه أو صحبه أو أتاه أو سأله...

●● روى ابن سعد وأبو نُعيم عن علي بن زيد بن جُدْعَان قال: (خرج الحسن بن علي من مالِه لله مرتين، وقاسَمَ اللهَ مالَهُ ثلاث مرات، حتى إنْ كان ليُعطي نَعْلاً ويُمْسِك نَعْلاً، ويعطي خُفّاً ويُمسك خُفاً)(٣).

---

(١) مختصر ابن عساكر ٢٤/٧.

(٢) علموا أولادكم محبة آل بيت النبي: ص ١٣٠.

(٣) الحلية ٣٨/٢، تهذيب الكمال ٢٣٣/٦، تاريخ اليعقوبي ١٣٥/٢.

أي أنه قاسَمَ اللهَ ماله ثلاث مرات فتصدَّق بنصِفْه حتى كان يتصدق بنَعْلٍ ويمسك نعلاً، وأنفق مالَه كله مرتين.

وجاء نحوه من رواية عبد الله بن عباس وشهاب بن عامر(١).

• روى هشام بن حسّان، عن محمد بن سيرين قال: (إن الحسن بن علي كان يُجِيز الرجلَ الواحدَ بمئة ألف)(٢).

وعن سعيد بن عبد العزيز: (أن الحسن بن علي سمع رجلاً إلى جَنْبه يسألُ اللهَ أن يَرْزُقَه عشرة آلاف، فانصرف فبعث بها إليه!)(٣).

ومن طرائف قصص جودِ الحسن وسخائه: (أنه كان مارّاً في بعض حِيطانِ المدينة، فرأى غلاماً أسودَ بيده رغيفٌ، يأكل لقمةً ويُطعم كلباً هناك لقمة، إلى أن شاطَرَه الرغيفَ، فقال له الحسن: ما حَمَلكَ على أن شاطرْتَه فلم تُغابِنْه فيه بشيء؟ قال: استحتْ عينايَ من عينيه أن أُغابنه، فقال له: غلامُ من أنت؟ قال: غلام أَبَانَ بن عثمان، فقال: والحائط؟ فقال: لأبانَ بنِ عثمان، فقال له الحسن: أقسمتُ عليك لابَرِحْتَ حتى أعودَ إليك.

فمرَّ فاشترى الغلام والحائط، وجاء إلى الغلام فقال: يا غلامُ قد اشتريتُك، فقام قائماً فقال: السمع والطاعة لله ولرسوله ولك يا مولاي، قال: وقد اشتريتُ الحائط، وأنت حرٌّ لوجه الله، والحائط هبةٌ مني إليك، قال: فقال الغلام: يا مولاي، قد وهبتُ الحائطَ للذي وَهَبْتَني له!)(٤).

---

(١) الحلية ٣٧/٢، مختصر ابن عساكر ٢٣/٧ ـ ٢٤، سير أعلام النبلاء ٢٦٠/٣.
(٢) مختصر ابن عساكر ٢٥/٧، تهذيب الكمال ٢٣٤/٦، البداية والنهاية ٣٧/٨.
(٣) مختصر ابن عساكر ٢٥/٧، تهذيب الكمال ٢٣٤/٦، سير أعلام النبلاء ٢٦٠/٣.
(٤) مختصر ابن عساكر ٢٥/٧، البداية والنهاية ٣٨/٨، سبل الهدى والرشاد ٥٢٤/١١.

وعن أبي هارون العَبْدِيّ قال: (انطلقنا حُجَّاجاً، فدخلنا المدينةَ فقلنا: لو دخلنا على ابنِ رسول الله ﷺ الحسنِ فسلَّمْنَا عليه، فدخلنا عليه فحدَّثْناه بمسيرِنا وحالِنا، فلما خرجنا من عنده بَعث إلى كل رجل منا بأربع مئة، أربع مئة، فقلنا للرسول: إنّا أغنياء وليس بنا حاجة، فقال: لا تردُّوا عليه معروفَه، فرجعنا إليه فأخبرناه بيَسَارِنا وحالِنا، فقال: لا تردُّوا علَيَّ معروفي، فلو كنتُ على غير هذه الحال كان هذا لكم يسيراً)(١).

وقال أبو هشام القَنَّاد: (كنتُ أحملُ المتاع من البصرة إلى الحسن بن علي، وكان يُماكِسُني، فلَعَلِّي لا أقومُ من عنده حتى يَهَب عامته، ويقول: إن أبي حدثني، أن رسول الله ﷺ قال: «**المغبونُ لا محمودٌ ولا مأجورٌ**»)(٢).

•• وتجلت أخلاقُه الكريمة وشمائله الرفيعة على جودِهِ فَأَضْفَتْ عليه جلالاً وجمالاً وشفافية ونُبْلاً:

كان طعامه مبذولاً لكل الناس، وقد روى ابن سيرين قال: (كان الحسن لا يدعو إلى طعامه أحداً، يقول: هو أهونُ من أن يُدعَى إليه أحد)(٣).

وقيل للحسن: (لأيِّ شيء نراكَ لا تردُّ سائلاً وإنْ كنت على فاقة؟ فقال: إني لله سائل وفيه راغب، وأنا أستحي أن أكون سائلاً وأردُّ سائلاً، وإن الله تعالى عوَّدَني عادة؛ عوَّدني أن يُفِيض نِعمَه علَيَّ،

---

(١) مختصر ابن عساكر ٢٧/٧، تهذيب الكمال ٢٣٧/٦ ـ ٢٣٨، سير أعلام النبلاء ٢٦١/٣. وأبو هارون العبدي عُمَارة بن جُوَيْن: متروك، والخبر قد ذكره كثير ممن ترجم للحسن.

(٢) مختصر ابن عساكر ٢٤/٧، يماكسني: يجادلني في السعر. والحديث المرفوع ضعيف، انظر: السلسلة الضعيفة (٦٧٤) وضعيف الجامع الصغير (٥٩٤٣).

(٣) مختصر ابن عساكر ٢٨/٧، سير أعلام النبلاء ٢٦٢/٣.

وعوَّدْتُه أن أُفيض على الناس، فأخشى إنْ قطعتُ العادة أن يَمنعني العادة! وأنشد يقول:

إذا ما أتاني سائلٌ قلتُ مرحباً بمن فضْلُه فرضٌ علَيَّ مُعجَّلُ
ومن فضلِه فضلٌ على كل فاضلٍ وأفضَلُ أيام الفتى حين يُسألُ[١]

وربما خَصَّ الفقراءَ في عطائه وإكرامِهِ لمزيد إعانتهم ورِفْدِهم:

عن حارثة بن مُضَرِّب: (عن عليّ أنه خَطَب الناس، ثم قال: إن ابنَ أخيكم الحسنَ بن علي قد جَمَع مالاً وهو يريد أن يَقْسِمه بينكم، فحَضَر الناس، فقام الحسن فقال: إنما جمعْتُه للفقراء، فقام نصفُ الناس، ثم كان أولَ من أخذ منه الأشعثُ بن قيس)[٢].

ومن جميل قول الحسن في الجود والسخاء أنه قيل له: مَن أحسنُ الناس عَيْشاً؟ قال: مَن أَشْرَكَ الناسَ في عَيْشِه. قيل: ومَن شَرُّ الناس عيشاً؟ قال: من لا يعيشُ في عيشِه أحدٌ)[٣].

علاقته بالناس ومعاملته لهم:

من صفات أكابر الناس وأئمتهم وذوي الشأن فيهم أنهم كالغيث أينما وقع نفع، يُغيثون الملهوف، ويُنصفون المظلوم، ويقضون حوائج ذوي الحاجات، ويَسْعَون في مصالحهم، ويُعينونهم على ملمَّات حياتهم، ويَرْفِدونهم بأعطياتهم، ويشاركونهم أفراحَهم وأحزانهم... فُهم

(١) ملتقى الأصفياء ٣٩.
(٢) طبقات ابن سعد بتحقيق السلمي ٢٧٨/١، تهذيب الكمال ٢٣٤/٦، مختصر ابن عساكر ٢٥/٧، سير أعلام النبلاء ٢٦٠/٣ ـ ٢٦١.
(٣) تاريخ اليعقوبي ١٣٥/٢ ـ ١٣٦.

للأُمة أُســاة وحُماة وملجأ في الملمّــات وعَوْنٌ في السَّــرَّاء والضَّرَّاء، لا يبخلون على أحد بمال، ولا يضنُّون بعطاءٍ أو جاهٍ أو إصلاح...

ولقد كان الحســن رمزاً ســامقاً في مجتمعه، يبذل للناس كل خير ومعونة بقوله وفعله وجاهه ومنزلته في الأُمة، رضي الله عنه وأرضاه.

عن أبي جعفر الباقر قال: (جاء رجل إلى الحُسين بن علي فاستعانَ به على حاجــة، فوجده مُعتكِفــاً، فقال: لولا اعتكافــي لخرجتُ معك فقضيــتُ حاجتك. ثم خرج من عنده فأتى الحســنَ بن علــي فذَكر له حاجتــه، فخرج معه لحاجته، فقــال: أَمَا إني قد كرهــتُ أن أُعَنِّيكَ في حاجتي، ولقد بدأتُ بحســين فقال: لولا اعتكافي لخرجتُ معك، فقال الحسن: لَقَضاءُ حاجةِ أخٍ لي في الله أَحَبُّ إليَّ من اعتكاف شهر!)[1].

وكان الحسن ذات يوم جالساً، فأتاه رجل فســأله صدقةً، ولم يكن عنده ما يسُدُّ به رَمَقَه، فاســتحيى أن يردَّه، فقال له: ألا أَدلُّك على شيء يحصل لك منه البِرُّ؟ فقال: بلــى، فما هو؟ قال: اذهَبْ إلى الخليفة فإن ابنتَه توفيتْ وانقَطَعَ عليها وما ســمع من أحد تعزيةً، فَعَزِّه بهذه التعزية يحصلْ لك بها الخير، فقال حفِّظْنــي إياها، قال: قل له: الحمد لله الذي سَتَرها بجلوسِك على قبرها ولا هَتَكها بجلوسها على قبرك.

فذهب الرجل وفعل ما قال له، فذهب عــن الخليفة حزنُه، وأَمر له بجائزة، وقــال له: أَكَلامُكَ هذا؟ قال: لا، بــل كلام فلانٍ، قال: صدقتَ فإنه مَعْدِن الكلام الفصيح، وأَمر له بجائزة أخرى!)[2].

(١) «تاريخ ابن عســاكر» ٧٦/١٤، «مختصره» ٢٦/٧، «تهذيب الكمال» ٢٣٤/٦. أُعَنِّيك: أَشُــقّ عليك.

(٢) «ملتقى الأصفياء» ٣٨ ـ ٣٩، «نور الأبصار» للشبلنجي ١٤٣.

وذكر المالقي: (أن رجلاً رفَعَ إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما رقعة، فقال: قد قرأتُها، حاجتُك مقضيةٌ، فقيل له: يا ابن بنت رسول الله ﷺ: لو نظرتَ إلى رقعته وراجعته على حسب ما فيها! فقال: أخاف أن أُسأَلَ عن ذلِّ مقامه بين يديّ حتى أقرأَهَا!!)[١].

وكان للحسن دَيْنٌ على رجل فحَلَّله منه ووَهَبه إيَّاه؛ ذكر ذلك البخاري في «صحيحه» فقال: (ووَهَبَ الحسنُ بن علي عليهما السلام لرجل دَيْنَه)[٢].

وعن إسماعيل بن أبي خالد الأَحْمسِيّ، عن أبيه[٣] قال: (أتيتُ الحسنَ بن علي فوجدتهُ قد خرج من الحمَّام، وجاريةٌ له تحلّ أثر الحنَّاء وأظفاره بقارورة، وأتيت الحسن بن علي أتقاضاه، قال: فقال: يا جارية هَلُمِّ، فأتَتْه بدراهم في قَعْب، فقال: اعدُدْهَا، فاعتددتُ حتى أخذتُ حقي، قال: فبقيتْ في يدي ثمانون درهماً، فقال: هي لك، قلت: ادعُ لي بالبركة، فدَعَا لي بالبركة في مالي وولدي وأهلي. قال ابن أبي خالد: فإنا لنعرفُ تلك الدعوة بعدُ)[٤].

وذكر ابن عبد ربه في «العقد الفريد» قال: (ذَهَب الحسن في دم، فأجابه صاحب الدم فقال: قد وضعتُ ذلك الدمَ لله ولوجوهكم، فقال الحسن: أَلَا قلتَ: قد وضعتُ ذلك الدم خالصاً؟!)[٥].

---

(١) «الشهب اللامعة في السياسة النافعة» ٤٣٩، «الحسن بن علي» للصلابي ٢٢٨ ـ ٢٢٩.
(٢) «الفتح» ٤٧/٧ كتاب «الهبة»، قبل الحديث (٢٦٠١).
(٣) أبو خالد البجلي الأحمسي، يروي عن أبي هريرة وغيره، روى عنه ابنه إسماعيل.
(٤) «المعرفة والتاريخ» ١٨٩/٢ ـ ١٩٠.
(٥) «العقد الفريد» ٦/٣.

ومن صور إحسانه وإكرامه للأكابر: (أنه دخل على أسامة بنِ زيد وهو يَجُود بنفسه، ويقول: واكَرْبَاهُ واحُزْناهُ! فقال له الحسن: وما الذي أَحزنَكَ يا عمّ[1]، فقال له: أي ابنَ رسول الله، علَيَّ دَينٌ مقدارُه ستون ألف درهم ولا أتمكن من ردِّه، فقال الحسن: سأردُّها عنك، فقال له أسامة: فَكَّ الله رِهانك يا ابن النبي ﷺ، إن الله أعلمُ حيث يجعل رسالته)[2].

وروى المدائني وغيره: أن الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر خرجوا من المدينة قاصدين الحج، ففاتَتْهم أثقالُهم ببعض الطريق، وقد أحسُّوا الجوعَ والظمأ، فرأوا خِباءً فمالوا نحوه، فوجدوا امرأة عجوزاً فسألوها: هل من شراب؟ فقالت: نعم، فحَطُّوا رحالهم، فلم يكن عندها إلا شاة، فقالت: احلبوها واشربوا لبنها، ففعلوا، فقالوا: هل من طعام؟ فقالت: هذه الشُّوَيْهة دونكم ما عندي غيرها، فأنا أقسم عليكم بالله إلا ما ذبحها أحدُكم حتى أهيِّئ لكم الحطب، فاشووها وكلوا، ففعلوا. ولما انقضت الظهيرة وأَبْرَدوا وارتحلوا من عندها، قالوا لها: يا هذه، نحن نفرٌ من قريش نريد هذا الوجه، فإذا رجعنا سالمين فأَلِمِّي بنا فإنا صانعون بك خيراً إن شاء الله تعالى، ومضَوا لشأنهم. فلما أقبل زوجُها وعلِمَ ما فعلَتْه غضب وقال لها: ويحكِ تذبحين شاتنا لقوم لا نعرفهم ثم تقولين نفرٌ من قريش!!

وبعد حين جاءت سَنَة مُجدِبة، فاضطرت المرأة وزوجها أن يدخلا المدينة يلتقطان البعر، فبينما هي في بعض سِكك المدينة ومعها مِكْتَلُها تلتقط فيه البعر؛ والحسن يومئذٍ جالس على باب داره، فنظر إليها

(١) أسامة أكبر من الحسن بأزيد من عشر سنين.

(٢) «المحاسن والمساوئ» لإبراهيم بن محمد البيهقي: ص ٥٧.

فعرفها، فناداهـا: يا أَمةَ الله هـل تعرفينني؟ فقالت: لا، فقـال: أنا أحدُ ضيوفك يوم كذا سنة كذا في مكان كذا، فقالت: بأبي أنت وأمي لستُ أعرفُكَ، فقال لها: فإنْ لم تعرفيني فأنا أعرفُك. ثم أمر غلامه فاشـترى لها من غنم الصدقة ألفَ شـاة وأعطاها معها ألف دينار! ثم أَرسلَها مع غلامه إلى أخيه الحسـين، فلما دخلَتْ عليه عرفها، وسأل الغلام: بِكَم وصلها أخي الحسن؟ فأخبره، فأمر لها بمثل ما أعطاها الحسن. ثم بعث بها إلى ابنِ عمِّهما عبد الله بن جعفر رضي الله عنهم، فلما دخلَتْ عليه عرفها، ولمَّا أخبره الغلام بِصِلة الحسـن والحسـين لهـا، قال: والله لـو بَدأَت بي لأتعبتُهما، ثم أمر لها بألفَي شاةٍ وألفي دينار! فعادتْ وقد أَخذَتْ بشاتها أربعةَ آلاف شاة وأربعة آلاف دينار!!)[1].

ومن أدبياته وطرائف أخلاقه ووقائع أيامه:

روى ابن سـعد: (أن الحسن كان ذات يومٍ جالسـاً في مكان، فأراد الانصراف، فجاءه فقير، فرحَّبَ به ولاطَفَه وقال له: إنك جلسـتَ على حينِ قيـام منَّـا أَفتـأذَنُ لـي بالانصـراف؟ قال: نعـم يا ابـنَ بنت رسول الله ﷺ)[2].

وذكَر ابن خَلِّكان: (أنه دارَ بين الحسـن والحسـين كلامٌ، فتَقاطَعَا، فقيل للحسـين: لو أتيتَ أخاك فهو أكبرُ سـنّاً منك، فقـال: إن الفضلَ للمبتدئ، وأنا أكرَهُ أن يكون لي الفضلُ على أخي، فبَلَغ ذلك الحسـن فأتاه)[3].

(١) «علموا أولادكم محبة آل بيت النبي» ١٢٦ ـ ١٢٧، «صلح الحسن» ٢٩.
(٢) «طبقات ابن سعد» بتحقيق السلمي ٢٨١/١، «تاريخ الخلفاء» ١٩٠.
(٣) «وفيات الأعيان» ٦٩/٢.

ومن جميلِ أخلاقــه ما يفعلُه مع أهل زوجاته، فمــن ذلك ما رواه إسماعيل بن أبي خالد، عن حَكيم بن جابر قال: (لما مات الأشعث بن قيس، وكانت ابنتهُ تحت الحسن بن علي، قال الحسن: إذا غسَّلتُموه فلا تُهَيِّجُوه حتى تُؤْذِنُوني، فآذَنُوه، فجاء فوَضَّأه بالحَنُوط وُضوءاً)(١).

وعن حَرْمَلَةَ مولى أســامة بنِ زيد قال: (أَرسَــلَني أسامة إلى عليٍّ، وقال: إنه سَيســأَلُكَ الآن فيقول: ما خَلَّفَ صاحِبَكَ؟ فقُلْ له: يقول لك: لو كنتَ في شِدْق الأَسَد لأحببتُ أن أكونَ معك فيه، ولكنَّ هذا أمرٌ لم أَرَه. فلم يُعطِنِي شيئاً، فذهبتْ إلى حَســن وحُسين وابن جعفر؛ فأَوْقَروا لي راحلتي!)(٢).

ومعنى الحديث: أن أســامة أرســل مولاه مــن المدينــة إلى أمير المؤمنين علي في الكوفة، يسألُه شيئاً من المال، فلم يُعطِه شيئاً! وكان عليٌّ يعتب على أسامة أنه لم يشهد معه حروبه، واعتذر أسامة بأنه يكره قتالَ المســلمين، وكان قد اعتزل الفريقين. فذَهَب حرملةُ إلى الحســن والحســين وعبد الله بن جعفر، فحملوا له على راحلته ما أطاقت حمله، وكأنهم عَلِموا بموقف علي، فعوَّضوا حرملة من أموالهم(٣).

ولما تزوَّج الحســن خَوْلة بنتَ منظور، أقام عندها سبعة أيام، فقال عبد الله بن عُمــر: لم نرَ أبا محمد منــذُ أيام، فانطلِقوا بنــا إليه، فأَتَوه،

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٢٣/٦، وبنحوه في «المعرفة والتاريخ» ٢٢٦/١، ٦٦٨/٢، و«المستدرك» ٥٢٢/٣ ـ ٥٢٣.

(٢) أخرجه البخاري (٧١١٠)، وعــزاه الدكتور علي الصلابي في كتابه: الحســن بن علي ص ٢٣٤ إلى: «ذخائر العقبى» لأبي العباس الطبري، وهذا من عجائب الصلابي وما أكثرها!!

(٣) انظر: «الفتح» ٣٨٨/١٦ ـ ٣٩٠ شرح الحديث (٧١١٠).

فقالت له خولة: احتبِسْـهم حتى نهيِّئَ لهم غداءً. قـال ابن عمر: فابتدأ الحسن حديثاً ألهانا بالاستماع إعجاباً به، حتى جاءنا الطعام)[١].

المبحث الثاني ـ عبادته:

تفتحت عينا الحسن في بيت النبوة، ورَمَق جدَّه ﷺ وهو يتلو كتاب الله تعالى ويقوم الليل حتى تتفَطَّرَ قدماه، وأحسَّ به وقد أتى حجرة ابنته فاطمة ليوقظهـا مع زوجهـا ليأخذوا حظَّهمـا من قيـام الليل، ورأى النبيَّ ﷺ وأصحابَهُ وقـد اصطفوا خلفه للصلاة، وسـمع أصواتهم في المسـجد ولهم دَوِيٌّ بالقرآن كدويِّ النحل، وترعرع فـي كَنَف والدَيْه الطاهرَيْن العابدَيْن، فرَشَـحت إلى قلبه وروحه حـلاوةُ العبادة والتبتل، وتألَّقت نفسُـه بأنوار الذكر الحكيم.... فرضع ونشأ وشَبَّ في بيئة تنبع فيها العبادة، ويشعُّ منها ضياء القرآن، وتحوطها الأذكار، وتجمِّلها الرقة والخشية والتقوى.

فَصِيغت من ذلك شـخصيةٌ باهرة متوازنة تكافئ منزلته من الشرف والسيادة، وتناغم ما كان عليه من أخلاق كريمة وشمائل رفيعة.

صلاته:

عن أبي سعيد: (أن معاوية قال لرجلٍ من أهل المدينة: أخبرني عن الحسن بن علي، قال: يا أمير المؤمنين، إذا صلّى الغَدَاة جلس في مصلَّاه حتى تطلعَ الشمس، ثم يُساند ظهرَهُ فلا يبقى في مسجد رسـول الله ﷺ رجل له شَـرَف إلا أتاه، فيتحدثون، حتى إذا ارتفع النهار صلّـى ركعتين، ثم ينهـض فيأتي أُمهاتِ المؤمنين فيسـلِّم

(١) تقدم بتمامه: ص ٣٣ حاشية (١).

عليهنْ، فربما أَتَحفْنَه، ثم ينصرف إلى منزله، ثم يروح فيصنع مثل ذلك)[١].

وعن أبي سعيد المَقْبُرِيِّ: (أنه رأى أبا رافع مولى النبي ﷺ مرَّ بحسن بن علي عليهما السلام وهو يصلّي قائماً وقد غَرَزَ ضَفْرَه في قفاه، فحلَّها أبو رافع، فالتفتَ حسنٌ إليه مُغضَباً! فقال أبو رافع: أَقبِلْ على صلاتك ولا تغضَبْ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ذلك كِفْلُ الشيطان**»، يعني مَقْعَدَ الشيطان، يعني مَغْرز ضَفْرِه)[٢].

وفي رواية ابن ماجه: (قال أبو رافع: نَهى رسول الله ﷺ أن يصلّي الرجل وهو عاقِصٌ شَعْرَه)[٣].

وفي هذا منقبةٌ جليلة للحسن حيث إنه صبر على من غيَّر هيئته وهو في صلاته، وسمِع وأطاعَ لسُنَّة رسول الله ﷺ. كما أنَّ فيه فضيلة رفيعة لأبي رافع، إذ لم يسكت عن مخالفة السُنَّة ولو كان الرجل في صلاته، ولو كان ذاك الرجل سبط النبي ﷺ.

رضي الله عن أولئك الرجال ما أَعظَمَهم، وما أَجَلَّ مكانتهم، وما أرفَعَ شأنهم وأجملَ أخلاقهم، فحياتُهم كلها طوعُ السُنَّة الشريفة وهَدْي النبي الأعظم ﷺ.

وكان الحسن رضي الله عنه يحثُّ الناس على صلاة الجماعة والسعي إلى

---

(١) «مختصر ابن عساكر» ٢٣/٧، «البداية والنهاية» ٣٧/٨.

(٢) أخرجه أبو داود (٦٤٦) واللفظ له، والترمذي (٣٨٥)، وعبد الرزاق (٢٩٩١)، وابن حبان (٢٢٧٩)، وقال الترمذي: حديث حسن، وقال شعيب: صحيح لغيره. قوله: (غرز ضفره في قفاه): أي لوى شعره وأدخل أطرافه في أصوله. وأصل الضفر: الفتل.

(٣) «سنن ابن ماجه» (١٠٤٢).

المســاجد، يقول: (مَن أَدْمَنَ الاختلاف إلى المســاجد رزقه الله إحدى خمس خصال: أخاً مستفاداً، أو رحمةً مستترة له، أو علماً مُسْتَطْرَفاً، أو كلمةً تدل على هُدى، أو يترك الذنوب خشية أو حياء)[١].

وعن أبي رَزِين قال: (خَطَبنا الحسنُ بن علي يوم جمعة، فقرأ سورة إبراهيم على المنبر حتى ختمها)[٢].

حجُّه:

عن محمد بن علي الباقر قال: (قال الحسن رضي الله عنه: إني لأستحي من ربي أن ألقاهُ ولم أمشِ إلى بيته! فمشَى عشــرين مرةً من المدينة على رجليه)[٣].

وقال عبد الله بن عباس: (ما نَدِمتُ على شــيء فاتَني في شبابي إلا أني لم أحجَّ ماشــياً، ولقد حَجَّ الحســنُ بن علي خمساً وعشرين حجّة ماشياً، وإن النَّجائبَ لتُقاد معه!!)[٤].

وجاء مثلُه عن عبد الله بن عُبيد بن عُمير قال: (لقد حجَّ الحسن بن علي خمساً وعشرين حجة ماشياً، وإن النَّجائب لتُقاد معه)[٥].

تلاوته القرآن وخشيته ورقته:

روى ابن عساكر عن أم موسى قالت: (كان الحسن بن علي إذا أوى

(١) «عيون الأخبار» لابن قتيبة ٥/٣.
(٢) «مختصر ابن عساكر» ٢٨/٧، «سير أعلام النبلاء» ٢٦٢/٣.
(٣) «الحلية» ٣٧/٢، «صفة الصفوة» ٧٦٠/١.
(٤) «مختصر ابن عساكر» ٢٣/٧ ـ ٢٤، «سير أعلام النبلاء» ٢٦٠/٣.
(٥) «المستدرك» ١٦٩/٣.

إلى فراشـــه بالليل أتى بلوحٍ فيه ســـورة الكهف فيقرؤها، فكان يُطاف بذلك اللوح معه حيث طاف من نسائه)(١).

وتقدم أن الحســـن خطب يـــوم الجمعة، فقرأ ســـورة إبراهيم حتى ختمها. وكان رضي الله عنه في عبادته وصلاته وتلاوته رقيقاً أوَّاهاً منيباً، إذا أقبل على ذلك أفرغ له قلبه وجوارحه، وقد ذكروا في سيرته أنه: (إذا فَرغ من الوضوء تغيَّر لونه، فقيل له في ذلك، فقال: حُقَّ على مَن أراد أن يدخل على ذي العرش أن يتغيَّر لونُه!)(٢).

ومن أذكاره أنه كان يقول إذا طلعت الشمس: (سَمِع سامعٌ بحمدِ الله الأعظم لا شـــريكَ له، له المُلك وله الحمد وهو على كل شـــيء قدير، سمع سامع بحمد الله الأمجد لا شـــريك له، له المُلك وله الحمد وهو على كل شيء قدير)(٣).



(١) «مختصر ابن عساكر» ٢٤/٧، «البداية والنهاية» ١٩/٨، ٣٧.

(٢) «وفيات الأعيان» ٦٩/٢.

(٣) «طبقات ابن سعد» بتحقيق السلمي ٢٩١/١.

الفصل الخامس

علمه

المبحث الأول ـ تحمله العلم ونشره له:

حفظ الحسن عن رسول الله ﷺ عدَّة أحاديث، وروى عنه جماعة من التابعين، وأحاديثُه في كتب السُنَّة قليلة، كما كان من المُقلِّين في الفُتيا، ولم يتصدَّر لنشر العلم، فلم يُحفظ عنه الكثير، بخلاف علماء الصحابة رضي الله عنهم جميعاً.

روى الحسن عن: جدِّه رسول الله ﷺ، وعن أبيه علي بن أبي طالب، وأخيه الحسين، وخاله هند بن أبي هالة التَّمِيميّ.

وحدّث عنه: ابنه الحسن بن الحسن بن علي، وأم المؤمنين عائشة، وابن أخيه عليُّ بن الحسين زين العابدين، وعبد الله بن علي بن الحسين ومحمد بن علي بن الحسين كلاهما مرسَل، وإسحاق بن يَسَار، وجُبير بن نُفَيْر، وأبو الحَوْراء ربيعة بن شَيْبان، وسُويد بن غَفَلَة، وأبو وائل شَقِيق بن سَلَمة، وعامر الشعبيُّ، ومولاه عبد الله بن رافع، وعِكْرمة مولى ابن عباس، وعَمْرو بن قيس، وعُمير بن إسحاق، ومحمد بن سيرين، والمُسيَّب بن نَجَبَة، وأبو مِجْلَز لاحِقُ بن حُميد، وهُبيرة بن يَرِيم، ويوسف بن سَعْد، وغيرهم.

عدد أحاديثه:

روت له كتب السُّـنَّة (١٣) حديثاً، وله في مسـند أحمد (١٢) حديثاً بالمكرر.

ما سمعه الحسن من جدِّه ﷺ، ونماذج من ذلك:

لما توفِّي النبي ﷺ كان عمر الحسـن نحو ثماني سنين، وقد حفظ عن جده ﷺ أحاديث قليلة.

١ ـ عن أبي الحَوْراء ربيعةَ بنِ شَيْبان السَّعْدِيِّ، عن الحسن بن علي قال: (عَلَّمَنِي رسـولُ الله ﷺ كلمـات أقولهنَّ في قنوت الوِتـر: «**اللَّهمَّ اهْدِني فِيمن هَدَيْتَ، وعافِني فيمن عافِيتَ، وتولَّني فيمن توليتَ، وبارِكْ لي فيما أعطيتَ، وقِني شَـرَّ ما قضيتَ، فإنك تَقضي ولا يُقضَى عليكَ، إنه لا يَذِلُّ من واليتَ، تباركتَ ربَّنا وتَعالَيْتَ**»)[١].

٢ ـ وعن أبي الحَوْراء السَّعْدِيِّ قال: (قلتُ للحسنِ بن علي: حدِّثْني بشيء حَفِظْتَه من رسـول الله ﷺ لم يحدِّثْكَ به أحد، قال: قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**دَعْ ما يَرِيبُكَ إلى ما لا يَرِيبُكَ، فإِنَّ الخيرَ طمأنينةٌ والشَّرَّ رِيبةٌ**».

وأُتي النبي ﷺ بشـيءٍ من تَمْر الصَّدَقة، فأَخذتُ تمـرةً فألقيتُها في فيَّ، فأَخذَها بِلُعابِها حتى أعادَها في التمر، فقيل له: يا رسولَ الله ما كان عليكَ من هذه التمرةِ من هذا الصبيِّ؟! فقال: «**إنَّا آلَ محمدٍ لا يَحِلُّ لنا الصَّدَقةُ**».

(١) أخرجه أحمد (١٧١٨) واللفظ لـه، وأبو داود (١٤٢٥)، والترمذي (٤٦٨)، والنسـائي في «الكبرى» (١٤٤٦)، وابن ماجه (١١٧٨)، وصححه أحمد شاكر والألباني وشعيب.

وسمعتُ رسولَ الله ﷺ يدعو بهذا الدعاء: «**اللَّهمَّ اهْدِنا فيمن هَدَيْتَ، وعافِنا فيمن عافَيتَ، وتوَلَّنا فِيمــن تَولَّيْتَ، وبارِكْ لنا فيما أَعْطيتَ، وقِنا شَــرَّ ما قَضيتَ، إنك تَقْضي ولا يُقضَى عليكَ، إنَّــه لا يَذِلُّ من واليتَ، تبارَكْتَ وتَعالَيْتَ**»(١).

٣ ـ وعن الحســن قال: سمعتُ جَدِّي رســول الله ﷺ يقول: «**ما مِن عبدٍ يصلِّي صلاةَ الصبح، ثم يجلس يَذكُر الله حتى تطلعَ الشــمس؛ إلا كان ذلك له حِجَاباً من النار**»(٢).

٤ ـ وعن الحسن قال: قال رســول الله ﷺ: «**مَن قرأَ آيةَ الكُرسيّ في دُبُرِ الصلاة المكتوبة كان في ذِمَّة الله إلى الصلاة الأخرى**»(٣).

٥ ـ وعن الحســن قال: صَعد رســول الله ﷺ المنبرَ يومَ غزوة تبوك، فَحَمِدَ اللهَ وأثنَى عليه ثم قال: «**يا أيها الناس إني ما آمرُكم إلا ما أَمرَكُم به الله، ولا أَنهاكم إلا عن ما نَهاكم اللهُ عنه؛ فأَجْمِلُوا في الطَّلَب، فوالذي نفسُ أبي القاسم بيدِهِ إنَّ أحدَكم لَيَطْلبُه رِزْقُه كما يَطلُبُه أَجَلُه، فإن تعسَّرَ عليكم منه شيء فاطْلُبُوه بطاعة الله ﷻ**»(٤).

---

(١) أخرجــه بتمامه عبد الــرزاق (٤٩٨٤)، وأحمــد (١٧٢٣)، وابن حبــان (٧٢٢) واللفظ له، وأخرج القســم الأول: الترمذي (٢٦٨٧)، والطيالســي (١١٧٨)، والحاكم ١٣/٢ و٩٩/٤، وغيرهم، وصححه الترمذي والحاكم ووافقه الذهبي.

(٢) ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠٦/١٠ وقال: رواه الطبراني في «الصغير و«الأوســط» وفيه الحسن بن أبي جعفر الجُفْري وهو ضعيف من قبل حفظه وهو في نفسه صدوق وبقية رجاله رجال الصحيح، وأخرجه ابن الأثير في «أسد الغابة» ١١/٢.

(٣) ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٤٦/٢ وقال: رواه الطبراني في «الكبير» وإسناده حسن.

(٤) ذكره الهيثمــي في «مجمــع الزوائــد» ٧١/٤ ـ ٧٢ وقــال: رواه الطبراني فــي «الكبير» وفيه عبد الرحمن بن عثمان الحاطبي ضعفه أبو حاتم. قلت: وذكره ابن حبان في الثقات، ويشهد له حديث جابر بن عبد الله، وهو حديث صحيح، انظر: «سنن ابن ماجه» (٢١٤٤) مع تخريجه.

فقهه ونشره العلم:

قسَّمَ العلماءُ الصحابةَ ﷺ الذين حُفِظتْ عنهم الفتوى إلى ثلاثة أقسام من حيث كثرةُ الفُتيا وقلَّتُها، وهم (١٤٢) رجلاً و(٢٠) امرأة:

القسم الأول: المكثرون في الفُتيا، سبعة أنفس.

القسم الثاني: المتوسطون منها، عشرون نفساً.

القسم الثالث: المُقِلّون منها، وهم الباقون من (١٦٢) نفساً.

والحسن وأخوه الحسين من هذا القسم الأخير.

وهؤلاء ﷺ لا يُروى عن الواحد منهم إلا المسألة والمسألتان، والزيادة اليسيرة على ذلك، يمكن أن يُجمع من فُتيا جميعِهم جزء صغير فقط بعد التقصي والبحث(١).

ومما وقفتُ عليه في هذا: ما أورده البخاري في «كتاب الذبائح والصيد ـ باب قول الله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ [المائدة: ٩٦]، قال البخاري:

(وركبَ الحسنُ عليه السلام على سَرْجٍ من جُلودِ كلابِ الماء)(٢).

●● وجاءت عن الحسن أخبار نزرة يسيرة في نشره العلم:

عن شُرَحْبيل بن سَعْد قال: (دعا الحسن بن علي بَنيه وبَني أخيه فقال: يا بَنيَّ وبني أخي إنكم صغارُ قوم يوشِك أن تكونوا كبارَ آخَرين،

---

(١) رسالة «أصحاب الفتيا» لابن حزم، ملحق بجوامع السيرة له ٣١٩ ـ ٣٢٣، «إعلام الموقعين» ١٢/١ ـ ١٤.

(٢) «الفتح» ٤١٦/١٢، قبل الحديث (٥٤٩٣).

فتعلَّموا العلم، فمن لم يستطع منكم أن يرويَه أو يحفظَه فَلْيَكْتُبْه ولْيَضَعْه في بيته)[١].

وكان ﵁ إذا صلّى الفجر جلس في مصلَّاه حتى تطلع الشمس، ثم يُسانِد ظهره، فلا يبقى في مسجد رسول الله ﷺ رجل له شرفٌ إلا أتاه، فيتحدثون[٢].

وفي مرض موته دخل عليه عُمير بن إسحاق في آخرين، قال عُمير: (دخلتُ أنا ورجل من قريش على الحسن بن علي، فقام فدخل المَخْرَجَ، ثم خرج فقال: لقد لَفظتُ طائفة من كبدي أقلِّبُها بهذا العود، ولقد سُقِيتُ السمَّ مراراً، وما سُقِيتُه مرةً هي أشدُّ من هذه! قال: وجعل يقول لذلك الرجل: سَلْني قبل أن لا تسألَني، قال: ما أَسألُك شيئاً، يُعافِيك الله)[٣].

وكان يخطب الناس يوم الجمعة، ويعلِّمهم أمور دينهم، ويتلو عليهم القرآن، وربما قرأ السورة الطويلة بتمامها[٤].

المبحث الثاني ـ من أقواله وحِكَمه ومواعظِه وخُطَبه:

●● قال محمد بن يزيد المُبَرِّد: (قيل للحسن بن علي: إن أبا ذر يقول: الفقرُ أحبُّ إليَّ من الغنى، والسقمُ أحبُّ إليَّ من الصحة! فقال: رحم الله أبا ذر، أمَّا أنا فأقول: مَن اتَّكلَ على حُسن اختيار الله له لم

(١) «مختصر ابن عساكر» ٣٣/٧، «تهذيب الكمال» ٢٤٢/٦.
(٢) مرّ مطولًا: ص ١١٦ ـ ١١٧ حاشية (١).
(٣) «مختصر ابن عساكر» ٣٨/٧ ـ ٣٩، وسيأتي بتمامه في «مبحث وفاته».
(٤) انظر ما تقدم: ص ١١٨ حاشية (٢).

يَتَمنَّ أنه في غير الحالة التي اختار الله تعالى له، وهذا حدُّ الوقوف على الرضا بما تصرَّف به القضاء)[١].

وقال الحسن: (يا ابن آدم عِفَّ عن محارم الله تكنْ عابداً، وارضَ بما قَسَم الله لك تكن غنياً، وأَحْسِنْ جوارَ مَن جاورك تكن مسلماً، وصاحِبِ الناسَ بمثل ما تحبُّ أن يصاحبوك بمثله تكن عادلاً. إنه كان بين أيديكم قوم يجمعون كثيراً، ويَبنون مَشيداً، ويأملون بعيداً، أصبح جمعُهم بُوراً، وعملُهم غُروراً، ومساكنُهم قبوراً!! يا ابن آدم إنك لم تَزَلْ في هَدْم عمرِك منذ سقطتَ من بطن أمِّك، فَجُدْ بما في يدِك لِما بين يدَيْك، فإن المؤمن يتزود والكافر يتمتع، وتلا هذه الآية: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧])[٢].

ومن روائع حِكَمه قوله: (مَن طلب الدنيا قَعدَتْ به، ومَن زهد فيها لم يُبالِ مَن أَكلها، الراغب فيها عبدٌ لمن يملكها، أدنى ما فيها يكفي وكلُّها لا تُغني! مَن اعتدل يومه فيها فهو مغرور، ومن كان يومه خيراً من غدِه فهو مَغْبون، ومن لم يتفقد النقصان من نفسه فإنه في نقصان، ومن كان في نقصان فالموت خير له!)[٣].

•• ومن لطائف كلامه في التودُّد إلى الناس وقضاءِ حوائجهم؛ قوله:

(إن حوائجَ الناس إليكم من نِعَمِ الله عليكم، فلا تَملُّوا النِّعمَ فتَحُورُ نِقَماً، واعلموا أن المعروف مُكْسِب حمداً ومُعْقِب أجراً، فلو رأيتم المعروفَ رجلاً رأيتموه حسناً جميلاً يَسرُّ الناظرين ويفوق

(١) «مختصر ابن عساكر» ٢٩/٧، «سير أعلام النبلاء» ٢٦٢/٣، «البداية والنهاية» ٣٩/٨.
(٢) «نور الأبصار» للشبلنجي: ص ١٢١.
(٣) «كنز العمال» ٢٢٢/٨، «حياة الصحابة» ٥٢١/٣. من اعتدل يومه: أي كان يومه كأمسه.

العالمين، ولو رأيتم اللؤمَ رأيتُم سَـمْجاً مشـوَّهاً تنفـر عنه القلوب والأبصار)(١).

وقال: (هلاكُ الناس في ثلاث: في الكِبْر والحِرصِ والحسدِ، فالكِبْرُ هلاكُ الدين وبه لُعِن إبليس، والحرص عـدوّ النفس وبه أُخرج آدم من الجنة، والحسدُ رائد السوء ومنه قَتل قابيلُ هابيلَ)(٢).

وعن جُعَيْد بن هَمْدان: (أن الحسـن بن علي قال لـه: يا جُعيد بنَ هَمْدان، إن الناس أربعة: فمنهم مَن له خَلَاقٌ وليس له خُلُقٌ، ومنهم مَن له خُلق وليس له خَلَاق، ومنهم من ليس له خُلُق ولا خَلَاق؛ فذلك أشرُّ الناس، ومنهم مَن له خُلق وخَلَاق فذلك أفضلُ الناس)(٣).

وعن الحسن قال: (اعلموا أن الحِلْمَ زينةٌ، والوفاء مروءة، والعَجَلة سَفَهٌ، والسَّـفَه ضعفٌ، ومجالسـةَ أهل الدناءة شَـيْنٌ، ومخالطةَ أهلِ الفِسْق رِيبَةٌ)(٤).

ومن أقواله في الأخلاق: (مكارمُ الأخلاق عشـرة: صِدْق اللسـان، وصِدْق البأس، وإعطاءُ السـائل، وحُسـن الخلق، والمكافأة بالصنائع، وصِلة الرحم، والترحم علـى الجار، ومعرفةُ الحـق للصاحب، وقِرى الضَّيف، ورأسهن الحياء)(٥).

---

(١) «الشهب اللامعة في السياسة النافعة»، للمالقي: ص ٤٤١. تحور: ترجع.

(٢) «ملتقى الأصفياء» ٤٢.

(٣) «مختصر ابن عساكر» ٢٩/٧، «تهذيب الكمال» ٢٣٥/٦ ـ ٢٣٦. الخَلَاق: النصيب الوافر من الخير، والخُلق: السَّجِيَة والطبع والمروءة.

(٤) «سير أعلام النبلاء» ٢٦٣/٣، «حياة الصحابة» ٥٢١/٣.

(٥) من أقوال الصحابة لمحمد خورشيد: ص ٦٨.

●● وتأمَّلْ هــذه الفصاحة والبلاغَــة والدقة والروعــة في إجابات الحسن على ســؤالات أبيه الذي أراد منها ترقيةَ ملكاتِ ابنه واستخراجَ مكنونات قلبه وفكره وآدابه:

روى الإمام الحافظ أبو الفرج المُعافَى بن زكريا بإسناده إلى الحارث الأعور: (أن علياً عليه السلام سأل ابنه الحسن عن أشياء من أمر المروءة، فقال:

يا بُنيَّ ما السَّدادُ؟ قال: يا أَبَهْ، السدادُ دفعُ المنكر بالمعروف.

قال: فما الشرفُ؟ قال: اصطناعُ العَشيرة وحملُ الجَرِيرة.

قال: فما المروءةُ؟ قال: العفافُ، وإصلاحُ المرء ماله.

قال: فما الدِّقْةُ؟ قال: النظر في اليسير، ومنعُ الحقير.

قال: فما اللؤمُ؟ قال: إحرازُ المرء نفسَه، وبذله عِرْسَه من اللؤم.

قال: فما السماحةُ؟ قال: البذلُ في اليُسر والعُسر.

قال: فما الشحُّ؟ قال: أن ترى ما في يديك شَرَفاً وما أنفقْتَه تَلَفاً.

قال: فما الإخاءُ؟ قال: الوفاء في الشدة والرخاء.

قال: فما الجُبْنُ؟ قال: الجرأةُ على الصديق والنكولُ عن العدو.

قال فما الغَنيمة؟ قــال: الرغبة في التقوى والزهــادة في الدنيا هي الغنيمة الباردة.

قال: فما الحِلْمُ؟ قال: كظمُ الغيظ ومَلْكُ النفس.

قال: فما الغِنى؟ قــال: رضاءُ النفس بما قسَــمَ الله ﷻ لها وإنْ قَلَّ، فإنما الغنى غِنى النفس.



قال: فما الفقر؟ قال: شَرَهُ النفس في كل شيء.

قال: فما المَنَعَةُ؟ قال: شدَّة البأس، ومقارعةُ أشدّ الناس.

قال: فما الذّلُّ؟ قال: الفَزَع عند المَصْدُوقة.

قال: فما الجرأةُ؟ قال: مواقَفَةُ الأقران.

قال: فما الكُلْفَة؟ قال: كلامُك فيما لا يَعنيك.

قال: فما المجدُ؟ قال: أن تعطي في الغُرْم، وأن تعفوَ عن الجُرْم.

قال: فما العَقْل؟ قال: حِفظُ القلب كلَّ ما استرعَيْتَه.

قال: فما الخُرْقُ؟ قال: معاداتُكَ إمامَك، ورفْعُكَ عليه كلامَك.

قال: فما السَّنَاءُ؟ قال: إتيانُ الجميل، وتَرْكُ القبيح.

قال: فما الحَزْم؟ قال: طولُ الأنـاة، والرِّفْقُ بالولاة، والاحتراسُ من الناس بسوء الظن هو الحزم.

قال: فما الشَّرَف؟ قال: موافقةُ الإخوان، وحفظُ الجيران.

قال: فما السَّفَه؟ قال: اتباعُ الدُّنَاةِ، ومصاحبةُ الغُواة.

قال: فما الغَفْلَة؟ قال: تركُكَ المسجدَ، وطاعتُكَ المفسدَ.

قال: فما الحِرْمان؟ قال: تركُكَ حظَّك وقد عُرِض عليك.

قال: فما السـيِّدُ؟ قال: الأحمقُ في ماله والمتهاون في عِرْضه يُشتم فلا يجيب والمتحزِّن بأمرِ عشيرته هو السيد).

قـال أبو الفَـرج المعافى بن زكريـا: (في هذا الخبر مـن جوابات

الحسن أباه عمَّا ساءَلَه عنه من الحِكْمة وجَزيلِ الفائدة ما يَنتفِعُ به مَن راعاه وحَفِظه ووعاه وعَمِل به، وأدَّبَ نفسه بالعمل عليه، وهذَّبها بالرجوع إليه، وتتوفر فائدته بالوقوف عنده)(١).

وسأله معاوية بن أبي سفيان عن بعض مكارم الأخلاق، فروى الأَصْمَعِيُّ عن عيسى بن سُليمان قال: (سأل معاويةُ الحسنَ بن علي عن الكَرم والنَّجْدة والمروءة، فقال الحسن: الكرمُ: التبرعُ بالمعروف، والعطاءُ قبل السؤال، وإطعامُ الطعام في المحل. وأما النَّجدة: فالذّبَّ عن الجار، والصبرُ في المَوَاطن، والإقدامُ عند الكَرِيهة. وأما المروءة: فحِفْظُ الرجلِ دينَه، وإحراز نفسه من الدَّنَس، وقيامُه بضيفِه، وأداء الحقوق، وإفشاءُ السلام)(٢).

وكان له أخٌ مقرَّب إليه، عظيمُ المنزلة عنده، فبيَّنَ الحسن لِمَ تبوَّأ هذه المكانة فقال:

(كان رأسُ ما عظَّمه في عيني صِغرَ الدنيا في عَيْنه. كان خارجاً من سلطان بطنه فلا يشتهي ما لا يجدُ، ولا يَكنز إذا وَجد. وكان خارجاً من سلطان فَرْجه، فلا يستخفَّ له عقله ولا رأيه. وكان خارجاً من سلطان الجَهَلة، فلا يمدّ يداً إلا على ثقة المنفعة. كان لا يَسخط ولا يتبرَّم. كان إذا جاء مع العلماء يكون على أن يَسمع أحرصَ منه على أن يتكلم. كان إذا غُلِب على الكلام لم يُغلَب على الصمت. كان أكثر دهره صامتاً،

(١) «الحلية» ٢/٣٥ ـ ٣٦، «مختصر ابن عساكر» ٧/٣٠ ـ ٣٢، «تهذيب الكمال» ٦/٢٣٨ ـ ٢٣٩، «البداية والنهاية» ٨/٣٩، ٤٠، وله تتمة تقدمت: ص ٥٥ حاشية (٣). المصدوقة: الحملة التي لا يُخجَم عنها فليس لها مَكْذوبة. الخُرَق: الحُمق. المتحزِّن: المهتم.

(٢) «تهذيب الكمال» ٦/٢٤١ ـ ٢٤٢، «مختصر ابن عساكر» ٧/٣٢.

فإذا قال بَذَّ القائلين. كان لا يُشارك في دعوى، ولا يَدخل في مِراء، ولا يُدلي بحُجَّة حتى يُرى قاضيا. كان يقول ما يفعل، ويفعل ما لا يقول تفضُّلاً وتكرُّماً. كان لا يَغفل عن إخوانه، ولا يستخص بشيءٍ دونهم. كان لا يلوم أحداً فيما يقع العُذر في مثله. كان إذا ابتدأه أمران لا يَدري أيُّهما أقربُ إلى الحق نَظر فيما هو أقربُ إلى هواه فخَالَفَه)[1].

نماذج من خُطَبه:

من أجلِّ خطبه ما رثى به أباه أميرَ المؤمنين عندما استُشهد، فقد روى هُبَيْرة بن يَرِيم قال: سمعتُ الحسن بن علي قام فخطب الناس فقال:

(يا أيها الناس، لقد فارقكم أمسِ رجلٌ ما سَبَقه الأوَّلون ولا يُدركه الآخِرون، لقد كان رسول الله ﷺ يبعثُه المبعث فيُعطيه الرايةَ، فما يَرجعُ حتى يفتحَ الله عليه، جبريلُ عن يمينه وميكائيلُ عن شِماله! ما تَرَكَ بيضاءَ ولا صفراءَ، إلا سبعَ مئة درهم فَضَلتْ من عطائه، أراد أن يشتري بها خادماً)[2].

وقد رويت هذه الخطبة مطوَّلة ومختصرة، وفي بعض الروايات ألفاظ منكَرة باطلة، مثل قوله: (ذكر أميرَ المؤمنين علياً خاتمَ الأوصياء، ووصيَّ الأنبياء، وأمينَ الصديقين والشهداء!)[3].

---

(١) «مختصر ابن عساكر» ٣٠/٧، «البداية والنهاية» ٣٩/٨.

(٢) أخرجه أحمد (١٧١٩)، والنسائي في «الكبرى» (٨٣٥٤)، وابن حبان (٦٩٣٦)، وابن سعد ٣٨/٣ ـ ٣٩، وغيرهم، وصححه أحمد شاكر.

(٣) انظر: «مجمع الزوائد» ١٤٦/٩، «مقاتل الطالبيين» ٦٢، «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ٢٤٤/٨.

ولمَّا اعتدى عليه بعضُ جند جيشه وحاولوا قتْلَه، فطَعَنه أحدهم بِخَنْجرٍ في وَرِكه، وتمرَّض من ذلك، قام فخطب على المنبر فقال:

(يا أهلَ العراق، اتقوا الله فينا فإنّا أمراؤكم وضيفانكم، ونحن أهلُ البيت الذين قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فما زال يومئذٍ يتكلم حتى ما ترى في المسجد إلا باكياً)[1].

ويقول عامر الشعبي: (شهدتُ خطبة الحسن رضي الله عنه حين سَلَّم الأمرَ إلى معاوية، قال: فحمِدَ الله وأثنى عليه، ثم قال: أمّا بعد؛ فإنّ أَكْيَسَ الكَيْس التُّقى، وأحمقَ الحمقِ الفجورُ، وإن هذا الأمر الذي اختلفتُ أنا ومعاوية إنما هو حقٌّ لامرئ، فإنْ كان له فهو أَحَقُّ بحقِّه، وإن كان لي فقد تركْتُه له، إرادةَ إصلاح الأُمة وحَقْنِ دمائها: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الأنبياء: ١١١]، ثم نزل)[2].



---

(١) ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٧٢/٩ وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٢) «المعرفة والتاريخ» ٤١١/٣، «السنن الكبرى» للبيهقي ١٧٣/٨، «سبل الهدى والرشاد» ٥٢٣/١١.

وانظر: المزيد من خطبه عند حديثنا عن (بيعته بالخلافة)، (تنازله عن الخلافة لمعاوية).

الفصل السادس

مزاياه ومكونات شخصيته

يتفاوت الرجـال الكبـار بخصائصهـم ومزاياهـم وبصماتهم في المجتمع والأُمة وآثارهم التي يسطِّرونها في التاريـخ؛ بما ورثوه من أصولهـم، وبما مَنَحهـم الله تعالى مـن مَلَكات وإمكانـات وطاقات، وبمقدار ما اسـتغلّوها ووظَّفوها في خدمة جيلهم ومجتمعهم، وبمدى إخلاصهم ومصداقيتهم فـي أعمالهم ومشـاريعهم، وبطبيعة المجتمع الذي عاشوا فيه وبنيته من أفكار وقيم واتجاهات....

وقد تميّز الحسن بمزايا فذة باهرة، ووهبه الله ملكاتٍ جليلة، ووَرث خصائص كريمة وشمائل شريفة، ونشأ في بيئة حاضنة نادرة التكرار في تاريخ الرجال، وعاش في مجتمع طاهـر نبيل مع ما اعْتَوَره من أحداث جليلة وما طرأ عليه من فتن وتحديات فاقرة وأفكار ومخططات خطيرة!

انبثـق فرعُه من بني هاشـم ونَسَـلَه رسـول الله ﷺ وولدتْه فاطمة الزهراء، ونشأ في محاضن النبوة ومهبط الرسالة ومتنزَّل القرآن، وتولى تربيته أعظمُ مربٍّ في التاريخ فصُنِع علـى عين النبي ﷺ، واغتذى من مَعين هَدْيه ورضع مـن لُبان أخلاقه وترعرع على قيم الإسـلام الغضَّة النقية التي يحملها الأمين جبريل في غدواته وروحاته ويتمثَّلها المربي الأعظم ﷺ وأهلُ بيته في كل شـؤونهم... وكَبِر وشَـبَّ في بيت علي

وفاطمة حيث الشرف والسيادة والكرم والنبل وأرفع مكارم الإنسانية، ووَرث من هذا الأصل المُعْرِق في أكرم الشمائل كلَّ خير وفضيلة ونُبل وصلاح وإصلاح.

ووهبه الله تعالى عقلاً وفكراً وحَصَافة وأخلاقاً وخصالاً تكافئ أصلَه وموروثه ومنبته وتربيته... فتكوّن من ذلك جميعاً ذاكم الرجل العظيم الذي عبَّر عنه جده رسول الله ﷺ بأنه (سيد في الدنيا) سيُصلح الله به أُمته ويجمع شملَها ويوحد كلمتها، وبأنه كذلك (سيد في الآخرة) مع أخيه الحسين؛ فهما سيدا شباب أهل الجنة ما عدا ابنَي الخالة عيسى ويحيى.

ولم يَخْتَل الحسن بتلك الصفات والموروثات والمواهب على غيره، ولم يَركن إلى تلك العوامل التي رَعَتْه وصاغته ونشَّأتْه، ولا إلى ذاك الثناء الذي نالَهُ عن استحقاق وأنه من أهل البيت... بل كانت عقليتُه وعزماته وأعماله ومواقفه وممارساته مضاهيةٌ لكل تلك العوامل التي صاغت شخصيته؛ فاستغلَّها وصاغها ووظَّفها في سيرورة حياته مُذْ كان فتىً ثم شاباً في عصر الخلفاء الراشدين الأربعة وإلى أن بويع بالخلافة ثم تنازل عنها بعد مُدَيْدة، ليحقنَ دماء الأُمة ويجمع شملَها ويوحد كلمتها ويُصلح أحوالها، وليحقق بذلك أملَ جدِّه ﷺ وترجِّيه ونبوءتَه الصادقة فيه.

لقد كان الحسن مَعْلَمَةً بارزة في تاريخ الأمة في صدرها الأول، فكان بحقٍّ رجلَ قيادة وسيادة وصلاح وإصلاح، عالماً بأحوال الإسلام والمسلمين، فقيهاً بواقعهم، متحرِّراً من ضغط السلطة والسمعة والمجتمع والعامة، عبقرياً في فهم طبائع عصره ومؤيِّديه ومخالِفيه،



غائراً في فقه الأحداث وسياسة الحكم ومتطلبات السلطة والقيادة، زاهداً بالدنيا وزخارفها وألقابها ومغرياتها، حليماً مُتَّئِداً واسعَ الصدر، سخيّاً نبيلاً متواضعاً، مهتماً غاية الاهتمام بمصالح الدين والأُمة، معظِّماً لأمر الآخرة واحتساب كل عمل لوجه الله تعالى.

وفي هذا الفصل نلخص أبرزَ العوامل التي كوَّنتْ شخصيةَ الحسن وصاغت سيرته، وأبرزَ المرتكزات التي اعتمدها في حياته الخاصة والعامة وأعمالِه وبرنامجه الإصلاحي الفريد.

١ ـ أصله وموروثاته ونشأته وأهميتها في صياغة شخصيته:

من أهم وأخطر ما يصوغ شخصية الإنسان الأصلُ الذي انبثق منه والخصال والشمائل التي يرثها من أُسرته وعشيرته، والمنهج الذي يسير على هَدْيه، والقيم التي ينشأ عليها، والأسلوب التربوي الذي يوجِّهه ويرعاه، والشخصية التي تتولى جميع ذلك بالتربية والتنشئة والمتابعة والرعاية والتوجيه والترشيد والتسديد.

وهذا الأصل الأصيل في بناء الشخصية ورعايتها قد أخذ منه الحسن بأوفر نصيب، بل لم يُتَحْ لأحدٍ من الناشئة مثلُه! فجدُّه رسول الله ﷺ سيد الخلق وقدوة البشرية وفخرُ الإنسانية في كل صفة من صفات الخير ومنقبة من مناقب الشمائل وخصلة من خصال العقل والقلب والفكر والرأي والتربية والتعليم..... وجدَّتُه خديجة أم المؤمنين العاقلة الطاهرة الحسيبة النسيبة فريدة عصرها وسيدة نساء زمانها ومضرب المَثَل في الشرف والمنزلة والفطنة والعقل والطهر والعفاف. وأمه البَضْعَة النبوية وأفضلُ بنات الرسول ﷺ وإحدى سيدات المسلمات في

الدنيا والآخرة. وأبوه علي بن أبي طالب ربيب النبوة وابن سيد قريش، وأحد السابقين إلى الإسلام، ومن رجال الدهر إيماناً ويقيناً وشجاعة ونبلاً وحياءً، وعلماً وعملاً وفصاحة وأدباً....

من هؤلاء السادة انبثق أصلُ الحسن، وفي ربوعهم خرج شَطْؤه واستغلظ واستوى وشَبَّ ونَبَغ، ومن مَعينهم نَهَل، وعلى هديهم سار، ووَفْقَ منهجهم عمِل.

لقد تولاه النبي ﷺ بالتنشئة والتوجيه والتعليم والتربية، وصنعه على عينه، وغَذَاه من حِكَمه وآدابه وشمائله، ورعاه سنين عدداً من وقت ولادته وإلى أن لَحِق ﷺ بربِّه، فمن أول ساعة من عمرِ الحسن قام النبي ﷺ بتغيير اسمه من (حرب) إلى (الحسن)، وبقي يرعاه ويتولاه في ليله ونهاره وحِلِّه وترحاله وجَلواته وخَلواته، حتى إنه لَيأذَنُ له ولأخيه الحسين أن يصطرعا ليتدرّبا على الفتوة والقوة، ويقول: خُذ يا حسن... هِيه يا حسين... ويلاعبه ويعانقه. كذلك كان يغرس فيه خصائص آل البيت فينتزع من فيه (تمرة من تمر الصدقة)...

ثم انتقل الحسن بعد وفاة جدِّه ﷺ إلى مرحلة أخرى تولَّته أُمه مدة قصيرة ثم تابع المهمة سنين طويلة جداً أبوه أبو الحسن الذي نَفَحه من خِلاله وخصاله وآدابه وعلومه ما تمَّمَ به البناءَ الذي أسسه النبي ﷺ، فكان من تكامل تلك الجهود ذاكم الغرس الباسق، والرجل الذي فَخر به جدُّه وأبوه وأمه، وامتدحه الصحابة الكرام، وأثنى عليه القريب والبعيد، وصدق قول الله تعالى فيه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وقوله ﷻ: ﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣٤].

٢ ـ السيادة وصفات القيادة الرشيدة:

وهـــذه المزيَّة خَلَعها عليه وأثبتها له رســـولُ الله ﷺ، وبهذا الوصف النبوي أصبحت السيادة عَلَماً على الحســـن ﷺ، وصدَّقها هو بأفعاله، وأثبتَها له التاريخُ وألسنة الأُمة التي انتفعت به وبأعماله الجليلة.

ومن متطلبات الســـيادة وخصائصها ومرتكزاتهـــا: المَحْتِد الكريم، والشرف الأصيل، والشـــمائل الحميدة من النُّبل والحِلم والكرم والزهد والتواضـــع والصلاح والإصلاح، وقيادة الأُمـــة والمجتمع، وبروز دوره بحيث يُشـــار إليه بالبَنان ويُلجأ إليه في الملمَّـــات والحوادث الجليلة، ويُســـمع لرأيه ويُعمل بقوله ويُطاع من الخاصة والعامة..... وهكذا كان الحسن.

ومن أجـــلّ خصائص الســـيادة وضرورياتها: الإصـــلاحُ بين الناس، وحســـنُ سياســـة المجتمع والجماعات والنُّخب ورموز الأُمة، وتوحيد كلمتها وتجنيبُها الأخطار المُحدِقة، واســـتنقاذُها مـــن براثن الاختلاف والتشرذم والتنافر... وهذا ما أشار إليه النبي ﷺ وربطه بالسيادة من بين ركائزها وعناصرها الأخرى؛ فقال: «ابني هذا سيد، وسيُصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»؛ فجعل ﷺ (الإصلاح) قرين (السيادة)!

فما قيمةُ ســـيد شـــريف أو قائد سياســـي أو زعيم كبير، إذا لم يَلمَّ شَـــعَثَ الأمة ويَجمع شـــملها ويوحّد كلمتها، ويقودها إلى برِّ الأمان، وصلاح الدين والدنيا، وحَقْنِ الدماء وحفظِ الأعراض والأموال، وصيانة الدولة عن التشظي، ويُطفئ جذوة الفتن، ويمسح بيده الحانية وحكمته الراسخة عن القلوب أضغانَها وينتزع منها سَخائِمَها؟!.

إن المتأمل في هَدْي الحسن وسيرورة تاريخه وأعماله وأقواله وأشواقه ومواقفه في مختلِف أطوار حياته؛ يجده رجلاً شامخاً بارزاً بين الناس، سيِّداً في مجتمعه، رئيساً مطاعاً في ناديه وعشيرته وأصحابه وأتباعه.... وكانت صفاته وخصائصه وخصاله تتناغم جميعُها وتأتمر بتوجيهات سيادته وقيادته في مجتمعه وأُمته، ولا يُعكِّر على هذه الخَصِيصة الأصيلة والمكوِّن الأساس في شخصيته؛ وجودُ أصوات ناشزة هنا وأعمالٌ نافرة هناك تحاول التشويشَ عليه في تحقق هذه المَزيّة الشريفة فيه، رضي الله عنه وأرضاه.

٣ ـ العلم والفِقه:

لسنا نعني بالعلم والفِقه كثرةَ الرواية والاتساعَ في الفتيا وحفظَ الأحكام وتفريعَ المسائل، فكلُّ هذا مطلوب ومحمود ومرغوب فيه لا ريب، والحسن رضي الله عنه لم يكن من مشاهير حَفَظَة الآثار ولا من كبار الفقهاء، على المعنى الشائع بين الناس. وكثيرٌ من الصحابة لم يُعرفوا بذلك أيضاً، مع كونهم علماء الأمة وفقهاءها وقدوتها في كل خير.

بَيْدَ أن الذي نقصده بالعلم والفقه هنا هو: العلمُ ببواطن الأمور، والخبرةُ بأحوال الأُمم والجماعات وحركة المجتمعات، وفقهُ الواقع، واستقراءُ الأحداث وفهمُ مآلاتها، والمعرفةُ بمكونات المجتمع وتطلعات النُّخَب والأحزاب وأصحاب الأهواء، وفقهُ الأولويات، وتقديمُ مصالح الدين والدولة والأُمة..... وكم قرأنا وسمعنا وشهدنا على مرِّ التاريخ أناساً لا يُشار إليهم بالتوسع في العلم والرواية والفقه وحفظ المتون ونحو ذلك، وفي الوقت ذاته وجدناهم علماءَ بأحوال العالم من حولهم فضلاً عن أمتهم أو دولتهم أو بلدتهم، خبراءَ بتقلبات



التاريـخ وتغيّـرات المجتمعـات وما يمـوج بها من أفـكار ومذاهب وتوجهات ومخططات، قديريـن على تجميع خيوط ذلك والربط بينها، فقهاءَ بُصراءَ بتحليل مضامينها والكشـف عـن خباياها وخفاياها، ذوي فِطنة وكِيَاسـة وعمقٍ في اسـتنباط نتائجها وعواقبهـا، وبالتالي الأخذ بمحاسنها وتوقي شرورها.

من هذا النمط من العلم والفِقه والمعرفة كان الحسـن، وعلى نحوٍ فذٍّ، كما شَـهِدتْ له أقواله وأعماله ومواقفه في عصر الخلافة الراشدة، خاصة في عهد أبيه، وبعد ذلك عندما آلت إليه أمور المسـلمين وبويع خليفةً عليهم... وحَسْـبُه في ذلك مخالفتُـه لأبيه عليٍّ رضي الله عنه في خروجه للعراق واتخـاذه الكوفة عاصمة له، وفي حروبه أيـام وقعتي «الجمل» و«صفين»، وكذلك مواقف الحسن نفسه من جيشه وأتباعه عندما حاول بعضهم اغتياله، ومن ثَمّ تنازله عن الخلافة لمعاوية كما سيأتي تفصيله.

٤ ـ الحلم والأناة:

وهذه الخصلة الحميدة من أهـم المزايا والخصائص التي يجب أن يتصف بها قادة الأُمة وسـادة الناس وأشرافهم والمسؤولون فيهم، ولقد امتدحها النبي ﷺ ونَعَتَ بها واحـداً من أصحابه الأجلّاء، وهو في ملأ من قومه وكان سيِّدَهم وهو المعروف بأشَجِّ عبد القيس.

عن ابـن عباس، أن النبـي ﷺ قال لأَشَـجِّ عبد القَيْـس: «إنَّ فيكَ خَصْلتَيْنِ يُحبُّهما الله: الحِلْمُ والأَناةُ»(١).

وهاتان الخَلّتان الشـريفتان كانتا أصيلتين في الحسن رضي الله عنه، قد جُبِل

---

(١) أخرجه مسلم (١٧) (٢٥)، والترمذي (٢١٣٠)، وابن ماجه (٤١٨٨)، وغيرهم.

عليهما، فخَالَطَتا روحَه ونفسَه ولحمَهُ ودمَهُ، فهو كالجبل الأَشمّ الراسي في حِلْمه وتثبُّتهِ وعدمِ عَجَلته، لا تحرِّكه المواقف الطائشة، ولا تَسْتَخِفُّهُ الاستفزازات الرخيصة، ولا يردّ السيئةَ بمثلها، بل يعفو ويصفح، لا بل يتكرم فيَجزي على الإساءة إحساناً وتفضلاً، كما جرى له في مواقف عديدة تقدم ذِكرها(١).

وقد شهد للحسن بهذه المَزيّة معاصروه، منهم مروان بن الحَكَم وقد عُوتب في مواقفَ أساء فيها للحسن، فقال مروان: (إني كنتُ أفعلُ ذلك إلى أحلمَ من هذا، وأشار بيدِهِ إلى الجَبَل!)(٢).

٥ ـ الزهد بالدنيا ومغرياتها:

صفة الزهد بالدنيا ومغرياتها بمختلِف أنواعها ودرجاتها؛ صفةٌ حميدة يتحلَّى بها الأخيار والأكابر وذوو النفوس العالية، وتزداد جمالاً وجلالاً وفضلاً إذا أتت الدنيا بمتاعها وأموالها ومناصبها إلى الرجل، فلم يركَنْ إليها ولم يحرِصْ عليها، بل يأخذ منها على حَذَر وينال منها بقَدَر، ويضعُها في مواضعها الصحيحة ويوظفها لخدمة الدين والأُمة.

وأجملُ ما تكون هذه الخصلة وأعزُّ ما يراها الناس، بأن تكون متجسِّدة في أخلاق الكبار والسادة والمسؤولين والقادة، فحينئذٍ يسعد بها عِلْيةُ القوم وتسعد بهم أمتهم ويعزّ دينهم ودولتهم.

ولقد كان الحسن مقدَّماً في هذا الميدان أيضاً، حيث وُلد في بيت أزهدِ الناس ﷺ، ونشأ على عينه وهدْيه، وترعرع في بيت والديه على

---

(١) انظر: ص ١٠٤ ـ ١٠٥ في هذا الكتاب.

(٢) انظر: الحاشية السابقة.

أرفع صور الزهد بأوسع معانيه ومجالاته، وشَبَّ على ذلك وأمضَى فيه بقية عمره...

كانت تأتيه الأموال من العطاء والديوان، وآلَتْ إليه الخلافة وبيتُ مالها، ثم لما تنازل عن الحكم أَغدق عليه معاوية الجوائز والرواتب... فكان في جميع ذلك يقول بالأموال هكذا وهكذا.

والأهم من ذلك والأَنبلُ والأعظمُ أنه زَهِد بما يطمع فيه أغلب الناس ويحرصون عليه؛ زهد بالمُلك والرئاسة والحكم والخلافة، فتنازل عن ذلك وحوله الألوف يسمعون له ويطيعون، وآثَرَ رضا الله والدار الآخرة وصلاح الأُمة وحقْنَ الدماء، ولم يأبَهْ بلومِ لائمٍ، ولا بوسوسة شيطان من الإنس أو الجن!

زهد الحسن رضي الله عنه بمنبر الحكم الذي تتحلَّب له أشداقُ أقوام لا يقدّرون المسؤولية حقّ قَدْرها، ونظر إلى ما تؤول إليه الأمور لو تمسك بمقاليد الرئاسة، فخشي أن تتجدد الصراعات وتشتعل الفتن من جديد، فعصى الهوى وقهر رغبات النفس، ووضع نَصب عينيه ثواب الله تعالى ورضوانه والحرص على مصلحة الدين والأُمة؛ فزَهِد زُهْدَ السادة الأشراف العظماء بعد أن قدر على الدنيا وأموالها وسلطانها، فقدَّم مصلحة الإسلام ووحدة الأُمة والدولة على رغبات النفس وطموحاتها، فكان مثلاً فذاً فريداً في الزهد في أعلى درجاته وأوسع معانيه.

٦ ـ السماحة والنبل:

وهي مزيَّة أصيلة وخَلّة شريفة عريقة وُلدت مع الحسن وخالَطَتْ فطرته وتخلَّلت لحمَهُ ودمَه، وتجلَّت في أقواله وأفعاله وطموحاته

وتطلعاته ومواقفه، فكان رضي الله عنه سَــمْح النفس نَدِيَّ اليد نبيل الفعال كريمَ الخِصال.

ظهرت سماحته في جميع مراحل حياته وفي سرّائه وضرّائه، وشَمل بنُبله ورفعة أخلاقه القريبَ والبعيد والعدوَّ والصديق، عندما كان شــاباً في رحاب الخلفاء الراشــدين، وحين أضحى رمزاً في أسرة الحكم أيام أبيه، ولما صار حاكماً وخليفة للمسلمين.

وسطَّر في سماحته ونُبله أروعَ الســير لنبلاء الرجال وسادة الناس، فكانت هذه الخَصِيصَة متناسقةً مع مزاياه، يتضوَّع منها عَبير أفعال رجل يحمل بين جنبيه مواريث النبوة وخصائص عظماء الهاشميين.

٧ ـ الاستقلالية والذاتية في صياغة الموقف واتخاذ القرار:

بالرغم من أن الحسن وُلد في محاضن النبوة وتربى في حَجْر علي وفاطمة، وتأثر بدرجة كبيرة بموروثاته وما نشــأ عليــه في بيئته، وكان مِطْوَاعاً لأبيــه معجباً به مقتفياً آثاره وآدابــه..... لكنه كان متفتحَ العقل وثَّابَ الفكر ثَقِفاً لَقِناً فَطِناً أَلمعيّاً، لم يترك نفســه ليكون نسخة مطابقة لأبيه في كل شيء، كما أنه لم يرضَ من الأحداث المحيطة به أن تَصوغ شــخصيته تحت وطأتها؛ فيكون تابعاً لغيــره إمَّعَةً فــي أقواله وأفعاله ومواقفه.

لقد كان الحســن من نمط آخر من أعيان قومــه، تميّز بتحرر العقل واستقلال الشخصية وصياغة الآراء وصناعة المواقف، فتأثر ببيئته وبمن حوله من الرجال وبالأحداث المستجدة الكبيرة، وأثَّر بها جميعاً، واتخذ لنفســه مكاناً متميزاً حراً مســتقلاً، فكانت لــه آراؤه ومواقفه وقراراته،

واعتصم بها فما استطاع تنفيذَه أمضَاهُ، وما لم تسمح به الظروف أَرْجَأَه بعد أن قال كلمته وجهر برأيه.

يتضح ذلك في مراحل شتى وأزمنة متعددة وأحداث خطيرة:

فمن ذلك ما كان في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه[1]، عندما اتُّهِم الوليد بن عُقْبَة بشُربِ الخمر وأُحْضِر لإقامة الحدِّ بمشهد عثمان وعلي، أَمر عليٌّ ابنَه الحسن بأن يُنفِّذ الحدَّ بيده، فأبى الحسن وقال: وَلِّ حارَّهَا مَن تولَّى قارَّها!

وفي بداية خلافة علي نجد أن الحسن نَصَح أباه بأن لا يَخرج من المدينة إلى العراق، وتمنى عليه أن لا يذهب إلى البصرة لملاقاة (أصحاب الجمل)، وخالَفَه كذلك في قتال معاوية في (صِفِّين).

وعندما آلَت الخلافة إلى الحسن أَبرم أمرَهُ الصارم وتنازَلَ عن الحكم لمعاوية مع مخالفة جمهور من جيشه وأتباعه له في هذا!

إنه ذو شخصية متميزة متحرِّرة مستقلة عن آراء الآخرين ولو كانوا آباء أو أتباعاً، ما دام يرى الخير والمصلحة فيما اعتقده واختاره، وهي مزية ضرورية وأساسية في شخصية الزعماء والقادة، دونما استبداد أو ارتجال.

٨ ـ رجل إصلاح ووحدة كلمة:

وصف النبي ﷺ وهو الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى سبطَه الحسن بهذه الخَلَّة الحميدة الجليلة، وامتدحه بها وأثنى عليه

---

(١) انظر: كتابي «عثمان بن عفان»، ص ٤٤٦.

وهو لا يزال غلاماً صغيراً، فقال: «**إن ابني هذا سيِّدٌ وسَيُصْلِحُ الله تبارك وتعالى به بين فئتين من المسلمين**». قال الحسن البصري: فواللهِ واللهِ بعد أن وَلِي لم يُهْرَقْ في خلافتِه مِلْءُ مِحْجَمةٍ من دمٍ[١]!!

فقد لمح رسول الله ﷺ، بما آتاه الله من العلم وكشَف له من الغيب، أن هذه الصفة أصيلة في بنية شخصية الحسن قد أكرمه الله تعالى بها، ونشأت معه، وشَبَّتْ مع شبابه، حتى عبَّرتْ عن ذاتها في مواقف عديدة في خلافة أبيه علي، ثم تجسَّدتْ على أوضح صورة وأجلِّ موقف وأخطرِ قرار في خلافته القصيرة التي استمرت ستة أشهر، حيث رأى: حال المسلمين من الفُرقة، وسيلانِ الدماء، وتربُّصِ أصحاب الأهواء، وجذوةِ الفتن تحت الرماد؛ فَصَبَّ غيثاً من ماء حكمته على تلك الأخطار المتربِّصة والإِحَنِ الجامحة، فأحالها خيراً وبركة وصلاحاً وأماناً على الإسلام وأمته ودولته، ووضع زمام الحكم بيد معاوية بن أبي سفيان، فوحَّد صف المسلمين وجَمَع كلمتَهم وحفظ دولتهم، وقال لابن عمه عبد الله بن جعفر في ملأ من الناس:

قد رأيتُ أن أعمَدَ إلى المدينة فأنزلَها، وأخلِّي بين معاوية وبين هذا الحديث، فقد طالتِ الفتنة، وسقطَتْ فيها الدماء، وقُطعتْ فيها الأرحام، وقُطعت السُّبُل، وعُطِّلت الفُروج ـ يعني الثغور ـ فقال ابن جعفر: جزاك الله عن أُمة محمد خيراً، وأنا معك على هذا الحديث[٢].

(١) أخرجه أحمد بهذا اللفظ (٢٠٣٩٢)، وأخرجه البخاري وغيره كما سيأتي: ص ٢٣٠ ـ ٢٣١.

(٢) «طبقات ابن سعد» بتحقيق السلمي: ١/٣٣٠ ـ ٣٣١. وانظر ما سيأتي: ص ٢٩٨ ـ ٣٠٠ حاشية (٢).

هذه هي النفوس الكبيرة، وتلكم هي السيادة الحقة والزهد في أنبل آفاقه وأدق معانيه.

إن صفة الإصلاح والحرص على وحدة الصف واجتماع الكلمة، أهمُّ وأخطرُ ما يستوجبه منصبُ المسؤولية والقيادة، وأفضَلُ ما يحققه الأكابر للدين والأُمة، وأحسن ما يدوِّنونه في صفحات التاريخ، مع ما ينتظرهم من عظيم الأجر والثواب عند الله تعالى يوم الحساب.

٩ ـ فِقه الواقع وفهم طبائع الناس ومعرفة بواطن الأحداث والفتن ومجرياتها ومآلاتها:

ومن أهم مزايا السادة والقادة ووجوه الناس وأصحاب القرار، ومن أَلْزمِ الصفات التي يجب أن يتصفوا بها، وأن تكون أصيلة في تكوينهم راسخة في قلوبهم وعقولهم: المعرفةُ التامة بالعصر الذي يعيشون فيه، والفقهُ الدقيق بواقعهم، والخبرةُ الواعية بالأحداث التي تحيط بهم وتؤثر في مجتمعهم، والفهمُ العميق لحركة التاريخ وطبائع الناس والجماعات وسيرورة حياتهم في مرحلتهم الراهنة وما سبقها وما يلحقها، وعلى وجه الخصوص الجماعة أو القَبِيل الذي يتزعمونه ويعتمدون عليه، مع حُسْن الفهم لمآلاتِ الأمور ومجريات الأحداث، واستقراء تفاعلاتها واستكناه نتائجها.

وفي تقديرنا من خلال دراسة تاريخ الحسن وسيرته ومواقفه وآرائه وأعماله؛ أنه كان على جانب كبير ودقيق من الاتصاف بما ذكرناه هنا، وهذا ما أَهَّلَه لذاك الوصف النبوي: «**إنَّ ابْني هذا سيِّدٌ، ولعلَّ الله أن يُصلِح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»، فقادَ الأُمة إلى برّ الأمان، وأوصلها إلى الاتفاق والتئام الصف واجتماع الكلمة وحَقْن الدماء ووَأْدِ الفتنة.

لقد عاصر الحسن الفتنة الكبرى زمن الخليفة الراشدي الثالث عثمان، وخَبَر اشتباكَ الأحداث في الجزء الأخير من عهده، واستَبْطَن مسيرةَ التاريخ بما فيه من فتن وائتمار الفتَّانين والمفتونين، وبَلَا نفسياتهم ومخططاتِهم وأعمالَهم، وشَهِد نتائج مؤامرتهم الكبرى، واكتوى بنارهم يوم الدار حيث أسفَرَ عن استشهاد أمير المؤمنين واضطراب أمرِ الأُمة والخلافة والدولة!

وازدادت خبرتُه بواقع الأُمة وتأكَّد عنده وقوعُ المخاطر على الإسلام ودولته، وهو في قلب المعركة وأَتُون الفتن الطاحنة في عهد أبيه الخليفة الرابع، ورأى وشَهِد اصْطَلامَ نيرانها في اقتتال المسلمين في (الجمل) و(صفِّين)، ثم فتنة الخوارج الجامحة، وما تَلَا ذلك من انخزال أهل العراق عن أبيه وخيانتهم له، ودعائه عليهم، وما انتهت به الأحداث من استشهاد أمير المؤمنين علي على يد واحد ممن خرج عليه!

كل ذلك أدركه الحسن وخَبَرَه وعَلِمه وفَقِهَه عن كَثَبٍ لا عن كُتب، وعن دراية لا عن رواية، وبرؤية عَيْن لا بسماع أُذن... فجمعه وألَّف بين خيوطه، وقَرَن بين الأشباه والنظائر؛ فكان جميع ذلك واضحاً ساطعاً قوياً راسخاً لديه، هذا مع ما تميَّز به من عقل وبصيرة وفهم عميق وحِلْم وتُؤدَة وتحرُّر واستقلالية.

واعتماداً على تلك الخبرة الطويلة والإدراك الشامل والفهم العميق؛ **أخذ الحسن كل تلك الأحداث والفتن والطبائع والمؤامرات والخيانات من بعض الفئات التي تتظاهر بحبِّه وتأييده، وقيَّدَها في جامعة وضَيَّقَ عليها الخِناقَ وألقى بيديه للصلح الذي جمع الأُمة**، فكان بذلك أُحدوثَة التاريخ والمشار إليه بالإصلاح ووحدة الكلمة والقضاء على الفتنة.



١٠ ـ التحرر من ضغط الواقع والجمهور:

التحرر من ضغط الواقع ورأي الجمهور ورغبة العامة مزيةٌ وخَصِيصة مهمة في صياغة شخصية الرجل، ويكمِّلها فقهُ الواقع والأحداث والاستقلالية في اتخاذ القرار... وهذا ما تميز به الحسن رضي الله عنه، فلم يكن أسيراً للخط العام الذي يسوق الأحداث في عصره ومجتمعه، كما أنه لم يخضع لرغبات الجمهور وضغط العامة.

لقد كان التوجه العام للأحداث والآراء والرغبات أنها تجتمع في تيار واحد يدفع في السير إلى ما انتهى به عهد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وقد بايع الحسنَ جمهور كبير يربو على التسعين ألفاً ورغباتُهم تتجه للمُضِيِّ في ذاك السبيل.

وقد عَلِم الحسن ذلك وفَقِهَه ووعاه، لكنه لم يَضعُف أمامه ولا استسلم إليه، وإنما وجَّهَه نحو الهدف والغاية التي رسمها من قديم وتمنَّى الوصول إليها وتحقيقها. ولم يَفْجأْ أتباعَه بها، ولا خانَهم في بيعتهم وانقلب على شروطهم، بل أوضح لهم رأيَه ورغبتَه ومنهجَه في أسلوب رفيع دقيق وكلمات واضحة لا لُبْس فيها.

كان أول من بايعه قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما قال له: (ابْسُط يدَك أبايعْك على كتاب الله عز وجل وسُنَّة نبيِّه وقتالِ المُحِلِّين! فقال له الحسن رضي الله عنه: على كتاب الله وسُنَّة نبيه، فإن ذلك يأتي من وراء كل شرط. فبايَعَه وسكت، وبايعه الناس)[1].

---

(١) «تاريخ الطبري» ١٥٨/٥.

وعن حارثة بن مُضَرِّب أنه سمع الحسن يقول: (والله لا أُبايعُكم إلا على ما أقول لكم، قالوا: ما هو؟ قال: تُسالمون مَن سالمتُ، وتحاربون من حاربتُ)[1].

١١ ـ نظرته للحكم والسلطة وأنها تكليف لا تشريف وابتلاء لا استعلاء:

هذه هي الحقيقة الواضحة لمفهوم المسؤولية والحكم في الإسلام في أدنى مستوياتها وأعلاها، وهذا ما فَقِهَه وطبَّقَه المسلمون في الصدر الأول، وعلى هذا تربى الحسن وبه التزم أتمَّ الالتزام، وأوضحُ ما يؤكد ذلك في أعماله ومواقفه ومنهجه تقديمُه مصلحة الدين والأُمة وصلاحهما على رغبات النفس وشهوة السلطة، حيث تنازل عنها وقد أتت إليه، وعندما لاموه في ذلك قال:

(خَشِيتُ أن يأتي يومَ القيامة سبعونَ ألفاً أو ثمانون ألفاً أو أكثر أو أقلّ؛ كلُّهم تنضح أوداجُهم دماً، كلهم يستعدي اللهَ فيمَ هُريق دمُه!)[2].

وعندما قال له أبو عامر سفيان بن اللَّيل: (السلامُ عليك يا مُذِلَّ المؤمنين)، لأنه تنازل لمعاوية عن الخلافة، فرَدَّ عليه الحسن قائلاً: (لا تَقُلْ ذلك يا أبا عامر، لستُ بِمُذِلّ المؤمنين، ولكنْ كرهتُ أن أَقتُلَهم على المُلْكِ!)[3].

هذه فيما توضح لدينا مجملُ الصفات والمزايا والخصائص التي كوّنتْ شخصية الحسن رضي الله عنه وأرضاه، والتي جعلَتْه ينال مَدْحَ النبي ﷺ، وثناءَ الأمة سَلَفاً وخلَفاً، وهو حقيقٌ بذلك وجديرٌ به وأهلٌ له.



(١) «سير أعلام النبلاء» ٣/٢٦٦.

(٢) «تهذيب الكمال» ٦/٢٥١.

(٣) المرجع السابق ٦/٢٥٠. وسيأتي تفصيل ذلك.

الباب الثاني

في عهد الخلفاء الراشدين الأربعة



توطئة

آل بيت النبي ﷺ هم وصيةُ رسول الله ﷺ للأُمة بمحبتهم وموالاتهم والإحسان إليهم وغَضِّ الطرف عن هفواتهم. وقد قام الصحابة عامة وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون بهذا الفرض الواجب تجاه آل البيت، والحسنُ واحد من ساداتهم، فأنزلوهم من قلوبهم وألسنتهم بالمكان الأرفع والمنزلة الأسمى، حبّاً وتقديراً وإجلالاً وترضّياً وتسمية بأسمائهم وكفّ اللسان عن التعريض بهم. وفي الوقت ذاته وضعوهم في المنزلة التي أنزلهم فيها النبي ﷺ، وأوصى الأُمة أن يلزموا نهجه في ذلك؛ فلم يؤلِّهوهم، ولم يُغالوا فيهم، ولا ادَّعَوا العصمة لواحد منهم، ولا اعتقد أهل البيت الأطهار لأنفسهم ذلك، ولا رضوا به!

وكذلك كان الحسن وأهل البيت جميعاً على إجلال الصحابة عامة والخلفاء الأربعة خاصة، وتفضيلهم والثناء عليهم، وتولِّيهم والدفاع عنهم والتبرؤ ممن يعاديهم.

وكانت للحسن مكانة سامقة عند أبي بكر وعمر وعثمان، مُذْ كان صغيراً ثم فتى فشاباً، فأحَبُّوه وأكرموه وأثنَوا عليه وقدَّموه على أولادهم رضي الله عنهم جميعاً.

وقد وردت أخبار يسيرة في هذا الباب، لكنها ترسم صورة إجمالية طيبة صادقة لعلاقة الحب والإجلال المتبادل بين الخلفاء الراشدين وبين الحسن رضي الله عنه.

الفصل الأول

الحسن مع أبي بكر الصديق

ظهرت منزلة الحســن عند أبي بكر وهو لا يــزال غلاماً يلعب مع أترابه في أزقة المدينة، وفاخَرَ الصديقُ بها وأعلنها أمام جمهور الناس، ولم يتردد في أن يحمل الحســن على عنقه وهو خليفة المسلمين، في موقف لطيف طريف وهو يداعبه ويثني عليه!

عن عُقْبة بن الحارث قال: (خرجتُ مع أبي بكر الصديق من صلاة العصر، بعد وفاة النبي ﷺ بليالٍ، وعليٌ يمشي إلى جَنْبه، فمرَّ بحسنِ بن عليٍّ يلعب مع غِلمانٍ، فاحتمله على رقبته وهو يقول:

وَابِــأبـــي شِــبْــهُ الـنـبـيِّ   لـيـس شَـبِـيـهـاً بِـعَـلـيٍّ

قال: وعليٌّ يضحك)[1].

بل بَلَغ الأمر أكثر من هذا وأجلَّ فــي حُبِّ الخليفة الكبير أبي بكر لسبط النبي ﷺ فأظهَرَه في موقف جليل مهيب، والخليفة قائمٌ على منبر رسول الله ﷺ يخطب الناس:

عن عبد الرحمن بن الأَصْبَهاني قال: (جاء الحسن بن علي إلى أبي بكر وهو على مِنْبر رســول الله ﷺ، فقال: انزل عن مجلس أبي[2]! قال:

---

(١) أخرجه البخاري وغيره، وقد تقدم: ص ٢٤.

(٢) يريد جدّه رسول الله ﷺ.

صدقتَ، إنه مجلس أبيك. ثم أجلَسَــه في حَجْره، ثم بكى، فقال علي: والله ما هذا عن أمري! فقال: صدقتَ، والله ما اتَّهمتُك)[1].

حسبنا من هذين الموقفين ما يرسم صورة جميلة لمنزلة الحسن عند الخليفة أبــي بكر وحبِّه له وإكرامه إياه، والحســنُ لا يزال إذ ذاك صبياً ابنَ نحو عشر سنين.



---

(١) «تاريخ ابن عساكر» «ترجمة أبي بكر»، ص ٤١٣ ـ ٤١٤.

الفصل الثاني

الحسن في عهد الفاروق

الذي حَفِظه لنا التاريخ الصادق يَخلُص بنا إلى الخلاصة التي تَجْمُل بأمير المؤمنين عمر وتُحمد منه، وهي الوفاء المحض لذكرى النبي ﷺ في آله وخاصة أهله، وكذلك التبجيل الخالــص الصادق من آل البيت لعمر الصحابي ولعمر الخليفة.

روى محمد بن علي بن الحســين المعروف بالباقر، قال: (قَدِمَ على عمر حُلَلٌ من اليمن، فكَسَــا الناس، فراحوا فــي الحُلَل وهو بين القبر والمنبر جالس، والناس يأتونه فيسلِّمون عليه ويَدْعون له. فخرج الحسن والحســين رضي الله عنهما من بيت أُمهما فاطمة رضي الله عنها يتخطَّيَان الناس، وليس عليهما من تلك الحُلل شيءٌ، وعمر قاطِبٌ صارٌّ بين عينيه! ثم قال: والله ما هنأ لي ما كَسوتُكم، قالوا: يا أمير المؤمنين، كسوتَ رعيتك فأحسنتَ، قال: من أجــل الغلامين يتخطيان النــاس وليس عليهما منها شــيء، كَبُرت عنهما وصغــرا عنها[١]. ثم كتب إلــى اليمن: أن ابعث بِحُلَّتين لحســن وحسينٍ وعَجِّل. فبعث إليه بحلَّتين، فكساهما)[٢].

---

(١) أي: الحلل.

(٢) «حياة الصحابة» ٢/٢٠٦ ـ ٢٠٧، «كنز العمال» ٧/١٠٦.

ولمَّا دَوَّن عمر الدواوين وفَـرض الأَعطيات، ابتدأ بقرابة النبي ﷺ، وأعطى أبناء البدرين ألفين ألفين، إلا الحسـنَ والحسـينَ فإنه ألحقهما بفريضة أبيهما لقرابتهما برسول الله ﷺ، ففرض لكل واحد منهما خمسة آلاف درهم[1].



(١) «طبقات ابن سعد» ٢٩٦/٣ ـ ٢٩٧، «تهذيب الكمال» ٢٣٢/٦ ـ ٢٣٣.

الفصل الثالث

الحسن في أيام الخليفة الثالث ذي النورين

استمر الحسن على هَدْيه الرشيد في مدة خلافة عثمان بن عفان ﷺ، وشارك في بناء الدولة وتوسيع رقعتها، وخرج مع جيوش الفتح إلى المغرب والمشرق يجاهد، جندياً متطوعاً مخلصاً تحت إمرة ولاة الخليفة وقادة جيوشه. واقترب أكثر من أمير المؤمنين عثمان وحرص على أَمْنِه وحياته، ونافح عنه واستبسَلَ في حمايته من رؤوس البغي ودعاة الفتنة الذين خرجوا عليه، فناضل الحسن دون الخليفة، وقاتل مع جمهرةٍ من شباب الصحابة قتال الأبطال، ونالَه من وراء ذلك جراحٌ تشهد له أمام الله تعالى، وتُثْبِت في صفحات التاريخ الحبَّ الخالص والودَّ الصادق من الحسن وآل البيت لأمير المؤمنين عثمان.

خرج الحسن مجاهداً في سبيل الله إلى المغرب، وقطع مع الجيش آلاف الكيلومترات وشارك في فتح إفريقية تحت إمرة عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح.

وكان ذلك لما استأذن القائدُ ابنُ أبي سَرْح أميرَ المؤمنين عثمان بغزو إفريقية وفتحها، فجمع عثمان الصحابة واستشارهم فأشاروا عليه بفتحها، فدعا عثمان للجهاد، واستعدت المدينة لجمع المتطوعين وتجهيزهم، فكان في ذلك الجيش طائفة من أكابر الصحابة ومن خيار

أهل البيت وأبناء المهاجرين والأنصار، ومنهم: الحسن، والحسين، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن جعفر، وآخرون[١].

وبعد تحقيق النصر والفتح عاد الحسن مع ثلة من المسلمين إلى عاصمة الخلافة.

كذلك شارك الحسن في فتوحات المشرق، وانضم إلى جيش عظيم تحت إمرة سعيد بن العاص، وفتحوا بلاداً كثيرة تبعد عن حاضرة الخلافة آلاف الكيلومترات!

ففي سنة (٣٠هـ) كتب أمير المؤمنين عثمان إلى والي الكوفة سعيد بن العاص ووالي البصرة عبد الله بن عامر: أيُّكما سَبَق إلى خُراسان فهو أميرٌ عليها! فاستَبَق الواليان؛ ففتح ابنُ عامر خراسان، وفتح سعيدٌ طَبَرِسْتان.

خرج سعيد بن العاص على رأس جيش قاصداً خُراسان، وكان معه في جيشه: حذيفة بن اليمان، والحسن والحسين ابنا علي، وعبد الله بن عُمر، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عَمْرو، وعبد الله بن الزبير، في ناس من الصحابة... وفتحوا تلك الأمصار[٢].

ومن أعظم مواقف الحسن ومآثره وقوفه مع الخليفة عثمان عندما حاصره السبئيون الخوارج، ومنافحته عنه وحمايته له يوم الدار[٣]:

---

(١) «فتوح البلدان» ص ٢١٢، «ليبيا من الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر» للدكتور صالح مصطفى المزيني ص ٣٩.

(٢) «فتوح البلدان» ص ٣٠٩، «تاريخ خليفة» ص ١٦٣، ١٦٥، «تاريخ الطبري» ٢٦٩/٤ ـ ٢٧٠، كتابي «عثمان بن عفان» ص ٣٧٢ ـ ٣٧٣.

(٣) انظر: كتابي «عثمان بن عفان» ص ٦٦٩ ـ ٦٧٦، ٦٨٨ ـ ٦٩٢.

عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: (كنتُ مع عثمان في الدار، فقال: أَعْزِم على كل من رأى أن لنا عليه سمعاً وطاعة؛ إلا كَفَّ يدَه وسلاحَه، فإن أفضلكم عندي غَناءً من كَفَّ يده وسلاحه)[١].

وعن محمد بن سيرين قال: (كان مع عثمان يومئذٍ في الدار سبعُ مئة، لو يَدَعُهم لضَربُوهم إن شاء الله حتى يُخرجوهم من أقطارها، منهم: ابن عُمر، والحسن بن علي، وعبد الله بن الزبير)[٢].

وهكذا فعل جماعة من أكابر الصحابة وجماهير من الأنصار، وعثمان يقول في كل ذلك: لا حاجةَ لي في ذلك، كُفُّوا، إنما تُراد نفسي وسَأَقي المؤمنين بنفسي!

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن: (أن الحسن بن علي دخل على عثمان فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّا طَوْعُ يديك، فَمُرْني بما شئتَ! فقال له عثمان: يا ابن أخي، ارجع فاجلس في بيتك حتى يأتي الله بأمره، فلا حاجة لي في هَرَاقة الدماء)[٣].

وعن عاصم بن سُليمان، أن الحسن بن علي قال: (رُحْتُ إلى الدار وغدوتُ إليها شهراً، وعثمان ﵁ محصور، كل ذلك بعينِ عليٍّ ﵁ ما نهاني يوماً قط. قال: فقام إليه يوم زُحِفَ إليه، فقال: يا أمير المؤمنين، علامَ تَكُفُّ الناسَ؟! والله لقد حَلَّ لك قتالُهم، والناس جادُّون، فَأْذَنْ

(١) «تاريخ خليفة» ص ١٧٣، «مختصر ابن عساكر» ٢٢٠/١٦، «طبقات ابن سعد» ٧٠/٣، وسنده صحيح.

(٢) «طبقات ابن سعد» ٧١/٣، «الإمامة» لأبي نعيم ص ٣٣٢، وإسناده صحيح إلى ابن سيرين. وفي «تاريخ خليفة» ص ١٧٣، نحوه، عن ابن سيرين عن سليط بن سليط.

(٣) «فضائل الصحابة» لأحمد (٧٥٣)، بإسناد صحيح.

للناس في قتالهم! فقال: يا ابنَ أخي، أعزِم عليك بحقي عليك إلا لَحِقْتَ بأهلِك)[١].

وروى محمد بن سيرين قال: (انطلق الحسن والحسين وابن عمر وابن الزبير ومروان كلهم شاكي السلاح، حتى دخلوا الدار، فقال عثمان: أَعْزِم عليكم لَمَا رجعتم فوضعتم أسلحتكم ولَزِمتُم بيوتكم. فخرج ابن عمر والحسن والحسين، فقال ابن الزبير ومروان: ونحن نعزِم على أنفسنا أن لا نَبْرَحَ)[٢].

وفي رواية مطوَّلة للطبري: أن عثمان خَطَبهم آخرَ خطبة له، وأمر أهلَ المدينة بالرجوع وأقسم عليهم، فرجعوا إلا الحسن ومحمد بن طلحة وابن الزبير وأشباهاً لهم؛ فجلسوا بالباب عن أمرِ آبائهم، وثابَ إليهم ناس كثير، ولزِم عثمان الدار[٣].

وحوصر أمير المؤمنين أربعين ليلة، وشدَّد البُغاة السبئيون الحصار عليه وضيَّقوا الخِناق، ثم أبرموا أمرهم بقَتْل الخليفة، فاقتحموا الدار وأشعلوا النار، وأسرعَ من عند عثمان للدفاع عنه، وعثمان يقرأ القرآن ما تركه، وافتتح: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾، وكان سريع القراءة، مافزع لِما حصل، يقرأ وما يخطئ وما يتعتع، حتى أتى عليها قبل أن يصلوا إليه!

فخرج الحسن وابن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان بن الحَكَم وسعيد بن العاص والمُغيرة بن الأَخنس بن شَرِيق وأبو هريرة وغيرهم،

---

(١) «تاريخ المدينة» لابن شبَّة ٢٤٦/٢.

(٢) «تاريخ خليفة» ص ١٧٤، وإسناده صحيح إلى ابن سيرين.

(٣) «تاريخ الطبري» ٣٨٥/٤.

فاجتلـدوا مع القوم، وقال الحســن بن علي مســفِّهاً عمــلَ الخارجين المجرمين:

لا دينُهم دِينــي ولا أنا منهمُ حتى أسيرَ إلى طَمَارِ شَمامِ[1]

وانقضَّ عدد من أولئك السـبئيَّة القَتَلة على أميـر المؤمنين فقتلوهَ، وأُخرج من دار عثمان أربعةٌ من شباب قريش ملطَّخِين بالدم، محمولين، كانـوا يدرؤون عــن عثمان: الحســن بن علــي، وعبد الله بــن الزبير، ومحمد بن حاطب، ومروان بن الحَكَم[2].



---

(١) أي إلى جبل أشمّ لا ينجو من سقط منه.

(٢) «تاريـخ خليفـة» ص ١٧٤ ـ ١٧٥، «طبقـات ابن سـعد» ٧٢/٣ ـ ٧٤، «تاريـخ الطبري» ٣٨٢/٤ ـ ٣٨٣، ٣٨٨ ـ ٣٩٢، كتابي «عثمان بن عفان» ص ٦٨٧ ـ ٦٩٢.

الفصل الرابع

الحسن مع أبيه علي أمير المؤمنين
(الابن البار والوزير الناصح)

المبحث الأول ـ الحسن داعية إصلاح يكره القتال:

تَبيّن لنا من دراسة سيرة الحسن ومكونات شخصيته أنه رجل متحرِّر العقل مستنير الفكر مستقلّ الرأي ذاتي القرار، لا يقلِّد الآخرين ولا يخضع لضغط الواقع ولا يستسلم لتيار المجتمع والظروف الراهنة والمتراكمة، هذا مع احترام الأكابر وآرائهم، وتقدير المسؤولين وأصحاب القرار، لكن ذلك لا يُثْنِيه عن قناعاته ولا يمنعُه من الصَّدْع برأيه؛ وهذا ما جعله يُعلن رأيَه ويتقدم بنصائحه لأبيه وهو خليفة المسلمين دونما تهيُّبٍ ولا وَجَل في الأمور الكبيرة والأحداث الجسيمة.

كان الحسن في أمر القتال يخالف أباه ويكره كثيراً مما يفعله، ويرجع علي رضي الله عنه في آخر الأمر إلى رأيه[1]! وحاول الحسن ثنيَ أبيه عن الذهاب إلى العراق، وهو يبكي لِما أصاب المسلمين من الفُرقة والاختلاف، لكن علياً رفض ذلك وأصَرَّ على إعادة المعارضين له إلى الطاعة محتجاً ببيعتهم له بالمدينة[2].

---

(١) «مجموع الفتاوى» ١٢٥/٣٥.

(٢) «عصر الخلافة الراشدة» ص ٤٥١.

روى طارق بن شهاب ـ وقد جاء إلى عليٍّ وهو بالرَّبَذَة ـ قال: (قام الحسن بن علي فقال لأبيه: أَلم أَقُلْ لكَ إن العرب ستكون لهم جولة عند قَتْل هذا الرجل[١]؛ فلو أقمتَ بدارك التي أنت بها ـ يعني المدينة ـ فإني أخافُ أن تُقتل بحالَ مَضِيعَة لا ناصرَ لك! فقال علي: اجلس، إنما تَخِنُّ كخَنِينِ الجارية!)[٢].

وفي رواية مطوَّلة عند الطبري، وبنحوِها عند ابن أبي شيبة، عن طارق بن شهاب: أن علياً صلّى ـ في الرَّبَذَة ـ الفجر بغَلَسٍ، فلما انصرف أتاه ابنه الحسن فجلس فقال:

(قد أَمرتُكَ فعصيتَني، فتُقْتَل غداً بمَضِيعَةٍ لا ناصرَ لك! فقال عليٌّ: إنك لا تزال تَخِنُّ خَنِينَ الجارية، وما الذي أمرتني فعصيتُكَ؟!

قال: أمرتُكَ يوم أُحِيط بعثمانَ رضي الله عنه أن تَخرج من المدينة، فيُقْتل ولستَ بها. ثم أمرتُكَ يومَ قُتل ألا تُبايِعَ حتى يأتيك وفودُ أهل الأمصار والعرب وبيعةُ كل مصر. ثم أمرتُك حين فَعل هذان الرجلان ما فعلا[٣] أن تجلس في بيتك حتى يَصْطَلحوا، فإنْ كان الفسادُ كان على يديْ غيرك. فعَصيتَني في ذلك كله. ـ زاد ابن أبي شيبة في روايته: وأَنْشُدُكَ بالله أن تأتي العراق فتُقتَل بحال مَضِيعَة! ـ.

قال: أيْ بُنَيَّ، أمَّا قولُك: لو خرجتَ من المدينة حين أُحيط بعثمان،

---

(١) يريد عثمان بن عفان.

(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» ٧١٥/٨، بسند حسن، والحاكم بأخصر منه ١١٥/٣، ورواه الطبري مطولاً: «تاريخه» ٤٥٥/٤ ـ ٤٥٦. الخَنِين: ضَرْبٌ من البكاء دون الانتحاب. وأصلُ الخَنِين: خروجُ الصوتِ من الأنف.

(٣) يعني خروج طلحة والزبير بمن معهما إلى البصرة، وما انتهى الأمر إليه في «معركة الجمل».

فوالله لقد أُحِيط بنا كما أُحيط به. وأما قولُـك: لا تبايع حتى تأتيَ بيعةُ الأمصار، فإنّ الأمرَ أمرُ أهـلِ المدينة، وكرِهْنا أن يَضيع هذا الأمر. وأما قولُك حين خرج طلحة والزبير، فإن ذلك كان وَهْناً على أهل الإسلام، ووالله ما زلتُ مقهوراً مُذْ وليتُ، منقوصاً لا أَصِلُ إلى شيء مما ينبغي. وأما قولُك: اجلِسْ في بيتك، فكيف لي بما قد لَزِمني؟! أَوَ من تُريدني؟ أتريدُ أن أكون مثلَ الضَّبُعِ التي يُحاط بها ويُقال: دَبَابِ دَبابِ، ليست هاهنا حتى يُحلّ عُرْقوباها ثـم تُخرج! وإذا لم أنظرْ فيما لَزِمني من هذا الأمر ويعنيني فمن ينظرُ فيه؟! فَكُفَّ عني أيْ بُنَيَّ)[1].

المبحث الثاني ـ الحسن في أيام وقعة الجمل:

●● مع مخالفة الحسـن لأبيه في رأيه وخروجه إلـى العراق، لكنه ـ والأمور مُشـتبِهة ـ سـار معه براً به وطاعة له، ولعله يغيِّر من مسـار الأحـداث أو يخفف من شِـرَّتها، ويكون عوناً علـى الإصلاح ووحدة الكلمة وحَقْن الدماء.

وقد اسـتنفر عليٌّ أهلَ الكوفة ليكونوا معه في جيشه وليسيروا إلى البصرة فيلتقوا هناك بأصحاب الجمل الذين يرأسـهم طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشـة. وعندما نَفَر إليه أهل الكوفة قـام أمير المؤمنين علي فيهم خطيباً فقال:

(وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخوانَنا من أهل البصرة، فإنْ يرجعوا فذاك الذي نريـده، وإن أبَوْا داوَيْناهم بالرِّفق حتـى يبدؤونا بالظلم،

---

(١) «تاريخ الطبـري» ٤/٤٥٥ ـ ٤٥٦، «البداية والنهايـة» ٧/٢٣٤ ـ ٢٣٥، وبنحوه في «مصنف ابن أبي شيبة» ٨/٦٣٣، وإسناد ابن أبي شيبة صحيح. بمضيعة: أي بدار ضياع.

ولن نَـدَعْ أمراً فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله ولا قوة إلا بالله)[١].

وعلى هَدْي هذا الهدف كان الحسن يَمضي ويأتمر بأمر أبيه، عسى أن يُوفِّق الجميع للصلح وتوحيد الكلمة ووأد الفتنة.

وَجَّه عَليٌّ رجلين إلى الكوفة لاستنفار أهلها معه، فلم يُفلحا، ثم بعث آخرَيْن فأخفقا أيضاً، حيث كان والي الكوفة أبو موسى الأشعري ﷺ يحضُّ أهلَها على عدم القيام في الفتنة، فيطيعون لِما رأوا من سياسته وإخلاصه في نُصحه وحجَّتِه بما يرويه عن النبي ﷺ في ذلك.

وفي الجولة الثالثة أرسل أمير المؤمنين علي رسولين آخرين هما: ولده الحسن بن علي وعمار بن ياسر.

عن عبد الله بن زياد الأسدي قال: (لمَّا سار طلحةُ والزبيرُ وعائشة إلى البصرة، بعث عليٌّ عمارَ بن ياسر وحسنَ بن علي، فقدِما علينا الكوفة فصعِدا المِنْبَر، فكان الحسن بن علي فوقَ المنبر في أعلاهُ وقام عمارٌ أسفلَ من الحسن، فاجتمعنا إليه، فسمعتُ عماراً يقول: إن عائشة قد سارت إلى البصرة، واللهِ إنها لزوجةُ نبيِّكم ﷺ في الدنيا والآخرة، ولكنَّ الله تبارك وتعالى ابتلاكم لِيعلَمَ إياهُ تطيعون أم هي)[٢].

●● وجرى حوار بين أبي موسى والحسن بن علي، فأقبَلَ الحسن على أبي موسى وقال له: (لِمَ تُثَبِّط الناسَ عنَّا؟! فوالله ما أردنا إلا الإصلاح، ولا مِثلُ أمير المؤمنين يُخاف على شيء. فقال: صدقتَ بأبي

---

(١) «تاريخ الطبري» ٤/٤٨٧، «البداية والنهاية» ٧/٢٣٧.

(٢) أخرجه البخاري (٧١٠٠).

أنت وأمي! ولكنَّ المستشـار مؤتَمن؛ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنها ستكونُ فتنةٌ القاعـدُ فيها خيرٌ من القائـم، والقائمُ خير من الماشـي، والماشي خيرٌ من الراكب**»، قد جعلَنا الله ﷻ إخواناً، وحرم علينا أموالَنا ودماءنا، وقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ ﴾، ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [النساء: ٢٩]، وقـال ﷻ: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾ الآية [النساء: ٩٣].

فغضب عمار بن ياسـر، وثار الناس عليه، إلا أن أبا موسى استطاع أن يُهدِّئَهـم ويَكفَّهم عنه. وقد اقتنع جمهور مـن أهل الكوفة بالخروج بعد محاورات طويلة مع الحسـن بن علي، فخرجوا معه في نحو تسعة آلاف رجل(١).

وقد التزم الصحابة فـي أَتُون الخلاف واحْتِدامـه الأخلاقَ الرفيعة التي تربَّوا عليها، فهذا الحسـن يقف في تلك الساعات العصيبة ويُعلن على الملأ قائلاً: (إن علياً يقول: إني أُذَكِّر اللهَ رجلاً رعَى لله حقاً إلا نَفَر، فإنْ كنتُ مظلومـاً أعانني، وإنْ كنـتُ ظالماً أَخذَلنـي! والله إن طلحة والزبير لأولُ مَن بايعني ثم نكثا، ولم أستأثِرْ بمالٍ، ولا بدَّلتُ حكماً). قال: فخرج إليه اثنا عشر ألف رجل)(٢).

وبعد أن قدِمَتْ جموعُ أهل الكوفة على أمير المؤمنين عليٍّ، أرسلَ القائدَ العبقري القعقاع بن عَمْرو ليدعوَ طلحة والزبير وعائشة ومن معهم من أهل البصرة إلى الألفة والجماعة، فكان ذلك، وأشرف الفريقان على

(١) «تاريخ الطبري» ٤/٤٨٢ ـ ٤٨٧، «البداية والنهاية» ٧/٢٣٦ ـ ٢٣٧.

(٢) «الفتح» ١٦/٣٧٤ شرح الحديث (٧١٠٠)، نقلًا عن «أخبار البصرة» لابن شبة بسند صحيح أو حسن كما اشترط الحافظ في «الفتح».

الصلح، لكن السبئية غدروا بالفريقين وأنشَبُوا القتال بينهما، فكان ما كان في (وقعة الجمل)[١].

●● وبعد أن انجلَت المعركة ووَضَعت الحرب أوزارها، وتكشَّفَتْ عن قتلى وجرحى وآلام كبار، وفُرقة وخلاف يَصعُب علاجه؛ نظر علي في ما آلتْ إليه الأحداث، وصرَّح بألمِه المُمِضّ ونَدَمِه الشديد، وكذلك نَدِم خيار الصحابة وأكابر القوم من الفريقين.

عن أبي صالح، أن علياً قال يوم الجمل حين أخذتِ السيوف مأخذَها من الرجال: (لَوَدِدْتُ أنِّي مِتُّ قبلَ هذا بعشرين سنة)[٢].

وعن الحسن بن علي قال: (لقد رأيتُ علياً حين اشتدَّ القتال، وهو يَلُوذُ بي ويقول: يا حسنُ! لوَدِدْتُ أنِّي متُّ قبل هذا بعشرين سنة!)[٣].

وإنما يَلوذُ عليٌّ بابنهِ الحسن ليبثَّ إليه آلامَه وأحزانَه وندَمَه، أما الشجاعة فعليٌّ ليث الوغى!

وروى قتادة عن الحسن البصري عن قَيْس بن عُبَاد قال: (قال عليٌّ يوم الجمل: يا حسنُ ليتَ أباكَ مات منذ عشرين سنة! فقال له: يا أبَهْ، قد كنتُ أنهاكَ عن هذا! قال: يا بُنَيَّ، إني لم أرَ أن الأمر يَبلُغ هذا)[٤].

المبحث الثالث ـ الحسن في وقعة صفين:

استمر الحسن ﵁ على منهجه في كراهية القتال، وبقي ملازماً

---

(١) انظر: تفصيل ذلك: في كتابي «علي بن أبي طالب»، ص: ٥٣٧ ـ ٦٢٣.

(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» ٧١٩/٨، «الفتن» لنعيم بن حماد (١٦٩)، وسنده صحيح.

(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» ٧٢١/٨، «الفتن» لنعيم (١٧٦)، وسنده صحيح.

(٤) «البداية والنهاية» ٢٤١/٧، وإسناده صحيح.

لأبيه في حروبه، مثلما فعل عبد الله بن عمرو بن العاص مع أبيه، ورغبة منه في السعي للإصلاح بين الفريقين، وحضّه أباه على ذلك، وهذا منه بخلاف ما كان من أخيه الحسين رضي الله عنه الذي كان مندفعاً للقتال!

روى أبو مِخْنَف عن مالك بن أَعْيَن، عن زيد بن وَهْب ـ وقد شهد مع علي حروبه ـ: أن (أحمرَ) مولى بعض بني أمية تواجَهَ مع (كَيْسان) مولى عليٍّ، فاختَلَفا ضربتين، فقتل أحمرُ كيسانَ، فتقدَّم إليه عليٌّ فجَبَذَه، قال زيد: ثم حَمَلَه على عاتقه، فكأني أنظرُ إلى رُجَيْلَتَيْه تختلِفان على عُنق علي، ثم ضَرب به الأرضَ فكَسَر منكبه وعَضُدَيْه، وشدَّ ابنا علي عليه: حسين ومحمد، فضرباه بأسيافهما حتى بَرَد. فكأني أنظر إلى عَليٍّ قائماً وإلى شِبْلَيْه يضربان الرجل، حتى إذا قتلاه وأقبلا إلى أبيهما، والحسن قائماً، قال له: يا بُنيَّ، ما منعك أن تفعل كما فعل أخواك؟ قال: كفياني يا أمير المؤمنين)[1].

فهذا الخبر ـ على ضعفه ـ يفيد عدم تحمُّس الحسن للقتال، ورغبتَه الثابتة بالسلامة وألا يُسأل عن قطرة دم!

وقد قبِلْنا هذا الخبر لأنه يتفق مع مسلك الحسن وهَدْيه في تلك الفتنة، وتشهد له الأخبار الصحيحة التي قدمناها في تأصيل منهجه الراغب في الكَفّ عن القتال وكل سبيل قد يؤدي إليه.

وزعم بعض من ترجم للحسن فقال: (فبينا هو مأمورٌ يُناجِز بين يدي والده، إذ به سيد يأمر والدَه بإقدامٍ لا ينتهي إلا بموتٍ أو بنصرٍ، ثم لا يتورَّع أن يقول يوم صفِّين: ما ضَرَّكَ لو أسرعتَ حتى تنتهي إلى

(١) «تاريخ الطبري» ١٩/٥. محمد بن علي: هو المعروف بابن الحنفية. برد: مات.

الذين صبروا لعدوك من أصحابك؟!.... فهو يَدفع بأبيه إلى المعركة دون أن ينسى موعظة نفسه، ودون أن يَدْرَأَ عنها الخطرَ به، إذ كان مع أخيه الحسين يبذلان النفس رخيصةً بين يدي المبدأ)[١].

وهو كلام باطل ترده سيرةُ الحسن ومواقفُه طيلة حياته مُذْ كان مع أبيه وإلى أن تولى الخلافة ثم تنازل عنها لمعاوية، حرصاً على صلاح الأُمة وحَقْناً لدماء المسلمين، وهو منهج ثابت لم يتغير في جميع الظروف التي عاشها الحسن رضي الله عنه.

كذلك فإن على هذا الكاتب الشيعي ومَن على مذهبه أن يَقبل خبر أبي مِخْنَف الذي أثبتناه، لأن أبا مخنف (شيعي محترِق صاحب أخبارهم) وهو من رجالهم المتقدمين في رواية الأخبار.

المبحث الرابع ـ الحسن مع أبيه (رعاية الأب وبر الإبن):

من واجبات الأب تجاه أبنائه ومن حقوقهم عليه أن يُحسِن تربيتهم وتأديبهم، وأن يتعاهدهم بالنصح والإرشاد والتوجيه حتى ولو كبروا وصاروا آباء كذلك، فكلُّ أحدٍ يحتاج المناصحة لأنه لا يَعْرَى من النسيان أو السهو أو الخطأ، وهو منهج أصَّلَهُ القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾.

ومن حق الأب على أولاده أن يبرُّوه ويُبَجِّلوه ويوقِّروه ويبذلوا له كل خير وإكرام، ويخفِضوا له جَناح الذلّ، ويملؤوا نفسَه وقلبه وعينَه بالغِبْطة والرضا والسعادة في أمور الدنيا وشؤون الآخرة.

---

(١) «الإمام الحسن رائد الواقعية السياسية» ص ٥٥.

هكذا كان عليٌّ مع ابنه الحسن[1]، وكذلك كان الحسن مع أبيه أمير المؤمنين:

•• في ســاعات عليٍّ الأخيرة بعد أن طُعن ﵁، أوصى بَنيه الثلاثة بوصايا جليلة، وخَصَّ الحسنَ لمكانته من قلبه ولأنه كبيرهم:

(دعا حسناً وحسيناً فقال: أوصيكما بتقوى الله، وألَّا تَبْغِيا الدنيا وإن بَغَتْكما، ولا تبكيا على شيء زُوِيَ عنكما، وقُولَا الحقَّ، وارحما اليتيم، وأغيثا الملهــوف، واصنعا للآخــرة، وكونا للظالم خصمــاً، وللمظلوم ناصراً، واعملا بما في كتاب الله، ولا تأخذْكما في الله لومةُ لائم.

ثم نظر إلى محمد ابــن الحَنفيَّة فقال: هل حفظــتَ ما أوصيتُ به أخوَيْك؟ قال: نعم، قــال: فإني أوصيك بمثله، وأوصيك بتوقير أخويك لعظيم حقهما عليك، فاتبع أمرهما، ولا تقطع أمراً دونهما.

ثم قال: أوصيكما به، فإنه شــقيقكما وابنُ أبيكما، وقد علمتما أن أباكما كان يحبه.

وقال للحســن: أوصيك أي بُنَيَّ بتقوى الله، وإقــامِ الصلاة لوقتها، وإيتاء الــزكاة عند محلِّها، وحُسْــنِ الوضوء فإنه لا صــلاة إلا بطُهور، ولا تُقبل صلاة من مانــع زكاة، وأوصيك بغَفْر الذنــب، وكظْمِ الغيظ، وصلة الرحــم، والحِلْم عند الجهــل، والتفقه في الديــن، والتثبُّت في الأمر، والتعاهُد للقرآن، وحُســنِ الجِوار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجتناب الفواحش)[2].

---

(١) انظر: ص ٥٠ ـ ٥٨ في هذا الكتاب.

(٢) «تاريخ الطبري» ١٤٧/٥.

وكان آخر ما أوصى به عليٌّ ابنَه الحسن وبقية ولده وأهله أنه قال:

(ثم أوصيك يا حسنُ وجميعَ ولدي وأهلي بتقوى الله ربكم، ولا تموتُنَّ إلا وأنتم مسلمون. واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، فإني سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «إنَّ صلاحَ ذاتِ البَيْن أفضَلُ من عامة الصلاة والصيام»[١].

انظروا إلى ذوي أرحامِكم فصِلُوهم يُهوِّن الله عليكم الحساب. اللهَ اللهَ في الأيتام فلا تُعنوا أفواهَهُم، ولا يَضِيعُنَّ بحضرتكم. واللهَ اللهَ في جيرانكم فإنهم وصيةُ نبيكم ﷺ، ما زال يوصي به حتى ظَننَّا أنه سيورِّثه. واللهَ اللهَ في القرآن فلا يسبقَنَّكم إلى العمل به غيرُكم. واللهَ اللهَ في الصلاة فإنها عمودُ دينكم. واللهَ اللهَ في بيت ربكم فلا تُخلوه ما بقيتم. واللهَ اللهَ في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم..... ولا تتركوا الأمرَ بالمعروف والنهيَ عن المنكر فيولَّى الأمرَ شرارُكم ثم تَدْعُون فلا يُستجاب لكم. وعليكم بالتواصل والتباذل، وإياكم والتدابرَ والتقاطعَ والتفرق، وتعاونوا على البرِّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتقوا الله إن الله شديد العقاب.

حفظكم الله من أهلِ بيتٍ، وحفِظَ فيكم نبيَّكم، أستودِعُكم الله، وأقرأُ عليكم السلام ورحمة الله.

ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله، حتى قُبض رضي الله عنه)[٢].

•• في الأيام الأخيرة من حياة علي رضي الله عنه، ولما دخل شهر رمضان،

---

(١) هذا الحديث المرفوع ذكره الألباني في «ضعيف الجامع الصغير» (١٨٧٤).

(٢) «تاريخ الطبري» ١٤٧/٥ ـ ١٤٨.

جعل يتعشى ليلة عند الحسن، وليلة عند الحسين، وليلة عند عبد الله بن جعفر، لا يزيد على ثلاث لُقَم، ويقول: يأتي أمرُ الله وأنا خَميصٌ، وإنما هي ليلة أو ليلتان[١]!

مات علي شهيداً، حيث طعنه الخارجي عبد الرحمن بن مُلْجَم المُرادي يوم الجمعة سَحَراً، في (١٧ رمضان سنة ٤٠هـ)، فمكث عليٌّ يوم الجمعة وليلة السبت، وفاضت روحه إلى بارئها ليلة الأحد (١٩ رمضان).

غسَّله ابناه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، وكفَّنوه في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص، وصلّى عليه الحسن أكبر بنيه، ودُفن بدار الإمارة بالكوفة[٢].

●● وكان من وصية أمير المؤمنين علي أن لا يُمثَّل بقاتِله، فقد روى محمد ابن الحنفيَّة عن أبيه أنه قال في ابن مُلْجَم:

(إنه أسيرٌ، فأحسِنوا نُزُلَه وأكرِموا مثواه، فإنْ بقيتُ قَتلتُ أو عفوتُ، وإن مُتُّ فاقتُلُوه قِتْلَتي، ولا تعتدوا إن الله لا يحبُّ المعتدين)[٣].

وقد نَفَّذ الحسن رضي الله عنه وصية أبيه في قتلِ قاتله وعدمِ التمثيل به، وهذا هو الصحيح، وهو الموافق للسُنَّة، واللائق بالحسن في التزامه بها وفي تنفيذ وصية أبيه.

(١) «المعرفة والتاريخ» ٤٠١/٣، «تاريخ ابن عساكر» «ترجمة علي» ٢٩٤/٣.

(٢) «تاريخ خليفة» ص ٢٠١، «طبقات ابن سعد» ٣٨/٣، «تاريخ ابن عساكر» ٣٠٧/٣، ٣١٠ ـ ٣١٤.

(٣) أخرجه ابن سعد ٣٥/٣، ورجاله ثقات وإسناده صحيح، وهو في «أسد الغابة»، ٣٥/٤، و«تاريخ ابن عساكر» ٢٩٨/٣.

جاء في روايــة الطبري المطوَّلة ـ وقد ذكرنا أجــزاء منها في وصية علــي ـ: (وقــد كان عليٌّ نَهــى الحســنَ عــن المُثْلَة، وقــال: يا بني عبد المطلب، لا أُلْفِيَنَّكم تخوضون دماءَ المســلمين، تقولون: قُتِل أمير المؤمنين، قُتل أمير المؤمنين! ألا لا يُقتلَنَّ إلا قاتلي.

انظر يا حســن، إنْ أنا مِتُّ من ضربته هذه فاضرِبْــه ضربةً بضربة، ولا تمثِّل بالرجل؛ فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إياكم والمُثْلةَ، ولو أنها بالكلب العَقُور».

فلما قُبض عليه السلام بَعث الحسن إلى ابن مُلْجَم، فقال للحسن: هل لك في خَصْلة؟ إنــي والله ما أَعطيتُ اللهَ عهداً إلا وفيتُ بــه، إني كنتُ قد أعطيتُ الله عهداً عند الحَطيم أن أَقتل عليــاً ومعاوية أو أموتَ دونهما، فإنْ شــئتَ خلَّيْتَ بيني وبينه، ولك الله عليَّ إن لم أقتلْــه، أو قتلتُه ثم بقيتُ، أن آتيك حتى أضَعَ يدي في يدك! فقال له الحسن: أمَا والله حتى تعاين النارَ، فلا، ثم قدَّمَه فقتلَه)[١].

ورثى النــاس أمير المؤمنين عليــاً بمراثٍ كثيرة، مــن أجلِّها مرثية الحسن رضي الله عنه[٢].

ومن الطرائف و(الخرافات) التي اعتقدها بعض الســفهاء ما زعموه من أن علياً لم يَمُتْ، ونُقل ذلك للحسن رضي الله عنه فردَّه وكذَّبه وبيَّنَ أن علياً تجري عليه سُنَّة الموت كغيره من بني آدم!

---

(١) «تاريخ الطبري» ١٤٨/٥ ـ ١٤٩، «البداية والنهاية» ٣٣١/٧. والحَطِيم: هو الحِجْر.

(٢) انظر ما تقدم: ص ١٣١ في هذا الكتاب.



عن عَمْرو بن الأَصمّ وغيره: (قيل للحسن بن علي: إن ناساً من شيعة أبي الحسن عليٍّ عليه السلام يزعمون أنه دابَّةُ الأرض، وأنه سيُبْعَثُ قبل يوم القيامة! فقال: كذَبوا، ليس أولئك شيعتَهُ، أولئك أعداؤه لو عَلِمنا ذلك ما قَسَمْنا ميراثَه ولا أنكحنا نساءَه)[1].



(١) أخرجه ابن سعد ٣٩/٣، وعبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (١٢٦٥)، وصححه أحمد شاكر.

الباب الثالث

بيعة الحسن بالخلافة وصلحه مع معاوية



الفصل الأول

وصف تشخيصي للدولة والمجتمع في نهاية خلافة علي

المبحث الأول ـ عرض مختصر للواقع والأحداث والمشكلات:

•• بعد انتهاء معركتي الجمل وصِفِّين ومجريات أحداثهما، ومواقف قادة الفريقين وعامة المسلمين فيهما، وموبقات السَّبَئِيّة وقتَلَة عثمان، وما آلَت الأمور إليه من رفْع المصاحف والتحكيم ونتائجه ـ توضحت حقائق ساطعة كبيرة من أبرزها:

أ ـ كان السبئيون منبثِّين في جيش علي، ومتمكِّنين من إدارة الأمور وتوجيه الناس لما يريدون، وعددُهم كبير ولهم قوة وسطوة. وهذا ما زاد معاويةَ ومن معه تمسكاً بموقفهم من التعجيل بقتل قتلة عثمان الذين زلزلوا دولة الإسلام! ثم كان لهم اليد الطولى في إثارة الفتنة أيام البصرة وفي (وقعة الجمل)، وها هم أولاءِ يَخِفُّون في الفتنة الثالثة في (صِفّين).

ب ـ مع أن الخلاف بين الفريقين من المسلمين أدى إلى المواجهة والقتال وإزهاق الأرواح؛ بَيْدَ أنه لم يُذهِل الرجالَ عن شرف القتال وآداب الإسلام فيه، وقد تجلَّى ذلك في مواقف كثيرة، منها قولُ علي في أهل الشام: (ربُّنا واحد، ودينُنا واحد، ودعوتُنا في الإسلام واحدة، ولا نستزيدُهم في الإيمان بالله والتصديق برسوله ولا يستزيدوننا)[1].

---

(١) علي وبنوه ص ٧٢.

ونهى أتباعه عن سبِّ أهل الشام، وأمرهم أن يقولوا: (اللَّهمَّ احْقِنْ دماءَنا ودماءهم، وأَصْلِح ذاتَ بيننا وبينهم)(١).

ولمّا رجع من صفِّين قال: (أيها الناس، لا تكرهوا إمارة معاوية، والله لو قد فقدتُموه لقد رأيتم الرؤوس تَنْدُر عن كواهِلها كالحنظل!)(٢).

وعن أبي مسلم الخَوْلاني: (أنه قال لمعاوية: أنت تُنازِع علياً في الخلافة، أوَ أنت مثلُه؟! قال: لا، وإني لأعلمُ أنه أفضَلُ منِّي وأحقُّ بالأمر)(٣).

ج ـ تمخض التحكيم عن اتفاق الحكمين على أن يُترك النظر في أمر الخلافة إلى أكابر الصحابة وشورى المسلمين، ولم يُحسم الخلاف بين الفريقين بسبب صعوبة الحل بشأن المسألتين المختلَف عليهما: (بيعة أهل الشام للخليفة) و(إقامة الحدِّ على قتلة عثمان)، وما يترتب على البتِّ فيهما من نتائج خطيرة على الطرفين.

د ـ بقيت أوضاع الدولة على حالها: عليٌّ خليفة المسلمين، ومعاوية أمير الشام، ولم يبايَع معاوية بالخلافة إلا بعد استشهاد علي على يد الخوارج، وكانت بيعته في بيت المقدس في شهر رمضان من سنة (٤٠هـ)، بعد وصول خبر استشهاد علي رضي الله عنه(٤).

---

(١) «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ١٨/٦.
(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» ٧٢٤/٨. تندر: تسقط.
(٣) «الفتح» ٤١٦/١٦ شرح الحديث (٧١٢١)، وقال الحافظ: سنده جيد.
(٤) «البداية والنهاية» ١٣١/٨، «عصر الخلافة الراشدة» ص ٤٧٧.



وجاء في «تاريخ خليفة»: أن أهل الشام بايعوا معاوية بالخلافة في ذي القعدة من سنة (٣٧هـ)، وكذا رواه الطبري عن أبي مِخْنَف، ورجَّحه الذهبي في «تاريخه»[1].

وهذا لا يصحُّ البتَّةَ، بل الصواب أن بيعة معاوية بالخلافة كانت سنة (٤٠هـ)، وصالَحه الحسنُ بن علي وتنازل له عن الخلافة بعد ستة أشهر، في عام الجماعة سنة (٤١هـ)[2].

●● إن انشغالَ عامة المسلمين بالحروب الثلاثة: (الجمل ـ صفين ـ الخوارج)، ومعالجةَ الفتوق والخروج على الدولة والفتن والساعين في جميع ذلك ـ تركَ آثاره الخطيرة على الحكم والدولة والمجتمع والأُمة، والتي تجسَّدَتْ في **اضطراب أكثر ولايات الدولة وأمصارها، وعدم استقرار معظم الولاة في ولاياتهم لِمُدَدٍ كبيرة، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب:**

١ ـ أكبر تلك الأسباب وأشدُّها خطراً وأعمقُها أثراً، خلفيات الفتنة التي وقعت في أواخر عهد عثمان وعقابيلها التي امتدت بالضرورة إلى عهد علي، وما أحدثَتْه من انقسامات للمجتمع ومراكز القوى وعناصر التأثير، مما أَضْلع الولاةَ وعرقل مسيرة الضبط والإصلاح.

٢ ـ وينبثق من العامل السابق سببٌ آخر هو من آثاره ولوازمه، ويتمثل في الدور الخبيث الذي يحيكه قتَلَةُ عثمان وأتباعُهم ورؤوس الفتنة فيهم، الذين يدأبون على استمرار اضطراب أمور الدولة، لأن استقرارها يتهدَّد وجودَهم ويدمِّر عليهم مخططاتهم.

---

(١) «تاريخ خليفة» ص ١٩٢، «تاريخ الطبري» ٧١/٥، «تاريخ الإسلام» للذهبي «عهد الخلفاء الراشدين» ص ٥٥٢.

(٢) «البداية والنهاية» ١٣١/٨.

٣ ـ نقلُ عاصمة الدولة من (المدينــة) وما لَها من (رمزية تاريخية) و(مركزية فاعلــة)، إلى (الكوفة) ذاك المِصْــر الخطير الذي كان مصدر قلق منذ عهد الفاروق عمر!

٤ ـ كثرة الخلافات والشــقاق وحدَّة الاختلاف الذي وقع منذ الأيام الأولى لخلافة علي.

٥ ـ ضعفُ وجود الولاة القرشــيين فيما عدا أبناء عم الخليفة علي، ولقريش تأثير كبير وثقل جليل خاصة في ظروف اســتخلاف علي، هذا فضلاً عــن أن أبناء العباس باســتثناء عبد الله لم يكونــوا من أصحاب الخبرة السياسية والإدارية في إدارة شؤون البلاد.

٦ ـ وبمقابــل ذلك فــإن عدداً مــن ولاة علي لم يكونــوا جديرين بتوليتهم أمصاراً كبيرة لها تأثيرها الخطير في استقرار الدولة من أمثال: الأشــتر النَّخَعي، ومحمد بن أبي بكر، وجَعْدة بن هُبَيْرة، والخِرِّيت بن راشد وغيرهم!

٧ ـ مبادرة أمير المؤمنين علــي منذ الأيام الأولى لخلافته إلى عزل بعض ولاة عثمان، الذين كان بمقدورهم كبح جماح الفتنة والقيام بدور ضخم في استقرار الدولة، وبخاصة والي الشــام معاوية ووالي الكوفة أبو موسى الأشعري ووالي مكة أبو قتادة الأنصاري. وقد نصحه بعض أجلَّاء الصحابة بأن لا يفعــل ذلك، لكنه رأى خلاف رأيهم، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

•• وترتب على ما ســبق مشــكلات كبيــرة فــي إدارة الولايات، وصعوبات جَمَّة عانَى منها أمير المؤمنين علــيٌّ، وبَذَل جهداً كبيراً في



تنظيم شـؤون الدولة والأمصار، لكن لم تصفُ له أمور الحكم وتسيير حياة الناس في أمصار شتى:

١ ـ فهو لم يتمكن من فرض سـيطرته ابتداءً على ولايات الشـام: سورية وفلسطين والأردن وما جاورها.

٢ ـ وهناك أمصار كبيرة وذات شـأن خطير كانت مسـرحاً للصراع عليها منذ فترة مبكرة، وخرجت من قبضـة الخلافة؛ كما هو الحال في الحجاز (مكة والمدينة) واليمن ومصر.

٣ ـ وفي ولايات أخرى كانت سـلطة الدولة تتراوح بين مدٍّ وجَزْر، تُخضِعها حيناً وتخسـرها حيناً آخر، كما في بلـدان الجزيرة بين دجلة والفرات.

٤ ـ كذلك عانى الخليفة وولاتُه من صعوبات وتحديات متعددة في مواقـع متباعدة؛ تمثلت في ثورة السـكان الأصليين وانتفاضهم على الدولة، مثلُ ما حدث في عُمان وولايات المشرق في فارس وسِجِستان وخُراسان، وكثيراً ما كان الولاة يفشلون في إخمادها.

٥ ـ بَعْضُ الولاة انقلبوا علـى أمير المؤمنين، واتُّهِموا بأمانتهم على الرعية وأمـوال الأُمة، وذلك كما جرى للخِرِّيت بن راشـد ومَصْقَلة بن هُبيرة ويزيد بن حجيَّة.

وأحياناً تسـيء الرعية للولاة وتشـوِّه صورتهم بالوشـايات، فيترك الولاة عملَهم أو يُعزلون، ومثال ذلك جرير بن عبد الله البَجَلي وقيس بن سعد بن عُبادة.

٦ ـ ويضاف إلى ذلك الآثار الضارة والخطيرة التي أعقبت الحروب الثلاثة: (الجمل ـ صفين ـ النهروان)، التي أقلقت استقرار الدولة والأُمة رَدَحاً طويلاً من الزمن.

●● وبدراسة متأنِّية للأحداث والوقائع، **وبتدبُّر منصف لمسيرة جيش أمير المؤمنين علي وأتباعه، يجد الباحث أن المآلات وصلت إلى أن هذا الجيش قد تضعضع وحَدثَتْ فيه انقسامات خطيرة**، وذلك لسببين: الأول: مخالفة السبئية وقتلة عثمان عليه، الثاني: معارضة القرَّاء ـ الذين صاروا خوارج ـ للتحكيم، وخروجُهم عليه وقتاله لهم.

من خلال هذا العَرْض المختصر[1] للأحداث والفتن والحروب، ومواقف أصحاب القرار والولاة وأهل الأهواء ودُعَاة الفتنة ومكوِّنات المجتمع ـ يمكن توصيفُ (واقع الدولة والأُمة) في نهاية خلافة أمير المؤمنين عليٍّ بما يلي:

المبحث الثاني ـ ضعفُ جبهةِ العراق ووَهَنُ جيشِ عليٍّ، ونكولُ أتباعِه عن نصرته، وتأنيبُه لهم وحَضُّه عليهم:

قال أبو مِخْنَف وغيره: (كان عليٌّ لما فرغ من أهل النَّهْروان، حَمِد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله قد أحسن بكم، وأعزَّ نصركم، فتوجَّهوا من فَوْركم هذا إلى عدوِّكم! قالوا: يا أمير المؤمنين، نَفِدت نبالُنا، وكَلَّتْ سيوفنا، ونصَلتْ أسنَّة رماحنا، وعاد أكثرها قِصَداً؛ فارجع إلى مصرنا، فلنستعدَّ بأحسن عدَّتنا، ولعل أمير المؤمنين يزيد في عُدّتنا عُدَّة من هلك منا، فإنه أوفى لنا على عدونا! وكان الذي تولى ذلك الكلام الأشعث بن قيس.

---

(١) راجع تفصيله في كتابي: «علي بن أبي طالب»، ص ٥٢٦ ـ ٥٣٦، ٧٧٥ ـ ٧٨٣.

فأقبل حتى نزل النُّخَيْلة، فأمر الناسَ أن يلزموا عسكرَهم، ويوطِّنوا على الجهاد أنفسهم، وأن يُقلُّوا زيارة نسائهم وأبنائهم حتى يسيروا إلى عدوهم. فأقاموا فيه أياماً، ثم تسللوا من معسكرهم فدخلوا إلا رجالاً من وجوه الناس قليلاً، وتُرِكَ العَسْكَر خالياً، فلما رأى ذلك دخل الكوفة، وانكسر عليه رأيُه في المسير!!).

زاد في رواية أخرى: (فتركهم أياماً، حتى إذا أيس من أن يفعلوا، دعا رؤساءهم وَوُجُوهَهم فسألهم عن رأيهم وما الذي يُنظِرُهم؟ فمنهم المعتلُّ، ومنهم المُكْرَه، وأقلُّهم من نَشِط، فقام فيهم خطيباً فقال:

عبادَ الله، ما لكم إذا أمرتُكم أن تنفِروا اثَّاقلتم إلى الأرض! أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة، وبالذل والهوان من العِزّ؟! أَوَ كلما ندبتُكم إلى الجهاد دارت أعينكم كأنكم من الموت في سَكْرة، وكأن قلوبكم مألُوسَةٌ فأنتم لا تعقلون، وكأن أبصاركم كُمْه فأنتم لا تبصرون!!....)[1].

وفيه ألفاظ منكَرة؛ كقوله: (عدوكم) و(ندبتكم إلى الجهاد)، فأهلُ الشام ليسوا أعداء كما جاء في كلام علي وعمار وغيرهما، وقتالُهم ليس جهاداً بل قتال فتنة.

ومع ضعف سند هذا الخبر وما فيه من ألفاظ منكَرة، فقد جاء ما يؤيِّد عمومَه في أخبار صحيحة:

روى إبراهيم بن سَعْد الزُّهري، عن شعبة، عن أبي عَوْن محمد بن عُبيد الله الثقفي، عن أبي صالح الحَنَفي قال: (رأيتُ

---

(١) «تاريخ الطبري» ٥/٨٩ ـ ٩٠، «المنتظم» ٥/١٣٧، «البداية والنهاية» ٧/٣٠٧ ـ ٣٠٨. قِصَداً: قِطعاً منكسرة. يُنْظِرهم: يؤخّرهم ويبطئ بهم. مألوسة: من الأَلْس وهو اختلاط العقل.

علي بن أبي طالب أخـذ المصحفَ فوضعه على رأسـه، حتى إني لأرى ورقه يتقعقع، ثم قال: اللَّهمَّ إنهم منعوني أن أقوم في الأُمة بما فيه، فأعطِنِي ثـواب ما فيه. ثم قال: اللَّهمَّ إني قـد مَللتُهم ومَلُّوني، وأبغضْتُهم وأبغَضُوني، وحَملوني على غير طبيعتي وخُلقي وأخلاقٍ لم تُعرف لي! اللَّهمَّ فأبدِلْني بهم خيراً منهم، وأبدِلْهم بي شراً مني، اللهمَّ أَمِثْ قلوبهـم مَيْثَ الملح في الماء! قـال إبراهيم: يعني أهل الكوفة)[١].

وعن زهير بن الأقمـر الزُّبَيْدِيِّ قال: (خَطَبنا علـيٌّ يوم جمعة فقال: نُبِّئْتُ أن بُسْـراً[٢] قد طلع اليمن، وإني والله لَأحسـبُ أن هؤلاء القوم[٣] سيظهرون عليكم، وما يَظهرون عليكم إلا بعصيانِكم إمامَكم وطاعتِهم إمامَهم، وخيانتِكم وأمانتِهم، وإفسـادِكم في أرضكـم وإصلاحِهم! قد بَعثتُ فلاناً فخَانَ وغَـدَر، وبعثتُ فلاناً فخَانَ وغَـدر وبعثَ المالَ إلى معاوية! لو ائتمنتُ أحدَكم على قِدْح لأخذ عِلاقَتَه!

اللَّهمَّ سَئِمتُهم وسَـئِموني، وكرهتُهم وكرهوني، اللَّهمَّ فأرِحْني منهم وأَرِحْهم منِّي!

قال زهير: فما صلّى الجمعة الأخرى حتى قُتل رضي الله عنه وأرضاه)[٤].

---

(١) «المعرفة والتاريخ» ٧٥١/٢، «تاريخ ابن عسـاكر» «ترجمة علي» ٢٦٥/٣، «البداية والنهاية» ١٢/٨، وبأخصر منه في «مصنف عبد الرزاق» (١٨٦٧٠)، و«مصنف ابن أبي شيبة» ٥٨٦/٨ من طرق أخرى، وأسانيدها كلها صحيحة. ماث الملح في الماء: أذابه.

(٢) هو بسر بن أبي أرطاة.

(٣) يعني أهل الشام.

(٤) «تاريخ ابن عساكر» «ترجمة علي» ٢٦٥/٣ ـ ٢٦٦، «البداية والنهاية» ٣٢٦/٧، ورجاله ثقات وإسناده صحيح. وهو في «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ٢٨١/١.



بهــذا وصف أميــر المؤمنين عليٌّ جيشَــه ومن يزعمــون حبَّه ونصرتَهُ، وبعكســه في الفضائل وصف أهلَ الشام بالطاعة والأمانة والإصلاح، وليس بعد شــهادة عليٍّ من قول، وهــو ما يُضرب به وجوه الرافضة وأذنابهم الذين يَصِفُون أهلَ الشــام بالكفر والفسوق في الدين!

وقد وصف ابن تيمية هــذه الأخبار بأنها متواترة عــن عليٍّ، فقال: (وتواتــر عنه أنه كان يتضجَّــر ويتململ من اختلاف رعيتــه عليه، وأنه ما كان يَظن أن الأمر يَبلُغ ما بَلَغ)(١).

بل قــد جاءت هذه النصوص فــي «نهج البلاغة» أوثــقِ كتاب عند عموم الشــيعة، مع زيادات كثيرة. ومما قاله في ذمِّ أتباعه لنكولِهم عن نصرته، وقعودِهم عنه، وإخلادِهم للراحة والكسل، قال:

(يا أشباهَ الرجالِ ولا رجالَ! حُلومُ الأطفال، وعقولُ ربَّاتِ الحِجَال؛ لَودِدْتُ أنــي لم أَرَكُم ولم أعرفكم معرفــةً ـ والله ـ جَرَّتْ ندماً وأعقبتْ سَــدَماً. قاتلكم الله! لقــد ملأتُم قلبي قيحاً، وشــحنتُم صــدري غَيْظاً، وجَرَّعْتُمونــي نُغَبَ التَّهمام أنفاســاً، وأفســدتُم علَيَّ رأيــي بالعصيان والخِذْلان....

أيَّ دار بعد داركم تمنعون؟ ومــع أيِّ إمام بعدي تُقاتلون؟ المغرورُ والله مَن غَرَرْتُموه، ومن فاز بكم فقد فاز والله بالسَّهم الأخيبِ!)(٢).

---

(١) «منهاج السُنَّة» ٤/٤٦٤.

(٢) «نهج البلاغة»، شرحه لابن أبي الحديد ٣٥٥/١، ٣٨٢. السَّدَم: الحزن والغيظ. نُغَب: جمع نَغْبة وهي الجَرْعة. التَّهمام: الهمّ.

المبحث الثالث ـ قوة جبهة أهل الشام وتمدد سلطانهم في دولة الخلافة:

في مقابل ضعفِ الجبهة العراقية، ووهنِ جيش أمير المؤمنين علي، وتخاذلِ جنده عن القيام بأوامره ـ فإن الجبهة الشامية تزداد قوة، والجيش الشامي يستمر في تماسكه وطاعته التامة لوالي الشام معاوية. ونتج عن ذلك مع عوامل أخرى؛ تمدُّدُ سلطان الشام شيئاً فشيئاً على أمصار كبيرة وبلدان كثيرة من ولايات دولة الخلافة.

فمعركة صفِّين لم تحسِم الموقف لأي من الطرفين، وتمخَّض عنها التحكيمُ الذي لم يبتَّ في المسائل الخلافية الأساسية، وكان من أخطر نتائجه وأبرزها الاعتراف الضمني والواقعي بأمير الشام والشاميين كقوة كبيرة مستقلة مؤثرة على مسرح الأحداث في دولة الخلافة مما لم يكن معهوداً في عصور الخلفاء الراشدين الثلاثة.

وجُنْد عليٍّ قد اضطربَتْ صفوفُهم، واختلفوا عليه، ونَكلوا عن نُصرته، وتسلَّلوا منه لِواذاً، وتركوه في طائفة من أنصاره، حتى دعا عليهم من قلب يعتصر مرارة، وتنغَّصَتْ عليه الحياة وأصبح ينتظر أجَلَه ويقول: (ماذا ينتظر أشقاها!) يعني قاتِلَه.

كما كانوا يغشُّونه ويكاتبون مَن يحاربه، ويَخونونه في الولايات والأموال[1]، هذا فضلًا عما حصل في كثير من الولايات الكبيرة والبعيدة من فتن واختلاف على الولاة وانقلاب الأمراء والعمال عليه رضي الله عنه!

فالجزيرة الفراتية ـ التي بين نهرَي دِجلة والفرات ـ هي إحدى

(١) انظر: «منهاج السُّنَّة النبوية» ١/٤٠٠ ـ ٤٠١.

الولايات التابعة للشام في خلافة عثمان، وكانت محلَّ تنازعٍ في خلافة علي بينه وبين أمير الشـــام معاوية الذي تمكن من ضَمِّها إلى ســـلطانه سنة (٣٩هـ).

والولاية الأهم والأخطــر هي (مصر): لقربها من الشـــام، ولكونها تشكِّل معه وحدة جغرافية وسياسية كبيرة وخطيرة، وهي بوابة المغرب العربي الإسلامي، وفاتحها والخبير بها الفاتح الكبير عمرو بن العاص وهو الرجل الثاني في الجبهة الشـــامية، وهي موطن الفتنة التي عَصَفتْ بروح الشـــهيد الخليفة عثمان بن عفان، وكانت مبـــاءةً للاختلاف على الولاة، وأهلها منقسمون بين (عثمانية) و(علوية).

وقد توالى على إدارة شـــؤون مصر عدَّةُ ولاة من قِبل أمير المؤمنين علي، ولم يضبط أمورها إلا الصحابي القائد الداهية قيس بن ســـعد بن عبادة، لكن أهل الفتنة هناك أفســـدوا ما بينه وبين الخليفة، فعَزَله عليٌّ وبعث بدلاً منه الأشـــتر النخعي الـــذي قُتل في الطريـــق، فولى عليها محمد بن أبي بكر.

وكانـــت مصر محطَّ صراع بيـــن الفريقين: العراقي والشـــامي، وقد أرسل معاوية إليها فاتحها والخبيرَ بها عمرو بن العاص، الذي سار إليها في جيش من الشام وتمكَّن من التغلب على محمد بن أبي بكر وقتله، وانضمت مصـــر بذلك إلى ســـلطان معاويـــة، وكوَّنتْ مع الشـــام قوة استراتيجية جغرافية وسياسية كبيرة ومتينة.

كذلك كانت بلاد الحجاز مناطقَ تنـــازعٍ بين علي ومعاوية، وانتهى الأمر بانْحِسَار ســـلطان الخلافة عن الحجاز في ســـنة (٤٠هـ)، ودخلَتْ تحت سلطة معاوية.

وأيضاً كانت اليمن مســرحاً لصراع القوتين، وسيطرت عليها قوات الشام مدة، ثم استعادها الجيش العراقي وأخضعها لسلطان الخلافة.

وثَمّة صراعات محدودة علــى بعض المناطق في العراق مثل: هيت والأنبار والقُطْقُطَانة قرب الكوفة.

إلى غير ذلك من الأحداث التي تشــي بمجموعهــا إلى تنامي قوة أهل الشــام وضَعْف قوة أهل العــراق. وأمام هذا الواقــع الجديد رأى الفريقان أن يتفقا على هدنة بينهما تُغمد فيها السيوف وتُحقن الدماء.

وقد آلَامَ أميرَ المؤمنين علياً ما آلَــتْ إليه الأمور، واصطَلَحت عليه المِحن، وضاقت عليــه الدنيا وتنغَّصت الحياة، وكان يَعلم أنه ســيُقتل غَدْراً، فكان ينتظر أجَلَه ويقول: (ما يَحبس أشقاها، مالَه لا يَقْتُل؟!).

المبحث الرابع ـ سياسة علي في حل المشكلات والمعضلات بالقوة:

قد تبيَّن باســتعراض أحداث التاريخ، من لَــدُن الخروج على أمير المؤمنين عثمان وقتْلِه إلى موقعة صِفّين التي انتهت بالتحكيم وخروج الخوارج ـ أن سياسة عثمان في التسكين والكَفِّ عن القتال وعدم إراقة ملء مِحْجَمةٍ من دم؛ هي أحســنُ وأفضلُ وأحكَمُ وأســلَمُ من سياســة علي؛ فإن فتنة عثمان انتهت باستشــهاد وسفكِ دماء قليلة، أما في عهد علي فقد سالت دماءٌ كثيرة لا يعلمها إلا علّام الغيوب.

وإلى هذا يشــير قول شيخ الإســلام ابن تيمية بعد ما ذكر أحاديث القعود عن الفتنة وعدم المشــي فيها والسعي إليها ولزوم البيوت وكَسْر القِسِيّ والسيوف؛ يقول:

(ولأجْلِ هذه النصوص لا يختلف أصحابنا أن تَرْك عليٍّ القتالَ كان أفضَلَ، لأن النصوص صرَّحَتْ بأن القاعد فيها خير من القائم، والبعدَ عنها خير من الوقوع فيها. قالوا: ورُجْحَان العمل يَظهر برُجْحان عاقبته، ومن المعلوم أنهم إذْ لم يبدؤوه بقتال، فلو لم يقاتِلهم لم يقع أكثر مما وقع من خروجهم عن طاعته، لكن بالقتال زاد البلاء، وسُفكت الدماء، وتنافرت القلوب، وخرجت عليه الخوارج... فظهر من المفاسد ما لم يكن قبل القتال، ولم يحصل به مصلحة راجحة، وهذا دليل على أن تركه كان أفضل من فعله، فإن فضائل الأعمال إنما هي بنتائجها وعواقبها)(١).

هذا الوصف التشخيصيُّ لواقع الدولة والأُمة، ومكونات المجتمع وما يَمُور فيه، وتطور الأحداث وما آلَتْ إليه من نتائج وأفرزَتْه من تحديات وأخطار، وسيرورة الفتن وأعمال مدبِّريها ومُدِيريها ورعاتها، والإسفار عن وجوههم حيناً والتخفي والتسلل والتستر في أغلب الأحيان، ثم ما أُزهِق من أنفس وما أُهْرِيق من دماء كثير منها بريء، وسياسة عثمان وعلي ونتائجهما، وقَتْل الخليفتين غدراً، وتوقف بناء الدولة وفتوحاتها وتوسعها ونشر رسالتها..... كل هذه العوامل والمؤثرات والنتاجات؛ قد عاشها السيد الجليل الحسن بن علي، وشارك في صياغتها أو علاجها أو إصلاحها أو تحاشيها والتنبيه على مخاطرها، وأصبحت حاضرة في ذاكرته، مكشوفة أمام بصيرته وخبرته، ماثلة في قلبه وعقله، قد استَبْطَن مداخلَها ومخارجَها ومعارجها ومآلاتها؛ فأسَّس عليها ركائزَ متينةً وضَمَّها إلى أساس منهجه الواضح

(١) «مجموع الفتاوى» ٤/٤٤١ ـ ٤٤٢، وانظر: «منهاج السُّنَّة» ٤/٤٦٣ ـ ٤٦٤.

الثابت القائم على الإصلاح وجمع الكلمة ووحدة الصف وكَفْكَفة جِماح الخلاف، والسعي الدؤوب الصبور نحو رضا الله تعالى وسلامة الدين وصالح الأُمة ورسالتها الخالدة.

نقول: هذا المشهد بتفاصيله ودقائقه وسيرورته ونتائجه؛ كان من أكبر دعائم توجّهات الحسن ورغبتهِ في الإصلاح، والتضحية بكل الألقاب والمناصب، ما دام في ذلك خدمة الإسلام ورفعة الأُمة وسيادة رسالتها وانتشارها... فسار في هذا السبيل الأبلج، ماضياً في منهجه الإصلاحي بخطاً وئيدة وإخلاص تام وانسجام كامل بين مكونات شخصيته وأركان منهجه ومشروعه التاريخي الخالد.



الفصل الثاني

بيعة الحسن بين الاستخلاف والوصية

المبحث الأول ـ الحسن أمير المؤمنين بالبيعة والاستخلاف:

•• أمير المؤمنين علي يرفض أن يستخلف أحداً من بعده:

ثبت عن علي ﷺ أنه ترك الأمر شورى فيمن بعده، يختار المسلمون لمنصب الخلافة من يرونه أهلاً لها، وأعلَن ذلك على الملأ في الساعات الأخيرة من حياته عندما طُعن، وصرَّح بـلا مواربة ولا تقيَّة مزعومة أنه يترك المسلمين يجتمعون على خيرهم كما تركهم رسول الله ﷺ فاجتمعوا على خيرهم من بعده وهو أبو بكر الصديق ﷺ.

ـ عن عبد الله بن سَبُعٍ قال: (سـمعت علياً يقول: لَتُخْضَبَنَّ هذه من هذا، فما يَنتظِرُ بِي الأَشْـقى؟! قالوا: يا أميرَ المؤمنيـن، فأخبِرْنا به نُبِيرُ عِتْرتَهُ! قال: إذنْ تاللهِ تقتُلونَ بي غيرَ قاتِلي! قالوا: فاسْتَخْلِفْ علَينا، قال: لا، ولكنْ أَترُكُكُم إلـى ما تَركَكُم إليه رسـولُ الله ﷺ، قالوا: فما تقولُ لربِّـكَ إذا أتيتَهُ ـ أو: إذا لَقِيتَهُ ـ؟ قال: أقـول: اللَّهمَّ تركتَني فيهم ما بَدَا لك، ثم قَبَضْتَني إليك وأنتَ فيهم، فإنْ شـئتَ أصلحتَهُم، وإنْ شـئتَ أفسدْتَهم)[1].

---

(١) أخرجه أحمد (١٠٧٨، ١٣٣٩)، واللفظ له، وابن سـعد ٣٤/٣، وابن أبي شـيبة ٥٨٧/٨، ٦٤١، وصححه أحمد شاكر، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره.

ـ وعن أبي وائل شَقيق بن سَلَمة قال: (قيل لعلي بن أبي طالب: أَلَا تَستخلِفُ علينا؟ فقال: ما استَخْلَفَ رسول الله ﷺ فأستخلِفُ، ولكنْ إن يردِ الله بالناس خيراً فسيجمعُهم بعدي على خيرِهم كما جَمَعهم بعد نبيِّهم على خيرهِم)[١].

ـ وجاء في وصية علي الطويلة بعدما طُعن، ما رواه الطبري بإسناده:

دخل جُنْدب بن عبد الله على عليٍّ فقال: (يا أمير المؤمنين، إنْ فقدناك ـ ولا نَفقِدُك ـ فنبايع الحسن؟ فقال: ما آمرُكم ولا أنهاكم، أنتم أبصَرُ، فردَّ عليه مثلَها، فدعا حسناً وحسيناً، فقال: أوصيكما بتقوى الله، وألَّا تَبْغِيا الدنيا وإنْ بغَتْكُما، ولا تبكيا على شيء زُوِي عنكما، وقُولَا الحقَّ)[٢].

فهذه أخبار صحيحة ثابتة عن علي رضي الله عنه، واضحة ناطقة بأنه لم يوصِ من بعده لا للحسن ولا للحسين ولا لغيرهما، بل ترك الأمر شورى، والخبر الثالث موجود عند أحد مؤرِّخي الرافضة وهو المسعودي في كتابه «مروج الذهب».

وعليٌّ قد أوصى في آخر ساعاته من الدنيا بوصايا طويلة جليلة، فلم يَذكر فيها الوصية بالخلافة لابنه، ولو أراد ذلك لأعلَنَه على الملأ وجَهَر به؛ ليحملَه عنه الناس، ولما خشي في الله أحداً، ولو وقع منه ذلك لنَقَلَه

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (١١٥٨، ١٢٢١)، والبزار (٥٦٥)، والبيهقي في «السنن» ١٤٩/٨، وهو صحيح بطرقه وشواهده وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» ٢٥١/٥. إسناده جيد.

(٢) «تاريخ الطبري» ١٤٦/٥ ـ ١٤٧، «مروج الذهب» ٢٣١/٢ ـ ٣٢٢، وانظر ما تقدم: ص ١٧١ في هذا الكتاب.

الموافقُ لعليٍّ والمخالفُ له؛ لتوفُّر الدواعي لذلــك. ولو أن علياً كَتَمه عن الناس، أو كَتَمــه النقَلَة فأخفوه؛ لكان ذلك اتهامــاً بالخيانة لعموم الأُمة، وحاشاه وحاشا المسلمين من ذلك.

•• الحسن يبايع الناس ويشترط عليهم:

روى أبو يعلى وإسحاق بن راهَوَيْه وغيرهما في حديث طويل، عن حَبيب بن أبــي ثابت عن أبــي وائل: أن عليــاً بعد أن فَــرغ من قتال الخوارج: (قال: لا أغزو العــام. فرَجَع إلى الكوفة، فقُتِل، واســتَخْلَف الناسُ الحسنَ بن علي)[١].

وروى الطبري وغيره في أحداث سنة (٤٠هـ)، قال: (في هذه السنة بويع للحســن بن علي عليه السلام بالخلافة، وقيل: إن أول مَن بايعه قيس بن سعد، قال له: ابسُــطْ يدَكَ أبايعْكَ على كتاب الله عز وجل وسُــنَّة نبيِّه وقتالِ المُحِلين[٢]، فقال له الحســن رضي الله عنه: على كتاب الله وسُنَّة نبيه، فإن ذلك يأتي من وراء كل شرط، فبايَعَه وسكَتَ، وبايَعه الناسُ)[٣].

وعند ابن ســعد عن مَيْمون بن مِهْران قال: (إن الحسن بن علي بن أبي طالب بايَعَ أهلَ العراق بعد عليٍّ على بيعتين: بايعهم على الإمْرة، وبايعهم على أن يَدخلوا فيما دخل فيه ويرضوا بما رضي به)[٤].

واشترط الحسن رضي الله عنه على مَن بايعه شروطاً؛ فعن الزُّهري قال: (بايَعَ أهلُ العراق الحســنَ بن علي بالخلافة، فطَفِق يشــترط عليهم الحسن:

(١) «المطالب العالية» ٣١٨/٤ حديث (٤٥٠٤)، قال الحافظ. هذا الإسناد صحيح.

(٢) في «المنتظم»: المخالفين.

(٣) «تاريخ الطبري» ١٥٨/٥، «المنتظم» ١٦٥/٥ ـ ١٦٦.

(٤) «طبقات ابن سعد»، بتحقيق د. محمد السلمي ٣١٦/١ ـ ٣١٧، وإسناده حسن.

إنكم سامعون مطيعون، تُسالمون مَنْ سالمتُ، وتحاربون مَن حاربتُ)[١].

وجاء من طريق آخر، عن حارثة بن مُضَرِّب أنه سمع الحسنَ يقول: (واللهِ لا أبايِعُكم إلا على ما أقول لكم، قالوا: ما هو؟ قال: تُسالِمون مَنْ سالمتُ، وتحاربون مَن حاربتُ)[٢].

•• بيعة الناس له، وأقوال العلماء في ذلك:

لما قُتل علي رضي الله عنه بايع الحسنَ أكثَرُ من (أربعين ألفاً) كلهم قد كانوا بايعوا أباه علياً قبل موته على الموت، وكانوا أطوعَ للحسن وأحبَّ فيه منهم في أبيه، وبقي نحو سبعة أشهر خليفةً بالعراق وما وراءها من خُراسان والحجاز واليمن وغير ذلك[٣].

وأول من بايعه قيس بن سعد بن عبادة، كما تقدم قريباً.

قال جرير بن حازم: (لما قُتل عليٌّ بايَعَ أهلُ الكوفة الحسنَ بن علي، وأطاعوه وأحَبُّوه أشدَّ من حبِّهم لأبيه)[٤].

وقال صالح بن أحمد بن حنبل: سمعتُ أَبي يقول: (بايَعَ الحسنَ تسعون ألفاً، فزَهِدَ في الخلافة وصالح معاويةَ، ولم يَسِلْ في أيامه مِحْجَمةٌ من دمٍ)[٥].

---

(١) «تاريخ الطبري» ١٦٢/٥، «تهذيب الكمال» ٢٤٥/٦. وهو في بعض كتب الشيعة: قادتنا كيف نعرفهم لمحمد هادي الحسيني ٣٠٦/٥، الحسن رائد الواقعية السياسية ص ١٣٢.

(٢) «سير أعلام النبلاء» ٢٦٦/٣.

(٣) «الاستيعاب» ٣٦٩/١، «أسد الغابة» ١٣/٢، وانظر: «مختصر ابن عساكر» ٣٣/٧.

(٤) «مختصر ابن عساكر» ٣٣/٧، «تهذيب الكمال» ٢٤٣/٦.

(٥) «البداية والنهاية» ٤١/٨، «سبل الهدى والرشاد» ٥٢٣/١١.

وقال أبو بكر بن العربي: (البيعةُ للحســن منعقــدةٌ، وهو أحقُّ من معاوية ومن كثير من غيره)[١].

وقد نُعِت الحســنُ بـ(أمير المؤمنين)[٢]، وهذا حقٌّ؛ فهو من الخلفاء الراشــدين، ومدة خلافته القصيــرة متممة لفترة (الخلافــة على منهاج النبوة)، كما سيأتي[٣].

فــكل هذه النصــوص التــي قدمناها في هــذا المبحــث تؤكد أن الحسن رضي الله عنه من الخلفاء الراشدين، وأنه تولى إمرة المؤمنين عن مبايعة له وشروط شــرطها هو على المســلمين، فقبِلوا وبايَعُوه على ما شَرَطه عليهم، ولم يأخذ الحكم بالوراثة، ولا كانت هناك وصية مزعومة، ولو كانت موجودةً لمــا كان للناس خيار في أن يبايعــوا أو لا، بل الوصية النبوية واجبة النفاذ والسمع والطاعة لها وللموصَى له.

المبحث الثاني ـ دعوى أن الحسن إمام موصى له:

•• خلاصة وتوضيح حول مفهوم وحقيقة (الإمامة والوصية بها):

تعتقد الشيعة الإمامية الاثنى عشــرية ـ وهم يشكلون أغلبية الشيعة قديماً وحديثاً ـ أن مَنْ يَخْلُف رســول الله ﷺ في الأُمة وحكمها والقيام على أمورها هو: الإمام، وهو منصوصٌ عليه بعهد من الله تعالى، وأول الأئمة هو علي بن أبي طالب.

ـ والحقائــق التاريخيــة تؤكــد وكتب متقدمــي الشــيعة تُثبت أن

---

(١) «العواصم من القواصم» ص ٢٠٦.

(٢) «الإصابة» ١/٣٢٨.

(٣) انظر: ص ٢٠٧ في هذا الكتاب.

عبد الله بن ســبأ (كان أولَ مَنْ أشــهَرَ القولَ بفرضِ إمامة علي، وأَظْهَرَ البراءة من أعدائه، وكاشَفَ مخالفيه وأَكْفَرَهم)(١).

ـ وجاء في بعض عناوين الأبواب من «الكافــي»: «باب أن الإمامة عهدٌ من الله عز وجل معهــودٌ من واحد إلى واحد»، و«بــاب ما نَصَّ الله عز وجل ورسولُه على الأئمة واحداً فواحداً»(٢).

ـ ويقرر محمد حســين آل كاشــف الغطاء أحدُ مراجع الشــيعة في هذا العصر: (أن الإمامة منصبٌ إلهيٌّ كالنبوة، فكما أن الله سبحانه وتعالى يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة ويؤيده بالمعجزة التي هي كنصٍّ من الله عليه؛ فكذلك يختار للإمامة من يشــاء ويأمر نبيَّه بالنصِّ عليه، وأن ينصِّبه إماماً للناس من بعده)(٣).

ـ والإمامة (التي نُصَّ عليها) عند الشــيعة فوق مقــام النبوة، يقول شــيخُهم نعمة الله الجزائري: (الإمامة العامة التي هي فوق درجة النبوة والرسالة....)(٤).

ـ وروى الكُلِينــي عن أبي جعفــر الباقر قال: (بُني الإســلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم يُنادَ بشــيء كما نُودِي بالولاية، فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه ـ يعني الولاية ـ)(٥).

---

(١) «رجال الكشي» ص ١٩٢ رقم (١٧٤)، «المقالات والفِرق» للقمي ص ٢٠، «أصول مذهب الشيعة» ٢٦٤/٢.
(٢) «أصول الكافي» ٢٢٧/١، ٢٨٦.
(٣) كتابه: «أصل الشيعة وأصولها»، ص ٥٨.
(٤) كتابه: «زهر الربيع» ص ١٢.
(٥) «أصول الكافي» كتاب «الإيمان والكفر»، باب دعائم الإسلام ١٨/٢ رقم (٣).

●● والذي ابتدأ فكرةَ (الإمامة والوصية لعليٍّ) هو عبد الله بن سَبَأ، وطوَّرها في القرن الثاني الهجري شيطانُ الطاق[1]، فحَصَرَ الإمامة بأناس من آل البيت، وشاركه رجل آخر هو هشام بن الحَكَم الذي ادَّعى النصَّ وجرَّأَ الناس على شتم أبي بكرٍ وعمر وعثمان والمهاجرين والأنصار!

واستقرَّ قول الاثني عشرية على حصر الإمامة (باثني عشر إماماً)، وعُرف هذا الاعتقاد بعد وفاة الحسن العسكري (سنة ٢٦٠هـ)[2].

ـ وأصبح من أصول الرافضة: (أنه لا يجوز للرعية اختيارُ إمامٍ، بل لا بدَّ فيه من النصِّ)، (فالإمامة لا تكون إلا بالنصِّ)، وأن الرسول ﷺ نَصَّ على عليٍّ وأولادِه، فهم الأئمة إلى أن تقوم الساعة[3].

يقول شيخهم المفيد: (إن الإمامة توجِبُ لصاحبها عند الاثني عشرية: العصمة، والنص، والمعجزة)[4].

وأدلة الرافضة على (النص على الأئمة):

١ ـ كُتب إلهية تنزل من السماء في النص على عليٍّ والأئمة، وهذه الكتب غابت منذ سنة (٢٦٠هـ) مع الغائب المنتظر.

٢ ـ نصوص صريحة في القرآن أخفاها الصحابة.

---

(١) هو محمد بن علي بن النعمان الأحول، (ت١٦٠هـ)، وتلقبه الشيعة: «مؤمن الطاق»، رجال الكشي» ص ٢٥٩.

(٢) «رجال الكشي» ص ٣٣٠ ـ ٣٤٨، «أصول الكافي» ١٧٤/١، «بحار الأنوار» ٢٥٩/١٠٠، «أصول مذهب الشيعة» ٢٧١/٢ ـ ٢٨٠.

(٣) «أصول الكافي» ٢٨٦/١، «أصول مذهب الشيعة» ٢٨٩/٢.

(٤) «العيون والمحاسن» ١٢٧/٢.

٣ ـ نصوص صريحة من الرسول ﷺ، لكن الأُمة أجمعَتْ على كتمانها.

٤ ـ تأويلات باطنية لآيات القرآن، لا يعرفها إلا الأئمة[١].

ومَن أنكَرَ إمامة واحد من الأئمة الاثني عشر فحُكْمُه الكفر والخلود في النار[٢].

قال شيخهم الطُّوسي: (ودَفْعُ الإمامة كفرٌ، كما أن دفْعَ النبوة كفرٌ، لأن الجهل بهما على حد واحد)[٣].

ويقول المفيد: (اتفقت الإمامية على أن مَن أنكر إمامة أحدٍ من الأئمة وجَحد ما أوجبه الله تعالى له من فرضِ الطاعة؛ فهو كافرٌ ضالٌّ مستحق للخلود في النار)[٤].

وهذا يقتضي تكفير: الصحابة، وأهل البيت، وخلفاء المسلمين وحكامهم، وأهالي الأمصار الإسلامية، وقضاة المسلمين، وعلماء المسلمين وأئمتهم، والفِرق الإسلامية، والأُمة!!

•• أحاديث موضوعة وباطلة في الوصية:

رُوِيت عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة ضعيفة وواهية، وروى المتروكون واختَلَق الكذابون وأصحاب الأهواء الآلافَ من الأحاديث الباطلة والموضوعة. وشارك الرافضة في شيءٍ كثيرٍ من ذلك، وكثُرتْ عندهم

---

(١) «أصول مذهب الشيعة» ٣١٤/٢ ـ ٣١٥.

(٢) انظر: تفصيل ذلك في: «أصول مذهب الشيعة» ٣٣٤/٢ ـ ٣٧٧.

(٣) «تلخيص الشافي» ١٣١/٤.

(٤) المسائل للمفيد، نقله عنه المجلسي في «بحار الأنوار» ٣٦٦/٨.

الأحاديث المرسَلة والمقطوعة والمنقطعة والمُعْضَلة والواهية والمكذوبة على رسول الله ﷺ، وتمسكوا بها واعتمدوا عليها في مذهبهم، ومن أخطر ذلك ما احتجوا به على قضايا (الولاية والعصمة والنصّ على الإمام الخليفة) الذي يلي أمر الأُمة.

ومن أشهر مَن جمع (هذا النوع من الأحاديث) من الرافضة المعاصرين: عبد الحسين شرف الدين الموسوي في كتابه (المراجعات).

وقد صنف بعض الغيورين من باحثي أهل السُنَّة في الردِّ عليه، منهم: أبو عبد الله النعماني الأثري في كتابه: (مجمل عقائد الشيعة والمراجعات في الميزان)، حيث نَقل عن عبد الحسين (١١٠ أحاديث) استدل بها الرافضة على (ولاية علي وعصمته والنص على إمامته)، وبَيَّنَ وهاءَها وبطلانَها على طريقة أهل الحديث في القبول والردّ، وهي مصنفة كما يلي: ضعيف، ضعيف جداً، منكر، باطل، موضوع.

وعبد الفتاح محمود سرور في كتابه: (تبصير السَّويّ ببطلان مرويات الوصيِّ)، نقل عن عبد الحسين شرف الدين (أربعين حديثاً) في هذا الموضوع، وساقها حديثاً حديثاً، وتناولها بالنقد متحاكماً في ذلك إلى (قواعد الرافضة في الرجال والحديث) ومن كتبهم، ووصل إلى أنه لم يَصحَّ منها شيء!

وقد ذكرتُ جملةً من هذه (الأحاديث الباطلة) في كتابي (علي بن أبي طالب)، وأسوق هنا ثلاثة منها ذات علاقة بترجمة الحسن بن علي والوصية إليه بزعمهم:

الحديث الأول: عن أبي ذر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كما

أنا خاتم النبيين، كذلك علي وذريته يختمون الأوصياء إلى يوم الدين».

حديث خرافة!

أورده الجورقاني في «الأباطيل» وابن الجوزي في «الموضوعات»، والذهبي في «تلخيص الموضوعات» وقال: سنده مكذوب[١].

الحديث الثاني: أخرج محمد بن علي بن الحُسين بن موسى بن بابَوَيْه القُمّي المعروف عندهم (بالصدوق) بسنده إلى الإمام جعفر الصادق عن أبيه عن آبائه عليهم السلام؛ أن رسول الله ﷺ قال: «حدَّثني جبرائيل عن ربِّ العزة جلَّ جلاله أنه قال: مَنْ عَلِم أنه لا إله إلا أنا وحدي، وأن محمداً عبدي ورسولي، وأن علي بن أبي طالب خليفتي، وأن الأئمة من ولده حُجَجِي ـ أدخلْتُه الجنة برحمتي»[٢]. **حديث موضوع.**

الحديث الثالث: وأخرج الصدوق أيضاً بسنده إلى الإمام جعفر الصادق عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «الأئمة بعدي اثنا عشر، أوَّلُهم عليٌّ، وآخرُهم القائم، هم خلفائي وأوصيائي،...» الحديث[٣]. **حديث موضوع.**

●● وروت كتب الشيعة الاثني عشرية عن أبي جعفر عن جابر قال: (دخلتُ على فاطمة وبين يديها لوحٌ فيه أسماءُ الأوصياء من ولدِها،

---

(١) «الأباطيل» ٢٧٩/١ ـ ٢٨٠، «الموضوعات» ١٥١/٢، «ميزان الاعتدال» ٥٢١/٣.

(٢) «تبصير السوي» ص ٩٣، «إكمال الدين» للصدوق ص ٢٥٢، «غاية الغرام» للبحراني ١٦٣/١، وغير ذلك من المصادر الشيعية ذكرها صاحب «تبصير السوي»، وهو في: المراجعات.

(٣) «تبصير السوي» ص ٩٤، «إكمال الدين» ص ٢٥٩، «كفاية الأثر» للخزاز القمي ص ١٤٦، وهو في: المراجعات.

فعَدَدْتُ اثني عشـر آخرهـم القائم، ثلاثـة منهم محمـد، وثلاثة منهم علي)[١].

وقال ابـن المُطَهَّر الحِلِّـي في «منهـاج الكرامة»: (لمَّـا بعث الله محمدًا ﷺ قام بنقل الرسـالة، ونَصَّ على أن الخليفة بعده عليُّ بن أبي طالب، ثم بمن بعده على ولدِه الحسـن الزكي، ثم على ولدِه الحسين الشـهيد...)، فذكر بقيةَ الأئمة الاثني عشـر، ثم قال: (إن النبي ﷺ لم يَمُتْ إلا عن وصيةٍ بالإمامة)[٢].

وروى الكُلِيني بإسناده عن سُـلَيْم بن قَيْس قال: (شهِدْتُ وصيةَ أمير المؤمنيـن عليه السلام حين أوصى إلى ابنهِ الحَسـن عليه السلام، وأشـهَدَ على وصيته الحُسين عليه السلام ومحمداً وجميعَ ولده ورؤساءَ شيعتِه وأهلَ بيتهِ، ثم دَفَع إليه الكتابَ والسلاحَ، وقال لابنهِ الحسن عليه السلام: يا بُنَيَّ، أَمَرني رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أن أُوصِي إليكَ، وأن أَدْفَع إليكَ كُتبي وسلاحي، كما أَوْصَى إليَّ رسـولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ودَفَع إليَّ كُتبَهُ وسلاحَه، وأَمرني أن آمُرَكَ إذا حضرك الموتُ أن تدفَعَها إلى أخيك الحسـين عليه السلام. ثم أقبل على ابنه الحسين عليه السلام فقال: وأَمَرَكَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أن تدفَعَها إلى ابنك هذا، ثم أَخذ بيدِ علي بن الحسين عليه السلام. ثم قال لعليِّ بن الحُسـين: وأمرَكَ رسـول الله ﷺ أن تدفَعَها إلى ابْنِكَ محمدِ بن عليٍّ، وأَقرِئْهُ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ومنِّي السلامَ)[٣].

---

(١) «أصول الكافي» ٥٣٢/١. «إكمال الدين» لابن بابويه ص ٢٦٤، «الإرشاد» للمفيد ص ٣٩٣، «أصول مذهب الشيعة» ٢٨١/٢.

(٢) «منهاج السُّنَّة النبوية» ٧٧/١ ـ ٧٨.

(٣) «أصول الكافي» ١٧٢/١.

وروى الكُلِيني أيضاً بإسناده إلى أبي جعفر الباقِر عليه السلام قال: (إن أميرَ المؤمنين عليه السلام لمَّا حضَرَه الذي حضَرَه قال لابنهِ الحسن: ادنُ منِّي حتى أُسِرَّ إليك ما أَسَرَّ رسولُ الله صلى الله عليه وآله إليَّ، وأَأْتَمِنُكَ على ما ائْتَمَنَنِي عليه، ففَعَل)[١].

وعن الأَجْلَح وسَلَمة بن كُهيل وداود بن أبي يزيد وزَيْدٍ اليَمامِيِّ قالوا: حدَّثنا شَهْر بن حَوشَب: (أن علياً عليه السلام حين سار إلى الكوفة استودَعَ أمَّ سلمة كُتبَهُ والوصيَّةَ، فلما رَجَع الحَسن عليه السلام دَفَعَتْها إليه)[٢].

•• الأئمة الاثنا عشر (تسميتهم ومنزلتهم وعقيدة الإمامية فيهم):

في أصول الإمامية الاثني عشرية وكتبهم المتقدمة ومراجعهم المعتمدة: أن الذين يَلُون أمَر المسلمين موصىً لهم بذلك ومعهودٌ إليهم بالإمامة من الله عز وجل ورسولِه صلى الله عليه وسلم واحداً فواحداً، وهم اثنا عشر إماماً نُصَّ عليهم بالاسم والصفة، كل إمام يسلِّم (الوصيةَ) للذي بعده، وليس له أن يتجاوزه فيها أو يَزْويها عنه.

ـ بوَّب الكُلِيني في «الكافي» فقال: (باب أن الإمامة عهدٌ من الله عز وجل معهودٌ من واحدٍ إلى واحدٍ عليهم السَّلام)، وساق أربعة أحاديث؛ منها:

عن أبي عبد الله جعفر الصادق قال: (أَتَرون المُوصِيَ منَّا يوصِي إلى مَن يريد؟! لا واللهِ، ولكن عهدٌ من الله ورسولهِ صلى الله عليه وآله لرجلٍ فرجلٍ حتى ينتهيَ الأمرُ إلى صاحبه)[٣].

---

(١) أصول الكافي: ١/١٧٢.

(٢) المرجع السابق.

(٣) «أصول الكافي» كتاب «الحجة» ١/١٥٩.



وعن أبي عبد الله قال: (إن الإمامة عهدٌ من الله ﷻ معهودٌ لرجالٍ مُسَمَّيْنَ، ليس للإمام أن يَزْوِيَها عن الذي يكونُ من بعدِه)[١].

ـ وبوَّب الكُلِيني أيضاً بَعْدَ صفحات فقال: (باب ما نَصَّ اللهُ ﷻ ورسولُه على الأئمة عليهم السلام واحداً فواحداً)، فذكر (سبعة أحاديث)[٢].

ثم أفرد باباً في النصِّ على الأئمة الاثني عشر، فقال: (باب ما جاء في الاثني عشر والنصِّ عليهم عليهم السلام)، وذكر فيه (٢٠ حديثاً)، ومن ذلك:

عن زُرَارة بن أَعْيَن قال: سمعت أبا جعفر الباقر عليه السلام يقول: (نحن اثنا عشر إماماً، منهم حَسن وحُسين، ثم الأئمةُ من ولدِ الحسين عليه السلام)[٣].

ومما ينسب إلى الحسن بشأن الوصية بالخلافة:

روى عُمر بن علي عن أبيه علي بن الحسين قال: (خطب الحسنُ بن علي الناسَ حين قُتل عليٌّ، فحمِدَ الله وأثنى عليه، ثم قال: لقد قُبض في هذه الليلة رجلٌ لا يَسبقه الأولون بعمل ولا يُدركه الآخِرون.... ثم قال: أيها الناس، مَن عَرفَني فقد عرفني، ومن لم يعرفْني فأنا الحسنُ بن علي، وأنا ابن النبي وأنا ابن الوصيِّ، وأنا ابن البشير وأنا ابن النذير، وأنا ابن الداعي إلى الله بإذنه، وأنا ابن السِّراج المنير، وأنا من أهل البيت الذي كان جبريل ينزل إلينا ويصعد من عندنا...) الحديث[٤].

---

(١) أصول الكافي ١/١٥٩ ـ ١٦٠.

(٢) المرجع السابق ١/١٦٥ ـ ١٦٨.

(٣) المرجع السابق ١/٣٢١ ـ ٣٢٢.

(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» ٣/١٧٢، وقال الذهبي: ليس بصحيح. وهو في «مقاتل الطالبيين» ص ٦٢. وقد جاء القسم الأول من هذه الخطبة بسند صحيح، انظر ما تقدم: ص ١٣١ حاشية (٢) و(٣) في هذا الكتاب.

•• نقض دعوى الوصية:

نقول: دعــوى الوصية زعمٌ باطــلٌ، والأحاديثُ الــواردة فيها واهية وباطلــة ومكذوبة على النبــي ﷺ وعلى أصحابه وذرّيتــه، وقد جاءت الأحاديث النبوية الصحيحة الصريحة بنفي وجودِها وإبطالِها وتزييفها، ثَبَت ذلــك عن جمهرة مــن أعيان الصحابــة وأكابرِ أهــل البيت وفي مقدمتهم علــيٌّ رضي الله عنه (أول الأوصياء) بزعم المفترين على الله ورســوله وأهل بيته.

وقد أوضحت بإســهاب وتَفْصِيلِ الحُجَجَ في ذلــك، وأَثْبَتُّ زيفَها وبطلانها من (أربعة وثلاثين وجهاً) في كتابــي «علي بن أبي طالب»، فانظره فيه.

ولــو كان الأمر فــي (الإمامــة) على ما تقــول الرافضــة، لَمَا كان الحسن بن علي في سَعة من أن يسلِّمَها إلى معاوية، فيُعينه على الضلال وعلى إبطال الحق وهدمِ الدين، فيكون شــريكَه في كل مَظْلَمة، ويُبطل عهدَ رســول الله ﷺ! ويوافقه على ذلك أخوه الحســين، فما نقض بيعة معاوية قط إلى أن مات. فكيف اســتحلَّ الحســن والحسين رضي الله عنهما إبطالَ عهد رســول الله ﷺ إليهما طائعَيْن غير مكرَهَيْن[1]، وقد كان مع الحسن كتائب كأمثال الجبــال كما جاء فــي «صحيح البخــاري»، فتنازَلَ عن الخلافة لا عن قلّة ولا عن ذِلَّة؟! ولكنْ حال مَن يَزعُم الوصيةَ كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد: ٣٣].



(١) انظر: الفصل في «المِلل والأهواء والنِحل» ١٧٢/٤ ـ ١٧٤، «أصول مذهب الشيعة» ٣٣٢/٢ ـ ٣٣٣.

الفصل الثالث

الحسن خليفة على منهاج النبوة وليس إماماً معصوماً

المبحث الأول ـ عهد الحسن خلافة على منهاج النبوة:

استمر عصر النبوة ثلاثاً وعشرين سنة، وأخبر رسول الله ﷺ بأنه ستكون بعده خلافةٌ على منهاج النبوة لمدة ثلاثين سنة.

عن سعيد بن جُمْهَان، عن سفينةَ مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**خلافةُ النُّبوَّة ثلاثونَ سنةً، ثم يُؤتي الله المُلكَ ـ أو: مُلْكَه ـ من يشاء**».

وفي رواية: عن سعيد بن جُمْهَان، عن سَفينةَ رضي الله عنه قال: (سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **الخلافةَ ثلاثون عاماً، ثم يكون بعدَ ذلك المُلْكُ**». قال سفينةُ: أَمْسِكْ: خلافةَ أبي بكر رضي الله عنه سنتين، وخلافةَ عمر رضي الله عنه عشرَ سنين، وخلافةَ عثمان رضي الله عنه اثنتي عشرة، وخلافة علي رضي الله عنه ستَّ سنين)[1].

فهذا الحديث الصحيح حدَّد خلافةَ النبوة بثلاثين سنة، ثم بيَّن راويه الصحابي الجليل سفينة رضي الله عنه مدة خلافة كل خليفة، فقال لسعيد بن

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٤٦) و(٤٦٤٧)، والترمذي (٢٣٧٥)، والنسائي في «الكبرى» (٨٠٩٩)، وأحمد (٢١٩١٩)، والطيالسي (١١٠٧)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣٣٤٩)، وابن حبان (٦٦٥٧) و(٦٩٤٣)، وغيرهم، وصححه ابن حبان وابن عبد البرّ والحاكم وابن تيمية وغيرهم، وصححه الألباني وأطال الكلام عليه في الصحيحة (٤٥٩).

جُمْهان: (أَمْسِـك)، أي عُدَّ واحسُبْ واضْبِط الحسـابَ عاقداً أصابِعَك، لكن ذلك التحديد كان على وجه الإجمال والاختصار وجبر الكسور.

فأبو بكر رضي الله عنه تولـى الخلافة في شـهر ربيع الأول سـنة (١١هـ)، وتنازل الحسـن بن علي رضي الله عنهما عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه في أواخر ربيع الأول من عام (٤١هـ)، ويُسـمَّى عامَ الجماعة، فمدَّةُ ذلك ثلاثون سنة، وتفصيلها كما يلي:

ـ خلافة الصديق ومدتها سنتان وثلاثة أشهر وعشرة أيام.

ـ وخلافة الفاروق ومدتها عشر سنين وستة أشهر وثمانية أيام.

ـ وكانت خلافة عثمان اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً.

ـ وكانت خلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر وسبعة أيام.

فجملة ذلك تسع وعشرون سنة ونصف السنة وأيام، وتتمة الثلاثين هي مدة خلافة الحسن بن علي، وكانت نحو ستة أشهر[1].

فخلافة الحسـن على منهاج النبوة، وتمثِّل الجـزءَ الأخير من عهد الخلفاء الراشـدين الأربعة، ووصلت إليه الخلافة وإمرة المؤمنين مثل من سبقه بالشورى والبيعة من قبل المسلمين كما سيأتي بيانه.

وقد ذَكر جمعٌ من العلماء أن (مدةَ خلافة الحسـن) داخلةٌ في مرحلة (خلافة النبوة) التي استغرقت ثلاثين سنة، ومن هؤلاء:

١ ـ قال الإمام أبو بكر بن العربي: (فنَفَذ الوعدُ الصادق في قوله صلى الله عليه وسلم

(١) انظر: «صحيح ابن حبان» ١٥/٣٧ ـ ٣٨، «جوامع السيرة» ص ٣٥٣ ـ ٣٥٦، «عون المعبود» ٨/٤١، «تحفة الأحوذي» ٦/٨٨.

«الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم تعود مُلكاً»، فكانت لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وللحسن منها ثمانية أشهر لا تزيد ولا تنقص يوماً، فسبحان المحيط لا ربَّ غيره)(١).

٢ ـ وقال القاضي عياض في تعليقه على حديث «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً»: (لم يكن في ثلاثين سنة إلا الخلفاءُ الراشدون الأربعة، والأشهر التي بُويع فيها الحسن بن علي... والمراد في حديث «الخلافة ثلاثون سنة»: خلافةُ النبوة، وقد جاء مفسَّراً في بعض الروايات: «خلافةُ النبوة بعدي ثلاثون سنة، ثم تكون مُلْكاً»(٢).

٣ ـ وقال الحافظ ابن كثير في أثناء حديثه عن خلافة الحسن: (والدليل على أنه أحدُ الخلفاء الراشدين الحديثُ الذي أوردناه في «دلائل النبوة»(٣)، من طريق سَفينة مولى رسول الله ﷺ؛ أن رسول الله ﷺ قال: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون مُلْكاً»، وإنما كَمُلت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي...)(٤).

٤ ـ وقال ابن أبي العز: (كانت خلافةُ أبي بكر الصديق سنتين وثلاثة أشهر، وخلافةُ عمر عشرَ سنين ونصفاً، وخلافةُ عثمان اثنتي عشرة سنة، وخلافةُ علي أربعَ سنين وتسعة أشهر، وخلافةُ الحسن ابنه ستةَ أشهر)(٥).

٥ ـ وعلَّق العلّامة محمد عبد الرؤوف المُنَاوِيّ على حديث: «ابني

---

(١) «أحكام القرآن» ١٧٢٠/٤.
(٢) «شرح صحيح مسلم» للنووي ٤٤٣/٦ شرح الحديث (١٨٢١).
(٣) انظر: «البداية والنهاية» ١٩٨/٦.
(٤) «البداية والنهاية» ١٦/٨.
(٥) «شرح العقيدة الطحاوية» ص ٧٢٢.

هذا سـيِّد، ولعل الله أن يُصلِح به بين فئتين عظيمتين من المسـلمين»، فقال: (وكان ذلك، فلما بُويع له بعد أبيه، وصـار هو الإمام الحق مدة ستة أشـهر تكملة للثلاثين سـنة التي أخبر المصطفـى ﷺ أنها مدة الخلافة، وبعدها يكون مُلكاً)[1].

المبحث الثاني ـ دعوى أن الحسن هو إمام معصوم:

●● وإذا كان الحسـن بن علـي رضي الله عنه وعـن أبيه، وفقـاً للثابت من الأحاديث النبوية، وفي منظور أهل السُـنَّة، وكما تؤكده حقائق التاريخ، وكذلك في حقيقة أمر الحسـن نفسـه وواقع حاله ـ خليفةً على منهاج النبوة، وسيداً من سـادات الصحابة، إماماً جليلاً عالماً مجتهداً، يجوز عليه ـ كغيره ـ الخطأ وليس معصوماً.

فإنه عند الشـيعة الإمامية الاثني عشرية: هو أحدُ الأئمة الاثني عشر المعصوميـن، وقولُهم كقول الله تعالى ورسـوله ﷺ، وهـم خَزَنةُ عِلْم الله ﷻ، ولا يَخْفَى عليهم شيء، ولا يَقع منهم الخطأ.... كما ثَبَت ذلك في أوثـقِ مصادرهم وأقدمِ أصولهـم، وتناقلوه قَرْناً بعـد قرن، بل زاد الأخلاف غُلوّاً عن أسلافهم في أئمتهم المعصومين، والحسن هو الإمام الثاني عندهم.

١ ـ يقرِّر رئيسُ الشـيعة ابن بابَوَيْه القُمّي (المتوفى سـنة ٣٨١هـ) عقيدةَ الشيعة في (العصمة)، في كتابه «الاعتقادات» الذي يُسمَّى «دينَ الشيعة الإمامية» فيقول: (اعتقادُنا في الأئمة: أنهم معصومون مطهَّرون من كل دَنَس، وأنهم لا يُذنبـون ذَنْباً صغيراً ولا كبيراً، ولا يَعصون الله

(١) «فيض القدير» ٤٠٩/٢.

ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ومَن نَفَى عنهم العصمةَ في شـيء من أحوالهـم فقد جَهِلَهم، ومَـن جهلهم فهو كافـر. واعتقادُنا فيهم أنهم معصومون موصوفـون بالكمال والتمـام والعلم مـن أوائل أمورهم وأواخرهـا، لا يُوصَفون في شـيء من أحوالهم بنقـصٍ ولا عصيان ولا جهل)[1].

٢ ـ ويعرِّف الشـيخ المفيد (المتوفى سـنة ٤١٣هـ) العصمةَ: (بأنها لُطفٌ يفعله الله تعالى بالمكلَّف بحيث يَمنع منـه وقوعَ المعصية وتَرْكَ الطاعة مع قدرته عليها)[2].

٣ ـ ويقول إمام الشـيعة في زمانه محمد باقِر المَجْلِسـيّ (المتوفى سـنة ١١١١هـ): (اعلَـمْ أن الإماميـة اتفقوا على عصمـة الأئمة عليهم السلام من الذنوب صغيرِها وكبيرِها، فلا يقعُ منهم ذنبٌ أصلاً، لا عمداً ولا نسياناً ولا لخطأ في التأويل، ولا للإسهاء من الله تعالى)[3].

●● ودعـوى العصمة للأئمـة تُضاهي المشـاركةَ في النبـوة، فإن المعصومَ يجب اتباعُه في كل ما يقول، ولا يجوز أن يُخالَف في شـيٍ، وهذه خاصةُ الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسَّلام.

وهي دعوى تخالف الكتابَ والسُّنَّة وإجماعَ سلف الأُمة وأئمتها، بل تُخالِـف ما جاء عـن أفاضـل كبار ممـن يعتبرهـم الشـيعة (أئمتَهم المعصومين)!

---

(١) «الاعتقادات ص ١٠٨ ـ ١٠٩، «أصول مذهب الشيعة الإمامية» ٤٠٨/٢، ٤٠٩.

(٢) «النكت الاعتقادية» للمفيـد ص ٣٣ ـ ٣٤، تصحيح الاعتقاد له أيضـاً: ص ١٠٦، «أصول مذهب الشيعة الإمامية» ٤٠٨/٢.

(٣) «بحار الأنوار» ٢١١/٢٥، وانظر: «مرآة العقول» ٣٥٢/٤.

ـ قال الله تعالــى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النســاء: ٥٩]، فلم يأمرنا سبحانه وتعالى بالردِّ عند التنازع إلا إلى الله والرســول، ولو كان للناس معصومٌ غير الرســول ﷺ لأَمرَهُم بالردِّ إليه، فدلَّ القرآن أن لا معصومَ إلا الرسول ﷺ.

وقد اتفق أهل العلم ـ أهل الكتاب والسُــنَّة ـ على أن كل شــخص سوى الرســول؛ فإنه يُؤخَذ من قوله ويُترك إلا رسول الله ﷺ فإنه يجب تصديقُه فــي كل ما أَخبر به، واتباعُــه فيما أَمر واجتنــابُ ما نَهى عنه وزَجَر، وأن لا يُعبد الله إلا بما شَــرع؛ فإنه المعصومُ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى[1].

وفي الكتــاب المقدَّس عند الشــيعة، وهو «نهــج البلاغة»، جــاء عن أمير المؤمنين علي ما ينفي عنه العصمة، وغيرُه من (الأئمة المزعومين) ممن جاء بعده أولى بذلك، قال رضي الله عنه:

(لا تُخالِطوني بالمصانَعَة، ولا تَظنُّوا بي اســتِثْقَالاً في حقٍّ قيل لي، ولا التماسَ إعظامٍ لنفسي، فإنه مَن اســتَثْقَل الحقَّ أن يُقال له أو العدلَ أن يُعْرَضَ عليه؛ كان العملُ بهما أثقلَ عليه.

فلا تَكُفُّوا عن مقالةٍ بحقٍّ، أو مشــورةٍ بعدْلٍ، فإنِّي لستُ في نفسي بفوقِ أن أُخْطِــئ، ولا آمَنُ ذلك من فِعْلي، إلا أن يَكفي اللهُ من نفســي ما هو أملكُ به منِّي)[2].

---

(١) انظر: «منهاج السُنَّة النبوية» ٤٠٥/١، ١١٠/٢، ٤٥٢ ـ ٤٥٧، ٤٦١، ٥٨٦، ٦٢٩/٣ ـ ٦٣١، «أصول مذهب الشيعة الإمامية» ٤٢٢/٢ ـ ٤٢٣.

(٢) «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ٧٥/٦.

قال ابن أبي الحديد في شرحه: (قوله: «فإني لستُ بفوقِ أن أخطئ»: هذا اعتراف منه عليه السلام بعدم العصمة، فإما أن يكون الكلام على ظاهره، أو يكون قاله على سبيل هَضْم النفس)[١].

وكان عليٌّ ـ وهو أولُ الأئمة عند الشيعة ـ يَعترف بذُنوبه، ويستغفر الله منها، ومما جاء عنه في دعائه واستغفاره قوله: (اللَّهمَّ اغفِرْ لي ما أنتَ أعلمُ به منِّي، فإنْ عُدْتُ فَعُدْ عليَّ بالمغفرة، اللَّهمَّ اغفِرْ لي ما وَأَيْتُ من نفْسي ولم تَجِدْ له وفاءً عندي.

اللَّهمَّ اغفِرْ لي ما تقرَّبتُ به إليك بلساني ثم خالَفَه قلبي. اللَّهمَّ اغفِرْ لي رَمَزَاتِ الأَلْحاظ، وسَقَطاتِ الأَلْفَاظ، وسَهَوات الجَنَانِ، وهَفَوات اللِّسان!)[٢].

وقال أبو عبد الله جعفر الصادق ـ وهو الإمام السادس عند الشيعة ـ: (إنَّا لَنُذنبُ ونُسيء، ثم نتوبُ إلى الله مَتاباً)[٣].

وكان الإمام السابع عندهم وهو موسى بن جعفر المعروف بالكاظِم يدعو فيقول: (ربِّ عصيتُكَ بلِساني ولو شئتَ ـ وعزَّتِكَ ـ لأَخْرَسْتَني، وعصيتُك ببَصَرِي ولو شئتَ لأَكْمَهْتَني، وعصيتُك بسَمْعِي ولو شئتَ ـ وعزَّتك ـ لأَصْمَمْتَني، وعصيتُك بيدي ولو شئتَ ـ وعزَّتك ـ لَكَنَعْتَنِي، وعصيتُك بفَرْجي ولو شئتَ ـ وعزَّتك ـ لأَعْقَمْتَني، وعصيتُك برِجْلي ولو شئتَ ـ وعزَّتك ـ لجَذَمْتَني، وعصيتُك بجميع جوارحي

(١) شرح نهج البلاغة ٧٩/٦ ـ ٨٠.
(٢) «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ٣٢٥/٣. وأيت: وعدت، والوأي: الوعد. رمزات الألحاظ: الإشارة بها، والألحاظ: جمع لَحَظ وهو مؤخَّر العين.
(٣) «بحار الأنوار» ٢٠٧/٢٥، «أصول مذهب الشيعة» ٤٢٥/١ ـ ٤٢٦.

التي أنعمتَ بها عليَّ ولم يكن هذا جزاك مني!!)[١].

•• ويغلو الشيعة في أئمتهم ـ والحسنُ هو الإمام الثاني عندهم ـ فيَخْلَعون عليهم صفاتِ الأنبياء، وخصائصَ أخرى يَفوقون فيها الرسلَ عليهم الصلاة والسَّلام، بل إنهم لَيُشاركون اللهَ تعالى في بعض صفاته، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً!

فالسُنَّة عند الإمامية الاثني عشرية: (كل ما يصدرُ عن المعصوم من قولٍ أو فعل أو تقرير)[٢].

ويقول أحد شيوخ الرافضة المعاصرين: (إن الاعتقادَ بعصمةِ الأئمة جَعَلَ الأحاديثَ التي تصدر عنهم صحيحةً، دون أن يَشترطوا إيصالَ سندِها إلى النبي ﷺ كما هو الحال عند أهل السُنَّة)[٣].

وذلك أن الإمامة عندهم: (استمرارٌ للنبوة)[٤]، وأن الأئمة كالرسل: (قولُهم قولُ الله، وأمرُهم أمرُ الله، وطاعتُهم طاعةُ الله، ومعصيتُهم معصية الله، وإنهم لم يَنطقوا إلا عن الله تعالى وعن وَحْيه!)[٥].

ويروي الكُلِيني بإسناده إلى أبي عبد الله جعفر الصادق ـ وهو: جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ـ قال:

---

(١) «بحار الأنوار» ٢٥/٢٠٣. لأكمهتني: كَمِهَ الرجل: عَمِيَ أو صار أَعْشَى. لكنعتني: كَنَع يدَه: أَشَلَّها وأَيبَسَها.

(٢) «الأصول العامة للفِقه المقارن»، لمحمد تقي الحكيم الشيعي، ص ١٢٢.

(٣) «تاريخ الإمامية»، لعبد الله فياض، ص ١٤٠.

(٤) «عقائد الإمامية»، لمحمد رضا المظفر، ص ٦٦.

(٥) «الاعتقادات»، لابن بابويه القمي، ص ١٠٦، «أصول مذهب الشيعة الإمامية» ١/٣٥٦ ـ ٣٥٧.

(حَدِيثي حديثُ أَبي، وحديثُ أَبي حديثُ جَدِّي، وحديثُ جدِّي حديثُ الحُسين، وحديث الحُسين حديثُ الحَسن، وحديثُ الحَسن حديثُ أميرِ المؤمنين عليه السلام، وحديثُ أمير المؤمنين حديثُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وحديثُ رسول الله قولُ الله عز وجل!)[1].

فكلامُ الحســن ـ بل من هو دونه ـ يُماثِل كلامَ الله تعالى، أو كأنه هو، فأيُّ زندقةٍ هذه؟!.

ويقول محمد صالــح المازَنْدَراني في «شــرح الكافي»: (يجوز مَن سمع حديثاً عن أبي عبد الله، أن يرويه عن أبيه، أو عن أحدٍ من أجدادِه، بل يجوز أن يقول: قال الله تعالى)[2]!

وهذا صريح في جواز نسبة أقوال البشر إلى الله سبحانه وتعالى!!

وقد عَقَد صاحبُ «الكافي» باباً بعنون: (باب أن الأئمةَ عليهم السلام ولاةُ أمرِ الله وخَزَنةُ عِلْمه)، وساق فيه ستةَ أحاديث لبيان ذلك. وباباً آخر عنوانه: (بابُ أن الأئمــةَ عليهم السلام وَرِثوا علْــمَ النبــيِّ وجميعِ الأنبيــاء والأوصياءِ ـ صلوات الله عليهم ـ الذين مِن قبلهم)، وأسند فيه سبعة أحاديث. وباباً ثالثاً عنوانه: (بابُ أن الأئمةَ عليهم السلام يَعْلَمون جميعَ العلومِ التي خَرَجتْ إلى الملائكةِ والأنبياءِ والرسل عليهم السلام)، وذكر فيه أربعة أحاديث[3].

فمن ذلك ما أَسنده عن أبي عبد الله جعفر الصادق قال: (نحنُ ولاةُ أمرِ الله، وخَزَنةُ علم الله، وعَيْبَة[4] وحيِ الله).

---

(١) «أصول الكافي» كتاب «فضل العلم» ٣٤/١.

(٢) «شرح جامع على الكافي»، للمازندراني ٢٧٢/٢ «أصول مذهب الشيعة الإمامية» ٣٥٧/١ ـ ٣٥٨.

(٣) «أصول الكافي» كتاب «الحجة» ١٠٩/١، ١٢٨ ـ ١٣٠، ١٤٥ ـ ١٤٦.

(٤) أصل العَيْبة: الوعاء أو المستودع يوضع فيه المتاع ونحوه، أي: هم مستودع الوحي وموضع سرّه!

وعن المُفَضَّل بن عُمر قال: (قال أبو عبد الله ﷺ: إنَّ سليمانَ وَرِثَ داودَ، وإن محمداً وَرِث سليمانَ، وإنَّا وَرِثْنا محمداً، وإنَّ عندنا علمَ التوراة والإنجيل والزبور وتبيانَ ما في الألواح. قال: قلتُ: إنَّ هذا لهوَ العلمُ! قال: ليس هذا هو العلمَ، إن العلم الذي يَحدُث يوماً بعد يوم وساعةً بعد ساعةٍ).

وعن أبي عبد الله قال: (إن للهِ تبارك وتعالى عِلْمَيْن: علماً أَظْهَرَ عليه ملائكتَه وأنبياءَه ورسلَه، فما أَظهَر عليه ملائكتَه ورسلَه وأنبياءَه فقد عَلِمْنَاهُ. وعلماً استأثَر به فإذا بَدَا لله في شيء منه أَعْلَمَنا ذلك وعَرَض على الأئمة الذين كانوا مِن قَبْلنا)[1].

وذكر الكُلِيني ـ الموصوفُ عند الشيعة بأنه: ثقةُ الإسلام ـ أن الأئمة لا يَخْفَى عليهم شيء، وبوَّبَ لذلك فقال: (بابُ أن الأئمةَ ﷺ يَعلمون عِلْمَ ما كان وما يكون، وأنه لا يخفَى عليهمُ الشيء، صلوات الله عليهم).

وساق في الباب ستة أحاديث، منها ما أسنده عن أبي عبد الله جعفر الصادق قال: (إني لأَعلَمُ ما في السموات وما في الأرض، وأَعلَمُ ما في الجنة وأعلمُ ما في النار، وأعلَمُ ما كان وما يكون. قال: ثم مَكَث هُنَيْئَةً، فرأى أن ذلك كَبُر على مَن سَمِعَه منه، فقال: علمتُ ذلك من كتاب الله ﷻ، إن الله ﷻ يقول: فيه تبيانُ كلِّ شيء)[2].

---

(١) «الكافي» ١/١٠٩، ١٢٩، ١٤٥ ـ ١٤٦، على الترتيب.

(٢) «أصول الكافي» كتاب «الحجة» ١/١٤٩. والذي في التنزيل العزيز: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].



ومن الأخبار التي لا يحتملها امـرؤٌ عنده ذرة من عَقْل ما رووه عن (عظمة علم الحسن)؛ فقد أسنَدَ الكُلِيني عن أبي عبد الله جعفر الصادق قال: (إن الحسـن عليه السلام قال: إنَّ لله مدينتين إحداهُما بالمَشْرق والأخرى بالمَغْرب، عليهما سـورٌ من حديد، وعلى كل واحـد منهما ألفُ ألفِ مِصْراعٍ، وفيها سـبعون ألـفَ ألفِ لغـةٍ، يتكلم كلُّ لغـةٍ بخلافِ لغةِ صاحبِها، وأنا أَعْرِف جميعَ اللغات، ومـا فيهما وما بينهما، وما عليهما حُجَّةٌ غيري وغيرُ الحسين أخي!!)[1].

فتأمل: مدينة فيها (٧٠ مليون لغة)، فكَمْ عددُ الناس الذين يتكلمون بكل لغة منها؟ ثم كم سيكون (التعداد السكاني) لهذه المدينة؟ ومن ذا من البشر يطيق معرفة كل هذه الألسـنة؟! لو وُجِدت هذه المدينة فإنه لا يعلَمُ ذلك عنها إلا الله العليم اللطيف الخبير!

وقد أطلتُ بعضَ الشيء في هذا الموضوع الخطير؛ لبيان أمرين:

الأول: بيان الغلوّ المفرِط الذي اختلقته الشـيعة بحق صحابة أخيارٍ هم: علي والحسـن والحسـين، وسـادةٍ علماء أجلّاء مـن أمثال زين العابدين علي بن الحُسـين وابنه محمد الباقـر وحفيده جعفر الصادق، وما وصفوهم به بما لا يرتضونه، ولا يليق إلا بالله تعالى.

الثاني: التأسيس على هذا الاعتقاد عند القوم والاحتجاج به عليهم، بما صدر عن الحسـن من أقوال وأفعال ومواقـف انتهت به في منهجه الإصلاحي العظيم إلى أن صَنَع (الصلح) بيديه الكريمتين، وسـلَّم أمر (الخلافة) إلى معاوية رضي الله عنه.

---

(١) أصول الكافي ١/٢٧٧.

وعملُه هـذا حجَّة بالغـةٌ دامغة تدمَـغَ بالكذب والافتـراءِ كلَّ من (يدَّعي) حبَّ آل البيـت ويعتقد عصمتهم، ثم هو يعـودُ باللائمة على الحسن في عمله الجليل هذا، ويرجعُ على معاوية وغيره من أهل الشام بالسبِّ واللعن... ﴿وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٨].



الفصل الرابع

الحسن خليفة مُجدِّد يحقِّق نبوءةَ جدِّه رسول الله ﷺ

مما أكرم الله به نبيَّه ﷺ أن كَشَف له عن بعضٍ من الغيب، ومن ذلك ما أجراه على لسانه الذي لا ينطِق عن الهوى في تلك البشارة العظيمة بسيادة سِبْطه الحسن رضي الله عنه وأنه سيكون على يديه إصلاحُ الأُمة وصلاحها وحَقْنُ دماءِ أبنائها في محنة كبرى ومنعطف خطير في تاريخها الطويل.

وسيكون عمل هذا السيد نمطاً متميزاً من (التجديد) الذي يحفظ للأُمة مقومات حياتها وأسسَ بقائها، ويصحِّح لها مسيرة تاريخها، ويحفظ عليها وحدتها وتآلفها، ويُعيد لها قوى دافعيتها للاستمرار في حمل الرسالة وأداء الأمانة.

وقد وقع ذلك تماماً كما أخبر به رسول الله ﷺ، وتحقَّق للإسلام والمسلمين ما رغبوا فيه وأمَّلُوه وسَعَوا إليه، ولله الحمد والمِنّة.

المبحث الأول ـ الأحاديث الواردة في وقوع (الإصلاح) على يدي الحسن:

١ ـ عن الحسن البصري قال: سمعتُ أبا بَكْرةَ يقول: (رأيتُ رسولَ الله ﷺ على المِنْبر، والحسنُ بن علي إلى جَنْبه، وهو يُقْبِلُ على الناس

مرةً وعليه أخرى، ويقول: «إنَّ ابْني هذا سيِّدٌ، ولعلَّ اللهَ أن يُصْلِحَ به بين فِئَتَينِ عظيمتينِ من المسلمين»). لفظ البخاري.

وفي رواية لأحمد: (قال الحسن البصري: فواللهِ واللهِ بعد أن وَلي لم يُهْرَقْ في خلافتِه مِلءُ مِحْجَمةٍ من دَمٍ)[١].

٢ ـ وعن الحسن البصري، عن أنس قال: (رأيتُ رسولَ الله ﷺ يَخطُبُ، والحسنُ بن علي على فخذِهِ، ويقول: «إني لأَرجو أن يكون ابني هذا سيِّداً، وإني لأَرجو أن يُصْلِحَ الله به بين فئتينِ من أُمَّتي»)[٢].

٣ ـ وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ في الحسن بن علي: «إن ابني هذا سيِّدٌ، ولَيُصلِحنَّ الله به بين فئتينِ من المسلمين عظيمتين»[٣].

قال الحافظ ابن عبد البرّ: (وتواترت الآثار الصحاح عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال في الحسن بن علي: «إن ابني هذا سيد، وعسى الله أن يُبقِيه حتى يُصلِح بين فئتين عظيمتين من المسلمين»، رواه جماعة من الصحابة)[٤].

المبحث الثاني ـ شذرات في توضيح مدلول هذه الأحاديث ووقوع الصلح:

لما استُشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، بايع أهلُ العراق الحسنَ بن علي رضي الله عنهما، فكان خليفة بالعراق وما وراءها من خُراسان، وأول من بايعه

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٠٤)، وأحمد (٢٠٣٩٢) وغيرهما، وسيأتي مطولًا مع تمام تخريجه ص ٢٣٠ ـ ٢٣١.

(٢) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٨١٠٩) و(١٠٠١١)، وسنده صحيح.

(٣) ذكره الهيثمي في «المجمع» ١٧٨/٩ وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير»، والبزار، وفيه عبد الرحمن بن مغراء: وثّقه غير واحد وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٤) «الاستيعاب» ٣٦٩/١.

قيس بن سعد بن عبادة وكان على إمرة (أَذْرَبِيْجَان) وتحت يده أربعون ألف مقاتل. واجتمع العراقيون اجتماعاً عظيماً لم يُسمع بمثله، يصوِّره قولُ الحسن البصري: (استقبل ـ والله ـ الحسن بن علي معاويةَ بكتائب أمثال الجبال)، وأرادوا الحسنَ على قتال أهل الشام، وهو كاره لذلك.

وأمَّر الحسنُ على المقدمة قيسَ بن سعد في اثني عشر ألفاً بين يديه، وسار هو بالجيوش قاصداً بلاد الشام ليقابل معاوية وأتباعه، لعل الله يُحدِث في ذلك أمراً[1].

وكان معاوية لمّا بلَغَه استشهادُ علي خرج في أهل الشام جهة العراق، وجاءته الأخبار بمسير الحسن إليه، فتابع بمن معه ونزل (مَسْكِن)[2].

وكان الحسن يكره الاقتتال بين المسلمين، ويهوى الصلح بينهم، ويحرص على حَقْن دمائهم منذ تفجرت الفتن في عهد أبيه. وتجمعت لديه مبررات كثيرة ليقوم بالصلح بين المسلمين، ومن أبرز ذلك ما كان بين يديه من البشارة النبوية بأن الله ﷻ يُصلح به بين فئتين من المسلمين، فلما نظر إلى الجيشين أمثال الجبال في الحديد، قال: (أَضْرِبُ هؤلاء بعضَهم ببعض في مُلْك من ملك الدنيا! لا حاجة لي به)[3].

وجاءت الرسل من عند معاوية يَعْرِضون على الحسن الصلح ويرغِّبونه فيه لحقنِ دماء المسلمين، فكان ذلك على انتظارٍ منه وحبٍّ ورغبةٍ، ولله الحمد.

---

(١) انظر: كتابي «نبوءات الرسول ﷺ» ٢/٢٤٥ ـ ٢٤٦.

(٢) موضع بناحية الأنبار. انظر: «العبر في خبر من عبر» ٣٤/١، أحداث سنة (٤١هـ).

(٣) «مختصر ابن عساكر» ٢١/٧.

واختــار معاويــة رجلين مــن قريش من بنــي عبد شــمس، هما عبد الرحمن بن سَمُرة وعبد الله بن عامر بن كُرَيْز، فقاما بالمهمة الجليلة خير قيام، وقالا للحســن: إن معاوية يَعْرِض عليك كــذا وكذا، ويطلُب إليك ويسألُك، قال: فمن لي بهذا؟ قالا: نحن لك به. فما سألهما شيئاً إلا قالا: نحن لك به، فصالَحه. وأعلن الحســن الصلحَ في أهل العراق، وقام فيهم خطيباً، وأَمرهم أن يُبايِعوا معاوية ويسمعوا له ويطيعوا(١).

وسُــرَّ معاويةُ بالصلح، ودخل هو والحســن الكوفة راكبَيْن، وتسلَّم معاويــة الخلافة، وبايعــه الناسُ، وكان ذلــك عام (٤١هـ) فَسُــمِّي عامَ الجماعة، لاجتماع الكلمة على أمير واحد بعد الفُرقة(٢).

المبحث الثالث ـ سيادة الحسن منقبة فريدة له:

وســيادة الحســن رضي الله عنه منقبة فريدة له، لازمــت اســمَه وذِكْرَه عبر التاريخ، وهــي مدَّخَرة له عند الله تعالى يوم يلقاه؛ فهو ســيد في الدنيا وسيد في الآخرة.

قال الحافظ في ذِكْر فوائد حديث «ابني هذا ســيد»: (فيه أن السيادة لا تختص بالأفضل بل هو الرئيس على القوم، والجمع سادة، وهو مشتق من السُّؤْدُد، وقيل: من السَّوَاد لكونه يرأس على السواد العظيم من الناس أي الأشــخاص الكثيرة. وقال المهلَّب: الحديث دالٌّ على أن السيادة إنما يستحقها مَن ينتفع به الناس، لكونه علَّق السيادة بالإصلاح)(٣).

---

(١) انظر: «نبوءات الرسول» ٢٤٧/٢ ـ ٢٤٩.

(٢) سيأتي تفصيل ذلك في الفصل التالي.

(٣) «الفتح» ٣٨٧/١٦ شرح الحديث (٧١٠٩).



صدق المهلب وصدق ابن حجر، فالسيادة والرئاسة والزعامة وقيادة النــاس؛ تتجلى بالرأفــة والرحمة والصــلاح والإصلاح وإعــلاءِ كرامة الإنســان والحِفاظ على الأنفس والأعراض والممتلكات، وتشييدِ مباني الوحدة والألفة، وصيانة مقومات الحياة في البر والبحر وكافة ما يضمن للمجتمع رقيَّــه وصلاحَه وتقدُّمَه، ويحفظ للإنســان دينَــه وعقلَه ودمه وعِرْضه ومالَه، ويوفّر له سعادته وفلاحه، وأمْنَه وكافة حقوقه.

وهكذا كان الحسن ســيداً جليلاً، وزعيماً شــريفاً، ورئيساً حكيماً، ووجيهاً نبيلًا؛ قادَ أمته وأتباعَه إلى الخير والصلاح والفلاح، فحقَّق كلمة جدِّه ﷺ ورجاءَه فيه.

وتلكم هي ذروة الســيادة والشرف وفخر الرئاســة وشرف الزعامة والقيادة، وهي الصفات التي لا يســتطيعها أولئك الصغار ذَوو النفوس المريضة والأطمــاع الوضيعة؛ الذين يرون في كرســي الرئاســة ومنبر الحكــم وزعامــة الأُمة مغانمَ بــاردة، فيعبثــون بــالأرواح والأعراض والممتلكات، ويدمِّــرون البنيان، ويخربون البلــدان، ويُهلِكون الحَرْث والنَّسْل، ويسعَوْن في الأرض فســاداً، للحفاظ على سُدَّة الحكم وقيادة الدولة، بالقهر والجبروت والحديد والنار، فيشــقى بهم البشر والشجر والحجر، وتلعنُهم ملائكة السماء وألســنة الناس والعجماوات.... **ليس هؤلاء بســادة ولا كرامة، ولا هم زعماء ولا رؤســاء، بــل هم جبابرة طواغيت وأصنام تُعبد من دون الله، تستحق الكســرَ والهدْمَ، مثلما فعل إبراهيم عليه السلام بأصنام قومه، ورسولُنا ﷺ بآلهةِ قريش، كما تستوجب مذمَّة التاريخ الذي يحفظ أعمالهم ويدوِّنها بمداد أسود على صفحاته الشوهاء الكالحة.**

حقاً لقد كان الحسن رضي الله عنه في عمله الإصلاحي أنموذجاً فريداً ومفخرة على مرِّ الزمان، ومثَلاً حياً تطبيقياً يقتدي به كل مَن يلي أمراً من أمور المسلمين، فيسعى ليكون من المصلحين وبخاصة عندما تدلهِمّ الخطوب وتشتبك الفتن وتتحير العقول وتضطرب الأفهام.

المبحث الرابع ـ التنازل عن الحكم عمل تجديدي رائد فذ:

•• إن الأُمة الإسلامية التي اختيرت لتبليغ الرسالة الخاتمة إلى أهل الأرض، وكُتب لها الخلود والانتشار في الآفاق؛ (من الطبيعي أن تمرَّ في رحلتها الطويلة الواسعة بمراحل عصيبة ومواقف دقيقة لا عهدَ للتاريخ بها، وتُبتلى بعصور وأجيال لم تعرفها أُمة قبلها، وأن تواجه صراعاً في ميدان العقول والعلم والحضارة والاجتماع والتشريع، لم تواجهها أُمة في التاريخ).

والفترة التي عاشتها الأُمة الإسلامية (هي أكثر الفترات التاريخية تقلُّباً وتطوراً، وأكثرها تنوعاً واختلافاً، ينشأ فيها من المشكلات والمسائل الدقيقة ما لم يَخْطُر من أُمة على بال، ولم يحلم به جيل من الأجيال، ويُمتحن الذكاء وقوة التشريع، والثبات على المبدأ، والمحافظة على الروح، والصلاحية للحياة)[1].

والمحنة الكبرى والفتنة الجامحة والاضطرابات الخطيرة والدماء النازفة والأيدي الخبيثة؛ التي طرأت على المسلمين منذ آخر عهد أمير المؤمنين عمر ثم عثمان وعلي ـ كادت أن تحرف البوصلة عن اتجاهها الصحيح لولا حفظُ الله تعالى لهذا الدين، ورحمتُه بهذه الأُمة ولطفُه بها

(١) انظر: «رجال الفكر والدعوة» ١/٩٠، «نبوءات الرسول ﷺ» ٣/٤٠٨.

وقضاؤه الذي أمضاه على لسان رسوله ﷺ حيث يقول: «إن الله يبعث لهذه الأُمة على رأس كل مئة سنة من يجدِّد لها دينَها»[١].

•• وكان للحسن بن علي رضي الله عنهما الشرفُ والمجدُ والسُّؤْدُد بأن يتصدَّر المجدِّدين في القرن الأول الهجري، حيث قاد دفةَ الحكم والجموعَ التي بايعتْه بالخلافة؛ ومشى إلى معاوية وتنازَلَ له عن الحكم، فكان في ذلك من الخير على الإسلام وأهله ما ليس بخافٍ على أحد.

والمجددون المصلحون هم خلفاءُ النبي ﷺ في الإصلاح والبيان والبلاغ والدعوة وسياسة أمور الدين والدنيا؛ إذ إن مهمة الهداية والإرشاد الجليلة التي قام بها خاتَمُ النبيين محمد ﷺ على أتمِّ وجه وأكملِه، قد أُلقيت على عاتق أُمته عموماً وعلى كاهل المجددين خصوصاً، أولئك الرَّهْط الكريم الذين لا يخلو منهم زمان ولا مكان[٢].

ولقد أخذ الحسن رضي الله عنه من هذه الصفات والشمائل والمزايا بأوفر نصيب، فكان بحقٍّ كما قال رسول الله ﷺ: «ابني هذا سيد»، وكان جديراً بذاك العمل الشريف الذي جدَّد للأُمة مسيرةَ الحكم والوحدة والألفة وحقن الدماء وتقديم مصلحة الدين والأُمة على المصلحة الشخصية الخاصة، وانطلقت مسيرة تاريخ المسلمين من جديد في صف واحد لمتابعة الفتوحات ونشر الرسالة وبناءِ الدولة والقضاءِ على نوازع الشر ومصادر الفتنة... فأي عمل تجديدي أنبلُ من هذا وأفضَلُ؟!

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٩١)، وابن عدي في «الكامل» ١/١١٤، والحاكم ٤/٥٢٢، وأبو عمرو الداني في «الفتن» (٣٦٤)، والخطيب في «تاريخ بغداد» ٢/٦١ ـ ٦٢، والبيهقي في «معرفة السنن والآثار» (٤٢٢)، وغيرهم، وصححه الحاكم والبيهقي والعراقي والسخاوي والألباني وشعيب الأرنؤوط. وانظر: شرح هذه النبوءة في كتابي «نبوءات الرسول ﷺ» ٣/٤٠٦ ـ ٤٩٤.

(٢) انظر: «رجال الفكر والدعوة» ١/٩٤، «نبوءات الرسول ﷺ» ٣/٤١٢.

إنه موقف جليل وعمل ضخم وتضحيـــة كبيرة وإخلاص فذّ؛ ذلكم (الصُلح الحَسَنيّ) المبارك! يعرف ذلك الحُرصَاءُ على تصدُّر المجالس وقيادة الجماهير، ومن عندهم شهوة الحكم، أولئك الذين يضحون بكل شـــيء في ســـبيل الظفر به..... وهو درس عظيم لأولئك الذين يمزِّقون وحـــدة الأُمة، ولا يأْبَهُـــون باقتتال فئاتهـــا وتفتيـــتِ مجتمعاتها وتدميرِ ممتلكاتها وذهابِ ريحها وضياع مجدِها!!

أمـــا الرجل الذي يصنـــعُ التاريـــخ، ويكتبُ على هامتـــهِ: (مصلحة الإســـلام وأمته ودولته هدفي وغايتي)؛ فهو الذي يستحق من كل إنسان الحبَّ والثناءَ والإجلالَ والاقتداءَ، وهو السيد الشريف الذي يفوز بحبِّ الله ورسوله والمؤمنين والناس أجمعين.

•• وبذاك الصلح العظيم الخالد الذي اجتمعت فيه كلمة المسلمين وتوحّد صفُّهم وحُقنت دماؤهم؛ يثبت أن ترك القتال هو أولى كما يقول أئمة أهل السُنَّة[١].

وهو ســـبيلُ الســـيادة في الأُمة، ورغبةُ رســـول الله ﷺ ومحلُّ رضاه وســـببُ ثنائه ومدحه واغتباطه به؛ ولهذا قال ﷺ: «إن ابني هذا ســـيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المســـلمين»، فأثنى على الحسن بالإصلاح، ولو كان القتال واجباً أو مستحباً، لما مدح تاركه[٢].

لقد كان رسول الله ﷺ يحبُّ سِـــبْطَيْه الكريمين حبّاً عظيماً، وأوصى الأُمة بحبِّهما والإحســـانِ إليهما، كما جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة الكثيرة، بَيْدَ أنه ثمّة فرقٌ ملحوظ بين حبِّه للحسن وحبِّه للحسين:

---

(١) «منهاج السُنَّة النبوية» ١/٣٣٤.

(٢) المرجع السابق ١/٣٣٥.

فالروايات التي جاءت بحقِّ الحسين رضي الله عنه تشير إلى الحب العاطفي والحنان الأبوي والتعلُّق القلبي من الجدّ نحو ابن ابنته، من مثل قوله ﷺ في سبطَيْه: «هذانِ ابنايَ وابْنَا ابنتي، اللَّهمَّ إني أُحِبُّهما، فأَحِبَّهُما وأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهما»[1].

وعن البراء بن عازب: (أن النبي ﷺ أَبْصَر حسناً وحسيناً. فقال: «اللَّهمَّ إنِّي أُحِبُّهما فأَحِبَّهما»[2].

وأُخبر ﷺ باستشهاد الحسين، وتوجَّع لذلك، فعن عائشة أو أم سلمة رضي الله عنهما؛ أن النبي ﷺ قال لإحداهما: «لقد دخَلَ علَيَّ البيتَ مَلَكٌ لم يَدخل علَيَّ قبلها، فقال لي: إنَّ ابنَكَ هذا حسينٌ مقتول، وإنْ شئتَ أَريتُكَ من تُربةِ الأرض التي يُقتل بها، قال: فأَخرج تربةً حمراءَ»[3].

لكنه ﷺ لم يمتدح خروج الحسين!

أما سِبْطه الأكبرُ الحسن؛ فإنه فوق حبِّه ﷺ له وتعلُّقِه به وحُنوِّه عليه؛ فإنه أثنى عليه في عمل جليل كبير سيتم على يديه، وبشَّر بذلك وسُرَّ به، وأعلَنه على المنبر في ملأ من أصحابه الكرام رضي الله عنهم، حيث أقامه بجانبه على منبره الشريف، وتَلَا على المؤمنين ذلك الحديث العظيم والبشارة الخالدة، وهو ينظر إلى الحسن مرة وإلى الناس أخرى: «إن ابني هذا سيد...» الحديث[4].



(١) أخرجه الترمذي (٤١٠٣)، وابن حبان (٦٩٦٧)، وقال الترمذي: حسن غريب، وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه الترمذي (٤١١٦) وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني وحسنه شعيب.

(٣) أخرجه أحمد (٢٦٥٢٤)، وصححه الذهبي في «تاريخ الإسلام» حوادث ووفيات ٦١ ـ ٨٠هـ»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٨٢٢)، وحسّنه شعيب الأرنؤوط.

(٤) انظر: علي وبنوه، ص ١٠٢ ـ ١٠٣.

الفصل الخامس

صلح الحسن مع معاوية معلمة بارزة في تاريخ الإسلام

(سرد أحداث وتحليل مواقف وتثبيت حقائق وتزييف أباطيل)

توطئة:

عندما استُشــهد علي بن أبي طالب ﵁ بايع أهلُ الشام معاويةُ بن أبي ســفيان ﵄ بالخلافة في بيت المقدس، في شــهر رمضان من سنة (٤٠هـ)، وهي بيعة ناقصــة لأن أهل العراق وجميعَ مــن كان مع علي بايعوا ابنَه الحسن بالخلافة، وهو أمير المؤمنين حقاً، كما أوضحناه في شرح حديث (خلافة النبوة).

فكان المسلمون أقســاماً: قسم كبير بايعوا الحســن، والقسم الثاني بايعوا معاوية، وفريق آخر قليل عددُه يمثِّل الصحابة الذين اعتزلوا الفتن فلم يبايعوا أياً من الفريقين السابقين، هذا فضلاً عن بقايا الخوارج الذين قُتل معظمهم في عهد علي.

وأتباع الحســن فيهم انقســام وأصحابُ هوى، والجيش مضطرب الصف، قد نَكَلوا عن نصرة علي من قبل حتى دعا عليهم بأن يُريحه الله منهم، والســبئيون متربصون بالمســلمين جميعاً. بخلاف أهل الشــام فأمرُهم جميعٌ، وجيشــهم متماســك، وكلمتهم واحدة، وهم طوع أمرِ أميرهم[1].

---

(١) انظر ما تقدم: ص ١٧٩ ـ ١٩٢ في هذا الكتاب.

ومن فضــل الله تعالى على هــذه الأُمة أن يبتليَهــا ليمحِّص صفَّها، ويَميز الخبيث من الطيب، ويدلَّها على مكامن الشــر وعوامل الضعف، ثــم يهيئ لها مَن يســتنقِذُها من براثــن الهلاك ويحفظها مــن الانهيار والاندثار، فقيَّضَ لها ســيّداً من بيت النبوة ليكون منقذاً في هذه الحقبة العصيبة، وهو الحســن بن علي ﵄، حيث تنازل عن الحكم والرئاسة، وجَمع شــملَ الأمة على خليفة واحد هو معاوية، فأنقذ المســلمين من فتن جامحة ودماء نازفة، وأَحســنَ للدين والأُمة أَيُّمَا إحســان، جزاه الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء.

وقد تهيأ للصلح دوافع وأسباب، واعتَوَرَتْه أحداث ومراسلات، ومرَّ بمراحل وخطوات وشروط وتعهدات، وآتى في النهاية أطيب الثمرات، وهو ما ســنوضحه في هذا الفصل. وأُثبِت في صدره وأنقش في جبينه حديثاً طويلاً جليلاً، رواه الحسن البصري عن الصحابي أبي بَكْرة، لأن فيه الخطوطَ العريضة والركائزَ المحورية للصلح ومجرياته وثمراته.

عن الحسن البَصْريِّ قال: (اســتَقْبَلَ ـ واللهِ ـ الحسنُ بن عليٍّ معاويةَ بكتائبَ أمثال الجبال، فقال عَمْرو بن العاص: إني لأَرى كتائبَ لا تُوَلِّي حتى تقتــلَ أقرانَها! فقال له معاويــةُ ـ وكان واللهِ خيــرَ الرجُلَيْن ـ: أي عَمْرو، إنْ قَتلَ هؤلاءِ هؤلاءِ وهؤلاءِ هؤلاءِ، مَنْ لي بأمورِ الناس، مَن لي بنسائهم، مَن لي بِضَيْعَتِهِم؟! فبَعَثَ إليه رجُلَيْنِ من قريشٍ من بني عبد شمسٍ ـ عبدَ الرحمن بن سَمُرة وعبدَ الله بن عامر بن كُرَيْز ـ فقال: اذْهَبَا إلى هذا الرجُلِ، فاعْرِضا عليــه، وقولَا له، واطلُبَا إليــه. فأتياه، فدَخَلا عليه، فتكلَّما وقالَا له وطَلَبا إليه. فقال لهما الحسنُ بن علي: إنَّا بنو عبدِ المُطَّلب قد أَصَبْنَا من هذا المالِ، وإنَّ هــذه الأمة قد عاثَتْ في دمائِها.

قالا: فإنه يَعْرِض عليك كذا وكذا، ويَطلُب إليكَ، ويَسألُكَ. قال: فمن لي بهذا؟ قالا: نحنُ لكَ به. فما سألَهما شيئاً إلا قالا: نحنَ لكَ به. فصَالَحَهُ.

فقال الحسنُ: ولقد سمعتُ أبا بَكْرة يقول: رأيتُ رسولَ الله ﷺ على المِنْبر، والحسنُ بن علي إلى جَنْبِه، وهو يُقْبِل على الناسِ مرّةً وعليه أُخرى، ويقول: «إن ابني هذا سيِّدٌ، ولعلَّ اللهَ أن يُصْلِحَ به بين فِئَتينِ عظيمتينِ من المسلمين»)[1].

المبحث الأول ـ دوافع الصلح وأسبابه:

استقرأ الزعيمان الحسنُ في العراق ومعاويةُ في الشام حالَ الأُمة وواقعَ الدولة، فرأى الحسن تسلسلَ الأحداث منذ استشهاد عمر ثم عثمان وعلي، وأنها آخذةٌ باطِّراد في اتجاه واحد هو اتساع هوَّة الخِلاف والاختلاف وتنامي الفتن وتزايد هَرَاقة الدماء وبزوغ الأهواء، وأنه إما أن تُعاد وحدةُ الأُمة بالقوة وهو أمر صعبُ المنال جداً، مع ما سيتمخَّض عنه من جراحات وقَتْل الأنفس وتمزيق أوصال الأُمة، أو يُترك الأمر على ما هو عليه مما سيُبقي الانقسامَ للأبد مع اتساع هوَّته وازدياد حدَّته.

وبنفس المنظار قرأَ معاويةُ المشهدَ في دولة الإسلام، وأنه لا يمكن حَسْم الموقف بالقوة، كما أنه لا يُعقل ولا يُقبل أن تُترك الأمور تسير على نفس النهج، والأحداثُ تزيد الأُمة تفرُّقاً وانقساماً، فكانت (استراتيجيته) متفقة مع (منهجية الحسن ورؤيته) من حيث الغايةُ، وإن

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٠٤) وأطرافه، واللفظ له، والنسائي في «الكبرى» (١٧٣٠) و(٨١١٠) و(١٠٠٠٩)، وفي «الصغرى» ٣/١٠٧، وأبو داود (٤٦٦٢)، والترمذي (٤١٠٧)، وأحمد (٢٠٣٩٢)، والحميدي (٧٩٣)، وابن حبان (٦٩٦٤)، وغيرهم. وسيأتي شرح وتوضيح معنى كل فقرة من الحديث في مواضعه.

اختلف في الأسـلوب والطريقة والأداء..... وظهر من استقراء الأحداث أن الزعيمين الكبيرين وجماعة من مؤيدي كل منهما؛ يرون أن المخرج الوحيد هـو المقاربة بين الفريقيـن، والتوافق على حـلٍّ يحفظ الدين والأُمة والدولة، ويرضي الفريقين وأتباعهما.

ولا يكون ذلك إلا بأن يُخْلي أحدُ الرجلين الساحةَ للآخر، ويضحِّي بمنبر الحكم ويقـدِّم رضا الله تعالى ومصلحةَ الإسـلام على جميـع رغائب النفس وضغط الجمهور. وفي مقابل ذلك يتعهد الطرف الآخر بتنفيذ الشـروط التي تحقق الخير والصلاح للدولة والأُمة.... **وقد ادَّخرَ الله تعالى ذلك الشرفَ للسيد الجليل الحسـن بن علي، حيث تنازَلَ لوجه الله تعالى عـن حقِّه في الخلافة، واستقبل معاويةُ ذلك راغباً مُغْتبِطاً ملتزماً بما تُمليه مصلحة دينه وأمته.**

وقد كان لدى كل فريق من دوافع الصلح وأسـبابه ما يكفي لإبرام هذا الاتفاق المبارك، والتي يمكن إجمالها فيما يلي:

١ ـ الرغبة في ثواب الله تعالى، والحرص على مصلحة الأُمة:

وقد تجلى ذلك واضحاً في أقوال الحسن ومواقفه وأعماله منذ عهد أبيه وحتى تسـلُّمِه الخلافةَ وفـي مختلِف مراحل الصلـح الذي صاغ منهجه ونفَّذ بنودَه وحقَّق غاياتِه.

روى جُبير بن نُفَيْر قال: (قلتُ للحسـن بن علي: إن الناس يقولون: إنك تريد الخلافة! فقال: قد كانت جماجـمُ العرب في يدي، يُحارِبون من حاربتُ، ويُسالمون من سالمتُ، فتركتُها ابتغاءَ وجه الله تعالى وحقْنِ دماء أُمة محمد ﷺ، ثم أَبتزُّها باتِّئاسِ أهل الحجاز؟!)[1].

(١) أخرجه الحاكـم ١٧٠/٣، وأبو نعيم فـي «الحلية» ٣٦/٢ ـ ٣٧، وابن عسـاكر ٢٨٠/١٣ ـ =



ولما تنازل عن الخلافة وسلَّم الأمر لمعاوية قال في خطبته: (ألَا وإنَّ هذا الأمر الذي اختلفتُ فيه أنا ومعاويةُ، حقٌّ لامرئٍ كان أحقَّ به منِّي أو حقٌّ لي؛ تركتُه لمعاوية إرادةَ إصلاح المسلمين)[1].

وهذا الاتجاه النبيل الخالص يسير في ضوء توجيهات القرآن الكريم وأوامره؛ **﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾** [النساء: ١١٤].

٢ ـ ثناء النبي ﷺ على الحسن وصلحه، وحرصُ الحسن على الفوز بذاك المديح وتحقيق ذلك الترجي:

لقد كان الحسن إلى جانب جدِّه رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس ويقول ـ وهو يشير إلى الحسن ـ: «**إن ابني هذا سيِّد، ولعلَّ اللهَ أنْ يُصلِح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»؛ فأخذتْ هذه الكلمات الجليلة من قلبه كلَّ مأخذ، واختلطت بلحمه ودمه، وكانت مشعلَ هداية له وركيزةً أصيلة ثابتة في منهج حياته، واعتبرها كأنها وصيةٌ إليه وأمرٌ له، فالنبي ﷺ لا ينطِقُ عن الهوى، ولا يُثْني على أمر إلا ويكون فيه خير كبير ونفع عَميم؛ فتمسك رضي الله عنه بها، عازماً على الفوز بالثناء والمديح النبوي الكريم، ومستبسلاً في تحقيق رجاء جدِّه ﷺ فيه وفي إخلاصه وفهمه وصدق مسعاه وحسن سياسته.... وهذا ما كان.

= ٢٨١، وهو عند ابن سعد كما في «البداية والنهاية» ٤٢/٨، وذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ٢٧٤/٣، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. باتئاس: أي بتذليل.

(١) «المعرفة والتاريخ» ٤١١/٣، وسيأتي بتمامه مع تخريجه.

٣ ـ حقن دماء المسلمين:

وهو هدف سامٍ وغاية جليلة وعمل خالد وسعي مشكور، يحبه الله ورسوله والمؤمنون، ويسعى إليه المخلصون والعقلاء والصالحون، ويدوِّنه التاريخ بأحرف الثناء والإطراء، ويكون للساعي فيه والحريص عليه لسان صدق في الآخرين... وعلى هذا سار الحسن ومعاوية وسعيا إليه وحرصا عليه.

قال الحسن: (وإن هذا الأمرَ الذي اختلفتُ فيه أنا ومعاوية، حقٌّ لامرئ كان أحقَّ به منّي أو حقٌّ لي؛ تركتُه لمعاويةَ إرادةَ إصلاحِ المسلمين وحقْنِ دمائهم)(١).

وعندما عاتبه بعضهم في ترك الخلافة وتنازله عنها لمعاوية، قال: (خشيتُ أن يأتي يومَ القيامة سبعون ألفاً أو ثمانون ألفاً أو أكثر أو أقلُّ؛ كلُّهم تنضح أوداجُهم دماً، كلُّهم يَستعدي اللهَ فيمَ هُرِيقَ دمُه!)(٢).

وقال رضي الله عنه: (ألَا إن أمرَ الله واقعٌ إذ ليس له دافعٌ وإن كَرِه الناس، إني ما أحببتُ أن لي من أُمة محمد ﷺ مثقالَ حبَّةٍ من خردلٍ يُهْرَاق فيه مِحْجَمةٌ من دمٍ)(٣).

وهو في ذلك يسير على منهج سَلَفه الصالح الخليفة الراشدي الشهيد عثمان بن عفان، فهذا ضحَّى بنفسه، والحسن ضحَّى بالحكم والرئاسة... وهما يعلِّمان كلَّ مسؤول في الأُمة درساً عملياً ضخماً لا يستطيعه إلا ذوو النفوس الكبيرة والإخلاص الراسخ.

---

(١) تقدم: ص ٢٣٣.
(٢) «تهذيب الكمال» ٢٥١/٦، وانظر ما تقدم: ص ١٠٢ في هذا الكتاب.
(٣) «تاريخ ابن عساكر» ٨٩/١٤.

وكذلك كان معاوية ﷺ شديدَ الحرص على حقن دماء المسلمين، متخوفاً من استمرار الفُرقة وتجدُّدِ المواجهة بين المسلمين بتأريشٍ من أصحاب الفتنة، ففي الحديث المتقدم أنه قال لعمرو بن العاص: (أي عَمْرو، إنْ قَتَل هؤلاء هؤلاء وهؤلاء هؤلاء، مَن لي بأمور الناس، من لي بنسائهم، من لي بضَيْعَتِهم؟!)[1].

وفي رواية: قال معاوية لعمرو: (يا أبا عبد الله، إنَّا لن نَخْلُصَ إلى قتْلِ هؤلاء حتى يُقتل عددُهم من أهل الشام، فما خيرُ الحياة بعد ذلك؟!)[2].

٤ ـ الحرص على وحدة الأُمة والدولة:

وهذا الدافع إلى الصلح واضح في مواقف الحسن ومعاوية وتصرفاتهما ومساعيهما وأقوالهما، ومن أدلة ذلك أن الحسن خطب في أتباعه فقال:

(أما بعدُ، فواللهِ إني لأرجو أن أكون قد أصبحتُ بحمد الله ومنِّه وأنا أنصَحُ خلقِ الله لخلْقِه، وما أصبحتُ محتمِلاً على مسلم ضَغينة ولا مريداً له سوءاً ولا غائِلةً.

ألا وإن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفُرقة، أَلَا وإني ناظرٌ لكم خيراً من نظرِكم لأنفسِكم، فلا تُخالِفوا أمري ولا تردوا علَيَّ رأيي. غفر الله لي ولكم، وأرشدني وإياكم لما فيه المحبة والرضا)[3].

---

(١) تقدم مطولًا: ص ٢٣٠.

(٢) «مصنف عبد الرزاق» ٤٦٢/٥ (٩٧٧٠).

(٣) «مقاتل الطالبيين» ص ٧١ ـ ٧٢.

وفي رواية المدائنـــي: (ولَمَا تَكْرَهُون فـــي الجماعة والألفة والأمن وصـــلاح ذات البَيْن خيرٌ مما تحبـــون في الفُرقة والخـــوف والتباغض والعداوة)[١].

وكذلك معاوية رضي الله عنه كان متخوِّفاً من استمرار الأحداث على ما انتهت إليه عند استشـــهاد علي، وحَرَص على توحيد كلمة الأُمة وجَمْع شملها، فسارع بإرسال الرسل إلى الحسن طالباً الصلحَ وإنهاءَ الخلاف والفُرقة، ولتسهيل الأمر وإمضائه اختار رجلين من وجوه قريش وسادات بني عبد شمس هما: عبد الرحمن بن سَمُرة أحد الأشراف، وعبد الله بن عامر بن كُريـــز أحد أجواد العـــرب وأمرائهـــم وذوي الرفق والحلـــم وله المحبة الراسخة في قلوب الناس. والأعظم من ذلك أن معاوية فوَّضهما وأطْلَق الأمر إليهما، فما تكفَّلا به للحســـن يَقبله معاوية ويُمضيه. فلما ذهبا إلى الحســـن وعَرَضا عليه الصلح، قالا له على لســـان معاوية: (فإنه يَعْرِض عليك كذا وكذا، ويطلبُ إليك ويسألُك، قال: فمن لي بهذا؟ قالا: نحن لك به. فما سألهما شيئاً إلا قالا: نحن لك به. فصالحه).

٥ ـ استشهاد الخليفتين عثمان وعلي، وما رافق ذلك من فتن:

شهد المسلمون عامةً والأشـــرافُ والأكابر والزعماء والأمراء خاصةً المخاطرَ الكبيرة التي تَحِيقُ بالإســـلام وأهله ودولته، والتي تدل عليها الأحـــداثُ الضخام متمثِّلة باغتيـــال الفاروق عمر، ثم اســـتهداف رأس الدولة متجسِّداً في الخليفتين الشهيدين عثمان وعلي.... وتبصَّر الحسن ومعاوية بمسيرة التاريخ خلال العشـــرين سنة تلك، فتبين لهما انحرافُ

(١) «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ٢٤١/٨، وانظر: «الأخبار الطوال» ص ٢٠٠.

مجريات الأحداث عن الأهداف النبيلة والغايات السـامية بشكل مفزع، وأن التواني أو التأخّرَ في محاصرة تلك الأخطار والقضاءِ على أسبابها؛ يعني أنها ستزداد ضَراوتُها، وستطحن بِرَحَاها كلَّ من يلي أمر المسلمين، فقد بات واضحاً أن المسـتهدف هو رؤوسُ السلطة ومراكزُ إدارة الدولة وأكابر رجالاتها ووحدة المسلمين ودولتهم! فعلى هؤلاء أن يَعُوا الدرس جيداً، وبسـرعة وحنكة وحكمـة تفُوقُ وتسـبقُ كلَّ ما عند المتربصين بالإسلام وأهله ودولته شـراً، فيتخذوا من مقتل الشهيدين عثمان وعلي مِسْـباراً ومنهاجاً في تدارُك الفُتوق الخطيرة، وإعـادة الوحدة واللُّحمة للمسلمين في الفريقين المتخاصمين.

ولا مريةَ في أن الحسـن ومعاوية قد خَبِرا الأسـبابَ والدوافع التي أطاحت بالخليفتين الكريمين؛ بما عاشـه وعاصره واكتـوى بناره كلٌّ منهما... فكان ذلك من أهم الأسباب التي دفعتْهما نحو الاتفاق والصلح وتوحيد شمل المسلمين وحفظِ كيانهم.

٦ ـ تفرق كلمة الأُمة وتشتت شملها:

ونتيجة الفتن التي أُشْـعِلت في أواخر عهد عثمان رضي الله عنه، واضطراب أمرِ المسـلمين، وانشـغالِ الخليفة والـولاة ووجوه الدولـة بمعالجة الاضطرابات القاسية والفتوق المتناثرة هنا وهناك، ونشاطِ رؤوس الشرِّ في اختـلاق الأكاذيب وإثارة القلاقـل وتأجيجِ الخروج على سـلطان الدولـة، وبزوغِ الأهواء وتشـويه صورة وسـيرة رمـوز الأُمة وبخاصة الخليفة وولاته ـ فأَسْهَمَ جميعُ ذلك في شـقٍّ صف المسلمين وزعزعةِ وحدتهم، وأَوْصَلَ الأحـداثَ إلى نهايتها الموجعة حيـث قُتل الخليفة بوحشية مفظعة!!

وتوالت الفتنُ والمِحَنُ في عهد الخليفة الرابع أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فاستغرقت مدة خلافته كلِّها، وابتُلي المسلمون والمجتمع والدولة بمعارك قاسية أحدثَتْ شــروخاً غائرة لا تُرتق، تمثَّلتْ في معركتي الجمل وصِفّين واقتتال المســلمين فيهما، ثم بخروج الخوارج ومعركة النَّهروان ووصول شظاياها إلى بيت الخليفة الذي قضَى بسببها شهيداً سعيداً رضي الله عنه.

والحسنُ رضي الله عنه قد عاش الأيام الكالحة التي أَنهت حياة أمير المؤمنين عثمــان، ورأى الفتن كقطع الليــل تموج في الناس بعتــوٍّ لا فتورَ فيه! وتمنَّى علــى أبيه الذي تولــى الخلافة في هذه الظــروف العصيبة، أن يُسَكِّن من حِدَّتها ويُخفِّف من شِــرَّتها ويُطفِئ نارَها، كما تمنَّى عليه أن لا يَخرج من المدينة خشية وقوع احتراب بين المسلمين، لكن علياً كان له رأي آخر..... وانتهت الأحداث إلى نتيجة رَسَّخَتْ لدى الحسن رأيَه ومنهجَهُ في التسكين والإصلاح والمسالمة.

وها هي الفرصة الآن قد أصبحت مواتية، فأمرُ المسلمين بين يديه، ومصير الدولة مرتبط به، والتجارب الطويلة تلك قد شكَّلَتْ دافعاً أصيلاً له في اتخاذ قرار الإصلاح والاتفــاق وتوحيد الصف، فمضَى فيه حتى وصل إلى أفضــل حلٍّ وأطيب ثمــرة. وقد عبَّر رضي الله عنه عــن ذلك الدافع المتأصل في قلبه وفكره ومنهجه، فقال متوجعاً:

(إن هذه الأُمة) أي العَســكَرَيْنَ الشــامي والعراقــي، (قد عاشت في دمائها) أي قتل بعضها بعضاً!

وعلى نفس النهــج كان معاوية رضي الله عنه، وهو الأمير الشــهير، والذي يمثِّل أحدَ محاور الدولة والســلطة في عهد الخليفــة عثمان، وقد خَبِرَ

الأحداث والفتن واستبطَن أصحابَها، وكان له يدٌ طولى في كَفْكَفتِها، وتمنَّى على عثمان أن يُرسل إليه حماية تحميه في المدينة أو يذهب إلى الشام، فأبى، وكان ما كان من استشهاده الذي ارتاع له كل مسلم غيور وفي مقدمتهم معاوية. كذلك كان من أقطاب سياسة الدولة وما جرى فيها من خلاف بينه وبين عليٍّ وصَلَ إلى القتال ثم التحكيم، ورأى الدماء النازفة في الفريقين، مع تشتُّت شملِ الأُمة وتبدُّد طاقاتها.... فخشي من استمرار سيرورة الأحداث في هذا الاتجاه الخطير، وقد عبَّر عن ذلك عندما استلم الحسن خلافة المسلمين ومعه الكتائب الغفيرة، وألقى بناظِرَيْه عليها وعلى جيشه، فَهَيَّج المشهدُ خواطره وقال لعمرو بن العاص: (أَيْ عمرو، إنْ قَتَل هؤلاء هؤلاء وهؤلاء هؤلاء؛ مَنْ لي بأمور الناس، من لي بنسائهم، من لي بضَيْعَتِهم)؟!

فكانت تلك المقدمات والأحداث من أهم الدوافع التي وجَّهتْ معاويةَ لطلب الصلح وإرسال الرسل إلى الحسن يَستعطفُه ويرغِّبه ويمدحُه ويُثني عليه ويبذل له ما يريد، من أجل وحدة المسلمين وحفظِ كيانهم ودمائهم، فكان ذلك بفضل الله تعالى.

٧ ـ اضطراب جيش الحسن، وطبيعة أتباعه في اختلافهم على أمرائهم:

ومن أهم الأسباب التي أدت إلى الصلح وكوَّنتْ لدى الحسن دافعاً قوياً للمضيِّ في سبيله والتوافق مع معاوية على توحيد الصف وجمع الأُمة على كلمة سواء وتنازله له عن الخلافة ـ ما رآه الحسن في جيشه، على ضخامته، من اضطراب واختلاف وضَعْف همَّة وبرودِ طاعة وسرعة في الشقاق والفُرقة!

وكذلــك ماخَبِره طيلة عهــد أبيه مــن اختلاف أهل العــراق على خليفتهم، ومناكفَتِهم لــه، ونكولِهم عن طاعته، وعــدمِ مصداقيتهم في متابعتــه والقتال معــه والنضال دونــه.... رأى ذلك منهم وشَــهِدَه في حروبهم، وســمعَه من أبيه وهو يتوجع من أعمالهم وأخلاقهم، ويتبرم من مواقفهــم وحميَّتِهم، ويدعو عليهم ســراً وجهراً! ومــن ذلك قوله: (اللَّهمَّ إني قد مللتُهم ومَلُّونــي، وأبغَضْتُهم وأبغَضُوني... اللَّهمَّ فأَبْدِلْني بهم خيراً منهم وأبدِلْهم بي شــراً مني، اللَّهمَّ أَمِثْ قلوبَهم مَيْثَ الملح في الماء!).

وجاء عنه في «نهج البلاغة» كلام كثير في ذَمِّهم، مثل قوله: (أيَّ دارٍ بعد داركم تمنعون؟ ومــع أيِّ إمام بعدي تُقاتِلون؟ المغــرورُ واللهِ مَن غَرَرْتُموه، ومن فاز بكم فقد فاز والله بالسهم الأخيب!)[1].

هذا الجيش وهؤلاء الناس هم الذين رآهم الحســن مع أبيه، ثم هم اليوم يقفون معه ويشــكِّلون عُظْمَ أتباعه، فلقد خَبِرهــم على حقيقتهم ســنين عدداً، وقال فيهم قريباً مما قاله أبوه، وقد صدر منهم نحوه مثل ما فعلوه بأبيه وأسوأ منه، حيث اختلفوا عليه عندما استَبْطَنوا منه رغبته في الصلح، وحاولوا اغتياله غير مرة!

عن هلال بن خبَّاب قال: (جَمع الحسن بن علي رؤوس أصحابه في قصر المدائن، فقال: يا أهل العراق، لو لم تَذْهَل نفسي عنكم إلا لثلاثِ خصالٍ لذَهِلَتْ: بِقَتْلِكم أَبي، ومَطْعِنِكم بَطْني، وانتهابِكم ثَقَلي)[2].

(١) تقدمت هذه النصوص وغيرها بتمامها: ص ١٨٦ ـ ١٨٧ في هذا الكتاب.
(٢) «تاريخ بغداد» ١٣٩/١، «المعرفة والتاريخ» ٧٥٣/٢، «مروج الذهب» ٩/٣.

وجاءته كُتب أهل العــراق، فقال: (هذه كُتب قــومٍ لا يَرْجِعون إلى حقٍّ، ولا يُقْصِرونَ عن باطل)[١].

وفي «الاحتجاج» للطبرسي، عن الحســن قال: (عرفتُ أهل الكوفة وبَلوتُهم، ولا يَصلح لي من كان منهم فاسداً؛ إنهم لا وفاءَ لهم ولا ذمَّة في قول ولا فعل، إنهم مختلفــون ويقولون لنــا: إن قلوبَهم معنا، وإن سيوفَهم لمشهورةٌ علينا!)[٢].

٨ ـ شخصية معاوية[٣] ودوره الرائد في القيادة وخبرته الطويلة فيها:

معاوية بن أبي سفيان ﵄ من أُسرة شرف وسيادة وزعامة وقيادة في المجتمع العربي، برزت شخصيتُه القيادية في صدر الإسلام في مراحل متعددة في عهد ثلاثة من الخلفاء الراشــدين. وقد عَرف الناس له حسنَ سياســته ورضوا عنه في عهد الفاروق عمر الذي جمع له بلاد الشــام كلها، وهي تزكية من عمر ما وراءها تزكيــة، وهو الخليفة المُلْهَم الذي عُرف بشدَّته وتحرِّيه ومحاســبته للولاة مهما ارتفعتْ منزلتُهم وتقدمتْ صحبتُهم، ولم يســجل التاريخ لمعاوية في مدة خلافة عمر على طولها سوى الرضا من الخليفة وعامة الأُمة.

وفي عهد عثمان كان أحدَ أكبر ولاة الدولة الموفَّقين في إدارة البلاد وسياسة العباد، ونشرِ الإســلام والحفاظِ على الدولة والحكم، ومعالجة الفتن بأسلوب أبرع الساسة الحلماء الحكماء.

---

(١) «المعرفة والتاريخ» ٧٥٦/٢.

(٢) «الاحتجاج» ص ١٤٩، «الشيعة وأهل البيت» ص ٢٩٣.

(٣) انظر: «دراسة تفصيلية لشخصية معاوية» ص ٣٦٢ ـ ٣٧٦ في هذا الكتاب.

وفي عهد علي حَدَث بينه وبين معاويــة ما حدث[1]، وبقي جمهورٌ كبير من المســلمين مع معاوية في صف واحد وعلى كلمة واحدة، وقد شهد له أمير المؤمنين عليٌّ مع خصومته معه ـ وهذه أخلاق النبلاء في عدلهم وإنصافهم ـ بأنه أميرٌ جليلٌ يُفــزع إليه في الملمّات؛ كقوله: (لا تَكْرهوا إمارة معاوية، والله لو قد فقدتُمــوه لقد رأيتم الرؤوس تنْدُر عن كواهلها كالحنظل!)[2].

والحســن بن علي ﵄ من أخبرِ الناس بالرجال، وقد عَرف معاويةَ عن كَثَب، وشــهد تاريخَه وســيرته ومواقفَه واجتماعَ الناس عليه؛ فرأى فيه القائدَ الخبير والأمير الحليم الذي يمكن أن تجتمع عليه الأُمة، لِما يتمتع به من خصال الخير وخصائص الزعامة وحُسْــن السياسة والقدرة الغلابة على حلِّ عُضَل المُشكِلات، كما يشهد له بذلك تاريخه الطويل وشهادات معاصريه وعارفيه وأعيان مساعديه.

وتنقل كتب الشيعة بعضَ أقوال الحسن في معاوية، ورأيَه فيه، وأنه خيرٌ له من شــيعته الذين يزعمون حبَّه وتأييده ومناصرته، وواقع حالِهم بخلاف ذلك!

روى الطَّبَرســي عن الحســن قال: (أَرى والله معاويــةَ خيراً لي من هؤلاء، يزعمون أنهم لي شيعةٌ، ابتغَوا قتلي وأخذوا مالي! والله لأَنْ آخذَ من معاوية عهداً أَحقِنُ به دمــي وآمَنُ به في أهلي؛ خيرٌ من أن يقتلوني فيضيع أهل بيتي وأهلي!)[3].

---

(١) قد فصلت ذلك بتوسع في كتابي: «علي بن أبي طالب».

(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» ٧٢٤/٨.

(٣) «الاحتجاج» ص ١٤٨، «الشيعة وأهل البيت» ص ٢٧٢.



٩ ـ وحدة كلمة أهل الشام وصدق ولائهم لأمرائهم، وقوة جيشهم:

وبمقابل اضطرابِ جيش الحسن واختلافِ أتباعه عليه وغدْرِ بعضهم به، ووجود فئة تسعى جاهدةً للفُرقة واستمرار الفتنة وإشعال القتال، ونكول الكثير عن نصرته في أوقات الشدة ـ يرى الحسن رضي الله عنه في أهل الشام أحسنَ الصفات وأفضلَ المزايا التي تقوم بها الأُمة وتثبت أركان الدولة: من توحّدِ صفِّهم، واجتماعِ كلمتهم، وطاعتهم لأميرهم وولاتهم، ومَضَائهم في تحقيق غاياتهم وأهدافهم. ثم أهميةُ بلاد الشام ومركزها الاستراتيجي وتوسطُها قلب العالم الإسلامي وتأهُّلُها لتكون محورَ مسيرة التاريخ القادم، خاصة وقد نُقِلت عاصمة الخلافة من المدينة المنوّرة إلى الكوفة إحدى بُؤَر الاضطراب والفتن والإساءة المطَّردة للأمراء والاختلاف عليهم والوشاية بهم.

لقد استوثق الحسن من جميع ذلك، وأدرك الحقيقة الناصعة والواقع الصادق لأهل الشام وأجنادهم وأميرهم، وثَبَت ذلك في فكره الثاقب وقلبه اليقظ وخاطره المرهف، وأفاد أيضاً في هذا من أبيه وتجربته المُرّة مع أهل العراق، وسمع منه تقييماً نهائياً ومختصراً للفريقين: العراقي والشامي.

وقف علي خطيباً في أهل العراق ـ قبل استشهاده بأسبوع ـ فقال: (إني والله لأَحسبُ أن هؤلاء القوم[١] سيظهرون عليكم؛ وما يَظْهرون عليكم إلا بعصيانِكم إمامَكم وطاعتِهم إمامَهُم، وخيانتِكم وأمانتِهم، وإفسادِكم في أرضكم وإصلاحِهم! قد بَعثتُ فلاناً فخَانَ وغَدَر، وبَعثتُ فلاناً فخَانَ وغَدَر وبعثَ المال إلى معاوية! لو ائتمنتُ أحدَكم على قِدْح لأخذ عِلاقَتَه!!)[٢].

---

(١) يعني أهل الشام.

(٢) تقدم الخبر بتمامه: ص ١٨٦ في هذا الكتاب.

وهذه الحقائق التاريخية عن أهل الشام وجيشهم وأمرائهم؛ كانت من الدوافع الرئيسة للحسن كي يتجه مطمئناً إلى إبرام الصلح مع معاوية وأهل الشام، ثم يبايعه على إمرة المسلمين ويأمر أتباعه بمبايعته، وهذا ما كان ولله الحمد.

هذه فيما نحسب أهم وأبرز الأسباب التي دفعت بالطرفين للصلح واجتماع الأُمة على أمير واحد، وإنهاء مرحلة دامية من الاختلاف والصراع.

المبحث الثاني ـ رغبة الطرفين بالصلح وسعيهما له:

الحسن رضي الله عنه إصلاحيّ بطبعه، محبٌّ للسلم والسلام، راغب في الاتفاق ووحدة الكلمة، ساعٍ في صلاح المسلمين ومجتمعهم ودولتهم، قد جعل من جميع ذلك منهجاً له منذ وعى الحياة وعايش سيرورة التاريخ، وخَبِر أحوالَ المجتمعات والتجمعات والآراء، واستبطَن نشأة الفتن وتطوّرَها ومنهج أصحابها ومؤرِّثيها.

وقد ترسَّخَ عنده منهجه هذا، وتمكّنتْ طبيعتُه ومَلَكاته من تحقيق غايته وهدفه الإصلاحي؛ بما حَبَاه الله تعالى من مكونات شخصيته ومزاياه التي برزت فيه من الحِلْم والأناة والورع والزهد والإخلاص والإحسان، مما جعل رغبتَه في الإصلاح فطريةً أصيلةً يسعى إلى تحقيقها في مبتدأ أموره ومنتهاها، وليست ردّةَ فعلٍ أو استجابةً لظروف طارئة، ولا خضوعاً لضغط الأحداث أو خذلان الأتباع.

نقول: كان الحسن راغباً في الإصلاح بطبعه، عازماً عليه منذ اليوم الأول لبيعته، بل قبل ذلك عندما كان وزيراً لأبيه في أيام خلافته.



والأســبابُ والدوافع التي قدمناها في (المبحث الســابق) كانت مؤكِّدةً ومُثَبِّتةً ومشــجِّعة ومرسِّــخةً لرأيــه ورغبته ومنهجه. وكــذا المنغِّصات والاضطرابات التي طــرأت فيما بعدُ لم تُلْجِئْــه للصلح، بل زادت من رغبته به وأكَّدَتْ من صحةِ منهجه وصوابِ رأيه وثباتِ عزيمته.

وكذلك كان زعيم الفريق الشــامي معاوية راغباً في الصلح محباً له ســاعياً إليه مبادراً لعَقْده؛ كما يتجلى ذلك في أقواله وأفعاله ومساعيه. بل إن تاريخ معاوية ﵁ يشــهد لــه بالتؤدة والتــروي والحلم والأناة وعلاج المشــكِلات بأخف الوسائل تكلفةً وأقلِّها خســارةً أو جراحاً أو إضراراً بالأُمة. ويشــهد لذلك مواقفه وهدْيُه وسياسته في عهد عمر، ثم أيام الفتن زمن عثمان، وبعدها عند خلافه مع أمير المؤمنين عليٍّ، فإنه لم يبادر للخروج أو القتال... وفي صلحه مع أمير المؤمنين الحسن بن علي كان له اليد البيضاء في تحقيق ذلك الصلح التاريخي المبرور.

أولاً ـ الحسن ورغبته في الصلح وسعيه إليه:

مما كان يرغِّب الحســنَ في الصلح ما كان فــي (ذاكرته التاريخية) عند خروج أبيه للعراق، حيث نصحه قائلاً: (لو أَقَمْتُ بدارك التي أنت بها ـ يعني المدينة ـ فإني أخافُ أن تُقتل بحالِ مَضِيعَة لا ناصرَ لك!)[1].

فهو يخشى اتســاع رقعة الفتن ووقوع القتال بين المسلمين، ويتألم لــلأرواح التي تُزهق والدماء التــي تُهراق، ويتمنَّى لــو أُطلقت يدُه في التسكين والمسالمة وإطفاء نار الفتنة.

وبقي ﵁ على منهجه هذا طيلة حياته، حتى إذا آلَتِ الخلافة إليه،

---

(١) تقدم بتمامه: ص ١٦٤ في هذا الكتاب.

وأُلقيت في عنقه أمور المسلمين؛ مضَى بهم على سبيله في الإصلاح وحَقْن الدماء وجمع الكلمة ووحدة الصف، ومشى فيه بخطوات متئدة متناسقة، وانتهى بالأُمة والدولة إلى حيث يرغب ويحقق نبوءة جدِّه رسول الله ﷺ.

ـ فعندما قام لأخذِ البيعة على الخلافة، تقدم أولَ الناس الصحابي القائد قيسُ بن سعد بن عبادة وقال للحسن: (ابسُطْ يَدك أبايعْكَ على كتاب الله عز وجل وسنَّة نبيِّه وقتالِ المُحِلِّين، فقال له الحسن رضي الله عنه: على كتاب الله وسُنَّة نبيِّه، فإن ذلك يأتي من وراء كل شرط. فبايَعَه وسكت، وبايَعَه الناس)[١].

ـ ونظر الحسن إلى الناس الذين بايَعُوه أمثالَ الجبال في الحديد، فقال: أَضرِبُ هؤلاء بعضَهم ببعض في مُلْك من ملك الدنيا؟ لا حاجةَ لي به[٢]!

ـ وأكد ذلك على أتباعه ومبايعيه حتى يَضمن وِفاقهم ويُقيم الحجة على من يريد الاختلاف عليه، فاشترط عليهم أن يرضوا بما يراه ويفعله لمصلحة الإسلام والمسلمين، فقال: (إنكم لي سامعون مطيعون، تسالمون مَن سالمتُ، وتحاربون من حاربتُ...)[٣].

ـ وعندما عاتبه بعضُهم على سعيه للصلح وحرصِه عليه وتنازله عن منبر الحكم، أجاب بأنه يسعى لذلك حتى لا تُهراق الدماء بسببه، وهي أغلى من المُلك[٤].

---

(١) تقدم: ص ١٩٥ في هذا الكتاب.
(٢) «تهذيب الكمال» ٢٣٢/٦.
(٣) انظر ما تقدم: ص ١٩٦ في هذا الكتاب.
(٤) تقدمت هذه النصوص: ص ١٠٢ في هذا الكتاب.



ـ ومضى الحسن في سـبيله لإبرام الصلح، وكتب إلى معاوية يخبره أنه يَصيرُ الأمـر إليه، على أن يَشـترط عليه أن لا يطلب أحـداً من أهل المدينة والحجاز ولا أهل العراق بشيء كان في أيام أبيه، فأجابه معاوية[١].

ـ وذكر المدائني: أن الحسن أرسل عبد الله بن الحارث بن نوفل إلى معاوية يسأله المسالمة، واشترط عليه شروطاً[٢].

ثانياً ـ معاوية ورغبته في الصلح ومبادرته إليه:

لم يكُ زعيم الفريق الشـامي معاوية ﵁ بأقل رغبة في الصلح من الحسن ﵁، ولا متباطئاً عنه، ولا متقاعسـاً في السعي إليه، بل كانت مسـاعيه إليه حارة وجادة وصادقة مخلصة، وأقواله وأفعاله تبرهن على ذلك، وتفرضهـا عليه مكانته فـي الأُمة ودينه وحرصـه على مصلحة الإسلام والحفاظ على دماء المسلمين.

وقـد أدرك معاويةُ رغبةَ الحسـن فـي الصلـح وكراهيتَه للخلاف والشـقاق والقتال وسـفك الدماء، فأراد أن يتـودَّدَ إليه بإنهـاءِ الحِقْبة الدامية، ويفاجئ الأُمة ويُملي علـى التاريخ أنه كان المبادرَ إلى الصلح لا سـاعياً وراء منصب الحكم، وحريصاً على أرواح المسلمين، وراغباً بطيِّ حِقْبة مفجعة من الاقتتـال وهَرَاقة الدماء، التـي يُغتبط بها أعداء الأُمة ويَسْعَون جادِّين لاستمرارها!

وهذا الذي نقوله لا يعجب قبيلاً من الناس في قلوبهم مرض، قد تشـربت عقولهم وأنفسهم بالأضغان والأحقاد التي تراكمت عبر التاريخ بتأريث من

---

(١) «الاستيعاب» ١/٣٦٩.

(٢) «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ٨/٢٣٨. وسيأتي الحديث عن الشروط.

أعداء الإسلام والمسلمين، ثم تراهم يتظاهرون بحب النبي ﷺ وعلي والسبطين الكريمين رضي الله عنهم!

وليس إرضاء هذا الفريق مما نسعى إليه أو نطمع به، بيد أن ما نثبته عن الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان تؤكده حقائق التاريخ ومروياته الصحيحة الثابتة، كما تثبته مواقف الحسن من معاوية؛ فلولا أنه يراه أهلاً للخلافة وقيادة الأُمة؛ لما قام بذاك العمل العظيم الخالد وأسند إليه أمور الأُمة والدولة، بل لكان مفرِّطاً بالأمانة التي بايعه الناس عليها، وحاشاه من ذلك!

ـ جاء في صدر «حديث البخاري»: عن الحسن البصري قال: (استَقْبَل ـ والله ـ الحسنُ بن علي معاويةَ بكتائبَ أمثالِ الجبال، فقال عمرو بن العاص: إنِّي لأَرى كتائبَ لا تُولِّي حتى تقتلَ أقرانَها! فقال له معاويةُ ـ وكان واللهِ خيرَ الرجلين ـ: أي عَمْرو، إنْ قَتل هؤلاء هؤلاء وهؤلاء هؤلاء، مَنْ لي بأمور الناس، مَن لي بنسائهم، من لي بضَيْعَتِهم؟! فبَعَث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس: عبد الرحمن بن سَمُرة وعبد الله بن عامر بن كُرَيْز...).

ونَحسَبُ أن هذا النص الجليل كافٍ في التعبير عما في قلب معاوية ورغبات نفسه في تحقيق الصلح، لكن ثمَّة نصوص أخرى تتمم المشهد وتزيده وضوحاً وتأكيداً.

ـ في «مصنف عبد الرزاق» عن الزهري قال: (وكان قيسُ بن سعد بن عُبَادة على مقدمة الحسن بن علي، فأرسل له معاوية بسجلٍّ قد خَتم له في أسفله، فقال: اكتُبْ في هذا السجلِّ، فما كتبتَ فهو لك!)[1].

---

(١) «مصنف عبد الرزاق» ٥/٤٦٢ (٩٧٧٠) في خبر طويل جداً.

ـ وأكد معاوية الصَلح فأرسل رسـولين ـ كما تقدم ـ وفَوَّض الأمرَ إليهما بتلبية ما يريده الحسـن، ولما قال الحسـن: (مَنْ لي بهذا؟ قالا: نحنُ لك به. فما سألهما شيئاً إلا قالا: نحن لك به. فصَالَحَه)[١].

ـ وفي رواية ابن سعد عن عَمْرو بن دينار قال: (إن معاوية كان يعلم أن الحسنَ أكرهُ الناسِ للفتنة، فلما توفي عليٌّ بَعث إلى الحسن، فأَصْلَح الذي بينه وبينه سراً)[٢].

ـ بل إن معاوية لشـدة رغبته في الصلح وحرصه على تحقيقه؛ كان هو المبادرَ إليه كما يدلُّ على ذلـك حديث البخاري، فقد قال للرجلين اللذين أرسـلهما إلى الحسـن: (اذهبا إلى هذا الرجـل؛ فاعْرِضا عليه، وقولا له، واطلُبا إليه).

يقول معاوية: (فاعرضا عليه) ما شاء من المال، (وقولا له) أي: في حَقْن دماء المسـلمين بالصلح، (واطلبا إليه) أي: اطلبا منه خَلْعَه نفسَه من الخلافة وتسليمَ الأمر لمعاوية، وابذلا له في مقابلة ذلك ما شاء.

قال الحافظ: (قال ابن بَطَّال: هذا يدلُّ على أن معاوية كان هو الراغب في الصلح، وأنه عَرَض على الحسـن المال ورغَّبه فيه، وحثَّه على رفع السيف، وذكَّره ما وعده به جدُّه ﷺ من سيادته في الإصلاح به)[٣].

وبهذا يتبيّن أن الزعيمين الجليلين رضي الله عنهما راغبان في الصلح سـاعيان إليه، وبفضل الله تعالى وتوفيقه لهما حدث الوفاق والاتفاق، وعاد ذلك على المسلمين بالخير العميم.

---

(١) انظر الخبر بتمامه: ص ٢٣٠ ـ ٢٣١ في هذا الكتاب.

(٢) «طبقات ابن سعد» بتحقيق د. محمد السلمي ١/٣٣٠ ـ ٣٣١، «الإصابة» ١/٣٢٩.

(٣) «الفتح» ١٦/٣٨٤ شرح الحديث (٧١٠٩).

وبمثل ما يُذكر للسيد الجليل الحسن زهدُه بالحكم وتقديمه مصلحة الإسلام والأُمة والدولة على رغباته الشخصية، كذلك يُسجَّل لمعاوية عملُه الجليل ومواقفه الصادقة لتحقيق الصلح، وإعطاء الحسن كل ما يريده ويأمرُ به من شروط لإبرام ذلك الصلح الخالد.

المبحث الثالث ـ شروط الصلح:

جرت مفاوضات مباشرة بين أمير المؤمنين الحسن رضي الله عنه وبين الوفد الذي أرسله معاوية وفَوَّضَه بتلبية مطالب الحسن، وقد تناولت كتب السُنَّة والتاريخ والتراجم العامة والخاصة ذلك الحدث الجليل، ونَقلت الشروط والقضايا والأمور التي أراد الحسن تحقيقها ورغب في تطبيقها والالتزام بها، فيما يخصُّه هو وآل البيت وأتباعه، وما يَهمُّ الأُمة والدولة ويحفظ الحقوق والدماء والأموال، ويعيد الوحدة والأمن والاستقرار للجميع.

وتفاوتت المصادر في إيراد (شروط الصلح وبنوده) بين مُقِلّ ومُكْثِر، ومختصِر ومستوعِب، ومتثبِّت ومجازِف، ومنصفٍ ومفترٍ!

وباستقراء تلك المصادر والمؤلفات وما ساقته من أخبار، وبإعمال النظر والتمحيص والنقد مع الحيادية والإنصاف والتثبت؛ يمكن حصرُ تلك الشروط التي تم الاتفاق عليها من الجانبين في أمور خمسة لا لُبْس فيها ولا غموض:

١ ـ العمل بالكتاب والسُنَّة وسُنَّة الخلفاء.

٢ ـ سياسة الأموال.

٣ ـ مسألة الدماء وأمن الناس.

٤ ـ مصير الحكم بعد معاوية.

٥ ـ قضية (سبّ عليٍّ).

وأقدِّم بين يدي الحديث عن هذه الشروط والتعهدات والضمانات، ببعض الروايات التي ذكرهـا المحدِّثون والمؤرخـون وكُتَّاب التراجم القدماء والمعاصرون:

ـ قال ابن عبد البرّ: (فكتب ـ الحسن ـ إلى معاوية يخبره أنه يصير الأمر إليه، على أن يشترط عليه: أن لا يَطلب أحداً من أهل المدينة والحجاز ولا أهل العراق بشيءٍ كان في أيام أبيه؛ فأجابه معاوية وكاد يطير فرحاً! إلا أنه قال: أما عشرةُ أنفس فلا أُؤمِّنُهم، فراجَعَه الحسن فيهم، فكتب إليه يقول: إني قد آليتُ متى ظفرتُ بقيس بن سعد أن أقطَعَ لسانه ويدَهُ! فراجعه الحسن: إني لا أُبايعُكَ أبداً وأنت تطلب قيساً أو غيرَه بتبعةٍ قلّتْ أو كَثُرتْ، فبعث إليه معاوية حينئذٍ برَقٍّ أبيض وقال: اكتُبْ ما شئتَ فيه وأنا ألتزِمُه. فاصطلحا على ذلك، واشترط عليه الحسن أن يكون له الأمر من بعده، فالتزم ذلك كلَّه معاوية)[1].

ـ وروى ابن عساكر وغيره: (أن الحسن دعا عَمْرو بن سَلَمة الأَرْحَبي فأرسله، وكتب معه إلى معاوية بن أبي سفيان يسأله الصلحَ ويُسَلِّم له الأمر، على أن يسلِّم له ثلاث خِصال: يسلِّم له بيتَ المال فيَقضي منه دَيْنَه ومواعيده التي عليه، ويتحمل منه هو ومن معه من عيال أبيه ووَلَدِه وأهلِ بيته. ولا يُسَبُّ عليٌّ وهو يَسمع. وأن يُحمل إليه خَراجُ فَسَا ودَرَابْجِرْد من أرض فارس كل عام إلى المدينة ما بقي.

---

(١) «الاستيعاب» ١/٣٦٩ ـ ٣٧٠. الرَّقّ: جِلد رقيق يُكتب فيه. والصحيفة البيضاء.

فأجابه معاوية إلى ذلك وأعطاه ما سأل).

وفي بعض الروايات بدل: (يسلِّم له بيت المال...): (فاشْتَرطَ أن يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة آلاف ألف درهم)[1]، أي: خمسة ملايين.

ـ وفي بعض كتب الشيعة وغيرهم جاء (نص الوثيقة) هكذا: (هذا ما صالَح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب معاويةَ بنَ أبي سفيان، صالحه على أن:

• يُسَلِّم إليه ولايةَ أمر المسلمين على أن يَعمل فيهم بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ وسيرةِ الخلفاء الصالحين.

• وليس لمعاويةَ بن أبي سفيان أن يَعهد إلى أحدٍ من بعده عهداً، بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين.

• وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله، في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم. وعلى أن أصحابَ عليٍّ وشيعتَه آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم. وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهدُ الله وميثاقُه وما أخذ الله على أحدٍ من خلقه بالوفاء، وبما أعطى الله من نفسه.

وعلى أن لا يبغي للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين ولا لأحدٍ من أهل بيت رسول الله ﷺ غائلةً سراً ولا جهراً، ولا يُخيف أحداً منهم في أفق من الآفاق.

---

(١) «مختصر ابن عساكر» ٣٤/٧، «سير أعلام النبلاء» ٢٦٤/٣، «تهذيب الكمال» ٢٤٦/٦، «البداية والنهاية» ١٥/٨، ٤١، وانظر: «تاريخ الطبري» ١٦٠/٥، «فتح الباري» ٣٨٥/١٦.

شهد عليه فلان ابن فلان بذلك، وكفى بالله شهيداً)[١].

ـ وفي كتب وروايات أخرى بزيادة: (أن يكون الأمرُ للحسن من بعده، فإن حَدَث به حدثٌ فلأخيه الحسين، وليس لمعاوية أن يَعهد به إلى أحد)[٢].

وبتدبر هذه النصوص التي أخذناها من مصادر متنوعة ومشارب مختلفة؛ نجد أن بنود الاتفاق ترجع إلى الشروط الخمسة التي صدَّرنا بها هذا المبحث، ونتناول تلك الشوط بشيء من الإيضاح والتفصيل والنقد والتمحيص:

١ ـ العمل بكتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ وسُنَّة الخلفاء الراشدين:

وهذا الشرط ذكره غير واحد من أهل السُنَّة والشيعة[٣]، وهو يشير إلى أشياء مهمة:

فهو فضلاً عن أنه دعوة جادة وشرط أوليٌّ في ملازمة الكتاب والسُنَّة والعمل بهما والدعوة إليهما، ففيه كذلك إجلالُ الحسن للخلفاء الأربعة ، وحبُّه لهم، وحضُّه للأُمة من حكام وولاة ورعية على الاقتداء بهم وإعمالِ سُنَّتهم وهَدْيهم. كما أن فيه إكباراً لمعاوية وأهلِ الشام

(١) «الفصول المهمة» لابن الصباغ ص ١٤٥، «كشف الغمة» للأردبيلي ص ١٧٠، «بحار الأنوار» ١١/١٠، «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ٢٣٨/٨، «الحسن رائد الواقعية السياسية» ص ٢٧٠.

(٢) «شرح نهج البلاغة» ٢٣٨/٨، «بحار الأنوار» ١١٥/١٠، «الإمامة والسياسة» ص ١٥٣، «الإصابة» ٣٢٩/١ ـ ٣٣٠، «صلح الحسن» ص ٢٣٢، «أزمة الخلافة» ص ١٢٢.

(٣) انظر مثلًا: منتهى الآمال» لعباس القمي ٢١٢/٢، «بحار الأنوار» ١١٥/١٠، «الصواعق المحرقة» ٣٩٩/٢، «الشيعة وأهل البيت» ص ٥٤. وانظر ما تقدم: حاشية (١).

حيث ألزمهم الحسن بهذا الشرط وجعلهم أهلاً للقيام به، فرَضُوا بذلك وقبِلُوه والتزموا بــه، وهديُ معاوية في مدة خلافته شــاهدُ صدقٍ على ذلك، مــع مراعاة الفــارق الواضح بيــن معاوية وبيــن الخلفاء، وبين العهدين أيضــاً، وكذلك بيــن الرعيــة ومكونات المجتمــع في عصر الراشدين وعهد معاوية.

روى مَعْمر عن الزهريِّ: (أن معاويةَ عَمِل سنتين عَمَلَ عمر ما يَخْرِم فيه، ثم إنه بَعُدَ عن ذلك)[1].

وعن بُكَير بن الأَشَــجّ: (أن معاوية قال لابنه يزيدَ: كيف تراك فاعلاً إن وليتَ؟ قال: يُمتِّع الله بــك يا أمير المؤمنين! قــال: لَتُخْبِرنِّي؟ قال: كنتُ والله يا أبَهْ عاملاً فيهم عملَ عمر بن الخطاب! فقال معاوية: سبحانَ الله، يا بُنَــيَّ والله لقد جَهِدتُ على ســيرة عثمان بن عفان فمــا أَطَقْتُها، فكيف بك وسيرة عمر؟!)[2].

فهذا يدلُّ على أن معاوية عَمِل في خلافته بالكتاب والسُنَّة، وحاول أن يَلزم هدْيَ عمر في الصلابة وضبط البلاد والولاة بشدة، مع التقشف والزهد وخشــونة العيش، فما أطاق الاســتمرار على ذلك فهو ســبيل صعب! وذلك لأن بين عمر ومعاوية بوناً شاسعاً، كما أن بين عهديهما فارقاً كبيراً في معظم الأمور.

وذهب أحدُ الكتّاب المعاصرين إلى عدم صحة هذا الشــرط مبرِّراً ذلك بقوله: (والتذكيرُ بالعمل بكتاب الله وسُنَّة نبيه وسيرة الخلفاء لاشِيَةَ

(١) «البداية والنهاية» ١٣١/٨، «سير أعلام النبلاء» ١٤٦/٣.

(٢) «البداية والنهاية» ٢٢٩/٨.

فيه، ولكن إيراد ذلك ضمن شروط الصلح تعريضٌ من الرواية بمعاوية واتهامه بمجافاة ذلك، مما ينفي أن يكون هذا الشرط من شروط الصلح بين الجانبين)(١).

وليس هــذا بصحيح، وهــو تعليل عليــل، فما يَغضُّ مــن معاوية ولا يَطعن فيــه أن يُشــترط عليه مثل هذا الشــرط، ففيه تذكيــرٌ وبيانٌ وترسيخٌ للمبادئ الكبرى التي تقوم عليها الدولة وتلتزم بها الأُمة.

فهــذا أبو بكــر الصديق رضي الله عنه يقــول في خطبتــه ـ عندما اســتقبل الخلافة ـ ويشــترط على نفســه: (أطيعوني ما أطعتُ الله ورسولَه، فإذا عصيتُ الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم)(٢).

بل إن عبد الرحمن بن عوف الذي فُوِّضَ إليه اختيارُ الخليفة الثالث: عثمان أو علي، اشــترط على مَن يَقبل الخلافة ذلــك فقال: (هل أنت يا عليُّ مبايعي إن وَلَّيْتُكَ هذا الأمرَ على سُــنَّة الله وسُــنَّة رسوله وسُنَّة الماضِيَيْن قبلُ؟ قال: لا، ولكنْ على طاقتي، فأعادها ثلاثاً، فقال عثمانُ: أنا يا أبا محمد أبايُعك على ذلك، قالها ثلاثاً..... فبايَعه)(٣).

٢ ـ سياسة الأموال:

●● يلاحظ من استقراء النصوص في «صحيح البخاري» وغيره، أن الحسن رضي الله عنه قد اشــترط على معاوية شــيئاً محدداً في السياسة المالية، يخصُّ الحَسن وآلَه وأتباعه، ويمكن حصرُ ذلك في أمرين:

---

(١) «دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين» للدكتور محمد ضيف الله بطاينة ص ٦٨.

(٢) انظر: كتابي «أبو بكر الصديق» ص ٤٢٦.

(٣) انظر: كتابي «عثمان بن عفان» ص ١٧٧، ١٧٩.

أ ـ يأخذ الحسن ما في بيت مال الكوفة وهو (خمسة آلاف ألف درهم) أي خمسة ملايين؛ ليقضيَ ديونَه وهباته التي وعد بعض الناس بها، ويتحمل من هذا المال نفقاته هو ومن معه من عيال أبيه وولده وأهل بيته.

ب ـ أن يُخصَّص له خَراج (فَسَا) و(دَرَابْجِرْد) من أرض فارس، فيُحمل إليه في المدينة كل عام مدة حياته، ليقوم بشؤون الناس المذكورين في البند السابق.

والذي نراه أن الحسن لم يطلب شططاً في هذا الشرط، ولا يُشَمُّ منه أدنى طمع من الحسن في المال أو حرصٍ عليه أو رغبةٍ في استثماره. وأيضاً ليس هو نوعاً من (الضغط) على معاوية مقابل تخليه له عن منصب الخلافة.

فالحسن رضي الله عنه من أكابر زهاد هذه الأُمة، ومن أجود أجوادها، ينفق الأموال على القريب والبعيد كما قدمنا[1]، ويعطي الأَعطيات ويهبُ الأموال الجزيلة. وهو سيد في قومه زعيم فيهم ـ ولو ترك رئاسة الدولة ـ ويَلُوذ به كثيرٌ من آله وعيال أبيه وأهل البيت، فلا بدّ له والحالة هذه من أموال طائلة ينفقها في هذه الوجوه المتعددة. ثم إن من حقه أن يكون له نصيب في أموال الدولة التي فيها الخَراج وديوان الأموال من عهد الفاروق عمر، ولا ضَيْر أن يُخصَّص للكبار والسادة أكثر من غيرهم لينهضوا بواجباتهم في المجتمع، وقد فعل ذلك عمر مع آل بيت النبي ﷺ وأزواجه الطاهرات وأهل بدر.

(١) انظر: ص ١٠٧ ـ ١١٠ في هذا الكتاب.

وقد لمح هذا المعنى وأشار إليه العلّامة الدكتور يوسف العش رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: (ويُتَّهم الحسن بأنه أراد الصلح على شرطين، هما: إبقاءُ مالِ بيت المال معه، وألا يُسَبَّ أبوه وهو حاضر. والشرط الأول وهو استبقاء خمسة ملايين درهم من بيت المال معه يَشين من إنصافه وعدله على ما يظهر، لكنَّا إذا نظرنا إلى الأمر بمنظار روح ذلك العصر، فإنا نرى أن الحسن كان يرأس أسرة كبيرة، ولهذه الأُسرة حقوقها من بيت المال. ووالده علي بن أبي طالب لم يوزع مال بيت المال في عائلته كما وزعه عمر بن الخطاب فيهم، بل سوَّاهم بالناس الآخرين، وكان في حالة حرب، فكان يوفر ما في بيت المال للحرب، فكان من حق هذه الأُسرة أن تأخذ ما كان من حقها وأُجِّلَ دفْعُه لها لظروف خاصة. وليس المال الذي استبقاه الحسن هو لنفسه فحسب، بل له ولأهل بيته ولأصحابه، ونحن نعرف أن عدد أصحابه كان كبيراً، وأن عودتهم من الحرب وإقامتهم في بيوتهم يكلِّف الكثير من المال، أفليس حَرِيّاً بالحسن أن يستبقي هذا المبلغ الذي هو من حق أولئك المحاربين فيوزعه بينهم؟!)[1].

•• وتقتصر رواية البخاري على أن الحسن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ طلب العفوَ عن (أموال سبق للحسن أن أصابها هو وغيره من بني عبد المطلب)، وأن لا يُطالبَ بسدادها؛ قال الحسن: (إنَّا بنو عبد المطلب قد أَصَبْنَا من هذا المال)؛ أي إنا جُبِلنا على الكرم والتوسعة على أتباعنا من الأهل والموالي، وكنَّا نتمكن من ذلك بالخلافة حتى صار ذلك لنا عادة. وفَرَّقنا من هذا المال في حياة عليٍّ وبعده ما رأَيْنَا في ذلك صلاحاً.

(١) «الدولة الأموية» للدكتور يوسف العش ص ١٢٧ ـ ١٢٨.

فنَبَّه الحسن على ذلك خشيةَ أن يُرجع عليه بما تصرف فيه[1].

ولا تشير رواية البخاري هذه إلى شروط مالية أخرى، وهذا لا يمنع قبول روايات تاريخية تسد كثيراً من الفراغات التي لا تفصِّل كتب السُنَّة القول فيها، وهذا كثير جداً في أحداث التاريخ الكبرى فضلاً عن الصغرى.

وهذه الشروط لا تَشِين الحسنَ رضي الله عنه، ولا تغضُّ من منزلته كما أوضحنا.

بَيْدَ أننا لا يمكن أن نَقبل ما تذكره بعض الروايات من أن الحسن (اشترط أموالاً وضياعاً)[2] و(وفى له معاوية ببيت المال وكان فيه سبعة آلاف ألف درهم)، و(أجرى معاوية على الحسن كل سنة ألف ألف درهم)[3]، واشترط على معاوية (أن يحمل إلى أخيه الحسين مليوني درهم في كل عام، ويُفَضِّل بني هاشم في العطاء والصِّلات على بني عبد شمس)[4].

فهذا مما نستبعد صحَته عن الحسن ومعاوية، بل نردُّ وقوعَه؛ لترفُّع الحسن عن مثل ذلك، ولأنه يستوعب شيئاً ضخماً جداً من مال الأُمة، وهو يغرِق الحسنَ ومن يليه بالمال الكثير، بمقابل التضييق على مسلمين آخرين!

وكذلك من السقوط والمجازفة اتهامُ الحسن بأن ما أخذه كان (رَيْعاً مقابل تنازله عن الخلافة!)، كما يزعم أحد الكتّاب المعاصرين فيقول:

(١) «الفتح» ١٦/٣٨٤ ـ ٣٨٥، كتابي «نبوءات الرسول ﷺ» ٢/٢٤٨ ـ ٢٤٩.
(٢) «البدء والتاريخ» للمقدسي ٥/٢٣٦.
(٣) «سير أعلام النبلاء» ٣/٢٦٤.
(٤) «الأخبار الطوال» للدينوري ص ٢١٨.

(كان في استراتيجية معاوية تماماً تقديمُ تعويض مالي مقابل تضحيةٍ كبيرة كهــذه: التخلِّي المعنوي عن الخلافة من جانــب ابن عليٍّ، حفيدِ النبي، والتخلي عن دور الرئيس الفعلي للكوفة. وفي نظري من المؤكد تقريباً أن معاوية هو الذي اقترح رَيْعاً سنوياً مقداره مليون درهم، فضلاً عن خَراج فَسَا ودَرَابْجِرْد وهي من ملحقات البصرة)[1].

وهذا (التفسير الجَدَلي المادي الماركسي) للتاريخ الإسلامي ناجم عن ســوء ظنٍّ وتحريف وتزوير لأحداث تاريخنا وقيمــه وتربية رجاله وأخلاقهم ومبادئهم. ثم هــو كذبٌ وافتراء علــى الصحابيين الجليلين الحســن ومعاوية، حيث يتَّهم معاويةَ بتقديم (رشــوة) فيقبَلُها الحســن مقابل تخلِّيه عن منصب الخلافة. وهذا الرجل وأمثاله لم يدركوا معنى بشــارة النبي ﷺ بالصلح الذي أجراه الحســن ومعاويــة، ولا أحاطوا برغبته ﷺ بإمضائه وتنفيــذه وامتداحه له. كما أنهم لم يَسْــبُروا حقائقَ الأحــداث التاريخية المحيطة بــه والدوافع التي أدَّت إلــى إنجاز ذاك (الصلح التاريخي المبــارك)، فصَدَر منهم مثلُ هذا الــكلام والتحليل الجائر المتجني!

٣ ـ الدماء وأمن الناس:

وهذا الشــرط جاء في رواية البخــاري وغيره، وهــو يُعالج قضيةً مفصلية وواقعاً مفزعاً، ويهدف إلى تحقيق ضرورة ملحَّة قد أَضرَّ غيابُها بالإسلام وأهله ودولته، بل إنه ليشكِّل الهدفَ الأسمى من الصلح؛ فأيُّ شيء أجلُّ وأهمُّ وأعظَمُ وأخيَرُ وأنفعُ من حفظ الأرواح وحَقْن الدماء؟!

---

(١) «الفتنة جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر» لهشام جعيط، ص ٣٦٥.

وما قيمة السلطة والمال إن لم يكن ثمة حفظ للنفس البشرية المكرَّمة وأمنٌ وأمانٌ للعباد والبلاد؟! وهل تقوم حياة وتُبنى دول وتُنشر رسالة ويُنعَم بالأموال ويتحقق الرخاء إنْ لم يخيِّم الأمن وتُصان الأرواح؟!

لقد عاين الحسن الدماء التي أُهرِيقت في عهد عثمان، وتجرَّع الغُصَص المرَّة في عهد أبيه وهو يشهد الأنفس تُزهق، وأيقن أن شلال الدم لن يتوقف بغير الصلح. وكذلك معاوية خشِي أشدَّ الخشية من أن يتلاقى الجمعان في ساحة الاختلاف، وتتجدد المواجهة والقتال فيقتل كل فريق أعدادَه من الفريق الآخر.... فحزم الحسن أمره بإمضاء الصلح وجعل حقن الدماء من أوليات شروطه، ولاقى ذلك ترحاباً من معاوية كان منه على انتظار.

جاء في رواية البخاري: (استَقْبَل ـ والله ـ الحسنُ بن علي معاويةَ بكتائبَ أمثالِ الجبال، فقال عَمْرو بن العاص: إنِّي لأَرى كتائبَ لا تولِّي حتى تقتلَ أقرانَها! فقال له معاويةُ ـ وكان والله خيرَ الرجُلَيْن ـ: أي عَمْرو، إنْ قَتَل هؤلاء هؤلاء وهؤلاء هؤلاء؛ مَنْ لي بأمور الناس، مَنْ لي بنِسائِهم، مَنْ لي بِضَيْعَتِهم؟!).

وهذا يبيّن بجلاءٍ ويقينٍ خشيةَ معاوية من تجدد القتال، ورغبتَهُ الجامحة في الصلح، وحرصَه الشديد على أرواح المسلمين من الفريقين، وكذا خوفَه من ضياع النساء والذراري.

فبادر رضي الله عنه فبعث رجلين من عِلْيَة الناس: (فبَعَثَ إليه رجُلَين من قريش من بني عبد شمس: عبد الرحمن بنِ سَمُرة وعبد الله بن عامر بن كُريز، فقال: اذهَبَا إلى هذا الرجل، فاعْرِضا عليه، وقولا له، واطلُبَا إليه).

يقول معاوية: (فاعرضا عليه) ما شاء من المال، و(قولا له): أي في حَقْن دماء المسـلمين بالصلح، (واطلبا إليه): أي اطلبا منه خلْعَه نفسَه من الخلافة وتسليمَ الأمر لمعاوية، وابذُلا له في مقابلة ذلك ما شاء!

فقام ذانِك الرجلان بالمهمة الجليلة: (فأتَيَـاه، فدخلا عليه، فتكلَّما وقالا له وطَلَبا إليه، فقال لهما الحسن بن علي: إنَّا بنو عبد المطلب قد أَصَبْنـا من هذا المال، وإنَّ هـذه الأُمة قد عاثَتْ فـي دمائها! قالا: فإنه يَعْرِض عليك كذا وكذا، ويطلُب إليك ويسـأَلُكَ. قـال: فمن لي بهذا؟ قالا: نحن لك به. فما سألهما شيئاً إلا قالا: نحن لك به. فصالَحَه).

وقولـه: (إن هذه الأُمـة): أي العسـكرين الشـامي والعراقي، (قد عاثـت): أي قتل بعضهم بعضاً، فلا يَكُفُّون عـن ذلك إلا بالصفح عما مضَى منهـم والتألُّف بالمال. وأراد الحسـن بذلك كله تسـكينَ الفتنة وتفرقةَ المال على مَنْ لا يرضيه إلا المال).

وقوله (من لي بهذا): أي من يضمن لي الوفـاء من معاوية؟ فقالا: نحن نضمن؛ لأن معاوية كان فوَّضَ لهما ذلك[1].

ويَظهر من عموم رواية البخاري أن الحسن اشترط العفوَ والصفحَ عن الذين شـاركوا في القتال والقتل من الفريقيـن، وأن لا يُطالب ولا يُتبع أحدٌ بشأن الدماء التي أهريقت فيما مضى، من أجل تسكين الفتن وحقن الدماء؛ إذ إن ملاحقة من اتُّهِم بدمٍ يفتح شراً مستطيراً من جديد.

وجاء ذلك واضحـاً منطوقاً به في روايات أخـرى، تقول: (على أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله، في شـامِهم وعراقِهم وحجازِهم

(١) «الفتح» ٣٨٤/١٦ ـ ٣٨٥ شرح الحديث (٧١٠٩)، «نبوءات الرسول ﷺ» ٢٤٨/٢ ـ ٢٤٩.

ويَمَنِهم، وأن يُؤمَّن الأسـود والأحمر، وأن يَحتمِل معاويةُ ما يكون من هفواتهم، وأن لا يَتبع أحداً بما مضى، وأن لا يأخذَ أهلَ العراق بإحْنَةٍ)[1].

وتمَّ الاتفاق على ذلك حيث أن وفد معاويـة تكفَّل بضمان تحقيق كل شروط الحسن، وذلك عن أمر معاوية، ولله الحمد والمنّة.

أما الرواية التـي ذكرها ابن عبد البرّ، وفيهـا: أن معاوية وافق على تأميـن عامة الناس إلا عشـرة أنفـس، ومنهم قيس بن سـعد، فراجعه الحسـن في ذلك وأصرَّ على معاويـة أن لا يَطلب أحداً بتبعـةٍ، فقبِلَ معاوية واصطلحا على ذلك[2].

فهي رواية مردودة: فقد جاءت بلا إسـناد مرسَـلَة إرسالاً، كما أنها تُخالف جميعَ الروايات الأخرى ومنهـا رواية البخاري التي تنصُّ على (العفو العـام)، فَضْلاً عن أنها تسـيء إلى الصحابييـن الجليلين قيس ومعاوية، وأيضـاً لا تليق بمنزلة معاويـة وحِلْمه وحرصـه على إتمام الصلح.

٤ ـ مصير الحكم بعد معاوية يترك شورى، ولم يشترط الحسن فيه شيئاً:

أ ـ لم تُشِـرْ رواية الإمام البخاري إلى (مصير منصب الخلافة) بعد معاوية.

ب ـ والرواية الثانية تذكر أن مما اتفق عليه الفريقان من الشروط أن يكون الأمر للحسن من بعد معاوية، وأن معاوية وَعَد إنْ حَدَث به حدثٌ

(١) «مقاتل الطالبيين» ص ٧٤ ـ ٧٥، «شـرح نهج البلاغة» لابن أبـي الحديد ٢٥٤/٨، «بحار الأنوار» ١٠١/١٠، ١١٥، «الأخبار الطوال» ص ٢٠٠، «صلح الحسن» ص ٢٣٣.

(٢) تقدمت الرواية بتمامها: ص ٢٥١.

والحسن حيٌّ ليُسمِّيَنَّه ولَيجعلَنَّ الأمر إليه، فإنْ حَدَث للحسن حدثٌ فالأمر بعده للحسين.

وقد ذكرت هذه الرواية كثير من كتب أهل السُنَّة ومصادر الشيعة(١).

وينقل أبو الفرج الأَصْفَهاني بعضَ الرسائل بين الحسن ومعاوية، ومنها رسالة من معاوية إلى الحسن يقول فيها: (فادْخُل في طاعتي ولك الأمرُ من بعدي...).

وفي رسالة أخرى كتب معاوية إلى الحسن: (وإنْ أنت أَعرضْتَ عما أنت فيه وبايَعْتَني، وفيتُ لك بما وعدتُ، وأجزتُ لك ما شرطْتَ... ثم الخلافة لك من بعدي، فأنت أولى الناس بها، والسلام)(٢).

بل ذهب ابن عبد البرّ بعيداً فقال: (ولا خلاف بين العلماء أن الحسن إنما سَلَّم الخلافةَ لمعاوية حياتَه لا غير ثم تكون له من بعدِه، وعلى ذلك انعقد بينهما ما انعقد في ذلك)(٣).

ج ـ والرواية الثالثة تقول: إن الاتفاق نَصَّ على أن لا يَعهد معاوية لأحدٍ بعده، ويكون الأمر شورى بين المسلمين.

روى المدائني وغيره أن الحسن اشترط على معاوية: (ألّا يُبايِع لأحدٍ من بعده، وأن يكون الأمر شورى)(٤).

---

(١) «تهذيب الكمال» ٢٤٤/٦، «سِير أعلام النبلاء» ٢٦٤/٣، «مختصر ابن عساكر» ٣٥/٧، «الإصابة» ٣٢٩/١، ٣٣٠، «الفتح» ٣٨٥/١٦. «مقاتل الطالبيين»، ص ٦٧، ٦٨، «عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب»، ص ٥٢، «صالح الحسن»، ص ٢٣٢.

(٢) «مقاتل الطالبيين»، ص ٦٧، ٦٨.

(٣) «الاستيعاب» ٣٧٢/١.

(٤) «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ٢٣٨/٨، «البدء والتاريخ» للمقدسي ٢٣٦/٥، =

نقـول: أولاً: الذي تطمئـنُّ إليه النفس ويرجِّحـه البحث والنقد هو ما ذهبَـتْ إليه روايـةُ البخاري فـي «صحيحه»؛ من أن شـأنَ (الحكم ومصيره) بعد معاوية لم يُبحث أصلاً ولم يُشترط فيه شيء.

لأن مثل هذا الشرط ذو قيمة كبيرة وشأن جليل، يتعلق بقضية (التنازل عن الخلافة) تعلُّقاً مبدئياً وأصيـلاً، ومع هذا لم تذكره رواية البخاري في حين أنها ذكَرتْ شأنَ (الأموال) وأمرُها أقلّ أهميةً من قضية (الحكم).

ثم إن عـدم التعرض للنص علـى مصير الحكم يتفق ويتسـق مع طبيعة الحسـن وزهده وإخلاصه وتضحيته الجليلـة بمنصب الخلافة، فكيف يعـود ويبحث أمرها كيف تكون بعد معاوية بل ويَشـترط فيها! ومَنْ يضمن له البقاء إلى ذاك الوقت؟ كما أن معاوية لا يضمن ما يجري له وعليه وما يستجد في الدولة من أحداث!

أضف إلى ذلك أن فتح باب التفاوض بشـأن الحكـم بعد معاوية يعقّـد مسـألة الصلح، ويعيـد الخلاف مـن جديد، وهـو ما لا يريده الحسن رضي الله عنه، ولو تعلَّقتْ نفسُـه بشهوة الحكم له أو لأخيه الحسين لما تنازل عنه أصلاً؛ فكان عدم بحثه هو الأولـى والأصوب والأقرب إلى منهج الحسن رضي الله عنه.

ثانياً ـ وأما الرواية الثانية التي تقول بأن الحسن اشترط لنفسه ولاية العهد بعد معاوية وأن معاوية وعده بذلك.

فهي رواية متهافتة مردودة من وجوه:

١ ـ روى أحمد بن أَعْثَم الكوفي عن الحسـن أنه قـال: (أمَّا ولايةُ

= «الفتوح» لابن أعثم ٢٩١/٢. وانظر ما تقدم: ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣ في هذا الكتاب.

الأمر من بعــده؛ فما أنا بالراغب فــي ذلك، ولو أردتُ هــذا الأمر لم أُسَلِّمْه)[١].

٢ ـ بل إن الحسن نفسه قد ردَّ هذه الرواية بكلام جَزْل وحجّة دامغة، فقد روى جُبير بن نُفَيْر قال: (قلتُ للحســن بن علي: إن الناس يقولون: إنك تريدُ الخلافةَ! فقال: قد كانت جماجــمُ العرب في يدي، يُحارِبون من حاربتُ، ويُسالمون من سالمتُ، فتركتُها ابتغاءَ وجه الله تعالى وحَقْنِ دماء أُمة محمد ﷺ، ثم أبتزُّها باتِّئاسِ أهلِ الحجاز؟!)[٢].

٣ ـ ثــم إن هذه الرواية تناقِض منهجَ الحســن في الإصلاح ورغبتَه في الصلــح وتنازله عن الخلافــة وزهده فيها وقد كان فــي موقع قوة، فكيف يرغب فيها فيما بعد، ومن ســيكون معــه ويؤيده وينصره، ومن الذي يضمن له الحياة إلى ما بعد وفاة معاوية؟!

٤ ـ ومن جهة أخرى فإن التمســك بولاية العهد وطلب الحكم فيما يأتي من الزمان، سوف يجدِّد الخلافَ ويستجلب الفُرقة والمواجهة بين الفريقين من جديد، وترجع الأمور إلى ما قبل الصلح من الاقتتال على الحكم. وكيف يســلِّم أتباعُ معاوية الحكم للحســن، ومَن يضمن تنفيذ ذلك دون احتــراب وهَرَاقة دماء؟! هــذا ما لا يُقبل ولا يُعقــل، وننزِّه الحسن عن أن يطلب هذا الأمر أو يشترطه.

٥ ـ وثمَّة أمرٌ آخَر لا يقلُّ أهمية ووجاهة عما ســبق، وهو أن الحسن لو رغب بالحكم واشترط ولاية العهد؛ لبقي في الشام قريباً من معاوية،

---

(١) «الفتوح» ٢/٢٩٣.

(٢) أثر صحيح، تقدم مع تخريجه: ص ٢٣٢ في هذا الكتاب.

يشارك في سياسة الدولة، ويبقى على اتصال من قريب أو من بعيد بتسيير شؤون الحكم، ليتمكن عندما يؤول إليه من إدارة شؤون البلاد، ويُحْسِن التعاملَ مع أركان الدولة والولاة وشؤون الأمصار ونحو ذلك....

لكن نجد أن الحسن رضي الله عنه قد نأى بنفسه واعتزل ذلك كلَّه، وذهب إلى المدينة النبوية مع أخيه وآل بيته.

٦ ـ وأخيراً فإنه من الثابت تاريخياً أن معاوية رضي الله عنه عَهِد بالولاية لابنه يزيد على رؤوس الصحابة وعامة الناس، ومن جملة مَن حَضَر ذلك كله وعَلِمَه: الحسينُ وأقاربه، فلماذا لم يَجهر الحسين وهو الجريء الصريح الشديد في قول رأيه ـ بأن معاوية قد تعهَّد للحسن ثم للحسين بخلافة المسلمين بعده؟!

أين الروايات التاريخية التي تثير هذه (القضية الخطيرة)؟! لم نجد رواية تذكُر أن الحسين أو أحداً من الصحابة أو من أبنائهم؛ وقفوا لمعاوية وذكَّروه بذلك (العهد المزعوم).

والأغرب من ذلك زعمُ بعضِ المصنفين ـ قديماً وحديثاً ـ بأن (ولاية العهد) تعدَّتِ الحسنَ إلى أخيه الحسين!

كيف قبِل الرجال الكبار الثلاثة: الحسن والحسين ومعاوية مثلَ (هذا الشرط)؟! ومَن يضمن لهم الحياة إلى ذلك الوقت، وكيف يتمكنون من تنفيذه في زمن لا تُعرف أحواله وأحداثه ومواقف رجاله ومكونات المجتمع فيه؟!

ثم لِمَ لَمْ يَجهر الحسين عندما خرج في زمن يزيد إلى الكوفة ويَذكُر نصَّ العهد له بالخلافة إنْ حَدَث لأخيه الحسن حدثٌ وكان هو



حياً؟ أين الرواية والنقل عن الحسين بأنه احتج على حكام بني أمية بأنهم شرطوا له ولاية العهد بعد معاوية؟!

بعد هذا كلِّه اعجَبْ من إمام جليلٍ كبيرٍ هو ابن عبد البرّ حيث ينقل ويقول: (لا خلاف بين العلماء أن الحسن إنما سَلَّم الخلافةَ لمعاوية حياتَه لا غير، ثم تكون له من بعده)!!

وقد تقدم أن الحسن نفسه أبطَلَ هذا الكلامَ، وقد نبهتُ على ذلك مع إجلال حافظ المغرب، حتى لا يغترَّ بقوله هذا أحدٌ، وكل أحدٍ يُؤخَذ من قوله ويُترك إلا رسول الله ﷺ.

ثالثاً ـ والرواية الأخيرة التي تذهبُ إلى أن الحسن اشتَرطَ على معاوية أن لا يعهد إلى أحدٍ من بعده، ويكون الأمر شورى:

فمع إمكانية قبول مثل هذا الخبر اعتماداً على أن شأن (الخلافة) و(الحكم) قائم في أصله على الشورى، إلا أن الرواية منتقضة من ثلاثة وجوه:

أ ـ هي تناقض تماماً الرواية السابقة في النص على ولاية العهد، وهي رواية واهية كما أوضحنا، وهذه معارضة لها؛ فتساقطتا. مع إضافة ما ذكرناه في الرواية الأولى ـ عند البخاري ـ من أن شأن الحكم بعد معاوية لم يُشترط فيه شيء.

ب ـ هذه الرواية تعرِّض بوضوح بما جرى لمعاوية بعد نحو عشرين سنة وهو (ولاية العهد لابنه يزيد بن معاوية)، وفي ذلك اتهامٌ لمعاوية رضي الله عنه بأنه خرج على مبدأ الشورى في استخلاف ابنه، ونَقَض بنداً رئيساً من بنود الصلح مع الحسن.

فمكانُ هذا الشرط ليس (وقت صلح الحسـن)، فلا أحد يعلم ماذا سيجري في السنين القادمة، ولا أحد يعلم ماذا سيفعل معاوية بخصوص الخلافة! لذا فالشرط عليه بأن (لا يلي بالعهد لأحد) أمر بعيد جداً، بل هو مختلَق فيما نحسب.

ج ـ ويُقال في هذه الرواية أيضـاً ما قيل في الرواية الثانية: لماذا لم يحتجّ الصحابة الموجودون وأبناؤهم والحسين على معاوية بأنه خالَفَ شرط الحسن في الصلح، ويذكّرونه بأنه وافق على أن لا يعهد بالخلافة لأحد من بعده بل يترك الأمر شورى؟!

لقد وقف في وجه معاوية صحابـةٌ أجلّاء وخالفوه في (ولاية العهد لابنه)، ونقلت ذلك مصـادر التاريخ المختلفة، فلِمَ لَـمْ ينقلوا لنا هذا الشرط الذي تزعمه هذه الرواية؟ ولماذا لم يرووا عن أحد من الصحابة ولا نقلوا عن الحسين خبراً في مواجهة معاوية وإلزامه بتنفيذ شرط مهم من شروط صلحه مع الحسن؟!

٥ ـ فرية (السَّبِّ واللَّعْنِ) ودعوى (أن الحسن اشترط على معاوية أن لا يَسبَّ علياً):

توطئة في تحريم اللعن:

الذي تربى عليـه الصحابة رضي الله عنهم من كتاب الله تعالى وسُـنَّة نبيه ﷺ: الأخلاق الرفيعة، والآداب الحسـنة، والمعاملة الطيبة، والعفو والصفح والتسـامح والعدل والإنصاف وغير ذلك من خصـال الخير..... ومن جميل تلك الأخلاق الكريمة: طهارةُ القلب، وعفَّةُ اللسـان، والبعدُ عن الفحش والتفحش والسبِّ والشَّتْم والطَّعْن والهُجْر من القول....

ومن التوجيهـات الكريمة والأوامر الجليلة التي ربى رسـول الله ﷺ أصحابه عليها وحملهم على التزامها؛ ما ثبت عنه في أحاديث كثيرة منها:

١ ـ عن ثابت بن الضحَّاك، أن رسـول الله ﷺ قال: «**مَـنْ لَعَنَ مؤمناً فهو كَقَتْلِه**»(١).

٢ ـ وعن أبي الدَّرْداءِ قال: قال رسـول الله ﷺ: «لا يكـونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعاءَ ولا شُهداءَ يومَ القيامة»(٢).

٣ ـ وعن عبد الله بن مسـعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ليسَ المؤمنُ بالطَّعَّان ولا اللَّعَّان ولا الفاحشِ ولا البَذِيء»(٣).

٤ ـ وعن ابن عبـاس، أن رجلاً لَعَنَ الرِّيحَ عند النبي ﷺ، فقال: «**لا تَلْعَن الريحَ فإنها مأمورةٌ، وإنَّه مَن لَعَن شـيئاً ليس لـه بأهلٍ؛ رَجَعتِ اللعنةُ عليه**»(٤).

قال الإمـام الغزالي وغيـره: (لا يجوزُ لعـنُ أحدٍ من المسـلمين ولا الدوابّ، ولا فرقَ بين الفاسـق وغيره، ولا يجوز لعنُ أعيانِ الكفار حياً كان أو ميتـاً إلا مَن عَلِمنا بالنص أنه مـات كافراً كأبي لهب وأبي جهل وشبههما، ويجوز لعن طائفتِهم كقولك: لَعنَ الله الكفار، ولعَنَ الله اليهودَ والنصارى)(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٤٧)، ومسلم (١١٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٩٨)، وأبو داود (٤٩٠٧)، وأحمد (٧٥٢٩).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٠٩٢)، وأحمد (٣٨٣٩)، وابن حبان (١٩٢)، وصححه الألباني وشعيب.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٩٠٨)، والترمـذي (٢٠٩٣)، وابن حبـان (٥٧٤٥)، وصححه الألباني وشعيب.

(٥) «فتح الملهم» ٢/٧٤.

رواية السبّ واللعن بين أهل العراق وأهل الشام:

•• زعم الرافضيُّ المحترِق أبو مِخْنَف لوط بن يحيى، ونَصْر بن مُزاحِم الرافضيُّ الكذاب، ومَن سار على نهجهما: (أن علياً كان إذا صلّى الغَدَاة يقنتُ فيقول: اللَّهمَّ الْعَنْ معاويةَ وعَمْراً وأبا الأعور السُّلَمي وحَبيباً وعبد الرحمن بن خالد والضحَّاكَ بنَ قيس والوليدَ! فبَلَغ ذلك معاويةَ؛ فكان إذا قنتَ لَعنَ علياً وابنَ عباس والأشتر وحَسناً وحُسيناً!!)[1].

ـ وذكر ابن أبي الحديد الرافضيُّ المُعتزليُّ (فريةَ اللعن)، فقال: (ولمَّا قَنتَ عليٌّ عليه السلام على خمسة ولَعَنَهم، وهم: معاوية، وعَمْرو بن العاص، وأبو الأعور السُّلَمي، وحَبيب بن مَسْلَمة، وبُسْر بن أَرْطاة؛ قَنتَ معاويةُ على خمسةٍ وهم: علي والحسن والحسين عليهم السلام، وعبد الله بن العباس، والأشتر، ولعَنَهم). وذكر في موضع آخر أن القنوتَ واللَّعْنَ كان في الصلاة وخطبة الجمعة[2]!!

•• وهذه الوقائع ـ حسب هذه الروايات التالفة ـ حملت الحسن بن علي رضي الله عنه على أن يشترط على معاوية ترك سب أبيه علي رضي الله عنه، ومما جاء في ذلك:

ـ كتب الحسن إلى معاوية بموافقته على الصلح وأنه يُسَلِّم له الأمرَ (الخلافة)، على أن يُسَلِّم له ثلاثَ خِصال، ومنها: (ولا يُسَبُّ عليٌّ وهو يَسمع)[3].

---

(١) «تاريخ الطبري» ٧١/٥، «صفين» لابن مزاحم، ص ٦٢٥ ـ ٦٢٨.

(٢) «شرح نهج البلاغة» ٧٢/٢، ٣٢٢.

(٣) تقدم الخبر بتمامه، ص ٢٥١.

ـ وأورد أبو الفرج الأصفهاني خبراً طويــلاً، وفيه أن معاوية أعطى الحسن ما شــرطه ومنه: (لا يُنال أحدٌ من شيعة عليٍّ بمكروه، ولا يُذكَر عليٌّ إلا بخير)(١).

ـ وتذكر بعض كتب الشــيعة من شــروط الصلح: (أن يَترك معاوية سَبَّ أميرِ المؤمنين والقنوت عليه بالصلاة)(٢).

ـ وتمادى الرافضة حتى قال بعض المعاصرين منهم: (اندفَعَ معاوية بجميع قواه من النَّيل من أمير المؤمنين ومن الحَطِّ من شــأنه، فسَــخَّر جميعَ أجهزة الدولة في ذلك من محدثين ورواة وولاة ومرتزقين! حتى تمادى وجَعَل سَبَّ العِتْرة الطاهرة سُنَّةً من سنن المسلمين الذين يُعاقَبُون على تركها ويَأْثَمون على عدم أدائها!!).

ثم قال: (ولمَّا رجَعَ معاوية إلى دمشق بعد الصلح، أَمَر بجمع الناس وخطب فيهم: أيها الناسُ، إن رسول الله ﷺ قال لي: «**إنك ستلي الخلافةَ من بعدي، فاختر الأرض المقدســة؛ فإنَّ فيها الأبْدال**»، وقد اخترتكم، فَالْعَنُوا أبا تُراب!).

(فانبرى الخُطباء المأجورون في كل كُــورة وعلى كل منبر يلعنونه ويبرؤون منه!)(٣).

بل نقل بعضُهم ممن يحمل (شــهادة الدكتوراه) عن كتاب «الغَدير»

---

(١) «مقاتل الطالبيين»، ص ٧٥.

(٢) «أعيان الشيعة»، لمحسن الأمين العاملي ٤٣/٤، «صلح الحسن»، ص ٢٣٣.

(٣) «الحســن رائد الواقعيــة السياســية» ص ٣٠١ ـ ٣٠٢. وانظــر: ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤، و«صلح الحسن»، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٧.

فقال: (إنه كان في أيام بني أمية أكثر من سبعين ألف منبر يُلعَنُ عليها عليُّ بن أبي طالب، بما سَنَّه لهم معاوية من ذلك!!)[1].

نقول: هذه الأخبار في تلاعنِ الصحابة على الملأ، بل وفي الصلاة والقنوت وخطبة الجمعة، وشيوعِ السبّ والشتم بينهم، وانتشارهِ في الأمصار، والأمرِ به من قِبَل الخلفاء والأمراء ـ أكاذيبُ مُختلَقَة، وفِرىً وضيعة، ومزاعمُ حاقدة ماكرة؛ يَبوءُ بإثمها مَن لَفَّقها وروَّج لها وحشَد السُّذَّج لسماعِها وتصديقها، واستغلها في الطعن على المؤمنين واتهامِ البُرآء والإساءةِ للإسلام وأهله ودولته وحضارته.

وهي منتَقدة ومنتَقَضة وواهية جملةً وتفصيلاً: من حيثُ السندُ والمتنُ وحقائقُ التاريخ وواقعُ المسلمين وضرورياتُ العقل السليم والآداب العامة؛ وبيان ذلك فيما يلي:

١ ـ إن المنهجَ النبوي الذي تربى عليه الصحابة رضي الله عنهم، والأخلاقَ التي نشؤوا عليها وتحلَّوا بها، والشمائلَ والخصائص النبيلة التي اتصفوا بها ولزموها طيلةَ حياتهم في السلم والحرب والعُسر واليُسر، مع العدوّ والصديق ـ كل ذلك يشهد لهم بطُهرِ السيرة ونقاءِ السَّريرة، وجمالِ الأخلاق، وحسنِ المعاملة، وعفَّة اللسان والبُعد عن الشطط، والترفُّع عن الفحش والتفحش والسب والشتم والطعن، حتى مع الأعداء!

والأحاديث النبوية الكريمة التي صدَّرْنا بها هذه الفقرة كانت مَعْلَماً ومناراً لهم رضي الله عنهم يستضيؤون به ويلتزمونه في حياتهم وجميع أحوالهم. وأفعالُهم وواقع حالِهم وحقائقُ التاريخ وشهادة القريب والبعيد؛ تؤكد ذلك وتثبته.

(١) «أزمة الخلافة والإمامة» ص ١٢٦، وانظر: «الغدير في الكتاب والسُّنَّة والأدب» ٢/١٠٢.

متى كان أمير المؤمنين علي لعَّاناً طعَّاناً فحَّاشــاً سبّاباً، حتى يزعم أمثالُ أبي مِخْنــف بأنه كان يَلعن فلاناً وفلاناً فــي صلاته؟! وهو الذي تنزَّه عن استلاب دِرْع أحد المشركين في المعركة حيث استقبله بعورته، فاســتحيى عليٌّ وتركه! وعليٌّ أيضــاً لم يَلعن ولم يســبَّ ذاك المجرم الخاســرَ عبد الرحمن بن مُلْجَــم الذي طعنه غدراً، بــل أوصى بَنيه به وأمرهم أن لا يمثّلوا به. وغير ذلك من الشواهد على عفة عليٍّ وطهارة لسانه ومكارم أخلاقه.

ومعاوية ﵁ الذي شــهدَتْ له الدنيا بحلْمِه وأَناتِه وجميلِ أخلاقه وعفوِه وصفحه حتى عن أجلاف الأعراب، وبكى علياً عندما استُشهد، وطلب من ضِرار بن ضَمْرة أن يصفَه فســمع وصفاً بارعاً فبكى وترحَّم على علي! ومعاويةُ قد وصَفَه معاصروه الثقــات بأنه المهديّ في عَدْله وحســنِ ســيرته في رعيته، فهل من صفــات المهدي اللعــن والطعن والفحش في القول والسب والشتم؟!

٢ ـ وســيدنا عليٌّ على خلافه مع معاويــة، كان يُثني عليه ويمتدح ولايته وقيادته؛ فقد روى الشــعبي عن الحارث الأعور قال: (لمَّا رجع علي من صفِّين عَلِم أنه لا يَملك أبداً، فتكلم بأشياء كان لا يتكلم بها، وحدَّث بأحاديــثَ كان لا يتحدث بهــا، فقال فيما يقــول: أيها الناس، لا تكرهوا إمــارة معاوية، والله لو قد فقدتموه لقــد رأيتم الرؤوس تَنْدُر عن كواهلها كالحنظل!)[1].

وفي (أصح كتاب عند الشــيعة) أن علياً ســمع قومــاً من أصحابه

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» ٧٢٤/٨. تندر: تسقط.

يَســبُّون أهل الشــام، فنهاهم وقال: (إنِّي أكرهُ لكم أن تكونوا سبَّابين، ولكنكم لو وَصفتُم أعمالهــم وذكرتم حالَهم كان أصــوبَ في القول، وأبلَغَ في العُذْر، وقلتم مكان سَبِّكم إياهم: اللَّهمَّ احقِنْ دماءنا ودماءهم، وأصلِحْ ذات بيننا وبينهم، واهْدِهم من ضلالتِهم، حتى يَعرفَ الحقَّ مَن جَهِلَه، ويَرْعَوي عن الغَيِّ والعُدوان من لَهِج به)(١).

وفي مقابل ذلك يروي مُغِيرة بن مِقْسَــم الضَّبِّــي فيقول: (جاء نَعِيُّ عليٍّ إلى معاويــة وهو قائلٌ مع امرأتــه فاختة بنت قَرَظــة، فقعد باكياً مســترجعاً، فقالت له فاختة: أنــت بالأمس تطعن عليــه واليوم تبكي عليه؟! فقال: ويحكِ! أنا أبكي لِما فقد الناس من حِلْمه وعِلمه).

وفي رواية: قال معاويــة: (إنّا لله وإنا إليه راجعــون، ماذا فقدوا من العلم والحلم والفضل والفِقه!)(٢).

ويقول قبِيصَة بن جابر: (صحبتُ معاويةَ بن أبي ســفيان؛ فما رأيتُ رجلاً أثقلَ حِلْماً ولا أبطأَ جَهْلاً ولا أبعدَ أناةً منه)(٣).

وروى ابن عبد ربِّه ـ وهو متشــيِّع كثيرُ الحَطِّ على بني أمية ـ قال: (إن معاوية أخذ بيد الحســن بن علي في مجلس له، ثم قال لجلسائه: مَن أكرمُ الناس أباً وأماً وجداً وجدة؟ فقالوا: أمير المؤمنين أعلمُ! فأخذ بيد الحســن فقال: هذا، أبــوه علي بن أبــي طالب وأُمــه فاطمة بنت محمد ـ ﷺ وجده رسول الله، وجدته خديجة)(٤).

(١) «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ١٨/٦.
(٢) «تاريخ ابن عساكر» «ترجمة علي» ٣٣٧/٣ ـ ٣٤٠، «البداية والنهاية» ١٤/٨.
(٣) «المعرفة والتاريخ» ٤٥٨/١، «مختصر ابن عساكر» ٥٦/٢٥.
(٤) «العقد الفريد» ٣٣/٣.

بل إن معاوية كان يعترف بفضلِ عليٍّ وسابقته وهجرته وصِهْره إلى النبي ﷺ، وأنه متقدم عليه في جميع ذلك، وأَعلَن ذلك على الملأ في وقت خلافه مع علي! فقد جاءه أبو مسلم الخَوْلاني وناسٌ معه فقالوا له: (أنتَ تُنازِع علياً في الخلافة، أَوَ أنتَ مثلُه؟! قال: لا، وإني لأعلَمُ أنه أفضَلُ منِّي وأحقُّ بالأمر،...)[١].

هذه الأخبار الكثيرة المتعاضِدة، وبعضُها عن أصحاب علي ومن كتب الشيعة، توضح العلاقة بين الصحابيين الجليلين علي ومعاوية في إبَّان خلافهما ووقتِ تحاربهما، وتؤكد أنه ما بدر منهما إلا الأخلاق الحميدة والمواقف الكريمة وطيبُ الكلام. وهذا هو اللائق بهما، والذي يفرضه حسنُ الظن بالصحابة من كل مسلم صادق وإنسان منصف عاقل... أما الكذابون والموتورون والسفهاء والسُّوقة فحسابهم على الله تعالى.

٣ ـ ذكرت الروايات التالفة أن علياً كان يَلعن في قنوته خمسة رجال، وكذلك كان يفعل معاوية رداً عليه، وأن اللعن استشرى في عهد بني أمية في زمن معاوية ومن بعده، حتى صار الخطباء يَلعنون على المنابر في خطبة الجمعة!

ما هذا المجتمع الفاحش المتفحش الذي يتجرأ أكابر رجاله على مثل هذا؟! وهل يصدِّق عاقل وقوعَ ذلك؟! فلو أن رجلاً من المسلمين الآن قام على المنبر ولَعَن فلاناً من الناس أمام الملأ؛ لوبَّخَه العامة قبل الخاصة، ولاتَّهموه في دينه وعقله ومروءته! فكيف يُقبل هذا الفعل

(١) أثر سنده جيد، وقد تقدم: ص ١٨٠ حاشية (٣) في هذا الكتاب.

القبيح من ربيب بيت النبوة عليٍّ، ومن معاوية أميرِ بلاد الشام ثم عامة بلاد الإسلام فيما بعد؟!

أين الصحابةُ الكرام الأبرار والتابعون الأخيار، هل سكتوا جميعاً على هذا الفحش والفعل المَشين، وهم حَفَظة الكتاب والسُنَّة والقائمون بالحق، والعاملون بشَعِيرة الإسلام الكبرى: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامَّتِهم!!

لقد كان في زمن معاوية من الصحابة: سعد بن أبي وقّاص، وأسامة بن زيد، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عُمر، وعبد الله بن عَمْرو، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عباس، والبراء بن عازب، وأبو قتادة الأنصاري، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخُدْري، وأبو أيوب الأنصاري، وعمران بن الحُصَيْن، والنعمان بن بَشير، وسَهْل بن سعد، وأنس بن مالك..... وغيرهم كثير، وأضعافهم في عهد عليٍّ؛ كانوا مصابيحَ الهدى وأئمة الخير، وقدوةَ الناس في القيام بالحق، أَفَما وُجِد منهم رهْطٌ ينهون عن هذا المنكر العريض المستشري، حاشاهم من ذلك!!

وإذا وقع منهم النهوض بهذا الواجب اللازم، فلماذا لم يروه أولئك الأخباريون الكاذبون، ولِمَ لَمْ ينقلْه لنا التاريخ الذي حَفِظ في أحشائه المهاترات المكذوبة بين صحابة نبينا ﷺ ورضي الله عنهم؟!

أين الرواية عن رجال قوّامين بالحق، نَصحوا علياً بعدم جواز ذلك، وأنكروا على معاوية وبني أمية شَتْمَ صهر النبي ﷺ وأمير المؤمنين الخليفة الراشدي المرتضى!!



ويؤكد ما قلناه ويفضح أولئك الكذابيــن المفترين، أن أحدَ الأمراء نال من عليٍّ (في مجلس خاص) فأنَّبه معاويةُ ولم يرضَ ذلك منه، ونال جزاءه القاســي في المجلس نفســه؛ فقد روى الطبري عــن جُويرية بن أســماء: (أن بُسْــر بن أبي أرطاة نالَ مــن عليٍّ عند معاويــة، وزيدُ بن عمر بن الخطاب جالس، فَعَلَاه بعصاً فشَجَّه، فقال معاوية لزيد: عَمَدْتَ إلى شيخ من قريش ســيدِ أهل الشــام فضربْتَه! وأَقبلَ على بُسْرٍ فقال: تَشــتُم علياً وهو جدُّه وابنُ الفاروق على رؤوس الناس؟! أَوَ كنتَ ترى أنه يصبِر على ذلك! ثم أرضاهما جميعاً)[1].

إن معاوية لم يرضَ من واليه هذا الفعلَ الشــائن في مجلس خاص، ثم إنه نال عقوبته في اللحظة ذاتها حيث لم يصبر زيد على هذا المنكر، فكيف أيها العقلاء سكت الصحابة جميعاً وصبروا على (اللَّعنِ والسبِّ والشــتْمِ) على المنابر وفي قنــوت الصلوات، أفتراهم كانــوا يقولون: آمين؟! ما هذا الكذب المفضوح المبين!

٤ ـ هذه الروايات التي لفَّقَها أبو مِخْنَف ونصر بن مُزاحم وغيرهما، ثم روَّج لها الرافضة في كتبهــم، وزادوا عليها من أكاذيبهم وهم أكذبُ الفِرق المبتدعــة كما قال الشــافعي وغيــره ـ إنما تهــدف إلى الطعن بمعاوية ﵁ خاصة وببني أُمية عامة، والإســاءة إلى عهدهم ودولتهم، وبالتالــي تشــويه تاريخهم وطمــس ما قدَّموه للإســلام والمســلمين والحضارة الإسلامية والإنسانية؛ من حملٍ للرســالة الخالدة وفتوحاتٍ جليلة في المشارق والمغارب ونشرٍ للإسلام ودخول الناس فيه أفواجاً.

---

(١) «تاريخ الطبري» ٣٣٥/٥، أحداث ســنة (٦٠هـ). وزيد بن عمر: أُمُّه أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، فعليٌّ جدُّه لأُمِّه.

فعندما يَشيع بين الناس أن بني أُمية يَضْطغِنون على عليٍّ والحسن والحسين وآل البيت، ويأمرون بلَعْنهم وسبِّهم والاستخفافِ بهم، وينتشر ذلك في كتب التاريخ ويدرسه الخاصة والعامة.... فيؤدي ذلك إلى إساءة الظن بأولئك الحكام والفاتحين ويَصرف قلوبَ الجماهير وعقولَهم وألسنتهم إلى الحطِّ عليهم ووَصْمِ أعمالهم بأنها غزوٌ واستعلاءٌ وقهرٌ واستعبادٌ، وهذا ما يريده مختلِقو تلك الأكاذيب! ولا ريب أن شيئاً كثيراً قد عَلِق في قلوب وعقول أناس كثيرين حول بني أُمية وعهدهم وأمجادهم.

٥ ـ لقد تنازل الحسنُ عن الخلافة لمعاوية عن رضاً وطواعية وسعيٍ منه لذلك، بل وأَمَر أتباعَه بمبايعته؛ فكيف رضي الحسن بتسليم أمر الأمة إلى معاوية وهو يصدر منه ومن أتباعه مثلُ هذا المنكر؟ أَفَما كان يعرفُه!!

ورواية أبي مخنف تزعم أن التلاعنَ كان في عهد عليٍّ، والحسنُ بلا شك يعلم هذا ـ لو وقع ـ فكيف سكت عنه، بل فعل ما هو أغرب وأخطر فتنازل لمن يلعنُ أباه؛ ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦]!

أَيَليقُ بالحسن وجلالته ومكانته وفهمه أن يَقبل مثلَ هذا الهوان لو حَدَث؟!

والأعجبُ ـ والأعاجيبُ لا تنقضي ـ أن الرواية الساقطة الأخرى تقول: إن الحسن اشترط على معاوية أن لا يُسَبَّ عليٌّ وهو يَسمع!

ولنا أن نسأل: **هل راوي هذا الكلام عنده عقلٌ؟! أَوَ يدري ويفهمُ ما يروي؟** إن معنى ذلك أن الحسن لا يَضِيره ولا يعكِّر خاطره أن يُسبَّ

أبوه ما دام هو لا يسمع اللعن والشـتم! وكيف يسمع الحسن شتْمَ أبيه وهو في المدينة ومعاوية بالشام؟!

لو فكر الكذابون ومَن ينقل رواياتهم ويروِّج لها وينشرها في الآفاق بما تتضمَّنه تلك الأخبار؛ لاسـتَحْيَوا من حكايتها، ولكنْ مات عندهم الحياء، وقد قال النبـي ﷺ: «**إنَّ ممَّا أَدْرَكَ الناسُ من كلامِ النبوَّة الأولى: إذا لم تَسْتَحِي فاصَنَعْ ما شئتَ**»[1].

٦ ـ بعد تنازل الحسـن عن الخلافة وتمام الصلح وبيعة أهل العراق لمعاوية، اسـتقلَّ معاوية بالحكم على جميع أمصار الدولة الإسـلامية، ودانَتْ له أطرافُها، فما الذي يحمله على سـبِّ علـي والوقوع في أبنائه وآله والتشهير بهم... وإنما يَسبّ الرجل أندادَه في السلطة وخصومه فيها أو المتغلِّبين عليه والقاهرين له؛ وكل ذلك غير موجود في جانب معاوية.

ولـو كان ثمَّة سـبٌّ وضغينةٌ ولعنٌ لـكان من جهـة المغلوبين أو المحرومين المظلومين، وهذا أيضاً لا وجود له من جهة الحسـن وآله، فقد تنازل عن الخلافة وهو في أوج السُّؤْدُد والسيادة والفضل.

ثم إن عهد معاويـة كان أحوجَ إلى المسـالمةِ والتسـكين وتهدئةِ النفوس وإرضاءِ المعارضين، وحسنِ سياسة الناس جميعاً، وهذا ما كان من معاوية بشهادة التاريخ والموافق والمخالف.

٧ ـ إن العلاقـة الطيبة والاحتـرامَ المتبادَل بين الحسـن وآله وبين معاوية، هي التي كانت سائدة طيلةَ عشر سنين عاشها الحسن في خلافة معاوية، ومن دلائل ذلك:

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٨٣)، (٦١٢٠)، وأبو داود (٤٧٩٧)، وغيرهما.

الجوائز الدائمة والأَعطيات الجزيلة التي كان يُرسِل معاوية بها إلى الحسن والحسين في المدينة ـ كما سيأتي بيانه ـ وهو يؤكد زَيْف تلك الأخبار المفتراة، إذ كيف يَصِل معاوية أناساً يُبغِضهم ويسبُّ أباهم ويأمر بلَعْنهِ على المنابر؟! بل كيف يَقبل الحسن والحسين صِلات رجل يَشتُم أباهم ويأمُر الناسَ والخطباء بسبِّه في مجالسهم ومساجدهم؟!

٨ ـ إذا كان السبُّ والتلاعن صحيحاً من الطرفين، فمن المفترض أن نجد آثارَ ذلك في عهد العباسيين وخاصة بحقِّ معاوية، ونذكر هنا شهادة إمام جليل أقام في بغداد زمن الدولة العباسية، ويَعرف مساجدها معرفة مشاهدة وعيان؛ هو الإمام المحقق الشهير أبو بكر بن العربي حيث يقول في كتابه «العواصم من القواصم»:

(وهذه مدينةُ السلام دار خلافة بني العباس، وبينهم وبين بني أمية ما لا يخفى على الناس، مكتوبٌ على أبواب مساجدها: خيرُ الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ثم معاوية خالُ المؤمنين رضي الله عنهم)[1].

٩ ـ وأما من حيث سند تلك الروايات:

فأبو مخنف لوط بن يحيى: أخباري تالف لا يوثَق به، وقال ابن مَعين: ليس بثقة، وقال ابن عدي: شيعي محترِق صاحبُ أخبارهم[2].

ونصر بن مزاحم: رافضيٌّ جَلْد، تركُوه. قال أبو خَيْثمة: كان كذَّاباً. وقال أبو حاتم: واهي الحديث، متروك[3].

---

(١) «العواصم من القواصم» ص ٢١٩ ـ ٢٢٠.
(٢) «الكامل» لابن عدي ٩٣/٦، «ميزان الاعتدال» ٤١٩/٣ ـ ٤٢٠.
(٣) «ميزان الاعتدال» ٢٥٣/٤ ـ ٢٥٤.

ابن أبي الحديد: رافضي معتزلي كثير الوقوع في الصحابة رضي الله عنهم.

وأما نقدُ أسانيدِ كتب الشيعة ورواياتهم التي جاءت في هذه القضية؛ فأمرٌ لا نُتعِب القراءَ ببيانه، فكثير من رجالهم لا يُوثق بهم، ورواياتهم معظمُها مرسَلات ومُعضَلَات ومُنقطِعات، ويروونها عن (المعصومين) عندهم!

ومسألةُ سبِّ معاوية وبني أمية ولعنِهم ليست ذات بالٍ بل أمرها عندهم سهل، فإنهم يَسبُّون الشيخين وأكابر الصحابة، ويتهمونهم بالخيانة وكتمانِ النص والوصية، ويقولون بكفرهم وردَّتهم....!!

١٠ ـ وننوِّه أخيراً إلى أن هذه الروايات لم تجدْ طريقاً إلى كتب المتقدمين من محدِّثي ومؤرِّخي أهل السُنَّة؛ فلم يروِها مثلاً خليفة بن خياط، ولا محمد بن سعد، ولا يعقوب بن سفيان الفَسَوي، ولا أصحابُ المصنفات، وغيرهم ممن قرُب عهدهم من عصر بني أمية! وإنما وُجدت في الطبقة التالية وما بعدها مثل كتاب: «تاريخ الرسل والملوك» للطبري، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر وأشباههما.... وهذا ما يشير إلى اختلاق مثل هذه الأخبار في عهد العباسيين، والله أعلم.

وقد أخطأ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث سَلَّم بوجود (التلاعن)، وهو الإمام الجهبذ النقاد، فقال: (إن التلاعنَ وقع من الطائفتين كما وقعت المحاربة، وكان هؤلاء يَلعنون رؤوسَ هؤلاء في دعائهم، وهؤلاء يَلعنون رؤوس هؤلاء في دعائهم!)[1].

---

(١) «منهاج السُنَّة النبوية» ١٢٥/٣.

وكذا بعض الأفاضل حيث نَقل أن مروانَ بن الحَكَم كان أميراً على المدينة، وكان يسبُّ علياً كل جمعة على المنبر، والحسن يسمع فلا يردّ شيئاً!

وذكر كلاماً قبيحاً[١]!!.

بقيت مسألة ذات صلة بالموضوع، وهي ما جاء في «صحيح مسلم»:

عن سعد بن أبي وقّاص قال: (أَمَر معاويةُ بن أبي سفيان سعداً فقال: ما مَنَعَك أن تَسُبَّ أبا التُّراب؟ فقال: أمَّا ما ذكرتُ ثلاثاً قالَهنَّ له رسول الله ﷺ فلَنْ أَسُبَّه؛ لأَنْ تكون لي واحدةٌ منهن أحبُّ إليَّ من حُمْر النَّعَم: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول له، خَلَّفه في بعض مغازيه، فقال له عليٌّ: يا رسولَ الله، خلَّفْتَني مع النساء والصِّبيان؟ فقال له رسول الله ﷺ: **«أَمَا ترضَى أن تكونَ منِّي بمنزلةِ هارونَ من موسى إلا أنه لا نبوَّةَ بعدي»**. وسمعتُه يقول يوم خيبر: **«لأُعطينَّ الراية رجلاً يحبُّ اللهَ ورسولَه، ويحبُّه اللهُ ورسولُه»**، قال: فتطاوَلْنا لها، فقال: **«ادْعُوا لي علياً»**، فأُتِي به أرمدَ، فبَصَق في عَيْنِهِ، ودَفَع الراية إليه، ففَتَح الله عليه. ولما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١]، دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: **«اللَّهمَّ هؤلاء أهلي»**)[٢].

وكلمة السّبِّ تُستعمل في القرون الأولى بمعنى المَلامة والتخطئة، وفي «صحيح مسلم» أن رسول الله ﷺ مَنَع رفقتَهُ من الشرب من عَيْن تبوك قبل أن يصل إليها النبي ﷺ، ثم سبقه رجلان إليها، (فسألَهما

(١) «الدوحة النبوية» للدكتور فاروق حمادة، ص ٨٦.

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٠٤)، والنسائي في «الكبرى» (٨٣٤٢)، والترمذي (٤٠٥٨).

رسول الله ﷺ: «**هل مَسَسْتُما من مائها شيئاً**»؟ قالا: نعم، فَسبَّهما النبي ﷺ)[١]، وظاهرٌ أن السبَّ هاهنا ليس بمعنى الإقذاع في الكلام، وإنما هو بمعنى الملامة والتخطئة. وقد أخرج البخاري في مناقب علي: (أن رجلاً جاء إلى سَهْل بن سعد فقال: هذا فلان ـ لأمير المدينة ـ يدعو علياً عند المنبر)، وفي رواية الطبراني: (يدعوك لتسبَّ علياً)، فقال سَهْل بن سعد: (فيقول ماذا؟ قال: يقول له أبوتراب!)[٢]. فقد أُطلِقت كلمة السب هنا على مجرد تلقيب علي ﷺ بأبي تراب.

فما ذُكر عن معاوية ﷺ في الحديث المتقدم لا يدلُّ على أنه كان يحب أن يُسَبَّ عليٌّ ﷺ بالإقذاع في الكلام في حقِّه، وإنما المقصود تخطئتُه بإزاءِ موقف معاوية ﷺ، وملامتُه في ذلك[٣].

ثم إن هذا الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم لا يُشَمّ منه ولو على بُعْد أن معاوية كان يَسبّ بنفسه ويَلعن، ويدعو بذلك في قنوت الصلوات، ويأمر الولاة والخطباء بفعل ذلك، كما تفتري روايات أبي مِخْنف ونَصْر بن مُزاحم وأشباهِهما!!

وقد قدَّمنا غيرَ رواية عن معاوية ﷺ أنه كان يُجلُّ علياً ويُثني عليه، بل ويُفَضِّله على نفسه، وقد حَزن عليه لما استُشهد، وأنكر على أحد ولاته لما وقع في عليٍّ.

زِدْ على ذلك أن معاوية صحابي شريف نبيل، مشهور بالحلم والأناة والعقل والذكاء والدهاء، وقد أصبح أميرًا للمؤمنين؛ فلا يُعقل أن يهبط

(١) «صحيح مسلم» (٧٠٦) عقب الحديث (٢٢٨١).

(٢) «صحيح البخاري» (٣٧٠٣).

(٣) «شرح مسلم» للنووي ١٩٣/٨، «تكملة فتح الملهم» ٥٦/٥.

إلى هذا الدَّرْك فيُسيء إلى علي. ولو أراد حمل الناس على السبِّ والشتم ـ وحاشاه من ذلك ـ ما كان ليطلب من صحابي كبير شهير مثلِ سعد بن أبي وقّاص أن يفعل ذلك، وهو يعلم منزلة عليٍّ عند سعد، كما يعرف تماماً ما كان عليه سعدٌ من الجرأة والصراحة والإقدام مع الفضل والورع والنُّبل... إن هذا لا يفعله آحاد الناس العقلاء فضلاً عن أن يُقدِم عليه رجل في وزن معاوية ومنزلته ومنصبه في الأُمة!!

المبحث الرابع ـ مراحل الصلح وأحداثه ورجاله وعوامل الضغط فيه:

الروايات في (صلح الحسن) كثيرة جداً، مبثوثة في كتب السُنَّة والتاريخ والتراجم، وفيها الصحيح والمقبول والضعيف والواهي والتالف والموضوع. كما يلاحَظ فيها أنها قد تتوافق في بعض الأحداث، وقد تتعارض أحياناً ويمكن الجمع بينها، بينما تتناقض في أحايين أخرى ولا يمكن التوفيق ولا بدّ من الترجيح. هذا فضلاً عن أنها سُرِدت بلا تسلسل للأحداث ودون مراعاة الترتيب الزمني للوقائع، مع أهمية هذا وذاك في فهم الأحداث ومجرياتها ودوافعها وأهدافها وثمراتها.

وهذا يتطلب من الباحث والناقد أن يغربل الروايات ويستخرج من (أضابيرها) ما يصلح للاحتجاج، ويزيّف الواهي والمكذوب، ويوفّق بين الروايات ما وجد إلى ذلك سبيلاً، ثم يقوم بالجمع بين الأشباه والنظائر، وتصنيفها وتقسيمها وتبويبها إلى مراحل زمنية متسلسلة زمنياً ومنطقياً، بحيث يرسم صورةً متكاملة لهذا الحدث الجليل قريبةً من الحقيقة مستوفيةً شروط القبول والاحتجاج.



١ ـ المرحلة الأولى: نبوءة رسول الله ﷺ دعوة موجِّهة وضياء كاشف هادٍ:

نبوءة رسول الله ﷺ هي الأصل والأساس في تحقيق هذا الصلح، وهي الضياء الكاشف الذي يبدِّد ظلماتِ الفتن والفتَّانين، ويُنير الطريقَ للحسن للسعي إلى الصلح ويهديه للاستمرار فيه والثبات عليه حتى يحقق الغاية المرجوَّة والهدف المنشود.

عن أبي بَكْرة رضي الله عنه قال: (رأيتُ رسولَ الله ﷺ على المِنْبر، والحسنُ بن عليٍّ إلى جَنْبِه، وهو يُقْبِلُ على الناس مرَّةً وعليه أخرى، ويقول: «إنَّ ابْنِي هذا سيدٌ، ولعلَّ اللهَ أن يُصْلِح به بينَ فئتينِ عظيمتينِ من المسلمين»)[1].

هذه الكلمات النبوية كانت منهجَ حياة للحسن؛ تصوغ مواقفَه وتوجِّه تصرفاته، وتنمي مشاعره ورغباته وأشواقه، وتدفَعْ خطواته وأفعاله نحو تحقيق ذلك الترجِّي من النبي ﷺ، حيث استقرَّ في يقينه واختلَط بلحمه ودَمِه أن ما يتمناه رسول الله ﷺ ويرجوه ويُثْني عليه؛ فيه الخير العميم للحسن وللإسلام والمسلمين... فمشى رضي الله عنه في هذا الطريق المنير الأبلج المستقيم، لا تَزيغ به الأهواء، ولا تصدُّه عنه الآراء، ولا تؤثر فيه الفتن، ولا تقعد به الهمم، ومضَى في هذا السبيل مذ وعى الحياة السياسية وحركة المجتمع وسيرورة الأحداث ودروس التاريخ؛ منذ عهد عمر فعثمان ثم أبيه علي رضي الله عنهم جميعاً، لا يَرِيم عن الاستمساك بكل ما فيه من مسالمة وإصلاح ورَتْق للفتوق وحَقْن للدماء.....

---

(١) تقدم مطولًا مع تخريجه: ص ٢٣٠ ـ ٢٣١.

ولقد كوَّنَتْ تلك الكلماتُ النبوية المشرقة اللبنةَ الأولى في مسيرة الصلح المباركة، ومنذ تسلم الحسن الخلافة وبايعه الناس، ثبَّت قدميه في أول طريق (الصلح)، وأعلن على الملأ وصارح الأتباع والمبايعين وأخذ عليهم أن يُسالِموا مَن سالَمَ، ويحاربوا مَن حارَبَ.

خطوات مدروسة مباركة، وطريق واضح، ومعالم منيرة، ودوافع قوية ثابتة، وغاية محددة سامية نبيلة... والمقدمات الصحيحة الخالصة أَوصلَتْ إلى ثمرات طيبة وخيرٍ عَميم.

وكان مما شجَّعه على الثبات على رأيه والمُضِيِّ فيه من يوم آلَتْ إليه أمور المسلمين؛ رؤيا رآها:

يروي طُخْرُب العِجْليُّ مولى الحسن، عن الحسن بن علي قال: (لا أُقاتِلُ بعد رؤيا رأيتُها، رأيت رسولَ الله ﷺ واضعاً يده على العرش، ورأيتُ أبا بكر واضعاً يده على النبي ﷺ، ورأيت عمر واضعاً يده على أبي بكر، ورأيت عثمان واضعاً يده على عمر، ورأيت دونهم دماء فقلتُ: ما هذا؟ فقالوا: دمُ عثمان يَطلُب الله به!)[1].

وفي رواية بأطول من هذا، وفيها: (فجاء عثمان فقال: ربِّ سَلْ عبادَكَ فيما قتلوني؟ قال: فانبعث من السماء ميزابان من دم في الأرض! قال: فقيل لعليٍّ: ألَا ترى ما يحدِّث به الحسن؟! قال: يحدِّث بما رأى)[2].

---

(١) «مختصر ابن عساكر» ٣٧/٧، «تهذيب الكمال» ٢٤٩/٦.

(٢) ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٩٦/٩، وقال: رواه أبو يعلى بإسنادين، وفي أحدهما من لم أعرفه، وفي الآخر سفيان بن وكيع وهو ضعيف.



٢ ـ المرحلة الثانية: بيعةُ الحسن الناسَ وشرطُه عليهم:

بعد القرار الحاسم الذي عقده الحسن في نفسه، وأبرمه بإرادته، واحتَفَّتْ به دوافع عديدة لإمضائه؛ أخذ في تنفيذه بخُطاً متَّئِدة متناسقة متكاملة، وبحكمة بالغة وإدراك عميق لملابساته والبيئة التي يعمل فيها والأناسي الذين يعمل معهم، والتحديات التي تقف أمامه، والمفاجآت التي قد تتناوشه من هنا وهناك... ومن أهم ما يساعده على المُضيِّ في مشروعه المبارك؛ أن يهيِّئ الأنفسَ التي تناصره وتؤيده أو تتبعه وقد يكون فيها من تتنازعه الآراء، أو من يبيت نيةَ سوء!

فأطلَق الخطوة الأولى، فكانت فيها مفاجأةٌ على الأقلّ عند مَن سار على سَنَنٍ واحد خلال السنين الغابرة وما فيها من فتن وخلاف ودماء، وكذلك عند الذين غَلَبتْ عليهم شهوة السلطة أو الرغبة في تصدر المجالس والنوادي والأحداث.

لقد أقبلت عشرات الألوف لبيعته خَلَفاً لأبيه، فلم يتهيَّب المشهد المهيب، ولم يلتفت إلى مِنْبر الحكم والجلوس في سُدَّة الرئاسة، بل استحضر الركيزة الثابتة الشامخة التي أرساها جدُّه ﷺ حيث وصفه بأنه (سيد) وأردف ذلك ببيان ما تتطلَّبه تلك السيادة وهو (الإصلاح) وحقن الدماء.

وإذا بالحسن يفاجِئ الجموعَ المحتشدة ويُملي عليها شروطَ قبول البيعة والحكم: عن الزهري قال: (بايَعَ أهلُ العراق الحسنَ بن علي بالخلافة، فَطَفِق يشترط عليهم الحسن: إنكم سامعون مطيعون، تُسالِمون مَن سالمتُ، وتُحاربون مَن حاربتُ. فارتاب أهل العراق في أمرِه حين اشترط عليهم هذا الشرط، وقالوا: ما هذا لكم بصاحب، وما يريد هذا القتالَ!)(١).

---

(١) «تاريخ الطبري» ١٦٢/٥، «تهذيب الكمال» ٢٤٥/٦. وانظر ما تقدم: ص ١٩٥ في هذا الكتاب.

وعن حارثةَ بن مُضَرِّب قال: سمعتُ الحسنَ بن علي يقول: (والله لا أُبايِعُكم إلا على ما أقول لكم، قالوا: ما هو؟ قال: تُسالِمون مَن سالمتُ، وتحارِبون مَنْ حاربتُ)[1].

وهذا من الحسن يُنبِئ عن عبقريته وحسنِ سياسته، كما أنه دالٌّ على خبرته بأهل العراق ومعرفتِهِ بطبائعهم، فأيقظ قلوبَهم ولَفَتَ عقولَهم إلى أن هناك خيارين: (السلم أو الحرب)، وأن تحقيق السلم وإبرام الصلح أمرٌ قابل للنقاش والدراسة بل للتحقيق والتطبيق.

وأراد الحسن من هذا إقامة الحجة عليهم، وإلزامَهم بما التزموا به من شروط البيعة، وكَشْفَ شيء من المخبوء في بعض الأنفس حيث ارتاب فريق منهم وقالوا: (ما يريد هذا القتال)، كما أنه هيأ السوادَ الأعظم من أتباعه إلى قبول فكرة (إبرام الصلح مع أهل الشام).

٣ ـ المرحلة الثالثة: محاولة اغتيال الحسن لإفشال مشروعه في الصلح:

وتمثل المرحلة الثالثة في مجريات الصلح منعطفاً خطيراً يتجسَّد بوجود طائفة غير قليل عددُها في الفريق العراقي من أتباع الحسن ومبايعيه؛ لا يزالون ثابتين على منهجهم الخبيث في ضرب الدولة الإسلامية من الداخل، واغتيالِ الوحدة الإسلامية وتمزيق نسيج المجتمع....

والحسن بما آتاه الله من بصيرة نافذة وخبرة طويلة في العمل قريباً من مراكز القرار والتنفيذ في الدولة؛ يعرف يقيناً وجودَ أمثال هؤلاء،

---

(١) «طبقات ابن سعد»، تحقيق د. محمد السلمي ١/٣٨٦ ـ ٣٨٧، «سير أعلام النبلاء» ٣/٢٦٦. وإسناده صحيح.

ولهذا اشــترط في بيعته: السمع والطاعة له في من يُحارِب ومن يُسالِم؛ وبذلك كَشَف المخبوءَ في نفوس هؤلاء، وأَظهرَهُ أمام الجمهور الأعظم ليعرفوه، وليكتبه التاريخ في صحائف هؤلاء الفجرة، ويكون للحســن شاهدَ صدقٍ على فَهْمِه وحسنِ سياسته وصوابِ مسعاه في الصلح.

لقد حاول هؤلاء اغتيالَ الحســن، وكرروا ذلــك أكثر من مرة، ولم يكن الأمر مُرتَجَلاً ولا شــخصياً، بل مدبَّراً وممنهجاً يســير في طريق واحد لتحقيق هدف محدَّد!

عن أبي عَوَانة، عن حُصَيْن بن عبد الرحمن السُّلَميِّ، عن أبي جَميلة مَيْسَــرة بن يعقــوب ـ صاحبِ راية علــي ـ: (أن الحســن بن علي لما اســتُخلِف حين قُتل علي، فبينما هو يصلّي بالناس إذ وَثَب عليه رجلٌ فطَعَنه بخِنْجَر ـ وزَعم حُصين بن عبد الرحمن السُّلَمي أنه بَلَغه أن الذي طَعَنه رجلٌ من بني أسَــد ـ وحسنٌ ســاجد! قال حُصين: وعمِّي أدرك ذلك. قال: فيزعمُون أن الطعنة وقعَتْ في وَرِكه، فمرض منها أشهراً ثم بَرِئ، فقعد على المنبر فقال: يا أهلَ العراق، اتقوا الله فينا، فإنا أمراؤكم وضِيفَانُكم، ونحن أهلُ البيت الذيــن قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]. قال) فما زال يقول ذلك حتى ما رُئِي أحدٌ من أهل المسجد إلا وهو يَخِنُّ بكاءً!!)[1].

ومن أهمِّ وأدقِّ وأخطــرِ ما في هذا الخبر الثابت: أن الحســن وجَّهَ

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٣٢٣/١ بتحقيق السلمي، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ونقله عنه ابن كثير في «تفســيره» ٥٩٨/٣ ـ ٥٩٩، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٧٢/٩، وقال: رواه الطبراني ورجــال ثقات. والخَنِين: ضَــرْب من البــكاء دون الانتحاب. وأصلُ الخَنين: خروجُ الصوت من الأنف.

تهمةَ الاغتيال إلى أهل العراق، وأن هـــذه الحادثة كانت في وقتٍ مبكّر جداً (لما استُخلف الحسن حين قُتِل علي)!

وهذا يشـــير إلى أن مَسَـــاعيرَ الفتنة ودعاةَ الفُرقة والساعين في شَقّ الصف الإســـلامي وتدمير بنيانه ومكوناته من الداخل؛ مســـتمرون في تنفيذ مخططهم الإجرامي عبر حلقات متسلســـلة متكاملة للوصول إلى الغايـــة الكبرى وهي الإحاطة بالإســـلام وأمته ودولتـــه، عن طريق قتل الخلفاء وخَلْق الفوضى وإثارةِ الفتن وإشـــعال نـــار الاحتراب والاقتتال وهَرَاقة الدمـــاء... وكل مَن يقف في ســـبيلهم ويســـعى للصلح وحقن الدماء؛ لا بدّ من اغتياله وإفشال مخططه ومنهجه!

وهذا المنهج الحاقـــد الثابت المحكَم لأولئك الفجرة وصنائعهم قد ابتدأ بقتـــل عمر على يـــدي (خلية أبي لؤلـــؤة المجوســـي والهُرْمُزَان الفارسي وجُفَيْنة النصراني)، ثم امتد إلى عثمان، ومن بعده علي، ومن ثم إلى الحسن، ويليه إلى أخيه الحسين!!

٤ ـ المرحلة الرابعة: خروج الحســـن إلى المدائن، وإرساله جيشاً إلى مَسْكِن لقتال أهل الشام، ومحاولاتٌ جديدة جادَّة لاغتياله:

•• لم يستغرب الحسن رضي الله عنه قيامَ طائفة من أتباعه بمحاولة اغتياله، فلقد خَبَر خَبِيئتَهم واسْـــتَبْطَن مخططَهم ومنهَجَهـــم وغايتَهم منذ أواخر عهد عثمان، ثم فـــي عهد أبيه، وبعدهـــا في مطالع خلافتـــه وقد لَمَح تبرُّمَهم بخطبتـــه وتململَهم من تصريحه لهم بشـــرطه: (أن يحاربوا من يحارب، ويســـالموا من يســـالم) وهو موقنٌ بأنهم سوف يستبسلون في إجهاض مشروعه الإصلاحي!



وقد لبَّى رغبةَ السواد الأعظم في المسير إلى أهل الشام لمواجهتهم، وإتمامِ عمل أمير المؤمنين عليٍّ في ردِّهم إلى الجماعة ووحدة الكلمة، وجُلُّ هذا السواد الأعظم لا يُدرِك ما يُحاك للحسن ولهم من قِبَل أولئك المندسِّين في صفوفهم ومشروعهم التخريبي الفتاك.... فأراد الحسن فَضْحَهم على الملأ وكَشْفَ نواياهم للعامة؛ فتمادى بهم في طريق طويل من المجادلة والمُناكَفَة، واختبارِ ولائهم وطاعتهم والتزامهم بما اشترطه عليهم، وتَركَ للأحداث والوقائع والمواقف أن تعرِّي نواياهم وتُظهِر حقيقتهم أمام العامة والبسطاء.

أخرج ابن سعد وابن عساكر وغيرهما من طريق الشعبي وجماعةٍ من أهل العلم قالوا: (بايَعَ أهلُ العراق بعد عليٍّ بن أبي طالب الحسنَ بن علي، ثم قالوا له: سِرْ إلى هؤلاء القوم الذين عَصَوا الله ورسوله وارتكبوا العظيم، وابتزُّوا الناس أمورَهم، فإنا نرجو أن يمكِّن الله منهم. فسار الحسن إلى أهل الشام، وجعل على مقدمته قيس بن سعد بن عبادة في اثني عشر ألفاً، وكانوا يُسَمَّون شُرطةَ الخَميس)[1].

وروى سفيان بن عُيينة عن عمّار الدُّهْني قال: (نزل الحسن بن علي المدائن، وكان قيس بن سعد على مقدمته، ونزل الأَنْبار، فطَعَنوا حسناً وانتهبوا سُرَادِقه)[2].

(١) «طبقات ابن سعد» بتحقيق السلمي ٣١٩/١ ـ ٣٢١، «مختصر ابن عساكر» ٣٣/٧، «تهذيب الكمال» ٢٤٥/٦، وإسناده لا بأس به. والخميس: الجيش؛ لأنه خمس فِرق: المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة.

(٢) «المعرفة والتاريخ» ٧٥٥/٢ ـ ٧٥٦، «تاريخ بغداد» ١٧٨/١. السرادق: الفسطاط يجتمع فيه الناس لعرس أو مأتم وغيرهما.

وذكر هلال بن خَبّاب: (أن علياً لما قُتل، توجَّه الحسن والحسين إلى المدائن، فلَحِقهما الناس بساباط، فحَمَل على الحسن رجلٌ فطَعَنَه في خاصرته، فسَبَقهم حتى دخل قصر المدائن، فأقام فيه نحواً من أربعين ليلة، ثم توجَّه إلى معاوية فصالحه)[1].

•• وتوضح روايات أخرى اضطرابَ جيش الحسن بُعَيْد البيعة، واختلافَهم عليه، ومحاولة اغتياله ثانية، وأسبابَ ذلك، وتذكر اسمَ الرجل الذي انبَعَث لهذا العمل الخؤون:

ففي رواية ابن سعد والطبري وابن عساكر والمدائني وغيرهم: أن الحسن عَقَد لقيس بن سعد بن عبادة على اثني عشر ألفاً، فنزل دير عبد الرحمن، واستخلَف على الكوفة المغيرةَ بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وأَمر قيس بنَ سعد بالمسير، وودَّعَه وأوصاه، فأَخذ على الفرات وقرى الفَلُّوجَة، ثم إلى مَسْكِن. وارتحل الحسن متوجهاً نحو المدائن، فأتى ساباط فأقام بها أياماً، فلما أراد أن يرحل إلى المدائن قام فخطب الناس فقال: أيها الناس، إنكم بايعتموني على أن تُسالِموا مَنْ سالمتُ وتُحارِبوا من حاربتُ، وإني والله ما أصبحتُ محتمِلاً على أحدٍ من هذه الأُمة ضَغِينة في شرق ولا غرب، ولَمَا تكرهون في الجماعة والأُلفة والأمن وصلاحِ ذات البَيْن؛ خيرٌ مما تحبُّون في الفُرقة والخوف والتباغض والعداوة، وإن علياً أبي كان يقول: لا تَكْرهوا إمارةَ معاوية؛ فإنكم لو فارقتموه لرأيتم الرؤوس تَنْدُر عن كَوَاهِلها كالحَنْظَل. ثم نزل.

---

(١) «تاريخ بغداد» ١٣٨/١ ـ ١٣٩. وانظر: «تاريخ الطبري» ١٦٢/٥.

فقال الناس: ما قال هذا القولَ إلا وهو خالِعٌ نفسَــه ومســلّمٌ الأمرَ لمعاوية! فثاروا به فقَطَعوا كلامَهُ، وانْتَهبــوا متاعَه، وانتزعوا مِطْرَفاً كان عليه، وأخذوا جاريةً كانت معه، واختَلَــف الناس، فصارت طائفة معه، وأكثرهم عليه!

فقال: اللَّهمَّ أنت المســتعان، وأَمر بالرحيــل، فارتَحَل الناس، وأتاه رجل بفــرس، فركبه وأَطــافَ به بعضُ أصحابــه، فمَنَعــوا الناسَ عنه وساروا، فقدمه سِنَان بن الجرّاح[1] الأَسَدي إلى مُظْلِم ساباط، فأقام به، فلما دنا منه تقدَّم إليــه يكلِّمُه، وطَعَنَ في فَخِــذِه بالمِعْوَلِ طعنةً كادت تصل إلى العظم. فغُشِــي عليه! وابتَدَره أصحابه، فسَــبَق إليه عُبيد الله الطائي فصَرَع سِــناناً، وأَخذ ظَبْيان بن عُمارة المِعْولَ من يده فضَربَه به فقَطَع أنفَه، ثم ضربه بصخرة على رأسه فقتله!

وأفاق الحسن من غَشْــيتِه، فعَصَبوا جُرْحَه وقد نَزف وضَعُف، فقدِما به المدائن وعليها ســعد بن مســعود، عمُّ المختار بن أبي عُبيد، وأقام بالمدائن حتى بَرِئ من جُرحه[2].

وهــذا الوغدُ الــذي عَدَا على هــذا الســيد المصلــح العظيم، هو الجَرّاح بن سِنان الأســدي، له تاريخ أســود وأعمال رديئة، موغِل في الشرور والفتن منذ سنة (٢١هـ)؛ فلقد كان من رؤوس الفتنة في الكوفة،

---

(١) الإسم مقلوب، والصواب: الجراح بن سنان الأسدي. انظر: «تاريخ الطبري» ١٢١/٤.

(٢) «طبقات ابن ســعد» بتحقيق الســلمي ٣٢١/١ ـ ٣٢٣، «تاريخ الطبــري» ١٥٨/٥ ـ ١٥٩، «المستدرك» ١٧٤/٣، «مختصر ابن عساكر» ٣٣/٧ ـ ٣٤، «تهذيب الكمال» ٢٤٤/٦ ـ ٢٤٦، «ســير أعلام النبلاء» ٢٦٣/٣ ـ ٢٦٤، «الفتح» ٣٨٢/١٦، «شــرح نهــج البلاغة» لابن أبي الحديد ٢٤١/٨، ومنه نقلت النص عن المدائني.

وممن أَلَّبوا على واليها العظيم سـعد بن أبي وقّـاص، واتهموه ورَمَوه بالعظائم، حتى عزَلَه الفاروق عمر عن إِمْرة الكوفة قَطْعاً لدابر الفتنة.

واستمر على تلك السيرة السـيئة طيلة عشرين سنة، حتى وصل به الغدر إلى العـدون على أمير المؤمنين الحسـن بن علي، وقُتل بذلك، فنالَتْه دعوة سعد[1]!!

وهذا يؤكد للقارئ والباحث والمؤرخ أن (مخطط الشـر والإفسـادِ ونقضِ عُرَى الإسلام وتدميرِ دولته) يسـير في طريق محدَّد مُمَنْهَج منذ أواخر عهد عمـر، مع تعـدُّد وجوه رجالـه، وتآلُف وتكاتـف أحداثه وأساليبه.

ولقد كان الحسـن يكره تجييش مثل هذا الجيش وتوجيهه لمقاتلة أهل الشام، بَيْدَ أنه طاوَعَ التيارَ الطاغي بين أتباعه الراغبَ في الحرب، لعلمه بأنهم لن يَفُوا بما يتكلمون ويُظهِرون ويجيِّشون! وليفضَحَ سرائرَ الخدَّاعين ويَكشِـف خباياهم، ويؤكد للعامة والدهماء خطورتهم وسوءَ مقصدهم، ويمهـد بذلك للصلح الذي يعمل دائبـاً لأجله، ويكون معه السواد الأعظم في تأييده وطاعته وتحقيق رغبته.

يقول ابن كثير: (ولم يكن في نيَّة الحسـن أن يقاتِـل أحداً، ولكن غَلَبوه علـى رأيه، فاجتمعـوا اجتماعاً عظيماً لم يُسـمع بمثلـه، فأمَّر الحسن بن علي قيسَ بنَ سعد بن عبادة على المقدمة في اثني عشر ألفاً بين يديه، وسار هو بالجيوش في أثره قاصداً بلاد الشام، ليقابل معاوية وأهل الشام، فلما اجتاز بالمدائن نزلها وقدَّم المقدمة بين يديه).

---

(١) انظر: «تاريخ الطبري» ١٢١/٤، أحداث سنة (٢١هـ).

ثـم ذكر العدوانَ على الحسن ومحاولةَ اغتياله، ثم قال: (فلما استقرَّ الجيش بالقصر قـال المختار بن أبي عُبيد ـ قبَّحَه الله ـ لعمِّه سَـعْد بن مسعود: هل لك في الشـرف والغنى؟ قال: ماذا؟ قال: تأخذُ الحسنَ بن علي فتقيِّده وتبعثُه إلى معاويـة! فقال له عمه: قبَّحَكَ الله وقبَّح ما جئتَ به، أَغْدِر بابن بنت رسـول الله ﷺ؟! **فلما رأى الحسـن بن علي تفرُّقَ جيشـه عليه مَقْتَهم، وكتب عند ذلك إلى معاويـة يُراوِضه على الصلح بينهما**)[1].

٥ ـ المرحلة الخامسـة: عزم الحسـن علـى الصلح وإعلانه ذلـك، وموافقة قيس بن سعد:

●● وبتلك الأحـداث والوقائع تبينت عبقريةُ الحسـن في القيادة وحسنِ السياسـة، وظهر للعامة والخاصة صوابُ رأيه ونجاح (خطته التدريجية فـي تحقيق الصلـح) وبتأييـد جماهيري، مـع الحجج الواضحة التي مـن أبرزها اختلاف أتباعه وجيشـه عليه، واضطراب أمرهم وعدم ثباتهم علـى قرار، ووجود جماعة من الرَّعَاع وأصحاب الأهواء الذين يريـدون توجيه الأحـداث نحو الفتنة وشـق الصف والاقتتال وإزهاق الأرواح!

يروي الفَسَـويُّ بإسـناده عن هلال بن خَبَّاب قال: (جَمع الحسـنُ رؤوسَ أهـل العراق في هذا القصـر ـ قصر المدائن ـ فقـال: إنكم قد بايعتُموني على أن تُسالِموا مَنْ سالمتُ وتحارِبوا من حاربتُ، وإنِّي قد بايعتُ معاويةَ فاسْمَعُوا له وأَطيعوا)[2].

---

(١) «البداية والنهاية» ١٥/٨. وانظر قصة المختار الخبيث في: «تاريخ الطبري» ١٥٩/٥.

(٢) «المعرفة والتاريخ» ٤١٠/٣، وإسناده جيد.

وعن أبي الغَرِيف عُبيد الله بن خليفة الهَمْدانيّ قال: (كنا في مقدمة الحسن بن علي اثني عشر ألفاً بمَسْكِن مستميتين تقطُر أسيافنا من الجدّ على قتال أهل الشـــام وعلينا أبو العَمرَّطة، فلما جاءنا صلحُ الحسن بن علي كأنما كُسِرت ظهورُنا من الغيظ!)[1].

وروى ابن ســـعد وغيره عن هلال بن خَبّاب قال: (جَمع الحسنُ بن علي رؤوسَ أصحابه في قصـــر المدائن، فقال: يا أهـــلَ العراق، لو لم تَذْهَل نفســـي عنكم إلا لثلاثِ خِصالٍ لذَهِلَتْ: بِقَتْلِكم أَبي، ومَطْعَنِكم بَطْنـــي، وانتهابِكـــم ثَقَلـــي ـ أو قال: ردائـــي عن عاتِقـــي ـ، وإنكم قد بايعتُموني على أن تُسالموا مَنْ سالمتُ وتُحاربوا مَن حاربتُ، وإني قد بايعتُ معاويةَ فاسْمَعُوا له وأَطيعوا. قال: ثم نزل فدخل القصر)[2].

وهذه الروايات المختصرة تبيِّن صَدْرَ الأحـــداث ونتائجَها، وتصفُ نهاية المطاف في وقوع الصلح، وفي غُضون ذلك تفصيلات ومراسلات ومدة زمنية توضحها روايات أخرى ستأتي في المراحل التالية.

•• كان قيس بن سعد بن عبادة من أكابر ولاة علي بن أبي طالب، ومشى الحســـن على سَـــنَن أبيه فأمَّر قيســـاً على مقدمة جيشه، وقيسٌ صحابي ابن صحابـــي، أمير جليـــل ووالٍ فذٌّ، من أفـــراد الدهر حكمةً وسياســـةً ودهاءً وجـــوداً ونُبلاً.... ولمـــا وقعت الأحـــداث التي ذكرنا خلاصتها، **خَشِي الحســـن من قيسٍ أن يُخالِف عليه، ويستغلَّ الموقفَ**

---

(١) «مصنف ابن أبـــي شـــيبة» ٨/٦٣٠ ـ ٦٣١، «المعرفـــة والتاريـــخ» ٣/٤١٠، «تاريخ بغداد» ١٠/٣٠٥، وسنده حسن، أبو الغريف: وثقه الفســـوي، وقال الحافظ في «تقريب التهذيب»: صدوق رمي بالتشيع.

(٢) «طبقات ابن ســـعد» بتحقيق الســـلمي ١/٣٢٤، «تاريخ بغداد» ١/١٣٩، وانظر ما تقدم: ص ٢٤٠ حاشية (٢) في هذا الكتاب.

طائفةٌ من أصحاب الهوى وأهل الفتنة، ويُثيرونها جَذَعَةً ويتظاهرون بتأييد قيس، وغايتُهم شق الصف، فرأى الحسن أن يقطع دابِرَ الفتنة من أصلها، فعَزَل قيساً وولى مكانه عُبيد الله بن عباس:

ـ قال الحافظ في «فتح الباري»: (أخرج الطبري بسند صحيح عن يونس بن يزيد عن الزهري قال: جعل عليٌّ على مقدمة أهل العراق قيس بن سعد بن عبادة وكانوا أربعين ألفاً بايعوه على الموت، فقُتِل عليّ، فبايَعُوا الحسنَ بن علي بالخلافة، وكان لا يحب القتال ولكن كان يريد أن يشترط على معاويةَ لنفسه، فعَرف أن قيس بن سعد لا يُطاوعه على الصلح فنَزَعه وأمَّر عُبيد الله بن عباس)[1].

ـ ولما صالح الحسنُ معاويةَ وبايَعَه، دخل قيسٌ في الصلح وتابعَ الجماعةَ، ورجع إلى المدينة فتوفي بها[2].

ـ وجاء في خبر طويل صَحَّحه الحافظ: (واستَخْلَف الناسُ الحسنَ بن علي، فبَعَث الحسن بالبيعة إلى معاوية، فكَتب بذلك الحسنُ إلى قيس بن سعد، فقام قيس بن سعد في أصحابه فقال: يا أيها الناس، أتاكم أمران لا بدَّ لكم من أحدِهما: دخولٌ في الفتنة، أو قتلٌ مع غير إمام! فقال الناس: ما هذا؟ فقال: الحسن بن علي قد أعطى البيعةَ معاويةَ، فرجع الناس فبايَعُوا معاوية)[3].

---

(١) «الفتح» ٣٨١/١٦ ـ ٣٨٢ شرح الحديث (٧١٠٩)، وهو في «تاريخ الطبري» ١٥٨/٥. ووقع في «الفتح» وبعض المراجع: (عبد الله بن عباس) بدل (عبيد الله)، والمشهور (عبيد الله).

(٢) «تاريخ بغداد» ١٧٨/١، «الأخبار الطوال» ص ٢١٨، «الفتوح» لابن أعثم ٢٩١/٢، ٢٩٣، ٢٩٤، «البداية والنهاية» ١٦/٨.

(٣) «المطالب العالية» ٣١٨/٤ (٤٥٠٤)، وعزاه لإسحاق بن راهويه وأبي يعلى وغيرهما، وقال: هذا الإسناد صحيح. وانظر: «مصنف ابن أبي شيبة» ٦٢٤/٨.

٦ ـ المرحلة السادسة: تبادل الرسل بين الفريقين والاتفاق على الصلح:

اقتربت سيرورة الأحداث من بلوغ نهاياتها، وتمكَّن الحسن من تذليل العقبات وتوجيهِ الوقائع وتأنيسِ المعارضة وتوحيدِ موقفها؛ باتجاه الاتفاق على الصلح، وخَنَس تيار الفتنة وغُلب رجاله وانقلَبوا صاغرين.

أما معاوية في أهل الشام فكان هو المبادر إلى طلب الصلح وإمضائه، وبَذَل في سبيله للحسن وآله كل ما يريد، وقد عَلِم أنه من أكره الناس للفتنة، وعندما تناهى إليه ما جرى مع الحسن في نهاية الأمر وما عزم عليه من الصلح؛ طار فرحاً، وأرسل الرسل لذلك، وبذل كل ما يمكنه لتحقيق هذا العمل الجليل الممدَّح.

ـ جاء في رواية البخاري أن معاوية رضي الله عنه بعث إلى الحسن (رجلين من قريش من بني عبد شمس: عبد الرحمن بن سَمُرة وعبد الله بن عامر بن كُرَيْز، فقال: اذهَبَا إلى هذا الرجل فاعْرِضَا عليه، وقولَا له، واطلُبا إليه. فأتَيَاه، فدخلا عليه، فتكلّما وقالا له وطَلَبا إليه. فقال لهما الحسن بن علي: إنّا بنو عبد المطلب قد أَصَبْنَا من هذا المال، وإنَّ هذه الأُمة قد عاثَتْ في دمائِها. قالا: فإنه يَعْرِض عليك كذا وكذا، ويَطْلُب إليك، ويسألُكَ. قال: فمن لي بهذا؟ قالا: نحنُ لك به. فما سألَهما شيئاً إلا قالا: نحن لك به، فصَالَحه).

ـ ولم ينفرِد الحسن بهذا الرأي بل أَشْرَكَ معه بعضُ الأكابر ممن حوله، وعارضَهُ أخوه الحسين باديَ الرأي، فاشتدَّ عليه الحسن وأوضح له أن الخلاف شرٌ، وأن الاتفاق فيه صلاح الدين والدنيا والدولة وحَقْن الدماء ووَأْد الفتنة، فرضي الحسين بهذا وأكْبَر في أخيه حِرصَه على صلاح الأُمة، ووافقه على رأيه إجلالاً واحتراماً.

جاء ذلك في روايـــة صحيحة تتمّم روايةَ البخـــاري، وتزيدها توضيحاً وتفصيلاً، فروى ابن ســعد وغيره عن عَمْرو بن دينار: (أن معاوية كان يَعلم أن الحسن كان أكرَهَ الناسِ للفتنة، فلما توفي عليٌّ بعث إلى الحسن فأَصْلَحَ الذي بينه وبينه سرّاً، وأعطاه معاويةُ عهداً إنْ حَدَث به حدثٌ والحَسن حيٌّ لَيُسَــمِّيَنَّه ولَيجعلَنَّ هذا الأمر إليه[١]. فلما توثق منه الحسن، قال عبد الله بن جعفر: والله إني لجالسٌ عند الحســن إذ أخذتُ لأقوم فجذَبَ بثوبي وقال: يا هَنَاه[٢] اجلِسْ! فجلســتُ، قال: إني قد رأيتُ رأياً وإني أحبُّ أن تتابعني عليه! قال: قلت: ما هو؟ قال: قد رأيتُ أن أَعْمِدَ إلى المدينة فأنزلَها، وأخلِّي بين معاوية وبين هذا الحديــث، فقد طالت الفتنة، وسُــفِكت فيها الدماءُ، وقُطِّعت فيها الأرحام، وقُطعت السُّبُل، وعُطِّلَت الفُروج ـ يعني الثغور ـ!

فقال ابن جعفر: جــزاكَ الله عن أُمة محمد خيراً، فأنا معك على هذا الحديث.

فقال الحســن: ادْعُ لي الحسين، فبَعَث إلى حســين فأتاه، فقال: أي أخي، إني قد رأيتُ رأياً وإني أحبُّ أن تتابعَني عليه! قال: ما هو؟ فَقَصَّ عليه الذي قال لابن جعفر، قال الحسين: أُعِيذكَ بالله أن تكذِّبَ علياً في قبره وتُصدِّق معاويةَ! فقال الحســن: والله ما أردتُ أمراً قطُّ إلا خالَفْتَني إلى غيره، والله لقد هممتُ أن أَقذِفَكَ في بيتٍ فَأُطَيِّنَهُ عليكَ حتى أَقضي أمــري!! فلما رأى الحســين غَضَبَه قــال: أنت أكبر ولــدِ عليٍّ، وأنت خليفتُه، وأمرُنا لأمرك تبعٌ، فافعَلْ ما بدا لك.

---

(١) أي يعهد معاوية بالخلافة من بعده إلى الحسن، وهذه اللفظة منكرة كما سبق إيضاحه؛ انظر: ص ٢٦٢ ـ ٢٦٨ في هذا الكتاب.

(٢) يا هناهُ، ويا هَنَاه: كناية عن الرَّجُل.

فقام الحسن فقال: يا أيها الناس، إني كنتُ أكْرَهَ الناس لأول هذا الحديث(١)، وأنا أصلحتُ آخرَه لذي حقٍّ أَديتُ إليه حقَّه أحقَّ به مني، أو حقٍّ جُدْتُ به لصلاحِ أُمة محمد ﷺ! وإنَّ الله قد ولَّاك يا معاويةُ هذا الحديث(١) لخيرٍ يَعْلَمُه عندك أو لشرٍّ يعلَمُه فيك: ﴿وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الأنبياء: ١١١]، ثم نزل)(٢).

ولا شك بأن ثَمَّةَ مراسلاتٍ ومفاوضاتٍ عديدة حَدثت بين الطرفين، وفيها نوع من السرِّيَّة حتى لا تخوض فيها الغوغاء، ويُكتفى بالعقلاء والحكماء وذوي الرأي أن يطلعوا عليها ويُبرموا الحكم فيها، فإشاعة التفاصيل الدقيقة على الملأ مما يعرقل مساعي الصلح أو يُحبطها، **وهذا ما يشير إليه قوله في هذه الرواية: (فأصلح الذي بينه وبينه سراً).**

٧ ـ المرحلة السابعة: تمامُ الصلح وخُطَب ومواقف للفريقين:

•• لقد أحسن معاوية رضي الله عنه باختيار السفيرين إلى الحسن رضي الله عنه: فعبد الرحمن بن سَمُرة صحابي جليل، وأمير شريف نبيل، وفاتح مجاهد، من وجوه قومه وسادات المسلمين. وعبد الله بن عامر بن كُريز رأى النبي ﷺ وحُمل إليه وحَنَّكه، وهو من أكابر سادات قومه، وأحدُ الشجعان الأبطال والأجواد الكرام، الرفقاء الحُلماء، والأمراء النبلاء.

---

(١) يعني الخلافة وولاية أمر الأمة.

(٢) «طبقات ابن سعد» بتحقيق السلمي ١/٣٣٠ ـ ٣٣١، واللفظ له، ونقله عنه: المزي في «تهذيب الكمال» ٦/٢٤٧ ـ ٢٤٨، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» ٣/٢٦٤ ـ ٢٦٥، والحافظ في «الإصابة» ١/٣٢٩ ـ ٣٣٠. وإسناده إلى عمرو بن دينار صحيح، وفيه إرسال فعمرو لم يدرك زمن الحدث.

ومَنْ هذه صفاته فإنه يَعرف لأمير المؤمنين الحسن بن علي شرفَه ومنزلته وفضْلَه؛ فإنما يَعرف الفضلَ لأهلِ الفضل ذووه! وقد فَوَّض معاوية لهما أمر الصلح وأن يبذلا للحسن ما يريد، فقاما بالمهمة الجليلة أفضَلَ قيام.

وأما الحسن فزاد إحسانُه على إحسان الفريق الآخر، وقدَّم للإسلام والمسلمين أفضَلَ وأعزَّ وأكرمَ ما يقدِّمُه إنسان شريف نبيل لدينه وأمتهِ؛ فضَحَّى بالمنصب والجاه والسلطة ـ وما أَعظَمَها وأَجَلَّها من تضحية ـ في سبيل وحدة الصف وحَقْن الدماء وإصلاحِ شأن الأُمة والدولة! ووافق على التخلِّي عن الحكم والتنازل عنه، ووضع المسؤوليات كلها في عنق معاوية، وأَعْلَن ذلك في أتباعه من أهل العراق، وأمَرَهم بمتابعته وطاعتهِ في هذا وبمبايعة معاوية على الخلافة كما بايعه هو.

تقدم في الرواية أن الحسن نزل بمن معه من أهل العراق في قصر المدائن، وأقبل معاوية في أهل الشام يريد الحسن حتى نزل جسر مَنْبِج.

وكتب الحسن إلى معاوية أن أَقْبِل، فأَقْبَل من جِسر مَنْبِج إلى مَسْكِن في خمسة أيام وقد دخل اليوم السادس، فسلَّم إليه الحسن الأمرَ وبايَعَه، ثم سارا جميعاً حتى قدِمَا الكوفة، فنزل الحسن القصرَ ونزل معاوية النُّخَيْلة، فأتاه الحسن في عسكره غيرَ مرَّة، ووفَّى معاوية للحسن ببيت المال، وكان فيه يومئذٍ سبعة آلاف ألف درهم، فاحتَمَلَها الحسن وتجهَّز بها هو وأهل بيته إلى المدينة[1].

---

(١) «مختصر ابن عساكر» ٣٤/٧، «تهذيب الكمال» ٢٤٦/٦ ـ ٢٤٧، «سير أعلام النبلاء» ٢٦٤/٣. النخيلة: موضع قرب الكوفة، ما زالت تُعرف بهذا الإسم.

•• وفــي موقف تاريخي مَهيــب جليل قلَّ أن يتكــرر مثلُه؛ يقوم السيد السِّــبط الكريم الحســن بن علي في الناس خطيباً، ويُعلِن في الفريقين العراقي والشــامي تنازلَــه عن الخلافة، ثــم يخاطب معاوية بذلك، ويعلن الزعيمــان انتهاءَ مرحلة خطيرة من التاريخ الإســلامي وبدايةَ عهدٍ جديد من الوحدة والوئام وحفظِ الأرواح والدماء، والتفرغ للبناء والفتوح ونشر الرسالة!

ـ عن الشعبي قال: (شهدتُ الحســنَ بن علي بالنُّخَيْلة حين صالَحه معاوية، فقــال له معاويــة: إذْ كان ذا فَقُمْ فتكلَّم وأخبِــر الناسَ أنك قد ســلَّمْتَ هذا الأمرَ لي. فقام فخطَب على المنبر، فحمِدَ اللهَ وأثنَى عليه ـ قال الشعبي: وأنا أســمعُ ـ ثم قال: أمَّا بعدُ، فإن أَكْيَسَ الكَيْس التقى، وإن أحمقَ الحُمق الفجور، وإن هذا الأمر الذي اختلفتُ فيه أنا ومعاوية: إما كان حقاً لي تركتُه لمعاويةَ إرادةَ صلاحِ هذه الأُمة وحقنِ دمائهم، أو يكون حقاً كان لامــرئ أحقَّ به منّي ففعلتُ ذلك؛ ﴿وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الأنبياء: ١١١])(١).

ـ وروى مَعْمَر بن راشد عن أيوب السَّــخْتِياني عن ابن سيرين: (أن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: لو نظرتم ما بين جابَرْس إلى جابَلْق ما وجدتُم رجلاً جدُّه نبيٌّ غيري وغير أخــي! وإني أرى أن تجتمعوا على معاوية،

---

(١) «المعجم الكبير» للطبراني ٢٦/٣، «المعرفة والتاريخ» ٤١١/٣، «الســنن الكبرى» للبيهقي ١٧٣/٨، طبقات ابن ســعد بتحقيق السلمي ٣٢٩/١، «المســتدرك» ١٧٥/٣، «الاستيعاب» ٣٧٣/١، وغيرهــا، وذكره الهيثمي فــي «مجمع الزوائد» ٢٠٨/٤ وقــال: رواه الطبراني في «الكبير»، وفيه مجالد ابن ســعيد وفيه كلام وقد وثِّق وبقية رجالــه رجال الصحيح. وانظر: «الفتح» ٣٨٢/١٦.

﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾. قال معمر: جابَرْس وجابَلْق: المغرب والمشرق)[1].

ـ وجاء من طرق عن الحسن رضي الله عنه أنه قال في خطبته موجِّهاً كلامه إلى أتباعه من أهل العراق: (وإني قد بايعتُ معاوية فاسمعوا له وأطيعوا)[2].

•• وكانت هناك معارضة للصلح، استطاع الحسن بحكمته ورِفْقِه وحسنِ سياسته أن يأخذَ بيدها إلى الجماعة، ويكون أمرُ الصلح مُجْمَعاً عليه بحمد الله تعالى، تحقيقاً لنبوءة رسول الله ﷺ:

ـ فمن هؤلاء طائفة من جند العراق الذين خرجوا في مقدمة جيش الحسن، كما يوضح ذلك شاهد عيان وهو أحد أولئك المقاتلين؛ فقد روى يعقوب بن سفيان الفَسَوي وغيره عن أبي الغَرِيف عُبيد الله بن خليفة الهَمْداني قال: (كنا في مقدمة الحسن بن علي اثني عشر ألفاً بِمَسْكِن مستميتين تقطُر أسيافنا من الجدِّ على قتال أهل الشام، وعلينا أبو العَمرَّطة، فلما جاءنا صلحُ الحسن بن علي كأنما كُسِرت ظهورُنا من الحُزن والغَيْظ. قال: فلما قدِم الحسن بن علي الكوفةَ، قال له رجلٌ منا يقال له أبو عامر سفيان بن الليل: السَّلام عليك يا مُذِلَّ المؤمنين! قال: فقال: لا تقُلْ ذاكَ يا أبا عامر، لستُ بمذِلّ المؤمنين، ولكني كرهتُ أن أقتلَهم على المُلْك!)[3].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٢٠٩٨٠)، وأحمد في «فضائل الصحابة» ٧٦٩/٢ (١٣٥٥)، والفسوي ٤١١/٣، والطبراني (٢٧٤٨)، وذكره الذهبي في «السير» ٢٧١/٤، وقال شعيب: رجاله ثقات. قال ياقوت في «معجم البلدان» ٩٠/٢ ـ ٩١. جابرس: مدينة بأقصى المشرق... وجابلق: مدينة بأقصى المغرب. وأورد الخبر.

(٢) انظر ما تقدم: ص ٢٩٥ حاشية (٢)، ٢٩٦ حاشية (٢) في هذا الكتاب.

(٣) تقدم طرف منه: ص ٢٩٦ حاشية (١).

ويُلاحَظ من هذا الخبر انكسارُ همّة هذه الفئة وخضوعُها لأمر أمير المؤمنين الحسن، ودخولها راغمةً فيما دخل فيه، حتى عَبَّر أحدهم عما يَكْظِم من غيظ في صدره فقال تلك الكلمة الطائشة: (يا مُذِلَّ المؤمنين)! فتلقاه السيد الكريم الحسن رضي الله عنه بخُلُقه الرفيع وحِلْمه الغامر، وردَّ عليه بلطف وأيقظَه إلى حقيقة الأمر!

ـ وتذكر بعض الروايات أن قيس بن سعد بن عبادة توقف في قبول الصلح، وتابعه جمهور ممن كان معه في (شـرطة الخميس)، لكنه رضي الله عنه وهو الصحابـي الجليل المجاهد الداهيـة رأى أن (الصلح خير) للدِّين والأُمة والدولة؛ فما لَبِث أن وافق الحسـنَ ودخل في الجماعة... وكان لحكمةِ الحسن وحلمِ معاوية وحسنِ سياستهما أعظمُ الأثر في ضَمِّ هذا الفريـق إلى جمهور الأُمة.

يروي أبو الفَرَج الأصفهاني بإسـناده عن ابن سـيرين عـن عَبِيدة السَّـلْماني ـ وذكر أبو مِخْنَف بعضَ الخبر ـ، قال: (لمّا صالح الحسـنُ معاوية، اعتزل قيسُ بن سـعد في أربعة آلاف وأبَى أن يُبايِع، فلما بايع الحسن أُدْخِل قيس بن سعد ليبايع ـ قال أبو مخنف في حديثه: ـ فأَقبل على الحسن فقال: أنا في حِلٍّ من بيعتِك؟ قال: نعم. قال: فأُلقي لقيسٍ كرسيٌّ، وجلس معاوية على سريره والحسن معه، فقال له معاوية: أَتُبايِع يا قيس؟ قال: نعم، ووَضَع يدَه على فخِذِه ولم يمدَّها إلى معاوية! فجَثَا معاوية على سـريره وأَكبَّ على قيسٍ حتى مَسَح يدَه على يدِه، فما رَفَع قيسٌ إليه يده!!)[1].

---

(١) «مقاتـل الطالبييـن» ص ٧٩ ـ ٨٠، ونقلها عنه ابـن أبي الحديد في «شـرح نهج البلاغة» ٢٥٧/٨.



وفـي رواية جيـدة للبَـلاَذُرِي: (عن جرير بـن حازم قال: سـمِعتُ محمد بن سيرين يقول: لما بايعَ الحسـنُ معاويةَ، ركب الحسن إليه إلى عسكره، وأَردف قيسَ بنَ سـعد بن عُبادة خلفه، فلما دخلا المعسكر قال الناس: جاء قيس، جاء قيس! فلما دخلا على معاوية بايَعَه الحسـن، ثم قال لقيـس: بايِعْ، فقال قيس بيدِه هكذا، وجَعلَها فـي حَجْرِه ولم يرفَعْها إلى معاوية! ومعاويةُ على السرير، فبَرَكَ معاوية على ركبتَيْه ومدَّ يدَه حتى مَسَـح على يدِ قيس وهي في حَجْره!! قال جرير بن حـازم: وحكَى لنا محمد بن سيرين صنيعَه، وجعلَ يضحك! وكان قيسٌ رجلاً جَسيماً)[١].

رضي الله تعالى عـن الصحابة الثلاثة فكل منهـم كان على جانب عظيم من الأخلاق والنُّبـل والرغبة في صلاح الأمة وتوحيد صفِّها، وفي موقف معاوية ما فيه من الجلالة والحِلْم والحكمة والبراعة في سياسـة الناس وتقدير الأكابر، وهو يقدِّر مكانةَ قيس وحسـنَ مقدمه وأهميته، وأيضاً ينظر إلـى مصلحة الأمة فـي وحدتها واحتـواء جميع الطاقات الفاعلة فيها، وحتى لا تبقى شراذم تتسـتر بأحدٍ له وزنه ومكانته، وهي تقصد الفتنةَ وتمزيقَ نسيج المجتمع.

ـ وعارض الحسـنَ بعضُ أتباعه، وقالوا له: يا عار المؤمنين! فيقول لهم: العار خير من النار[٢].

وهؤلاء قِلة قد اضمحلَّ أثرهم بعد إمضاء الصلح، ولله الحمد.

---

(١) «أنساب الأشراف» للبلاذري، نقلًا عن: «مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري» للدكتور خالد الغيث، ص ١٥٤، وإسـنادها صحيـح. وقيسٌ يُضرب به المثل فـي طوله وضخامته وجوده ودهائه وجهاده ومكانته!

(٢) «الاستيعاب» ١/٣٧٠ ـ ٣٧١، «تهذيب الكمال» ٦/٢٤٤.

ـ ومن الأكابر الذين عارضوا الحسن في صلحه: أخوه الحسين، لكنه سلَّم للحسن ما أمضاه، وتابع الجماعة، وسيأتي تفصيل ذلك في (المبحث السابع)[١].

وأما ما جاء عن الحسن في (التلازم بين تنازله وبين الحديث النبوي في ذم بني أُمية ودولتهم):

فقد روى القاسم بن الفَضْل الحُدَّانيُّ عن يوسف بن سَعْد قال: قامَ رجلٌ إلى الحسن بن عليّ بعدما بايع معاويةَ، فقال: سَوَّدْتَ وجوهَ المؤمنين ـ أو: يا مُسَوِّدَ وجوهِ المؤمنين ـ! فقال: لا تُؤَنِّبْني رحمكَ الله؛ فإنَّ النبي ﷺ أُرِيَ بَني أميَّةَ على مِنْبره، فساءَهُ ذلك، فنزلَتْ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ يا محمدُ، يعني نهراً في الجنة، ونزلَتْ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ [القدر: ١ ـ ٣]، يَملكُها بعدَك بنو أمية يا محمدُ.

قال القاسم: فعَدَدْنا، فإذا هي ألفُ شهرٍ لا تَزِيدُ يوماً ولا تَنقصُ)[٢].

وهذا الحديث قد اختُلِف على القاسم بن الفَضْلَ في تعيين شيخه: (يوسف بن سعد) أو غيره، وقد ساق الحافظ ابن كثير هذا الاختلافَ ثم قال: (وهذا يقتضي اضطراباً في هذا الحديث، ثم هذا الحديث على كل تقدير مُنْكَر جداً، قال شيخُنا الإمام الحافظ الحجّة أبو الحجَّاج المِزِّي: هو حديث منكَرٌ).

---

(١) انظر: ص ٣٢٩ ـ ٣٣١.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٤٤) واللفظ له، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٧٥٤)، والطبري في «تفسيره» ٢٥٠/٣٠، والحاكم ١٧٠/٣ ـ ١٧١، ١٧٥. وقال الترمذي: هذا حديث غريب، وقال المزي: منكر، وقال ابن كثير: منكر جداً، وقال شعيب: حديث منكر.

ثم قال: (وقول القاسم بن الفَضْل الحدَّاني: إنه حَسَب مدَّة بني أمية فوجدها ألفَ شــهر لا تزيد يوماً ولا تنقص؛ ليس بصحيح..... فيكون مجموعُ مدَّتهم اثنتين وتســعين ســنة، وذلك أزيدُ من ألف شــهر، فإن الألف شهر عبارة عن ثلاثٍ وثمانين سنة وأربعة أشهر).

(ومما يدلُّ على ضَعْف هذا الحديث أنه سِيق لذمٍّ دولة بني أمية، ولو أُرِيــد ذلك لم يكن بهذا الســياق، فإن تفضيلَ ليلــة القدر على أيامهم لا يدل على ذمِّ أيامهم، فإن ليلة القدر شــريفة جداً، والسورةُ الكريمة إنما جاءت لمدحِ ليلة القدر، فكيــف تُمدَح بتفضيلها على أيام بني أمية التي هي مذمومةٌ بمقتضى هذا الحديث؟! وهل هذا إلا كما قال القائل:

أَلَم ترَ أن السيفَ يَنقُصُ قَدْرُه ... إذا قيلَ: إنَّ السيفَ أمضَى من العصا)

(ثم من الذي يفهم من الآية الألفَ الشــهر المذكورة في الآية هي أيامُ بني أمية، والسورةُ مكيَّة، فكيف يُحال على ألف شهر هي دولة بني أمية، ولا يَدُل عليها لفظ الآية ولا معناها؟! والمِنْبر إنما صُنع بالمدينة بعد مدة من الهجرة!!.

فهذا كلّه مما يدلُّ على ضَعْف هذا الحديث ونَكَارته، والله أعلم)[1].

المبحث الخامس ـ الوفاء بشروط الصلح:

•• تقــدم أن المصادر اختلفت في ذكر شــروط الصلــح وعددها، وبالجمع بين مختلِف الأخبار يتحصَّل أن تلك الشروط خمسة:

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير ٦٣٣/٤، وانظر: «البداية والنهاية» ١٨/٨ ـ ١٩.

١ ـ العمل بالكتاب والسُنَّة وسُنَّة الخلفاء.

٢ ـ سياسة الأموال.

٣ ـ مسألة الدماء وأمن الناس.

٤ ـ مصير الحكم بعد معاوية.

٥ ـ قضية سَبِّ علي.

وقد أفَضْنا في شرح هذه الشروط، وتبيَّن لنا أن (الشرط الرابع) لم يصحّ عن الحسن أنه اشتَرط فيه شيئاً، و(الشرط الخامس) كذبٌ مفترىً لم يكن ولا تمّ ذِكره ولا الاتفاقُ عليه.

بقيت الشروط الثلاثة الأولى وهي التي يجري البحث في وفاء معاوية بها.

ـ يذكر فريق من المصنفين والكتّاب، وهم ممن يُحسِن الظن بالصحابة، أن معاوية قد وفَّى ببعض الشروط[1].

ـ في حين تذكر مصادر أخرى أن معاوية والحسن اختلفا في تفاصيل الشروط وعددِها، فمعاوية تمسَّك بالصحيفة التي أرسلها الحسن يذكُر فيها شروطَه، والحسن أصرَّ على تنفيذ ما اشترطه في السجلّ الذي أرسله معاوية (أبيضَ خالياً) وخَتَم في أسفله، فكتب فيه الحسن ما أراد. فلم ينفّذ معاوية للحسن شيئاً[2].

ـ وفريق ثالث يرى أن معاوية بعد أن فَرَغ من الصلح وتسلَّم شؤونَ

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» ٢٦٤/٣، «تهذيب الكمال» ٢٤٦/٦ ـ ٢٤٧، «الفتح» ٣٨٥/١٦، «الدوحة النبوية»، ص ٩٧.

(٢) «تاريخ الطبري» ١٦٢/٥ ـ ١٦٣، «الفتح» ٣٨٥/١٦.

الحكم؛ تنكَّر لكلِّ ما شَرَطه للحسن، بل تذهب كثير من الروايات ـ وخاصة روايات كتب الرافضة ومَنْ تابعهم ـ إلى أن معاوية كان غدَّاراً، وصَرَّح بأن ما فعله لم يكن إلا ليتولى السلطة، وأنه عاثَ في دماء أتباع عليٍّ والحسن قتلاً وتشريداً، وعاد للسبِّ على المنابر(١)!!.

أولاً لِنَقِفْ مع الشروط الثلاثة للنظر فيما تحقق منها، ثم لنتأمَّلْ تاريخَ تلك الحِقْبة وعلاقةَ الحسن والحسين والصحابة مع معاوية؛ للوقوف على حقيقة الأمور:

١ ـ العمل بالكتاب والسُنَّة وسُنَّة الخلفاء الراشدين:

يدل الاستقراء العلمي والدراسة المنصِفة لعهد معاوية خلال عشرين سنة أنه كان ملازماً للكتاب والسُنَّة، وهَدْيُ الدولة مبنيٌّ عليهما ومناصِرٌ لهما، وقد سعى معاوية إلى انتهاج سبيل عمر بن الخطاب فمضَى عليه مدة ثم انقطع وما أطاقه، فمنهجُ عمر لا يقدِرُ عليه غير واحد مثله، وأين مثل عمر؟! وأيّاً ما كان الأمر فمعاوية لم يخالِف سبيلَ الخلفاء الراشدين كما تدل دراسة تاريخه وتُثبتها شهادات الأكابر من معاصريه.

روى مَعْمَر عن الزهريِّ: (أن معاوية عَمِلَ سنتين عَمَلَ عمر ما يَخْرِم فيه، ثم إنه بَعُدَ عن ذلك).

وعن بُكَيْر بن الأَشَجّ: أن معاوية قال لابنه يزيد: (يا بُنَي، واللهِ لقد جَهِدتُ على سيرة عثمان بن عفان فما أَطَقْتُها، فكيف بك وسيرة عمر؟!)(٢).

---

(١) «مقاتل الطالبيين» ص ٧٧، «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ٢٣٥/٨، ٢٥٥، أزمة الخلافة ص ١٢٥، «الحسن رائد الواقعية السياسية» ص ٢٢٦، ٢٩٩ ـ ٣٠٠.

(٢) انظر: الخبرين مع تخريجهما، ص ٢٥٤ في هذا الكتاب.

وروى البَلَاذُرِي عن عامر بن مسعود الجُمَحِيِّ قال: (وأنا بمكة إذ مرَّ بنا بريدٌ يَنْعَى معاوية، فنهضنا إلى ابن عباس وهو بمكة وعنده جماعة وقد وُضِعت المائدة ولم يؤتَ بالطعام، فقلنا له: يا ابنَ عباس، جاءَ البريد بموت معاوية رضي الله عنه! فوَجَمَ طويلاً ثم قال: اللَّهمَّ أَوْسِعْ لمعاويةَ، أَمَا والله ما كان مثلَ مَنْ قبله، ولا يأتي بعده مثلُه!)[١].

وجاء من وجهين عن الأعمش عن مجاهدٍ قال: (لو أدركتُم معاويةَ لقُلْتم: هذا المهديّ).

وقال أبو هريرة المُكْتِب: (كنَّا عند الأعمش فذكَروا عمر بنَ عبد العزيز وعَدْلَه، فقال الأعمش: فكيف لو أدركتُم معاوية؟ قالوا: في حِلْمه؟ قال: لا والله بل في عَدْله).

وعن أبي بكر بن عيَّاش، عن أبي إسحاق السَّبِيعيِّ قال: (ما رأيتُ بعدَهُ مثلَه ـ يعني معاوية ـ)[٢].

فهؤلاء كانوا معاصرين لمعاوية أو قريبين من عهده، وهم صحابة وتابعون وأئمة كبار ثقات أجلَّاء، فهل نترك كلَّ هذه الشهادات ونتمسك بروايات (هَيَّانَ بنِ بَيَّانٍ، وصَلْمَعَة بنِ قَلْمَعَة)[٣]؟! ونتَّهِم معاويةَ والصحابة والتابعين وذلك العهد بأنه عهدُ نُكثٍ وغدْرٍ وخديعة ولعنٍ وسبٍّ ومصالح شخصية ونَزْوٍ عى السلطة ورغبة في التآمر على الناس؟!.

(١) «أنساب الأشراف»، ص ٣، «علي وبنوه» للدكتور محمد النجرامي، ص ٩٤.

(٢) «مختصر ابن عساكر» ٢٥/٥٣، «منهاج السُنَّة» ٣/٦٥٦.

(٣) هذا كناية عن الرجل الذي لا يعرف هو ولا أبوه. «لسان العرب» ٨/٢٠٦ «صلمع».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**خيارُ أئمتِكم الذين تحبُّونهم ويُحبُّونكم، وتُصلُّون عليهم ويصلُّون عليكم. وشِرارُ أئمتكم الذين تُبْغِضونهم ويُبْغِضونكم، وتَلْعَنُونهم ويَلعنُونكم**»[١]. قالوا: ومعاوية كانت رعيتُه تحبّه وهو يحبُّهم، ويصلّون عليه وهو يصلّي عليهم)[٢].

نعم لم يكن معاوية مثلَ عمر وعثمان وعلي، لكنه حاول السيرَ على هَدْيهم مدة فما أطاق؛ لاختلافِ الناس والزمان وواقع المجتمعات ونشوء الأهواء، بَيْدَ أنه ما خَالَفَ كتابَ الله ولا سُنَّةِ نبيه ﷺ، وحسبه أنه سار على هديهما، وما أخطأ فيه من اجتهاد فالله تعالى يغفر له كما يغفر لغيره ومن هو دونه!

٢ ـ سياسة الأموال:

الذي اشترطه الحسن في السياسة المالية كان شيئاً محدداً يَخصُّه هو وآلَه وأتباعه، وينحصر ذلك في أمرين:

الأول: أن يأخذ الحسن ما في (بيت مال الكوفة) ومقداره خمسة ملايين درهم، يقضي بها ديونَه وهباته، ويُنفق على نفسه وآل بيته ومَنْ معه من عيال أبيه.

الثاني: أن يُخَصَّص له خَراج (فَسَا) و(دَرَابْجِرْد)، فيُحمل إليه كل عام ليقوم بشؤون الناس المتقدم ذكرهم.

وقد وفى معاوية بهذا الشرط، فكانت الرواتب والأعطيات والجوائز

---

(١) «صحيح مسلم» (١٨٥٥). والصلاة: الدعاء.

(٢) «منهاج السُنَّة» ١٢١/٣.

تصل إلى الحسن والحسين وآلهما، من غير انقطاع ولا تقتير، كما تُثبت ذلك الروايات التاريخية، وقد ذكرنا طرفاً منها[1].

٣ ـ الدماء وأمن الناس:

وهذا الشرط قد قام به معاوية أتمَّ قيام، بل هو الذي تمناه وقد رأى وراء الحسن كتائبَ أمثال الجبال، فقال: (إنْ قَتل هؤلاء هؤلاء وهؤلاء هؤلاء، مَنْ لي بأمور الناس، من لي بنسائهم، من لي بضَيْعَتِهم؟!). كذلك حَرَص عليه الحسن فقال: (إن هذه الأُمة قد عاثَتْ في دمائها)!

والمتتبع لعهد معاوية طيلة عشرين سنة يرى استقرار الدولة والكَفَّ عن الدماء، وشيوعَ الأمنِ على الأنفس والأموال، وما جرى من فتن محدودة كمقتل حُجْر بن عَدي وغيره، فأحداثٌ لها ملابساتها ولا يتسع هذا الكتاب لشرحها.

ثانياً: ولننظر بعد ذلك في علاقة معاوية مع الحسن والحسين والصحابة:

لقد عاش الحسن رضي الله عنه عشرَ سنين في خلافة معاوية، والحسين رضي الله عنه عشرين سنة طيلةَ عهد معاوية؛ وقامت بينهما وبين أمير المؤمنين معاوية علاقاتُ الودّ والاحترام والتبجيل، وتواصَلَتْ صِلَاتُ معاوية رضي الله عنه إليهما وإلى آلهما، مع وصية الولاة بهما خاصة.

ولم ينقل التاريخ لنا رواية صحيحة أو مقبولة عن وجود سوء ظن أو إثارة خلاف أو تأجيج فتنة بين الحسنين وبين معاوية؛ مما يدلُّ على استقامة الأمور على الرضا وحسن الظن، وملازمة الحسن لهديه وطريقته في الصلاح وإيثار السلامة والاستقرار للأُمة والدولة.

---

(١) انظر: ص ٣٠١، ٣٥٦ ـ ٣٥٧ في هذا الكتاب.



بل إن بعض الموتورين وأصحاب الأهواء ودعاة الفتنة والسُّعَاة في الباطل كانوا يحاولون تلفيقَ الأخبار واختلاقَ الأكاذيب وإثارةَ الأراجيف؛ فتصِل إلى الحسن، فما يكون منه إلا أن يُلقي بها في مواضع الإهمال والتحقير دون النظر فيها!

روى سفيان بن عُيينة عن عبد الله ابنِ أخي يزيد عن يزيد بن الأَصَمّ قال: (أتيتُ الحسنَ بن علي، فأتي بِضُبَارة كُتب وأنا عنده، فما فَضَّ منها خاتماً ولا نَظر في عنوانه حتى قال: يا جاريةُ، هاتِ المِخْضَب، قال: فجاءت بالمِخْضَب فيه ماء، فأخذ تلك الكتب فغَسَلها في الماء! قال: فقلتُ: يا أبا محمد، كُتب مَنْ هذه؟ قال: هذه كُتُب قوم لا يَرْجِعون إلى حقٍّ، ولا يُقْصِرون عن باطلٍ، كُتب أهلِ العراق!)[1].

وهذا من أقوى الأدلة على حُسن سياسة معاوية وإحسانه للحسن وآله، ورضى الحسن عن ذلك، وعدمِ استيائه من معاملة معاوية فَضْلاً عن اتهامِه بنقض عهوده والتنكر لشروطه.

كذلك فيه دليل صحيح صريح على أن تلك الأخبار التي تسيء إلى العلاقة بين الرجلين الكبيرين؛ إنما هي من اختلاق تلك الشراذم ممن تمرَّسوا بتأجيج الفتن واتخذوها منهجاً وسبيلاً للطعن على الإسلام وأهله؛ متسترين بحبِّ الحسن والحسين وآل البيت الأطهار... ولو كانوا صادقين لاحتفَى الحسن بتلك الأضابير ونظر فيها على أقل تقدير، أَمَا وهو يعرف حالَهم وسوءَ صنيعهم؛ فما ألقى لها بالاً، ولم يكن لها عنده قيمة أكثرمن ذَنُوب ماءٍ يتَّسِخ بغَسْلها!!

---

(١) «المعرفة والتاريخ» ٧٥٦/٢، ورجاله ثقات وإسناده صحيح. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢٤٣/٦، وعزاه للطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن الحكم بن أبي زياد وهو ثقة.

ثالثاً: حقائق التاريخ وأحداثه ومسيرة الدولة في عهد معاوية طيلة عشرين سنة تُثبِت حُسْنَ هَدْيه وبراعةَ سياسته ونُبْلَ منهجه مع مختلِف شرائح المجتمع؛ حيث استوعب الجميع بحلمه وأناته وعقله وإدارته، كما شهد له بذلك معاصروه ومن جاء بعده، إلا مَن في قلبه دَغَلٌ وشنآن على الإسلام وأهله وخلفائه وولاته... وتقدم ذِكْر الحديث الصحيح في رضا عامة الأُمة على معاوية وسيرته وسياسته وحبِّهم له وصلاتهم عليه، وفَعَل هو ذلك أيضاً معهم[١].

قال الذهبي في أحداث سنة (٦٠هـ) من كتابه «العِبر»: (في رجب توفي أميرُ المؤمنين أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان، عن ثمانٍ وسبعين سنة بدمشق)[٢].

وقال في «دول الإسلام»: (بعد سنة أربعين صار مُلْكُ الدنيا تحت حكمه: من حدود بُخارى إلى القَيْروان من المغرب، ومن أقصى اليمن إلى حدود قُسْطَنْطِينيّة، وإقليم الحجاز والشام ومصر والمغرب والعراق والجزيرة[٣] وإِرْمِينية والروم وفارس وخُراسان والجبال وما وراء النهر! وكان عظيمَ الهيبة مَلِيحَ الشكل، وافرَ الحِشْمة، يلبَس الثياب الفاخرة والعدَّة الكاملة، ويركب الخيل المُسَوَّمة، وكان حليماً محبَّباً إلى رعيته، كثيرَ البذل والعطاء، كبيرَ الشأن)[٤].

فمن هذا حالُه، وهذه الدولة الشاسعة التي يحكُمها والأُمم التي

(١) انظر ما تقدم: ص ٣١١ حاشية (٢).
(٢) «العبر في خبر من عبر» ٤٧/١.
(٣) هي البلدان الواقعة بين نهري دجلة والفرات.
(٤) «دول الإسلام» ص ٣٦.

يَسُوسها، والمدة الطويلة التي حكم خلالها؛ أَفَيُقال أنه يَضيق بابنِ بنت رسول الله ﷺ ويغدر به ويخون عهوده وينقض مواثيقه؟!.

رابعاً: بعض ما افتُري من أكاذيب في حقِّ معاوية ووفائه بشروط الحسن:

ـ روى أبو الفرج الأصفهاني بسنده عن عَمْرو بن ثابت عن أبي إسحاق السَّبِيعيِّ قال: (سمعتُ معاوية بالنُّخَيْلة يقول: أَلَا إن كل شيء أعطيتُه الحسنَ بن علي تحت قدميَّ هاتين، لا أَفِي به.

قال أبو إسحاق: وكان والله غدَّاراً!!)[1].

قلت: هذا خبر موضوع وإسناده باطل؛ عمرو بن ثابت رافضيٌّ خَبيث كان يَسبُّ السلف! وقال يحيى بن معين: ليس بثقة ولا مأمون[2].

وأيضاً متنُه مُنْكَر، وأبو إسحاق السَّبِيعي ما قال هذا بل قال نقيضَه، قال رَحِمَهُ اللهُ: (ما رأيتُ بعده مثلَه ـ يعني معاوية ـ)[3].

ثم إن معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أجلُّ وأرفَعُ وأكرم من أن يتفوَّه بهذا الهُجْر من القول، الذي لا يَليق بآحاد الناس، فَضْلاً عن صحابي كتب الوحي للنبي ﷺ وصلَّى خلفه وغزا معه، وولي أمر المسلمين أربعين سنة، نصفها خليفة للأُمة عامة!!

ـ وقال أبو الحسن المَدَائنيُّ: (كان الحُضَيْن بن المُنذر الرَّقَاشِيُّ

---

(١) «مقاتل الطالبيين» ص ٧٧، «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ٢٥٥/٨، «أزمة الخلافة» ص ١٢٥، «الحسن رائد الواقعية السياسية» ص ٢٢٥، ٢٩٩ ـ ٣٠٠، وكلها كتب رافضية وتنقل عن «مقاتل» الأصفهاني!

(٢) «الجرح والتعديل» ٢٢٣/٦، «ميزان الاعتدال» ٢٤٩/٣ ـ ٢٥٠.

(٣) تقدم: ص ٣١٠ في هذا الكتاب.

يقــول: والله ما وفَّى معاويةُ للحســنِ بشــيء ممــا أعطاه؛ قَتــل حُجْراً وأصحابَ حُجر، وبايَعَ لابنه يزيد، وسَمَّ الحسنَ)[1].

نقول: الخبر منقطع؛ الحُضَيْن توفي قبل سنة (١٠٠هـ) نحو (٩٧هـ)، والمدائني ولد سنة (١٣٢هـ)، فالخبر ضعيف.

وقضيــة (قَتْل حُجر بن عَــدي) لها ملابســاتها[2]، ولا تنطبق عليها شــروط الصلح. وبيعة معاوية لابنــه يزيد لا علاقة لها بالشــروط كما قدمنا. أما أُخلوقة أن معاوية قد سَمَّ الحسنَ فسيأتي بيانُ بطلانها.

ـ وينقل رافضيٌّ معاصر عن (العلامة محمد حسين كاشف الغطاء!!) قولَه: (ولــولا صلحُ الإمام الحســن عليه السلام الذي فَضَح معاويةَ، وشــهادةُ الحســين التي قضَتْ على يزيد، وانقرضَتْ بها الدولة السفيانية بأسرع وقت.

ولولا تضحيةُ السِّبطين المجاهدَيْن الحسن والحسين عليهما السلام؛ لذهبَتْ جهودُ جدِّهما صلّى الله عليه وآله وسلّم سريعاً، ولصار الدينُ الإسلامي دينَ آل أبي سفيان؛ دينَ الغدر والمكر، دينَ الفجور ودين الخمور، دين الفهود والقرود، دين إبادة الصالحين واستبقاء الفاسقين!)[3].

نقول في إبطال هذا البُهتان المبين: لماذا إذاً تنازَلَ (الإمام المعصوم الحسن) ـ وهو الإمام الثاني عند الاثني عشــرية، وهم معظم الشيعة ـ عن الخلافة لمعاوية الذي ترميه بكل هذه الموبقــات؟! أَليس أئمتُكم

---

(١) «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ٨/٢٣٥.

(٢) انظر: «العواصم من القواصم» ص ٢١٩ ـ ٢٢٠.

(٣) «الحسن رائد الواقعية السياسية» ص ٢٢٦.

يعلمون الغيب ويعلمون ما كان وما يكون، وهم معصومون من الخطأ؟! كيف يَترك (الإمام المعصوم) أمرَ الإسلام والمسلمين والدولة للأمويين أصحاب الفجــور والخمور!! ثم ترى (الإمامين المعصومين: الحســن والحسين) يعيشان بين ظهرانيهم ولا يُنكرون شيئاً؟!

وهؤلاء الذين تصفُهم بكل تلــك الموبقات ـ يا رافضي ـ قد فتحوا الدنيا شــرقاً وغرباً، وأَوْصَلوا نورَ الإســلام إليها، وأقاموا في كل مدينة حضارة ومنارة ومساجد للإســلام والعلم والدعوة إلى الله... فهل يفعل ذلك غادر ماكر سكِّير عِرْبيد؟!

أين العقول يا أهل العقول، وأين المروءة يا أصحاب المروءة؟!

لقد قرأنا ما كتبه زنادقةُ المستشرقين، فما قالوا في معاوية وبني أمية مثل هذا!!

•• وثمة أشــياء أخرى من هذا القَبِيل توجد فــي كتب التاريخ من عصر الطبري وما بعده، وفي كتب الأدب، ومصادر الشــيعة ومصنفات أبي مِخْنَف ونَصْر بن مُزاحــم والكَلْبي وأشــباههم، وتتبُّعُها أمرٌ يطول وبحسبنا ما قدَّمنا من أمثلة؛ فيُستدل بالقليل على الكثير.

المبحث السادس ـ ثمرات الصلح ونتائجه الطيبة المباركة:

لقد آتى هذا الصلح التاريخي أطيبَ الثمــار وأعظَمَها بركةً وأجَلَّها أثراً وأكثرها خيراً وأعمَّها فائدةً، ولو لم يكن من نتائجه إلا حقْنُ الدماء ووأدُ الفتنة ووحدة الأُمة والدولة ـ لكان حدثــاً جديراً بالثناء والاقتداء والتدوين في سجل الخلود!

ونذكـــر في هذا المبحث أبــرز الثمرات وأجَلَّها أثراً على الإســلام والأُمة والدولة:

١ ـ سيادة الحسن وتنازله عن الحكم أزال أسباب الخلاف والقتال:

وقد أشـــار إلى ذلك رسول الله ﷺ وقاله على ســبيل المدح والثناء والتوجيــه والاغتباط؛ فقال: «إن ابني هذا ســيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين».

إنها السيادة والشرف والسُّؤْدُد في أوج مكارمها، تتجلَّى في عملٍ فذٍّ لا يقدِر عليه إلا أفذاذَ الرجال وصفوةُ العظماء في أعمالهم وشــمائلهم ورغبات أنفســهم؛ فيضحُّــون بالمنصب والجاه والســطوة والســلطة، ويتنازلون عنهــا قطْعاً لدابــر الفتنة وإنهاءً لأســباب الخــلاف ولَجْماً للساعين فيه وإليه، وتجفيفاً لمصادر الاقتتال والاحتراب.

ذاكم هو التاريخ الصادق يحمل قلَمَه باعتزاز ويسجِّل للسبط الكريم الحســن بن علي تلك المكرمة الخالدة التي قدَّمها لدينه وأمته بتنازله عن حقّه في الخلافة؛ فأَطفَأَ نار القتال الذي اســتمر سنين عدداً، وقَطَع دابر الخلاف الذي صدَّع الصفوف وأَقْلَق الدولة ومزَّق شمل الأُمة.

٢ ـ حقن الدماء:

وما إنْ أسفَرتْ مفاوضات وفد معاوية مع أمير المؤمنين الحسن عن عزمه على ترك حقِّه في الخلافة لمعاوية، وتعهَّدَ له الوفد بتلبية ما يريد ـ حتى أُعْلِن في الأُمة وانتشــر في أرجاء الدولــة الخبر المفاجئ والنبأ الخطير: إن الأُمة ستجتمع على أمير المؤمنين معاوية!

وارتبط ذلك بإلقاء السلاح وإغمادِ الســيوف عن وجوه المسلمين،

وعودةِ الكتائب إلى مواقعها الصحيحة على حدود الدولة لحماية الثغور ومقارعة الأعداء، وأنه لا يَحلُّ التقاءُ المسلمين في صعيد واحد للقتال... فَحُقِنت الدماء، وحُفظت الأنفس، وسَعِدت الأرواح بأنها لن تُزهَق في مواطن الخلاف.

قال الحسن البصري: (فواللهِ واللهِ بعد أن وَلي ـ الحسن ـ لم يُهْرَقْ في خلافتِه ملءُ مِحْجَمَةٍ من دمٍ)[1].

٣ ـ تنقية القلوب واضمحلال الشحناء والبغضاء:

إذا كان الخلاف والنزاع قد يتولد عنه التدابر والتقاطع والشحناء والبغضاء، فماذا ينتج عن المواجهة بين المسلمين واقتتالهم وسيلان الدماء فيما بينهم، وتأجيج الصراع واختلاق الأكاذيب من كل فريق على الآخر، وسعي الفَتّانين لاستمرار الاقتتال وإهلاك الحَرْث والنَّسل....؟! لا ريب أن ذلك سيُضاعِف من حجم المآسي ويزيد في شحن القلوب بعضها على بعض، ويثير فيها البغضاء والتدابر وابتغاءَ الشرِّ من كل فريق للآخر.

فيأتي الصلح واتفاق كلمة الزعيمين وتصافُحُ الفريقين، فيغسل القلوب من أدرانها، ويطهِّر الأنفس من الشحناء والبغضاء، ويُنقِّيها من الغِلِّ والحقد، ويَحمل هؤلاء وهؤلاء على العفو والصفح والمسامحة، ومن ثم عودة الفئتين العظيمتين إلى المسالمة والعمل البناء ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨].

حقاً إن النفوس الطاهرة الزكية قد غُمست بماء الصلح المَعين، فتساقط عنها ما عَلِق بها من شوائب الأخلاق الرديئة فرجعت إلى

---

(١) تقدم: ص ١٤٤ في هذا الكتاب.

صفائها ونقائها وأُلفتها.... وبقيتْ في الطائفتين أنفسٌ خبيثة قد أُضِيرت بهذا العمل المبارك، وتأجج فيها الغِلُّ والحقد وطَوَتْ على أمر مَغِيظ ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨].

٤ ـ وحدة الصف والمجتمع والأُمة وعودة هيبة الدولة:

وهذه من أطيب الثمار وأنفع النتائج وأجلِّ الفوائد، وأكثرِها أهمية، وأَعْوَدِها خيراً على الإسلام وأهله ودولته.

وقد أرشد الله تبارك وتعالى إليها وأَمر بها، وامتنَّ على المؤمنين بأن عَقَدها بينهم فقال: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. ونهى عن الفُرقة والتشرذم وأَنذَر بالعواقب الوخيمة التي تترتب على ذلك فقال: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

والمتدبِّر لِما حدث للمسلمين ودعوتهم ودولتِهم خلال سبع سنين، منذ أواخر خلافة عثمان وإلى نهاية عهد علي واستشهاده؛ يدرك الخسائرَ الفادحة التي دفعها المسلمون، والأضرارَ الكبيرة التي نزلت بهم، والأخطار الجليلة التي حاقت بدولتهم!

ومن هنا يعلم المرء كم كان عظيماً ذاكم السيد الجليل الحسن بن علي حين قام بذاك العمل الباذخ الشامخ، واستحقَّ به اغتباطَ جدِّه ﷺ وحبَّه له، وثناءَ الأُمة جميعها ومديح لسان التاريخ الصادق المجيد.

وهذه الثمرة الجليلة ألمحَ لها الحسن رضي الله عنه وأَعْلَنَها في خطبته بأتباعه فقال: (أَلَا وإن ما تكرهون في الجماعة خيرٌ لكم مما تحبون في الفُرقة)، وفي رواية: (ولَمَا تَكْرَهون في الجماعة والأُلفة والأَمن

وصلاح ذات البَيْن خيرٌ مما تحبون في الفُرقــة والخوف والتباغض والعداوة)[١].

ومن ظواهر ذلك أن الصحابة الذين اعتزلــوا الفتنة والقتال، عادوا إلى صف الأُمــة المتوحدة وبايعــوا معاوية؛ من أمثال: ســعد بن أبي وقّــاص، وعبد الله بــن عمــر، ومحمد بن مَسْــلَمة، وأســامة بن زيد، وغيرهم[٢].

بل إن الأُمة كلها اجتمعت على كلمة سواء؛ فبايع أهلُ العراق وكافةُ أتباع الحســنِ معاويةَ بالخلافة، (واجتمع له الأمــر، وبَعث نوّابه على البلاد، وذلك في سنة إحدى وأربعين، وسُــمِّي هذا العام عامَ الجماعة لاجتماع الأُمة بعد الفُرقة على إمام واحد)[٣].

وعــادت الدولة من جديد إلى وحدتها وتضافُــرِ قواها لهدف واحد وغاية واحدة، واســتعادت هيبتَها وســطوتها على المســتوى الداخلي المحلي والخارجي الدَّوْلي بين الدول والأُمم المعاصرة.

٥ ـ كفكفة جماح أصحاب الأهواء والتضييق عليهم، ووأد فتنهم:

وبتنازل الحســن عن الخلافة ومبايعة الأُمة لمعاويــة واتفاقها على إمام واحد، واجتماع كلمتهــا ووحدة صفِّها ـ تــمَّ وأدُ الفتنة الجامحة، وغُلَّتْ أيدي أصحاب الأهواء وعُقِدت ألســنتُهم عن السعي في الأرض فساداً واختلاقِ الأكاذيب وتزوير الكتب وقلْبِ الحقائق... فلم يبقَ لهم

(١) انظر ما تقدم: ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦ في هذا الكتاب.

(٢) «الفتح» ٣٨٣/١٦ (٧١٠٩).

(٣) «دول الإسلام» ص ٢٧.

مادةٌ يتاجرون بها، ولم يَعُدْ هناك مبـرِّر لفتَّان أو صاحبِ هوى أو عدوٍّ للإسلام ودولته متستر بحبِّ الحسن وآل البيت يدعي الحرصَ على ردِّ حقِّهم المَطْلول؛ فها هو ذا سيدُ آل البيت في زمانه قد بايع معاوية وأمر أتباعَه ببيعته فتابعوه على ذلك!

لقد أُضِير هذا الصنف الخبيث من الناس وضاقت عليه المسالك، كما أن صنفاً آخرَ مغفَّلًا مغرَّرًا به، أو منكوس القلب، أو ضيِّق الصدر؛ قد تجرَّع كأس الصلح عَلْقماً وهو لا يكاد يُسِيغُه!

ومن هذا القَبيل: السبئية الفجرة، وأحفادُ أبي لؤلؤة والهُرْمُزان، وأتباعُ قتلة عثمان، وبقايا الخوارج، وطائفة قليلة من رجال مقدمة جيش الحسن ممن سُمِّي بـ(شرطة الخميس) الذين وصف حالَهم واحدٌ منهم بقوله: (فلما جاءنا صلح الحسن بن علي كأنما كُسِرت ظهورُنا من الحزن والغَيْظ!)[1].

كذلك تلك الشِّرذمة من الناس الذين جاء أحدُهم ـ عندما تمَّ الصلح ـ وقال للحسن رضي الله عنه تلك الكلمة الجافية الوقحة: السلام عليك يا مُذِلَّ المؤمنين! وآخر يخاطبه بقوله: يا مسوِّدَ وجوه المؤمنين! وثالث يقول: يا عارَ المؤمنين!

فأمثال هذه النفوس الحانقة الموتورة، ممن لا يريدون وجْهَ الله تعالى، ولا خيرَ الأُمة ومصلحةَ الإسلام؛ قد خَنَسوا أمام إرادة الحسن وما قام به من العمل الرشيد والصلح المجيد[2].

---

(١) انظر الخبر بتمامه: ص ٣٠٣ في هذا الكتاب.

(٢) تقدمت هذه الأخبار: ص ٣٠٣ ـ ٣٠٦.

والمؤمنون بالله ورسوله والمصدِّقون بنبوءته ﷺ يستبشرون بتحقيق تلك النبوءة ووقوع الصلح بين المسلمين، ويعدُّون الحسنَ رضي الله عنه (مبيِّض وجوه المؤمنين)، ومن الأسباب التي أنعم الله بها على الأُمة في تجدد (عزِّتها) ووحدتها وقوَّتها[١].

٦ ـ عهد معاوية ونمط جديد من الحكم:

ومن نتائج الصلح وقيام معاوية رضي الله عنه على أمور المسلمين عامة، أن انتقلت الأُمة والدولة من مرحلة الخلافة على منهاج النبوة إلى مرحلة الحكم الملكي، وانتهت حقبة الخلفاء الراشدين، وبدأ عهد الخلافة الأموية التي أصبح الحكم فيها وراثياً، وتحقق قول النبي ﷺ في النبوءة الشهيرة:

«خلافةُ النُّبُوَّةِ ثلاثونَ سنةً، ثم يُؤْتِي اللهُ المُلْكَ ـ أو: مُلْكَه ـ مَنْ يَشاءُ»[٢].

وبكل حال فإن الحكم الأموي لم ينصِّبْ نفسه بقوة الجيش والسلاح، بل بالصلح والتراضي بين الفريقين: أهل العراق وأهل الشام.

وسيأتي بيان ذلك بشيء من البسط والتفصيل[٣].

٧ ـ حِقبة جديدة من الاستقرار والبناء:

ومن أطيب ثمار ذلك الصلح المبارك: شيوعُ الأمن في ربوع

---

(١) انظر كلام محب الدين الخطيب في: تعليقاته على «العواصم من القواصم»، ص ٢٠٥.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٤٦) و(٤٦٤٧)، والترمذي (٢٣٧٥)، والنسائي في «الكبرى» (٨٠٩٩)، وأحمد (٢١٩١٩)، وابن حبان (٦٦٥٧) و(٦٩٤٣)، وغيرهم، وصححه ابن حبان وابن عبد البرّ والحاكم وابن تيمية، والألباني وأطال الكلام عليه في «الصحيحة» (٤٥٩). وانظر شرحه في كتابي: «نبوءات الرسول ﷺ» ٢/٢٢٥ ـ ٢٣٧.

(٣) انظر ما سيأتي: ص ٣٥٨ ـ ٣٦٠ في هذا الكتاب.

الأمصار الإسـلامية، واسـتقرارُ أمـور الدولة في مختلِف مؤسسـاتها ومكوناتها، وصلاحُ أحوال المجتمع الإسلامي، وتوجُّه الخاصة والعامة من رأس السلطة والولاة والأمراء والقادة وعامة المسلمين إلى البناء في شتى مجالاته الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية.

فلقد أُجْهِض مخطط السَّبئيَّة الذين فشلوا في الاستمرار بالحرب بين المسلمين، ووُئِدت الفتن، وأُسْكِتت الأصوات الناعقة في الطعن على المسـلمين من هذا الفريق أو ذاك، وكُبِّلت الأيدي عـن الدس وتزوير الكتب والأخبار وإشاعة الفِرَى... وبقي هؤلاء يعملون في الظلام الضيق الذي أخذ بأنفاسـهم، تحت قبضة شـيخ بني أمية وحكيمها وحليمها معاوية ومن معه من كبار رجالات الدولة.

وقد شهد بما ذكرناه التاريخُ الذي دوَّن في صحائفه أن عشرين سنة هي مدة حكم معاوية كانت مليئة بالخير، متسـمة بالأمن والاستقرار، مستوعِبة لجميع الفئات، محقِّقة لأهداف الإسـلام الكبرى، مع وجود بعض الهَنَات من هنا وهناك اشترك في المسؤولية عنها بعضُ الرجال أو الجماعات مع بعض المسؤولين في الدولة بأنصبة مختلفة، لكن السمة العامة هي سيادة الأمن والاستقرار والتوجه نحو التشييد والبناء.

٨ ـ عودة الفتوحات وتوسع الدولة ونشر الرسالة:

وترتَّبَ على النتيجة السـابقة ثمرةٌ طيبة أخرى هي عودةُ الفتوحات الإسـلامية إلى سـابق عهدها، واتسـاعُ رقعة الدولة وحمل الرسـالة الإسلامية ونشرها في أصقاع كثيرة وأمصار بعيدة شاسعة.

لقد انطلقت جيوش الفتح الإسلامي يقودها جمهرة من أفذاذ القادة

مثل: عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن سَمُرة وعبد الله بن عامر بن كُرَيْز والمُهَلَّب بن أبي صُفْرة ومَسْلَمة بن مُخَلَّد وعُقبة بن نافع وبُسْر بن أبي أرطاة وزياد بن أبيه وغيرهم كثير....

وانساح المجاهدون من جند وقادة في الأرض؛ براً وبحراً، شرقاً وغرباً، ففتحوا أمصاراً كثيرة وبلاداً شاسعة؛ في سِجِسْتان وخُراسان والهند وأفغانستان والمغرب العربي الإسلامي، وشيدوا المدن وبنوا المساجد وفتحوا القلوب بالقرآن والإسلام، ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

وللحسنِ في صلحه ولمعاويةَ في جهاده من أجرِ دخول الناس في الإسلام ما لا تُحصيه ملائكةُ الرحمة ولا يعلمه إلا الله تعالى!

بل إن معاوية أراد أن يفوز بشرف الثناء النبوي في (فتح القُسْطَنطينية) وأن يَشْرُكَ ابنَه يزيدَ في هذا العمل الخالد، فجيَّشَ جيشاً فيه أكابر الصحابة مثل عبد الله بن عُمر وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وأبي أيوب الأنصاري، وحاصروا القسطنطينية سنة (٤٩هـ)، وأبلَى يزيدُ في ذلك بلاءً حسناً بما أظهره من ضروب الشجاعة والنخوة والإقدام، مما حمل المؤرخين على أن يُلَقِّبوه بـ«فتى العرب»!

لكن لم يُكْتَب لذلك الجيش الفتحُ، غير أن يزيد ومن معه فازوا بثناء رسول الله ﷺ، في حديثه الذي ترويه أم حَرَام بنت مِلْحَان عنه ﷺ قال: «**أَوَّلُ جيش من أُمَّتي يَغْزُون مدينةَ قَيْصَر مغفورٌ لهم**»[1].

(١) أخرجه البخاري (٢٧٨٨، ٢٧٨٩)، ومسلم (١٩١٢)، وأبو داود (٢٤٩٠)، وغيرهم. وانظر شرح ذلك في: «نبوءات الرسول ﷺ» ١/١٣٦ ـ ١٤٠، ٢٨١ ـ ٢٨٧.

قال أبو زُرْعة الدِّمشقي: حدثني عبد الرحمن بن إبراهيم ـ هو المُلقَّب بِدُحَيْم ـ عن الوليد بن مسلم، عن سعيد بن عبد العزيز قال: (لمَّا قُتل عثمان، واختلَف الناس، لم تكن للناس غازيةٌ ولا صائفةٌ، حتى اجتمعت الأمة على معاوية سنة أربعين[1] وسمَّوها سنة الجماعة. قال سعيد بن عبد العزيز: فأَغْزَى معاويةُ الصوائفَ وشَتَّاهم بأرض الروم، ستَّ عشرة صائفة، تَصِيفُ بها وتَشْتو، ثم تقفل وتدخل مُعَقِّبتها)[2].

والصوائف والشواتي: غزوات وبعوث تسير إحداها للحرب في الصيف والأخرى في الشتاء، وهو نظام ابتكره أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه.

٩ ـ العفو عمَّا عاثت الأُمة فيه من الدماء:

وهذه الثمرة هي نتيجة ما اشترطه الحسن كما جاء في «صحيح البخاري» وغيره: (إن هذه الأُمة قد عاثت في دمائها)، أي قَتَل بعضها بعضاً، فلا يَكفُّون عن ذلك إلا بالصفح عما مضى منهم والتألُّف بالمال. وأراد الحسن بذلك تسكينَ الفتنة وتفرقة المال على من لا يرضيه إلا المال، فوافقه رسولا معاوية على ما شرط من جميع ذلك.

وهذا يعيد للدولة والأُمة وجميع الناس الأمانَ على الأنفس والأهل، وأن لا يُؤخَذَ أحد بِجَريرة غيره، والعفو عما وقع من خطايا قد يكون قسم منها بسبب الفتن واختلاط الأمور وأكاذيب أصحاب الأهواء وأعداء الإسلام الذين مكروا ويمكرون بالليل والنهار.

---

(١) الصحيح: سنة (٤١هـ).

(٢) «تاريخ أبي زرعة الدمشقي» ص ١٨٨، واقتبسه ابن كثير في «البداية والنهاية» ١٣٣/٨.



كما أنه يستألف القلوب، ويأخذ بأيدي الخطائين والمغرَّر بهم إلى التوبة والإنابة، ويجمع فئةً قاصيةً ويضمُّها إلى جسم الأُمة لعلها تُصلِح نياتها وتستقيم في أفعالها، بما بذلته الدولة متمثلة بالسلطة العليا من (العفو العام) عمن شارك في القتال والفتن، ويستقبل الجميع حياة جديدة ونمطاً من الحكم يوفر للناس الأمن على أرواحهم والعفو عن مظالمهم.

ولقد تبين نَجَاعةُ هذه السياسة الحكيمة الحليمة، واتضح أن ما رآه الحسن واشترطه كان استشرافاً موفَّقاً للمستقبل؛ لِما فيه من جمع الكلمة ورأب الصدع وكفكفة جماح المفتونين، وقطع الطريق على كل من تسوّل له نفسه تحريك رماد الفتنة... فكان ذلك من أسباب استقرار الدولة وشيوع الأمن والتوجه إلى الإصلاح والبناء.

ويؤكد أهميةَ هذا الاتجاه وجميلَ ثمرته ما جرى للخوارج في موقفهم من الدولة والحكم الجديد:

يروي أبو وائل شَقِيق بن سَلَمة حديثاً طويلاً في قصة قتال الخوارج واستشهاد علي، ثم بيعة الحسن وتنازله عن الحكم لمعاوية، ثم يقول أبو وائل: (فرجَعَ الناس فبايعوا معاوية، ولم يكن لمعاوية هَمٌّ إلا الذين بالنَّهْروان، فجعلوا يتساقطون عليه فيبايعونه، حتى بقي منهم ثلاثُ مئة أو نيِّف، وهم أصحاب النُّخَيلة)[1].

وهؤلاء الخوارج الذين لم يبايعوا واستمروا على رأيهم، جعل بعض

---

(١) أورده الحافظ في «المطالبة العالية» ٣١٧/٤ ـ ٣١٩، حديث (٤٥٠٤)، وعزاه لإسحاق بن راهويه وأبي يعلى وغيرهما، وقال: هذا الإسناد صحيح.

رؤوسهم يخرج كل واحد منهم في طائفة، فيبعث أمير المؤمنين معاوية لهم قطعة من الجيش عليه أحد القادة، فيستأصلون شأفتهم[١].

وبهذا شارك معاوية رضي الله عنه في قتال هذه الفئة الضالة، وأكمل عملَ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ونال ثناءَ النبي ﷺ على مَن قاتلهم.

١٠ ـ عام الجماعة:

بتنازلِ الحسن عن الخلافة وتسلُّمِ معاوية لها، ومبايعةِ الحسن له ومن ثَمَّ جميع من تحت سلطانه، وكذلك الصحابة الكرام الذين اعتزلوا الحروب والفتن، وأيضاً جمهور من تبقى من الخوارج ـ يلتئِم شملُ المسلمين وتجتمع الأُمة كلها في صفٍ واحدٍ، وتتوحد الدولة، ويصبح الجيشان المتخاصمان جيشاً واحداً، وتنضوي الأمصار الإسلامية في المشارق والمغارب تحت راية الخلافة، ويَعمُّ الأمن، وتُحْقَنُ الدماء، ويسود السلام...

وهذا ما سمَّاه أئمة الإسلام والمؤرخون (عامَ الجماعة)، وكان ذلك في ربيع الآخر أو جمادى الأولى من عام (٤١هـ) على المشهور من قول المؤرخين، وقيل سنة (٤٠هـ)[٢].

وسُمِّي (عامَ الجماعة) لاجتماع الأُمة بعد الفرقة على إمام واحد هو معاوية، وانتهاء الخلاف وانقطاع الحرب فيما بين المسلمين، وتفرغهم للجهاد والفتوحات ونشر رسالة الإسلام[٣].

---

(١) انظر: «تاريخ خليفة» ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤.

(٢) «تاريخ خليفة» ص ٢٠٣، «تاريخ الطبري» ١٦٢/٥، ١٦٤ ـ ١٦٥، «الاستيعاب» ٣٧١/١، «أسد الغابة» ٤/٢، «مختصر ابن عساكر» ٣٥/٧، «سير أعلام النبلاء» ٢٧٨/٣، «البداية والنهاية» ١٧/٨.

(٣) «دول الإسلام» ص ٢٩، «البداية والنهاية» ٢٢٠/٦، ١٦/٨، «الفتح» ٣٨٣/١٦.



المبحث السابع ـ ملحقات بقضية الصلح ومكملات لها:

كل أمـــر جديد أو حدث ضخـــم يأتي على غير العـــادة، يكون في الناس المرحِّب به المتفاعل معه المستبســـل في تبنِّيه وإنجاحِه، كما أن فريقاً من الناس يتوجَّس منه ويرفضه في بادئ الأمر.

وصلح الحسن شَـــكَّل في تاريخ الأُمة تحولاً كبيراً ونقلة بعيدة، لذا خشـــي منه فريق من النـــاس وتوقفوا فـــي قبوله، لكن دينَهـــم وعقلَهم وتاريخهـــم وفَضْلَهم وصل بهم إلى موافقة جمهـــور الأُمة، في حين أن طائفة من الناس ذميمة كرهَتْه ومَقَتَتْه ونَعَتْ على الحسن فيما أَقْدَم عليه وخالَفَتْه أبداً؛ ذلك أن هـــذه الفِرْقة لا تريد وجـــه الله، ولا تحب الخير لهذه الأمة، وتطوي في دخائلها على حقد وكيد مريرَيْن على الإســـلام وأهله ودولته!

وأشـــير في هذا المبحث إلـــى ثلاثة مواقف هـــي مكملات لقضية الصلح ومتعلقة به تعلقاً وثيقاً.

١ ـ موقف الحسين بن علي رضي الله عنه:

يختلف الحسن عن أخيه الحســـين في طبيعته ومكونات شخصيته ومواقفه وتصرفاته وآرائه، فالحسنُ ميَّال إلى الهدوء والتروِّي والمسالمة واجتمـــاعِ الكلمة والتبصـــر بالأحـــداث ومآلاتها والتاريخ وســـيرورته والمجتمع ومكوناتـــه وتغيراته والدول وتقلباتهـــا؛ كما يظهر ذلك لمن استقرأ سيرته طيلة حياته.

والحســـين رضي الله عنه كان فيه صلابة وشـــدَّة وميلٌ لأخذِ الأمور بعزائمها وحدَّتِها، والاعتداد بالـــرأي، وأخذِ الأحداث وأعمـــال الناس وأقوالهم

بظواهرها، كما يدلُّ على ذلك مواقفهُ مع أبيــه في حروبه حيث مضَى معه على طريق إرغام المخالِف بالقوة، وكذا موقفه في البداية من صلح أخيه الحسن، وأيضاً ثقتُه بأهل الكوفة الذين أَغْرَوْه بالخروج إليهم ضد الخليفة الأموي يزيد بن معاوية؛ فكان ما كان في كربلاء!

والحسن أعرفُ الناس بأخيه الحسين رضي الله عنهما، لذا كان يهدِّئ من اندفاعه في آرائه وتصرفاته، ويبصّره بعواقب الأمور، وكان الحســين يُكْبِر أخاه ويُجلُّه ويطيع أمره، وموقفهُ من الصلح خير شاهد على ذلك.

روى ابن ســعد وغيره عن عَمْرو بن دينار: أن الحسن لمَّا عَزَم على تســليم الأمر إلى معاوية، أخبــر ابنَ عمه عبد الله بن جعفر، فَسُــرَّ ابن جعفر بذلك، وقال للحســن: (جزاكَ الله عن أُمة محمد خيراً، فأنا معك على هذا الحديث.

فقال الحســن: ادْعُ لي الحسينَ، فبَعَث إلى حســين فأتاه، فقال: أي أخي، إني قد رأيتُ رأياً، وإنــي أحبُ أن تتابعَني عليــه، قال: ما هو؟ فقَصَّ عليه الذي قال لابن جعفر، **فقال الحســين: أُعِيذُكَ بالله أن تُكَذِّب علياً في قبره وتصدِّقَ معاوية! فقال الحســن: والله ما أردتُ أمراً قط إلا خالَفْتَني إلــى غيره، والله لقد هممتُ أن أقذِفَكَ فــي بيت فأُطَيِّنَهُ عليك حتى أقضيَ أمري!! فلما رأى الحســين غضَبَه قال: أنت أكبرُ ولدِ عليٍّ، وأنت خليفته، وأمرُنَا لأمرك تَبَعٌ، فافْعَلْ ما بدَا لك!)**[1].

وذكر المدائني أنه لما تمَّ الصلح (قال الحسن: الحمد لله الغالبِ على أمره، لو أَجمع الخلــق جميعاً على ألا يكون ما هو كائن ما اســتطاعوا.

---

(١) أثر صحيح مرسل، وقد مرَّ مطولًا: ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠ مع تخريجه في هذا الكتاب.

فقال أخوه الحسين: لقد كنتُ كارهاً لمّا كان طيِّب النفس على سبيل أَبي، حتى عَزَم علَيَّ أخي فأطعتُه، وكأنما يجذّ أنفي بالمَوَاسِي!!)[١].

ولم يكتفِ الحسن بهذا، بل إن حبَّه لأخيه الحسين، وإشفاقَهُ عليه، ورغبتَهُ في الحفاظ على نفسه وحمايتهِ من الكذابين المراوغين، وخشيتَه عليه من أن يورِّطوه في إحياء الخلاف وإيقاظ الفتنة ـ جعله يُسْدِي إليه نصائحَ غالية وهو في السِّياق:

فأوصاه أَلَّا يَطلب الخلافةَ، ورغَّبَهُ في الزهد في الدنيا والعُروض عنها، إلى غير ذلك من وصايا كثيرة، قال في آخرها:

أبَى الله ﷻ أن يجعلَ فينا أهلَ البيتِ مع النبوَّةِ الخلافةَ والمُلْكَ والدنيا، فإيَّاكَ وطاعتها! وإيَّاكَ وأهلَ الكوفة أن يَسْتَخِفُّوكَ فَيُخرِجُوكَ، فَتندَمَ حيثُ لا ينفعُ النَّدم[٢]!!

فليت الحسين رضي الله عنه وأرضاه عمل بنصيحة أخيه!

٢ ـ مع قيس بن سعد بن عبادة:

تقدّم[٣] أن قيس بن سعد كان معارضاً لمبدأ الصلح، وخالَفَ الحسنَ فيما قرّره ونفَّذه من التنازل عن الحكم ووَضْع الأمانة كلها في عنق معاوية. لكن قيساً بمنزلته ودهائه وتديُّنه وورعه ونُبْله وهو الصحابي ابن الصحابي؛ راجَعَ نفسَه ونظر في الحقائق المستجِدة والأخطار

(١) «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ٢٣٤/٨. المواسي: جمع الموسى، وهي آلة يُحلق بها الشعر.

(٢) «الاستيعاب» ٣٧٥/١ ـ ٣٧٦، «سبل الهدى والرشاد» ٥٢٦/١١.

(٣) انظر: ص ٢٩٦ ـ ٢٩٧ في هذا الكتاب.

المحدِقة بالأُمة، فوافَقَ الحسنَ فيما عزم عليه وانضم للجماعة، بل بَصَّر مَنْ كان معه وعلى رأيه ـ وهم جمهور كبير ـ بواقع المسلمين ومبايعتهم لمعاوية، فوافقوه على اختياره.

جاء في حديث أبي وائل ـ الذي أوردنا طرفاً منه ـ أن علي بن أبي طالب بعد فراغه من قتال الخوارج، قال: (لا أغزو العام، فرجع إلى الكوفة، فقُتِل. واستخلَفَ الناسُ الحسنَ بن علي، فبَعَث الحسن بالبيعة إلى معاوية، فكتب بذلك الحسن إلى قيس بن سعد. فقام قيس بن سعد في أصحابه فقال: يا أيها الناس، أتاكم أمران لا بدَّ لكم من أحدِهما: دخولٌ في الفتنة، أو قتلٌ مع غير إمام! فقال الناس: ما هذا؟ فقال: الحسنُ بن علي قد أعطى البيعةَ معاويةَ. فرجع الناس فبايعوا معاوية)[1].

هذا نصٌ صحيحٌ صريحٌ يلخِّص موقفَ قيس بمن معه، وهو يليق به في صحبته ومنزلته وأعماله فضلاً عن دهائه وعقله! ولكن الروايات المفتراة وكتب الرافضة خاصة تنقل عن قيس مواقفَ وأقوالاً لا تصدر عن إنسان من العامة، فضلاً عن أن يكون صحابياً، بل قائداً عبقرياً وداهية شريفاً سيداً مطاعاً!!

ـ من ذلك ما رواه الطبري عن عَوَانة بن الحَكَم: (فكتب الحسنُ إلى قيس بن سعد وهو على مقدمته في اثني عشر ألفاً يأمره بالدخول في طاعة معاوية، فقام قيس بن سعد في الناس فقال: يا أيها الناس، اختاروا الدخولَ في طاعة إمامِ ضلالةٍ أو القتالَ مع غير إمام! قالوا: لا، بل نختار أن ندخل في طاعة إمام ضلالة. فبايَعُوا لمعاوية)[2].

---

(١) صححه الحافظ في «المطالب العالية»، وانظر: ص ٢٩٧ في هذا الكتاب، والحاشية السابقة.

(٢) «تاريخ الطبري» ١٦٠/٥.



وهذه الرواية بهذا السياق مع اتفاقها في بعض الأمور مع الرواية الصحيحة السابقة، إلا أنها رواية تالفة: فعَوَانةُ بن الحَكَم متَّهم بوضع الأخبار لبني أُمية[١]. وسياقها فيه نكارة شديدة وهي قوله: (اختاروا الدخول في طاعة إمام ضلالة أو القتال مع غير إمام! قالوا: لا بل نختار أن ندخل في طاعة إمام ضلالة. فبايَعُوا لمعاوية)؛ فهو كلام مفترىً لا يقوله قيس، وحاشَى معاوية أن يُرمى بهذا الوصف الفاحش! وإذا كان كذلك ـ والعياذ بالله ـ كيف ارتضى الحسن أن يُسلِّمه أمرَ الإسلام والأُمة؟ ثم كيف يَقبل قيسٌ وجمهور من معه بأن يبايعوا إمام ضلالة؟! سبحانك هذا بهتان عظيم.

ـ أما المؤرخ الشيعي أحمد بن إسحاق المعروف باليعقوبي، فذهب بعيداً جداً ونقل كلاماً زعم أن قيس بن سعد قاله وخاطب به معاويةَ والناس؛ قال قيس لمعاوية:

(لقد حَرَصتُ أن أفرِّقَ بين روحكَ وجسدِك قبل ذلك، فأبَى الله يا ابن أبي سفيان إلا ما أحبّ! قال: فلا يُردّ أمر الله. قال: فأقبل قيسٌ على الناس بوجهه، فقال: يا معشر الناس، لقد اعتضْتُم الشرَّ من الخير، واستبدلتم الذلَّ من العِزِّ، والكفرَ من الإيمان، فأصبحتم بعد ولاية أميرِ المؤمنين وسيد المسلمين وابنِ عم رسول رب العالمين، وقد وَلِيَكُم الطَّليقُ ابنُ الطليق؛ يَسُومكم الخَسْفَ ويسير فيكم بالعَسْف، فكيف تجهل ذلك أنفسُكم، أم طبع الله على قلوبكم، وأنتم لا تعقلون؟!)[٢].

وهو كلام يَظهر بطلانُه لكلٍّ من يقرؤه بأدنى تأمُّل، ويَبوءُ مفتريه

(١) «لسان الميزان» ٤/٣٨٦.
(٢) «تاريخ اليعقوبي» ٢/١٢٣ ـ ١٢٤.

بالإثم العظيم، وعليه ـ إن شاء الله ـ وِزْرُ من يصدِّقه أو ينقله عنه وينشره على سبيل الإثبات له والاحتجاج به واتهام أمير المؤمنين وكاتب الوحي بمثل هذا الإفك المبين!

٣ ـ وجوب متابعة الحسن في صلحه، ومبايعة معاوية والدخول في طاعته وعدم الإساءة إليه:

•• صلح الحسن عمل جليل ممدَّح، تعرف الأُمة الإسلامية أهميته الكبرى وأثره الخالد، وهو مَثَلٌ يُحتذَى في كل شقاق أو صراع بين الناس على السلطة أو مغنم كبير من الدنيا.

بَيْدَ أن فريقاً من الناس قد نُكست قلوبهم وعَمِيت بصائرهم وخابَتْ مؤامراتهم، فَلَجُّوا في باطلهم وأَظْهَروا ما في بواطنهم؛ فَرَمَوا الحسنَ بالخيبة والخسران والذلة والعار، لأنهم لا يريدون للإسلام عزّاً ولا للمسلمين عافية ولا لدولتهم صلاحاً!

هذا الصنف التائِهُ الضالُّ واجَهَ السيدَ الجليل أمير المؤمنين الحسن بن علي بوجه كالح وقلب قد غَلَّفه الرَّان ولسانٍ سَليط، فقالوا له: يا مُسَوِّدَ وجوه المؤمنين، يا مذلَّ المؤمنين، يا عارَ المؤمنين!

وما صدقوا في أقوالهم، ولا وفوا في عهودهم، ولا بَرّوا في أعمالهم وسِيَرِهم، فهم أولى بما قالوه من الكلام السفيه والوصف الخسيس الرديء.

قال الحافظ الورع ابن كثير مُثْنِياً على الحسن وأعماله، ومادحاً لصلحه، ومبجِّلاً لهَدْيه:

(ولما تسلَّم معاوية البلاد ودخل الكوفة وخطب بها واجتمعت عليه

الكلمة في سائر الأقاليم والآفاق، ورجع إليه قيسُ بن سعد أحدُ دهاة العرب ـ وقد كان عزم على الشِّقاق ـ وحصل على بيعة معاوية عامئذٍ الإجماعُ والاتفاق، ترحَّل الحسن بن علي ومعه أخوه الحسين وبقية إخوتهم وابنُ عمِّهم عبد الله بن جعفر من أرض العراق إلى أرض المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسَّلام، وجعل كلما مرَّ بحيٍّ من شيعتهم يُبَكِّتونه على ما صَنَع من نزوله عن الأمر لمعاوية، وهو في ذلك هو البارُّ الراشد الممدوح، وليس يجدُ في صدره حَرَجاً ولا تلوُّماً ولا ندماً، بل هو راضٍ بذلك مستبشِر به، وإن كان قد ساء هذا خَلْقاً من ذويه وأهلِه وشيعتهم، ولا سيما بعد ذلك بِمُدَدٍ وهَلُمَّ جرّاً إلى يومنا هذا. والحقُّ في ذلك اتباعُ السُّنَّة ومدْحُه فيما حَقن به دماء الأُمة، كما مدحه على ذلك رسول الله ﷺ)[1].

•• وقد قدّمنا أن (عصمة الإمام) من أركان دين الشيعة الاثني عشرية وأصولهم[2]، وأن علي بن أبي طالب هو أول الأئمة الاثني عشر، والحسن بن علي هو الإمام الثاني، **ومن مقتضى (عصمة الأئمة عندهم أنهم لا يُخطِئون، وأن ما صدر عنهم فهو حق، والحق لا يتناقض، وأهمُّ ما صدر عن الحسن بن علي بيعتُه لأمير المؤمنين معاوية) وكان ينبغي للشيعة ـ قديماً وحديثاً ـ أن يَدخلوا في هذه البيعة ويَقبلوا بها ويُثْنوا عليها، وأن يؤمنوا بأنها الحق لأنها من عمل المعصوم عندهم!!.**

لكن المشاهد من حالهم أنهم رافضون لهذه البيعة، ومخالفون فيها لإمامهم المعصوم، ولا يخلو هذا من أحد وجهين:

---

(١) «البداية والنهاية» ١٩/٨.

(٢) تقدم: ص ٢١٠ ـ ٢١٨ في هذا الكتاب.

فإما أن دعوى العصمة لأئمتهم الاثني عشر هي دعوى باطلة زائفة مخترعة، فينهار دينهم من أساسه؛ لأن عقيدة العصمة هي أساسه ولا أساس له غيرها.

وإما أن يكونوا معتقدين عصمة الحسن، وأن بيعته لمعاوية هي من عمل المعصوم، لكنهم خارجون على عقيدتهم، مخالفون للمعصوم فيما فعله ولقي الله به، ويتواصَوْن بهذا الخروج على دينهم جيلاً بعد جيل وطبقة بعد طبقة.

ولا ندري أي الوجهين يطوِّح بهم في مهاوي الهلكة أكثر مما يطوح بهم الوجه الآخر[1]!

●● وبانعقاد الصلح وتنازلِ الحسن عن الحكم ومبايعتهِ في أهل العراق لمعاوية، ومبايعةِ مَن كان معتزلاً من الصحابة، وكذلك مسارعة جمهرة من بقي من الخوارج للبيعة ـ يكون معاوية رضي الله عنه خليفة المسلمين بإجماع الأُمة، وفيها جماعة من أكابر الصحابة.

وبهذا (انعقدت البيعة لمعاوية بالصفة التي شاءها الله، على الوجه الذي وَعَد به رسول الله ﷺ مادحاً له راضياً عنه، راجياً هدنة الحال فيه، لقول النبي ﷺ: «**ابني هذا سيد، ولعلَّ الله أن يُصلِح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»)[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فلما أثنَى النبي ﷺ على الحسن بالإصلاح وتَرْكِ القتال؛ دلَّ على أن الإصلاح بين تلك الطائفتين كان

(١) انظر: تعليقات العلّامة محب الدين الخطيب على كتاب «العواصم من القواصم» ص ٢٠٥.
(٢) من كلام ابن العربي في كتابه «العواصم من القواصم» ص ٢١٨.

أَحَبَّ إلى الله تعالى من فعلــه، فدَلَّ على أن الاقتتالَ لم يكن مأموراً به. ولو كان معاوية كافراً لم تكن توليةُ كافر وتسليمُ الأمر إليه مما يحبُّه الله ورســوله، بل دَلَّ الحديث على أن معاوية وأصحابه كانوا مؤمنين، كما كان الحسن وأصحابه مؤمنين، وأن الذي فعله الحسن كان محموداً عند الله تعالى، محبوباً مَرْضِياً له ولرسوله)[1].

وبعد كلامِ الله تعالى وثناءِ رسوله ﷺ على الصلح وعلى الطائفتين ومدحِهِ لهما، وبعد تنازلِ الحسن عن الحكم وبيعتهِ لمعاوية وإجماعِ الصحابة وأخيار الأُمة في اتفاقهم على معاوية ـ ليس لأحدٍ كلامٌ أو مخالفةٌ بَلْهَ القدحَ أو الذمَّ، فما بالُكَ بالسـبِّ واللعن والتكفير؟! فما يفعل ذلــك إلا ضالّ مضِلّ زِنديق لا يريد للإســلام وأهله إلا استمرار القتال والشقاق وســيلان الدماء... وهذا ما يعرفه التاريخ على تطاول عهوده من فِرقة دأبُها الشِّقاق والفُرقة، والموعد عند الله تعالى: ﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴾ [مريم: ٩٥].

المبحث الثامن ـ دحض افتراءات وأكاذيب:

في قضية صلح الحســن مــع أخيه معاويــة رضي الله عنهما، اختُلِقت افتراءات ورُوِيت أكاذيب ورُمي الزعيمان وفريقاهما بالزور والبهتان والباطل في نواحٍ شــتى ومجالات عدة.... وتولَّــى كِبْر ذلك بعــضُ رواة الأخبار ومصنفي الكتب وأصحاب الأقلام، والمتحدثون في المجامع والجوامع والمنتديات والمجالس العامة والخاصة.

واتســعت رواية هذه الأكاذيب وحَيْدَتُها عن الحق والإنصاف وأدنى أخلاق أصحاب المروءات، مع مرور الزمــن، وزادت حِدَّتُها في زماننا

(١) «مجموع الفتاوى» ٤/٤٦٧.

بما توافر بين أيدي الناس من وسائل إعلام حديثة وطرق تواصل متنوعة دخلت كل بيت وبسرعة فائقة؛ وهذا مما يزيد في آثام وخطيئات مَنْ يفتريها وينقلها ويروِّجها، وفي الوقت نفسه يُضاعِف من حسنات وأجور البرآء، وذلك من فضلهم وصِدْق مسعاهم؛ فيأبى الله تعالى إلا أن يستمر ثوابهم ما دام في الدنيا مفترٍ كذاب وسبَّاب شتَّام!! أما الفريق الآخر الذين يفترون على عباد الله وأوليائه وعلى تاريخ هذه الأُمة؛ فكما قال الله تعالى: ﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [النحل: ٢٥].

ونذكر في هذا المبحث نماذجَ من تلك الفِرى والأكاذيب في مجالات متنوعة:

١ ـ حول اغتيال الحسن رضي الله عنه:

•• يزعم أستاذ جامعي معاصر، وينقل عن بعض كتب أئمته مثل «بحار الأنوار» و«علل الشرائع» و«كشف الغمة»: أن معاوية بذل الرِّشَا لبعض جند الحسن وأتباعه، ووعدهم بتزويج إحدى بناته أو ولاية مصرٍ من الأمصار أو مئة ألف درهم، مقابل:

أ ـ تسليم الحسن له سراً أو علانية.

ب ـ أو اغتيال الحسن متى وجدت الفرصة المناسبة[1].

ـ وأبسط ما تُردّ به هذه الأُخلوقة أن بعض أتباع الحسن قد حاولوا اغتياله من أول يوم لَمَّح فيه للصلح، وكرَّروا المحاولة كما أوضحنا[2]،

---

(١) «الحسن رائد الواقعية السياسية» ص ١٩٤ ـ ١٩٦.

(٢) انظر ما تقدم: ص ٢٨٨ ـ ٢٩٥ في هذا الكتاب.



والرجل الذي قام بإحدى المحاولات معروف باسمه وصفته ونِخْلته وهو (الجرَّاح بن سنان الأَسَـدي)، وقد أثبت ذلك مرجعهم المشهور ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة»، وجاء في كتب أهل السُنَّة بسند جيد.

ويؤكد ذلك أن الحسـن رضي الله عنه قام في أتباعه بعـد محاولة الاغتيال فخَطَبهم وذَمَّهم!

ـ ومما يَدحض هذه الفرية الرخيصـة ما جاء في رواية البخاري من أن معاويـة كان هو المبادر إلـى الصلح، وبعث إلى الحسـن وفداً من وجوه الناس وأمرهـم أن يبذلوا له كل ما يريد، وقد كان ذلك كما تقدم تفصيله. فإذا كان معاوية يتحايل لاغتيال الحسن فمن يفاوض يا ترى؟!

ـ ويقول كاتب آخر: (وجـاءت محاولة الاغتيال الأولـى، العفويَّة والرهيبة كذلك، من جمهور كوفيٍّ مجهـول كان يرفض بكل قوة فكرة السلام مع الشاميين)[1].

وهذا غلط من نمط مغاير، فالذي حاول اغتيال الحسن معروف غير مجهول قد تمَّ القبضُ عليه وشُدِخ رأسه وقُتل أمام الناس!

وهذا التجهيلُ لدعاة الفتنة والزعمُ بأن محاولة الاغتيال كانت عفوية مرتَجَلَة؛ ينطوي على خطر جسيم، إذ فيه تعميةٌ عن الحقيقة وتبرئةٌ لفئةٍ معينة كان يُخيفها الصلح ويقضي على مخططها وأهدافها، وهي جماعة مجرمة يتصـل تاريخهـا وأعمالها برجـال الفتنة الأولـى التي قتلت عثمان بن عفان، بل لها وشـائج خفية مع أبي لؤلؤة وأعوانه، فمخططُ الاغتيالات يمشي على سَنَن واحدة بأساليب متنوعة وبأيدٍ متعددة.

---

(١) «الفتنة» لهشام جعيط، ص ٣٦٢.

٢ ـ دعوى أن الحسن يرغب بالحرب، وكذا معاوية، ومهاترات بينهما:

•• قال أبو الفَرَج الأصفهاني: (وكتب الحسن إلى معاوية مع جُنْدب بن عبد الله الأزْدِي: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله الحسنِ أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان، سلامٌ عليك، فإني أحمدُ الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد...)، فذكر كلاماً طويلاً فيه الطعن على الخلفاء الراشدين الثلاثة: أبي بكر وعمر وعثمان، وأنهم وَثَبوا على الخلافة وحَرَموا أهلَ البيت حقَّهم الأوليَّ فيها، ثم قال الحسن:

(فاليوم فَلْيعجب المتعجب من توثّبِك يا معاوية على أمر لستَ من أهله، لا بفَضْل في الدين معروف، ولا أَثَر في الإسلام محمود، وأنت ابنُ حزب من الأحزاب، وابنُ أعدى قريش لرسول الله ﷺ، ولكن الله خيَّبَكَ وستُردّ فتعلم لِمن عُقبى الدار! تالله لَتَلْقَيَنَّ عن قليلٍ ربك، ثم ليجزينَّك بما قدَّمَتْ يداك، وما الله بظلَّامٍ للعبيد).

(فدَع التماديَ في الباطل وادخُلْ فيما دخل فيه الناس من بيعتي، فإنك تعلم أني أحقُّ بهذا الأمر منك عند الله وعند كل أواب حفيظ، ومَن له قلب منيب. واتَّقِ الله، ودَعِ البغيَ، واحقِنْ دماء المسلمين، فوالله مالك من خير في أن تلقى الله من دمائهم بأكثر مما أنت لاقيه به. فادخل في السِّلْم والطاعة، ولا تنازع الأمرَ أهلَه ومَنْ هو أحق به منك، ليطفئ الله النائرة بذلك، وتجمع الكلمة، وتصلح ذات البين. وإن أنت أبيتَ إلا التماديَ في غيِّك، نَهدتُ إليك بالمسلمين، فحاكمتُك حتى يحكمَ الله بيننا وهو خير الحاكمين)[١].

---

(١) «مقاتل الطالبيين» ص ٦٤ ـ ٦٦، ونقلها عنه: ابن أبي الحديد ٢٤٦/٨ ـ ٢٤٩، وصاحب كتاب «الحسن رائد الواقعية السياسية» ص ١٧٦.

ونقل أبو الفرج ردَّ معاوية على الرسالة، ثم جوابَ الحسن له ثانية، وفي مطاوي تلك الرسائل مهاترات، وكلام فَجٌّ قبيحٌ، وإساءةُ كل منهما للآخر، واعتدادٌ بالنَّسَب والأهل والعشيرة.

•• نقول: مما تقدم تبيَّن بوضوح أن الحسن خَطَّط للصلح وسَعَى إليه وأعلَنه على رؤوس أتباعه واستقبل وفدَ معاوية وشَرَط شروطاً وخَتم الأمور بقبول الصلح وتنازل لمعاوية عن الخلافة.... فمن هذا حالُه ومسعاه لا يُخاطِب الطرفَ الآخر وزعيمه برديء الكلام فيهجوه ويوبِّخه ويذكُر معايبَ أُسرته ومواقفَهم قبل دخولهم في الإسلام.... أبهذا الأسلوب والخطاب يمهِّد للصلح ويسعى إليه؟! أي عاقل يقبل مثل هذه الأخبار التالفة التي تصدُّ عن الصلح وتقيم السدودَ المنيعة دون إمضائه!!

ـ ثم إن هذا الإسفاف في المراسلات مما يترفَّع عنه كرام الرجال، فما بالُكَ بالسادة الكبار الأشراف وعلى رأسهم الحسن ومعاوية ﵄! وقد علمنا من سيرة الحسن عفَّةَ اللسان وطُهْر الأخلاق ونُبْلَ الشِّيم وكريمَ الشمائل وعدمَ الإساءة إلى آحاد الناس، فما ظنُّك وهو يريد إصلاح الأُمة ويخاطب رجلاً نال رضا الفاروق عمر وذي النورين عثمان وجميع أهل الشام طيلة مدة إمارته عليهم؟!

ـ ومن الكذب في هذه الأخبار على لسان الحسن أنه يتَّهم الخلفاء الثلاثة! ويَدحَضُ ذلك ما أوضحناه في علاقته مع أبي بكر وعمر وعثمان، وأنه كان مع أخيه الحسين مقرَّباً عندهم، وحسبك أنه كان ملازماً لعثمان أيام حصاره، ونافَحَ عنه يوم الدار وقاتل دونه، أَفَيحمي الحسنُ رجلاً اغتَصَب حقَّ أبيه في الخلافة ويدفع عنه غائلة الموت، أم تُراه يُسْلمه إلى مصيره المحتوم؟!

ـ أما موقفه من معاوية؛ فقد مرَّت في هذا الكتاب شواهد كثيرة تُبَهْرِج ما نَقَلـه أبو الفرج، ونَقْلُـهُ مطعونٌ فيه ابتـداءً، وحسـبك برواية الإمام البخاري التي تنص على أن الحسـنَ أحسَـنَ وِفادةَ وفد معاوية وأكرمهم واستمع إلى ما يبذله له معاوية بشأن الصلح، فقَبِل ذلك وقال: (فمن لي بهذا؟ قالا: نحن لك به، فما سألهما شيئاً إلا قالا: نحن لك به. فصَالَحَه).

فيا من يقرأ لأبي الفـرج وابن أبي الحديـد وأضرابهما: أتصدِّقون مبتدعاً محترِقاً يسوق الأكاذيب في كتبه، أم تصدِّقون الإمام البخاري في «صحيحه» الذي أجمعت الأُمة على أن كتابه أصح كتب الإسـلام بعد القرآن الكريم؟!

ـ وقد سُـقْنا من كتب الشيعة وغيرها مواقفَ الحسـن وخُطَبَه التي تدل على رغبته في الصلح، بل كانت من شروطه على أتباعه في بيعتهم له، فما قيمة هـذه الأخبار التالفة التي تصوِّر الحسـنَ راغباً في الحكم ساعياً إلى إرغام المخالِف بالقوة ليدخل في البيعة؟! إذاً لِمَ صالحه في النهايـة ولم يُهْرِق مـلْءَ مِحْجَمَةٍ من دم؟! أم أن ذلـك الصلح لم يقع والتاريخ كله كذب؟!

أسئلة يجيب عليها أصحاب العقول وأهل المروءة!

٣ ـ دوافع الحسن إلى الصلح:

يزعم بعضهم أن الحسن يريد مواصلة الحرب، وقد شجَّعه بعضُ الأكابر مثل ابن عبـاس على هذا. ويرى فريق آخر أن الخيانات في جيش الحسـن اضطرتْهُ إلى خيار الصلـح. وطائفة أخرى من الكتاب يقولون: إن الحسـن أرجأ الحربَ لأن واقع الأُمة يقتضي السِّـلم والصلـحَ، لا أنه هو في قرارة

نفسه يريد المسالمة والصلح. وثمَّة فريق رابع يدَّعي أن الحسن لمَّا رأى اختلافَ أهل العراق عليه، وأنه لا طاقة له بمعاوية؛ اضطر للهدنة والصلح.

•• يقول بعضهم: (واجَهَ الإمام الحسن أفعالَ أصحابه وإلحاحَهم بضرورة مُعالَنَة الحرب على معاوية دون أن يعطوه فرصةَ اتخاذ قرار الحرب من جانبه، من هؤلاء عبد الله بن عباس؛ فقد كتب إلى الإمام الحسن كتاباً من البصرة قال فيه:

أما بعد؛ فإن المسلمين ولَّوْكَ أمرهم بعد عليٍّ عليه السلام، فشَمِّرْ للحرب، وجاهِدْ عدوَّك، وقارِبْ أصحابك، واشترِ من الظَّنِين دينَه بما لا يَثْلِم لك دِيناً، ووَلِّ أهلَ البيوتات والشرف تستصلح به عشائرهم، حتى يكون الناس جماعة.... واعلَمْ أنك تحارِبُ من حارَبَ اللهَ ورسولَه في ابتداء الإسلام، حتى ظهر أمرُ الله، فلما وُحِّدَ الربُّ ومُحِقَ الشِّركُ وعَزَّ الدينُ، أظهَروا الإيمان وقرؤوا القرآن، مستهزئين بآياته، وقاموا إلى الصلاة وهم كُسالى، وأدَّوا الفرائض وهم لها كارهون!......

فجاهِدْهُم ولا ترضَ دنيَّة، ولا تَقْبل خَسْفاً، فإن علياً أباك لم يُجِبْ إلى الحكومة حتى غُلِب على أمره فأجاب، وإنهم يعلمون أنه أولى بالأمر إنْ حكموا بالعدل، فلما حكموا بالهوى رجع إلى ما كان عليه حتى أتى عليه أجلُه، ولا تخرجنَّ من حقّ أنت أولى به حتى يحول الموت دون ذلك، والسلام)[1].

---

(١) «عيون الأخبار» ١/١٤، «العقد الفريد» ١/٣٠، «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ٨/٢٣٩، «سيرة الأئمة الإثني عشر» لهاشم معروف الحسني ١/٥٥٨، «الحسن رائد الواقعية السياسية»، ص ٩٨ ـ ٩٩، ١٥٣ ـ ١٥٤، «الفتنة» لهشام جعيط، ص ٣٥٩. الظنين: كل من لا يوثَق به، والمتَّهم. يثلم: يعيب. خسفاً: أي ذلاً.

نقول: هــذا كلام مفترى على الحســن كمــا أنه مفتــرى على ابن عباس رضي الله عنهما:

ـ فقد ذكرنا في أكثر من موضع ونقلنا عن الحســن أنه قال في غير مناســبة أنه يريد الصلح، وأوضَحَ لأتباعه هدفَه وغايته من أول يوم في بيعته، وعَلِموا منه ذلك ولذا حاول بعضهم اغتيالَه أكثر من مرة.

واستقبل الحسن معاويةَ بكتائب أمثال الجبال، ولما جاءه وفدُه يبذل له ما يريد مقابل إبرام الصلح وحَقْن الدمــاء وجَمْع الكلمة؛ لم يتلبَّث في أمره بل سُرَّ بذلك واشترط شــروطاً واضحة كلها في سبيل تحقيق الصلح ومصلحة الأُمة وحفظ الأنفس وعودة السلام والوئام.

ـ وما جاء على لسان حبر الأُمة ابن عباس لا يصحُّ عنه البتَّةَ، وحاشاه أن يرمــي بتلك الاتهامــات الفظيعة فئةً من المســلمين كما شــهد لهم رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح، فهم ليسوا بأعداء ـ كما تفتري تلك الرواية ـ ولا يُعامَلون بالظن السيِّئ، ولا تُتبع معهم المخادعة في الحرب.

وكيف يتهم ابن عباس معاوية وأباه أبا سفيان وأهل الشام بمن فيهم من الصحابة؛ بأنهم بعد أن مُحِق الشــرك ووُحِّد الرب: أظهَروا الإيمانَ وقــرؤوا القرآن واســتهزؤوا بآياته وقامــوا للصلاة وهم كُســالى وأدَّوا الفرائض وهم كارهون؟! أهذه صفات المســلمين بَلْهَ أن يكونوا بعض صحابة النبي ﷺ الذين أســلموا قبل الفتح أو بعده، وقد قال الله تعالى فيهم: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديـد: ١٠]، أليــس معاوية وأمثاله من الصحابة من أهل الشــام ممن وعد الله الحســنى؟! أَفَغابَتْ هذه الآية الكريمــة عن حبر الأُمة وترجمان القرآن، حتى يفتريَ

ذلك الكلامَ على لسانه رواةُ المدائنيِّ وابنِ عبد ربه وابن أبي الحديد وغيرهم، ثم مَن ينقل عنهم مثل هاشم الحسني والدكتور حسين الحاج حسن وهشام جعيط وسواهم؟!

- وعلى التسليم بأن ما ذكَرَتْه الرواية صحيح، فكيف قَبِل الحسن بالصلح مع معاوية وتنازل له عن الخلافة، ثم بايَعَه وأمر أتباعَه بمبايعته ففعلوا؟! يفعل الحسن هذا مع كل ما وصف به معاوية وأهل الشام حسب تلك الرواية!! أليس في هذا أكبر اتهامٍ للحسن في تديُّنهِ وورعهِ؟!

ثم إن (الحسن إمام معصوم عند الشيعة) فلا يقع منه الخطأ، فكيف يصالح أهلَ الشام، وصفاتهم كما تزعم الرواية؟ إن تثبيتَ هذه الرواية وقبولَها يعني الطعنَ في عصمة الإمام... فلا مفرَّ من القول ببطلانها.

- وثمَّة ما هو أجَلُّ وأخطرُ: كيف يمتدح النبي ﷺ ذاك الصلحَ، ويصفُ الفريقين بالإسلام، ويغتبِط بالصلح ويرجو وقوعه ويشجِّع على السعي فيه، وهو ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، بينما تفتري الرواية على لسان الحسن وابن عباس أن معاوية وأهل الشام صفاتهم كذا وكذا؟!

أفَيَدري من يُلفِّق هذه الرواية التالفة، ومن ينقلُها ويروِّج لها: ما هو مؤدَّاها ومَنْ تتهم؟ النبيَّ ﷺ، الحسنَ، ابنَ عباس، معاوية، قيس بن سعد، عبد الرحمن بن سَمُرة، عبد الله بن عامر بن كُرَيْز....!! نعوذ بالله من الضلال والقول بالباطل.

هل الصادق إذاً: ابن عبد ربه وابن أبي الحديد وهاشم الحسيني والدكتور حسين الحاج وهشام جعيط وغيرهم ممن على مشربهم؟!

•• ويقول الدكتور حسين الحاج حسن متحدثاً عن خيانات جيش الحسن: (ولمَّا تفاقَمتْ ظاهرة الخيانة بين جميع كتائب الجيش وقبائل الكوفة، نهض الإمام إليهم وصارَحهم بالواقع قائلاً: يا أهلَ الكوفة أنتم الذين أكرهتم أَبي على القتال ثم اختلفتم عليه، وقد أتاني أن أهل الشرف منكم قد أتوا معاوية وبايعوه، فحَسْبِي منكم لا تغرُّوني في ديني ونفسي).

فكان الحسن أمام خيارات منها الصلح مع معاوية[1].

ونحن نقول: التاريخُ الصادق، وتجربةُ الحسن العملية والواقعية، وخبرتُه الطويلة طيلة عهد أبيه ونهايته المريرة ـ أكدَتْ لديه طبيعةَ أهل العراق وجندهِ وأتباع أبيه، وكَشفَتْ خياناتهم وأكاذيبهم وتخاذلَهم ونُكولَهم عن الحرب والنصرة والمواقف الرجولية الصادقة وقت الشدائد.... ثم رأى الحسن ذلك في تآمرهم عليه منذ الأيام الأولى للبيعة ومحاولة الاغتيال بالمدائن وغيرها.

كل ذلك لا دخلَ لمعاوية وغيره به، ولا مبرَّر للقول بأن الحسن انتظر حتى تجلَّتْ له خيانةُ أهل العراق بعد وقت طويل، مما اضطرَّهُ للصلح؛ فأحوالُهم لديه معروفة قديماً، وعزمُه على الصلح كذلك منعقدٌ منذ تسلَّم مقاليدَ الخلافة.

•• ويقول المَسْعودي: (وقد كان أهل الكوفة انتهبوا سُرادِقَ الحسن ورَحْلَه، وطعنوا بالخِنْجر في جوفه، فلما تيقَّن ما نَزَل به انقادَ إلى الصلح)[2].

---

(١) «الحسن رائد الواقعية السياسية»، ص ١٠٠ ـ ١٠١، وينقل عن: «سيرة الأئمة الاثني عشر» لهاشم معروف الحسني ١/٥٧٣.

(٢) «مروج الذهب» ٣/٩.



ويؤيده قـولُ اليعقوبي حيث تحـدث عن محاولة اغتيال الحسـن في «مُظلِم ساباط»، ثم قال: (وحُملِ الحسنُ إلى المدائن وقد نزف نزفاً شديداً، واشتدَّتْ به العِلَّة، فافترق عنه الناس. وقدِم معاوية العراق فغَلَب على الأمر، والحسنُ عليلٌ شديد العلة، فلما رأى الحسن أن لا قوة به، وأن أصحابه قد افترقوا عنه فلم يقومـوا له؛ صالَحَ معاويةَ، وصعد المنبـر فحمِدَ الله وأثنى عليه، وقال: أيها النـاس، إن الله هَدَاكم بأوَّلِنا وحَقَـنَ دماءكم بآخِرِنا، وقد سالَمْتُ معاويةَ، ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الأنبياء: ١١١])(١).

واقتفى أثرهما بعض الكتاب المعاصرين(٢).

وهذا وذاك ممـا لا تقوم عليه حجَّـة ولا دليل، بل منهجُ الحسـن وأعمالُه وسـيرورةُ الأحداث والمواقف والحقائق تَدْحَضُ هذا القولَ من هذين المؤرِّخَيْن ومن تابعهما: فلقد أوضحنا بالتفصيل مراحلَ الصلح، واطِّرادَ منهج الحسن في السـعي إليه من مبتدأ خلافته وحتى منتهاها. وأن ما جرى له من محـاولات اغتيال، أو خيانـات بعض الرجال من أتباعه، أو اضطراب جيشـه وافتراق أهل العراق عليـه... كل ذلك كان مكمِّلات ومؤيِّدات ومثبِّتات للهـدف الذي وَضَعَه والغاية التي حدَّدها، وأن الصلح كان عنده أمـراً أصيلاً ومصيرياً ومُبْرَمـاً، جاءت الأحداث المختلِفة لتبرهنَ على خيريَّتِه وصحةِ توجه الحسن وعمله فيه.

٤ ـ عام الجماعة:

ونشير هنا إلى رأي شـاذّ وكلام متهوِّر قيل بشـأن (عام الجماعة)،

---

(١) «تاريخ اليعقوبي» ١٢٢/٢.

(٢) انظر مثلًا: «الفتنة» لهشام جعيط، ص ٣٦١، «الحسن رائد الواقعية السياسية» للدكتور حسين الحاج حسن: ص ٢٠٤ ـ ٢٠٩، ٢١٣ ـ ٢١٦، ٢٢٠.

وصدر من رجل شهير في عالم الفكر وميدان الأدب، هو عباس محمود العقّاد، حيث يقول:

(فليس أضلُّ ضلالاً، ولا أجهلُ جهلاً من المؤرِّخين الذين سَمَّوا سنةَ إحدى وأربعين هجرية بعام الجماعة! لأنها السنة التي استأثَرَ فيها معاوية بالخلافة فلم يشارِكْه أحدٌ فيها، لأن صدر الإسلام لم يَعرف سنة تفرَّقت فيها الأُمة كما تفرَّقَتْ في تلك السنة، ووقع فيها الشتات بين كل فئة من فئاتها كما وقع فيها!)[١].

نقول: لو قال القائل: هذا الكلام والوصف أولى ما ينطبق على قائله، لما كان كثيراً!!

يَغْمِد هذا (المفكر!) إلى أئمة الإسلام وأكابر المحدثين والمؤرخين من أمثال: ابن عبد البرّ والطبري والخَطَّابي وابن عساكر وابن الأثير والمِزِّي والذهبي وابن كثير وابن حجر، وغيرهم؛ فيرميهم بالجهل والضلال!!

بل يتَّهم الصحابةَ الأجلاء من أمثال عبد الله بن عُمر وسعد بن أبي وقّاص وأنس بن مالك ومحمد بن مَسْلَمة وأبي موسى الأشعري وأسامة بن زيد والحسن ومعاوية؛ فيصفُهم بذاك الوصف الذي يَحُور على قائله.

والأعظم والأخطر من هذا وذاك أنه يُعاند ويُعارِض ويضادّ منطوقَ حديث رسول الله ﷺ وبشارته بذلك الصلح وامتداحَه له بقوله: «ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين».

---

(١) «معاوية بن أبي سفيان»، للعقّاد، ص ١٢٥.



أي جهلٍ وأي ضلالٍ وافتراءٍ أعظمُ من معارضة كل ذلك، بل ورميه بذاك الكلام التائه البائر الذي يَبوءُ معتقدُه بالخسران والعياذ بالله!

ثم تأمَّل التاريخ واحكُمْ: هل تفرَّقت الأُمة وتشتَّتَ شملُها واضطرب نظامها وتنازَعَ رجالُها واحتربت جيوشُها وسالَتْ دماؤها بعد ذاك الصلح؟!

أم الذي حدث بخلاف ذلك تماماً: أَمنٌ وأمان، رَخاءٌ ورغدُ عيش، اتفاق ووئام، اجتماعُ كلمة ووحدةُ دولة، جيوشٌ فاتحة ورسالة شامخة تنتشر كالريح الرُّخاء في شرق الأرض وغربها، من حدود كابُل والسِّنْد والهند شرقاً إلى أقصى بلاد المغرب غرباً....

لقد تماهَى هذا (الكاتب الكبير!) مع عُتاة الرافضة الذين يقعون في الحسن ومعاوية والصحابة والأُمة كلها، بسبب إنجاز ذاك الصلح الخالد الميمون، وإنما يفرح به المؤمنون المخلصون، ويرتاع منه كل من في قلبه مرض وضِغْن على الإسلام وأهله.

●● وثمَّةَ أمور أخرى فيها مطاعن وأكاذيب وأباطيل ومجازفات، رُويت بحقِّ الحسن ومعاوية، وبشأن الصلح وأسبابه وشروطه ونتائجه؛ لا نطيل بتتبُّعِها والردِّ عليها، وقد ذكرنا للقارئ بعض نماذج واتجاهات منها، ليقيس عليها نظائرها وأشباهها.



الباب الرابع

حياة الحسن ما بعد الصلح



الفصل الأول

حياة الحسن في عهد معاوية، ونمط جديد في الحكم

أجمعت الأُمــة على بيعــة معاوية بن أبي ســفيان ﵄، واجتمعت كلمتُها، وتوحَّد صفُّها، وصار للجيش الإســلامي راية واحدة، وللدولة عاصمة واحدة هي دمشــق، وساد الســلام في الأُمة بصورة عامة، وعَمَّ الأمن والأمان، وحُقنت الدماء، وكُبِت أصحاب الأهواء وخَمدتْ نيران فتنتهم التي بقيت تتلظَّى تحت الرماد.

وترحَّلَ الحســن بأخيه وأهله وآله إلى المدينة المنوّرة ليقضي بقية عمره فيهــا، والعلاقةُ بينــه وبين الخليفــة الجديد قائمــة على الحب والاحترام والإجلال وبخاصة من جهة معاوية الذي كان يتودَّد للحســن وأخيه وآله بالصِّلات والأَعْطيات.

وأبدَى معاوية هَدْياً بارعاً في الحكم وسياســة الناس، بما شهد له التاريخ بأنه كأنما خُلِق للمُلك والحكم والزعامة، مع ملاحظة أن مسمَّى الحكم قد تغيَّــر إلى (الملك)، كما تحول في آخــر عهده إلى ما عُرف بالحكم الوراثي، مع اتفــاق العلماء والمؤرِّخين على تســمية الحكام بالخلفاء وعهودهم بالخلافة؛ فقالوا: الخلافة الأموية، الخلافة العباسية، الخلافة العثمانية.

المبحث الأول ـ انتهاء عهد الحسن واستقراره بالمدينة وعلاقته مع الدولة:

•• ذكرنا بالتفصيل أن مدة حُكمِ الحسن كانت متمِّمة لعهد الخلافة الراشدة، والتي استغرقَتْ بمجموعها ثلاثين سنة؛ فخلافةُ الخلفاء الأربعة (أبي بكر وعمر وعثمان وعلي) تسع وعشرون سنة ونصف السنة وأيام، وتتمة الثلاثين هي مدة خلافة الحسن بن علي وكانت نحو ستة أشهر(١).

وفي بعض الروايات أن مدة خلافة الحسن زُهاءَ سبعة أشهر.

قال الحسن البصري: (صالح الحسنُ معاويةَ وسَلَّم الأمرَ له، وبايعه بالخلافة على شروط ووثائق). وحَمل معاويةُ إلى الحسن مالاً عظيماً يُقال خمس مئة ألف درهم، وذلك في جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين، وإنما كان وَلي قبل أن يُسلِّم الأمرَ لمعاوية سبعةَ أشهر وأحدَ عشر يوماً(٢).

وروى العباس بن هشام ابن الكَلْبي، عن أبيه قال: لمَّا قُتل عليٌّ، بايع الناس الحسنَ بن علي فوليها سبعةَ أشهر وأحدَ عشر يوماً.

وقال غير العباس: لقِيَ الحسنُ بن علي معاوية بِمَسْكِن من سواد الكوفة في سنة إحدى وأربعين، فاصطلحا، وبايَعَ الحسنُ معاويةَ.

وروى زياد بن عبد الله البَكَّائي عن محمد بن إسحاق قال: كان صلحُ معاوية والحسن بن علي ودخول معاوية الكوفة في شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين(٣).

---

(١) انظر ما تقدم: ص ٢٠٧ ـ ٢١٠ في هذا الكتاب.

(٢) «المستدرك» ١٧٤/٣، «تاريخ خليفة» ص ٢٠٣، «تاريخ الطبري» ١٦٣/٥.

(٣) «مختصر ابن عساكر» ٣٥/٧، «تهذيب الكمال» ٢٤٤/٦، «سير أعلام النبلاء» ٢٦٠/٣، ٢٦٣. «البداية والنهاية» ٤١/٨.

●● وأقام للناس حَجَّهم في موسم عام (٤٠هـ) الصحابي الجليل المغيرة بن شعبة، وقد افتُرِي عليه في هذا خبرٌ نقَلَه غيرُ واحد من المؤرخين:

روى الطبري بإسناده عن إسماعيل بن راشد قال: (لمَّا حَضَر الموسم ـ يعني في العام الذي قُتِل فيه عليٌّ عليه السلام ـ كتب المغيرة بن شعبة كتاباً افْتَعَلَه على لسان معاوية، فأقام للناس الحجَّ سنة أربعين. ويُقال: إنه عَرَّف يوم التروية، ونَحَر يوم عرفة؛ خوفاً أن يُفطَن بمكانه! وقد قيل: إنه إنما فعل ذلك المغيرةُ لأنه بَلَغه أن عُتبة بن أبي سفيان مُصَبِّحُه والياً على الموسم، فعَجَّل الحج من أجلِ ذلك!)[١].

وقد ردَّ الحافظ ابن كثير على الطبري في نقله هذا الخبر الساقط، فقال: (وهذا الذي نقله ابن جرير لا يُقبل، ولا يُظَنّ بالمغيرة رضي الله عنه ذلك! وإنما نَبّهنا على ذلك ليُعْلَم أنه باطلٌ؛ فإن الصحابة أجَلُّ قدراً من هذا، ولكن هذه نزعة شيعية!)[٢].

قلت: غَفَر الله للإمام الطبري كيف استجاز نَقْلَ هذا الخبر التالف وسَوَّدَ به كتابه؟! وكيف يُتَّهم صحابيٌّ جليل هو المغيرة بن شعبة في منزلته وعلمه ودهائه: بأنه وقف في صعيد عرفات في اليوم الثامن من ذي الحجة، وجَعَل يوم النَّحر في التاسع منه؟!.

أين المسلمون جميعاً في ذلك الموقف الجليل المهيب، هل ضلوا أم رضوا بهذا المنكر الذي فيه تبديل صارخ للشعائر؟! لو فعل هذا

---

(١) «تاريخ الطبري» ٥/١٦٠ ـ ١٦١، وجاء مختصر جداً في «تاريخ خليفة» ص ٢٠٣، و«المنتظم» ٥/١٦٧. عَرَّف: وقف بعرفات.

(٢) «البداية والنهاية» ٨/١٦.

رجلٌ من العامة في طائفة معه؛ لرماهم الناس بالحجارة وشَنَّعوا عليهم، فكيف يقبل الطبري الإمـام مثل هذا الخبر اللَّقيط بحقِّ الصحابي العَلَم المغيرة بن شعبة؟!

●● وبعـد أن فرغوا من الصلح وتمت البيعـة العامة لمعاوية، دخل معاوية الكوفة وولَّى عليها المغيرة بن شـعبة، وأمَّر عبد الله بن عامر بن كُريز على البصرة، ورجع هو إلى دمشق.

وتحمَّلَ الحسـن والحسـين ومن معهما من بني هاشم ويَمَّموا إلى المدينة النبوية، وأجاز معاوية الحسـنَ بثلاث مئـة ألف درهم، وألف ثوب، وثلاثين عبداً، ومئة جمل.

واستقر الحسن وآله في المدينة حيث ذكريات رسول الله ﷺ وخلفائه الراشـدين، وفيها أكابـر الصحابة كعبد الله بن عمـر وجابر بن عبد الله وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري، والمهاجرين والأنصار، وجماهير من التابعين، ينشـرون العلم والخيـر، ويعملون على جمـع الأُمة ووحدة الكلمة، ولا ينزعون يداً من طاعة[1].

وأجرى معاوية على الحسـن كلَّ سـنة أَلفَ ألـف درهم، وعاش الحسن بعد ذلك عشر سنين[2].

وفضلاً عن ذلك كان معاوية يبعث للحسن الأعطيات والمرتبات من الديوان، والجوائز والصلات المتنوعة ولا يقطعها عنه.

يروي ابن عساكر: أن معاوية أمر للحسن بن علي بمئة ألف، فذُهِب

---

(١) انظر: «تاريخ الطبري» ١٦٣/٥ ـ ١٦٥، «الفتح» ٣٨٣/١٦ (٧١٠٩).

(٢) «الاستيعاب» ٣٧٣/١، «الإصابة» ٣٢٩/١، «تهذيب الكمال» ٢٤٧/٦.

بها إليه، فقال لمن حوله: مَن أخذ شيئاً فهو له. وأَمر للحسين بن علي بمئة ألف، فذُهِب بها إليه، وعنده عشرة، فقسمها عليهم عشرة آلاف عشرة آلاف. وأمر لعبد الله بن جعفر بمئة ألف[1].

وكان معاوية إذا تلقَّى الحسنَ بن علي قال له: مرحباً وأهلاً بابن بنت رسول الله ﷺ، وإذا تلقى عبد الله بن الزبير قال له: مرحباً بابن عمَّة رسول الله ﷺ، وأمر للحسن بن علي بثلاث مئة ألف، ولعبد الله بن الزبير بمئة ألف[2].

وعن عبد الله بن بُرَيْدة: (أن الحسن بن علي دخل على معاوية، فقال: لأُجِيزنَّك بجائزة لم أجزْ بها أحداً قَبْلك، ولا أُجيز بها أحداً بعدك من العرب، فأجازَهُ بأربع مئة ألف، فقَبِلها)[3].

●● وكان الحسن يَفِدُ على معاوية بدمشق كل سنة، فيصِلُه بمئة ألف درهم، فقعد عنه سنةً فلم يبعث إليه معاوية بشيء، ثم لم يَلْبث معاوية أن ذَكَره وسأل عنه، فقيل له: لم يَقْدَم السنة، فأمر له (بمئتي ألف درهم)[4].

وقال معاوية يمتدح الحسن رضي الله عنهما:

أَمَا حسنٌ فابنُ الذي كان قَبْلَه ... إذا سار سارَ الموتُ حيثُ يسيرُ
وهل يَلِدُ الرِّئْبالُ إلا نظيرَهُ ... وذا حَسَنٌ شِبْهٌ له ونَظيرُ
ولكنّه لو يُوزَن الحِلْم والحِجَا ... بأمرٍ لقالوا: يَذْبُلٌ وثَبِيرُ[5]

(١) «تاريخ ابن عساكر» ١٣٣/٦٢، «مختصره» ٦٤/٢٥، «البداية والنهاية» ١٣٧/٨.
(٢) نفس المراجع في الحاشية السابقة.
(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» ٢٥٢/٧، «مختصر ابن عساكر» ٦/٧، ٦٤/٢٥، «سير أعلام النبلاء» ٢٦٩/٣. وإسناده حسن.
(٤) تقدم الخبر مطولًا: ص ١٠١ في هذا الكتاب.
(٥) «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ٣٦٦/٨. الرئبال: الأسد. يذبل وثبير: جبلان شهيران.

وهذا يدلُّ على الصلة الطيبة بين الحسن ومعاوية، وإجلال الرجلين كل منهما للآخر، وسيأتي مزيد بيان لذلك في الفصل الثاني من هذا الباب.

المبحث الثاني ـ عهد معاوية ونمط جديد من الحكم:

•• بانتهاء خلافة الحسن رضي الله عنه انتهت حِقْبة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، وابتدأ المسلمون عهداً جديداً أَخذ الحكم فيه فيما بعد معاوية رضي الله عنه نظامَ (الحكم المَلَكي) الذي استمر قروناً متطاولة. وطُبع عهدُ معاوية بوصف (مُلْك ورحمة) وعهودُ مَنْ بعده بوصف (المُلْك العاضّ، أو العَضُوض)؛ كما جاءت بذلك النصوص الصحيحة الثابتة[١].

عن النُّعمانِ بن بَشير بن سَعْد رضي الله عنهما قال: (كنَّا قُعوداً في المسجد مع رسول الله ﷺ، وكان بَشير رجلاً يَكُفُّ حديثَه، فجاء أبو ثَعلَبة الخُشَنيُّ فقال: يا بَشيرُ بنَ سعدٍ، أَتحفظُ حديثَ رسول الله ﷺ في الأُمراء؟ فقال حذيفةُ: أنا أحفظُ خطبتَه، فجلس أبو ثعلبة.

فقال حذيفة: قال رسول الله ﷺ: **«تكونُ النُّبوَّةُ فيكم ما شاءَ الله أن تكونَ، ثم يَرْفَعُها إذا شاءَ أن يَرْفَعَها. ثم تكونُ خلافةٌ على مِنهاج النبوة، فتكونُ ما شاء الله أن تكون، ثم يرفَعُها إذا شاءَ الله أن يرفَعَها. ثم تكونُ مُلْكاً عاضّاً، فيكونُ ما شاء الله أن يكون، ثم يرفَعُها إذا شاء أن يرفَعَها. ثم تكون مُلْكاً جَبْرِيَّة، فتكونُ ما شاء الله أن تكون، ثم يرفَعُها إذا شاء أن يرفَعَها. ثم تكونُ خلافةً على منهاج النبوَّة»**، ثم سَكَت)[٢].

---

(١) انظر هذه النبوءة الجليلة وشرحها في كتابي «نبوءات الرسول ﷺ» ٢/٤٠٢ ـ ٤٨٨.

(٢) أخرجه أحمد (١٨٤٠٦) واللفظ له، والطيالسي (٤٣٨)، والبزار (١٥٨٨)، وصححه الحافظ العراقي في «محجة القرب إلى محبة العرب»، والألباني في «الصحيحة» (٥)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

وعن عبد الله بن عباس ﭭ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَوَّلُ هذا الأمرِ نبوَّةٌ ورحمةٌ، ثم يكــونُ خلافةً ورحمــةً، ثم يكونُ مُلْــكاً ورحمةً، ثم يَتَكادَمُــونَ عليه تَكادُمَ الحُمُــر، فعليكُم بالجهــادِ، وإنَّ أفضَلَ جهادِكم الرِّباطُ، وإنَّ أفضَلَ رِباطِكم عَسْقَلانُ**»(١).

●● مكــث معاوية أميــراً للمؤمنيــن لدولة عظيمة واســعة الأرجاء عشرين سنة، وأوصى في آخر عهده بالخلافة لابنه يزيدَ باجتهادٍ منه أدَّاه إليه ظروف وملابسات تلك الحِقْبة، وبذلك تحوَّل الحكم الإسلامي من النظام الشــوري إلى النظام الوراثي (الملكي)، واستمر المسلمون على هذا المبدأ في الحكم قروناً متطاولة زادت على الألف سنة!

وتحدثت الأحاديث النبوية عن هذه المرحلة من تاريخ المســلمين، وهي بلا مراء دون عهد الخلفاء الراشــدين في بهائها ورشادها وعدلها وتديُّنها وزهدهــا وإخلاصها وصفائهــا ومَضَائها والتزامها وسياســتها وحفظها للأنفس والأموال والمناصب والولايات.... وقد شــابها بعض التغيير والتقصير والدَّخَــن والتفريط، والخروج عن جادة الصواب قليلاً أحياناً وكثيراً أحياناً أخرى، لكنها في الوقت نفسه مستعصمة بحبل الله، مستمســكة بالإســلام، مناصرة لمبادئه، مقارعة لأعدائه، شديدة البأس على كل من يناوئه أو يريد به وبالمســلمين ســوءاً، لم تبتغِ به بديلاً، ولا اســتعاضَتْ عنه أو عن أجزاء منه بمبادئ أرضية أو أهواء بشــرية، فضلاً عن أن تنبذه وراءها ظِهريّاً، فهذا ما لــم يحدث طيلة هذه الحِقْبة على امتداد زمانها... والنظام العام للدولة قائم على الإسلام وبالإسلام،

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبيــر» ١١/٨٨ (١١١٣٨)، وذكره الألباني في «الصحيحة» (٣٢٧٠) وقال: إسناده جيد.

ولو اعتوره الضعف والفتور، لكنه ما اعتراه التحريف أو التبديل.

وطليعة هذه المرحلة هي عهد معاوية ﵁، وهي دون عهد الخلفاء الراشـــدين، وأفضَلُ مِن كل ما جاء بعدها، وهـــي ـ والله أعلم ـ المعنيَّة بقوله ﷺ: «ثم يكون مُلْكاً ورحمة».

وشـــواهد التاريخ تدل على خيرية عهد معاوية وما ساد فيه من علوٍّ أمر الإسلام، وسيادة كلمته، وانسياح الفتوحات، وانتشار الأمن والأمان، وشـــيوع الرحمة ووحدة الكلمة، واســـتقرار أمور الدولة.... وقد شـــهد بذلك أجلَّاء الصحابة وخيار التابعيـــن وحقائق التاريخ، بالرغم ما أُخِذ عليه من سَنِّ (ولاية العهد) والتي ســـار عليها من جاء بعده، مع إعذار جمهرة مـــن النقاد والباحثيـــن له في ســـلوك ذلك الاجتهـــاد لظروف وضرورات قدَّرها في وقتها ومصلحة راجحةٍ رآها[1].

والحقيقة الكبرى التي يجب التأكيد عليها وترســـيخُها في الأذهان وتثبيتُها في التاريـــخ أن الحكم الأموي لم يتولَّ قيادة الأمة الإســـلامية ويُنصِّب نفسه في ســـدَّة الخلافة بقوة السلاح وغَلَبة الجيش، بل بصلح امتدحه رسول الله ﷺ ونَفَّذه ســـبطُه الكريم في مفاوضات التراضي بين الطرفيـــن المتخاصمين، أعقب ذلك بيعةٌ عامة أجمعَـــتْ عليها الأمة إلا شرذمة من بقايا الخوارج[2].



(١) انظر: «نبوءات الرسول ﷺ» ٢/٤٤٠، ٤٤٣.

(٢) انظر: «الدولة الأموية» للدكتور يوسف العش، ص ١٣٠.

الفصل الثاني

بين الصحابيين الحسن ومعاوية
(تثبيت حقائق وتزييف أباطيل)

نتناول في هذا الفصل تبيانَ العلاقة بين الصحابيين الجليلين القائمةِ على الودِّ والاحترام المتبادل بينهما، ووصفاً موجزاً لشخصية كل منهما، وبخاصة معاوية لأننا فصَّلْنا القولَ في مكونات شخصية الحسن. وكذلك التركيز على ما أُثير ورُوي من أكاذيب وافتراءات حول العلاقة بينهما، فلقد أساء الرواة والمؤرخون والكتّاب والمصنِّفون كثيراً بحقِّ معاوية، ورَمَوه بالتُّهم الباطلة والظنّ الكاذب، حتى اتهموه بأنه وراء موت الحسن بتقديم السمِّ له!!

المبحث الأول ـ وصف موجز لشخصية الحسن ومعاوية:

أولاً: شخصية الحسن القيادية الإصلاحية:

وهبَ الله تعالى الحسنَ بن علي خصائص ومزايا رفيعة جليلة، ووَرِث من أصوله المُعْرِقة في الشرف والنُّبل أكرمَ الشمائل والخصال، وصِيغَتْ شخصيتُه على عين رسول الله ﷺ وفي أحضان علي وفاطمة؛ فبرزت صفاته وخصائصه وقوِيَ أثَرُها في بناء شخصية متميزة تتمتع بمقومات السيادة ومؤهّلات الزعامة الشريفة والقيادة الرشيدة، وبُني ذلك على العلم بأمور الإسلام وحقائقه وسيرورة التاريخ وموجِّهات الأحداث. ورَدَفَ ذلك فقهٌ عميق لروح الحكم وأهدافه وغاياته،

ومكونـــات المجتمع، وتوجُّهـــاتِ مكوِّناتـــه وفعالياته ونُخبـــه العلمية والسياســـية والمذهبية. وتزيَّـــنَ بالحِلْم والأناة وهما صفتـــان برزتا في شخصيته حتى صارتا كأنهما بَضْعة منه وأصلٌ في مكوناته! وشَفَع ذلك بالزهد في الدنيا ومغرياتها وخُدَعها، وكمَّل ذلك بكرمه الفذّ وسماحته ونُبْله.

ومن أهم ركائز شـــخصيته: الاستقلالية والذاتية في صياغة المواقف واتخاذ القرارات، فلم يكن تبعـــاً لأبيه ولا لغيره، ولم تأسِـــرْه الهزات الكبرى التـــي زلزلـــت الدولة والمجتمـــع، ولا خَضَع لضغـــط الواقع ورغبـــات الجمهور وجُموح الأحـــداث... بل كان متحـــرِّر العقل منوَّر الفكر عميقَ الغَوْر مسدَّدَ الرأي ثابتَ الخُطا؛ وهذا ما جعله يُبرم قراراته بحكمة ودقة، وهـــو ينظر إلى منبر الحكم على أنه مســـؤولية وتكليف وأمانة ثقيلة، وليس اســـتعلاءً وتشريفاً وسبيلاً للاســـتغلال والقفز فوق مصالح الدين والدولة والأُمة(١).

ثانيـــاً: معاوية بن أبـــي ســـفيان (مكونات شـــخصيته، ومرتكـــزات حكمه وسياسته):

أ ـ فضائل معاوية ومناقبه:

أســـلم معاوية رضي الله عنه يوم الفتح، وقيل قبل ذلك، فهـــو مع أمثاله من الذين يشـــملهم قول الله تعالـــى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

---

(١) انظر: ما كتبناه حول مكونات شخصية الحسن، ص ١٣٣ ـ ١٤٨ في هذا الكتاب.

وغزا مع رســـول الله ﷺ غزوة حُنَين وما بعدها، وصَحِبه وسمع منه وكتب له، فهو ممن تشرف بشـــرف الصحبة وفاز بها، فكان مع أولئك الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

وهو رضي الله عنه من صفوة النـــاس هَدْياً ونُبلاً وعلماً وأدبـــاً وحِلْماً وعقلاً وسيادة وسياســـة وحكمة ودهاءً، قرَّبه النبي ﷺ إليه، وائتمنه على كتابة الوحي وأثنى عليه ودعا له. وأمَّره الفاروق عمر على عامة بلاد الشـــام، وأقرَّه عثمان على ذلك، فوَلي الشـــامَ للخلافة الراشدة عشرين سنة، ثم اضطلع بمهمة الإســـلام كلها عشرين ســـنة أخرى في الوطن الإسلامي كله؛ فحَكَم المسلمين أربعين سنة، كان فيها من خِيار ولاة الإسلام في مختلِف صفات الحاكم المسلم القوي الحكيم العادل الحليم.

عن عبد الله بن عَمْرو قال: (كان معاويةُ يكتُب لرسول الله ﷺ)(١).

وعن ابن عباس قال: (كنتُ غلاماً أســعَى مع الغِلْمان، فالتفتُّ فإذا أنا بنبيٍّ الله ﷺ خَلْفي مُقبِلاً... فقال: «**اذهَبْ فادْعُ لي معاويةَ**». قال: وكان كاتِبَهُ، فســعيتُ فأتيـــتُ معاويةَ، فقلـــت: أجِبْ نبـــيَّ الله ﷺ فإنه على حاجة)(٢).

(١) «سير أعلام النبلاء» ٣/١٢٣، وقال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات.

(٢) أخرجه أحمد (٣١٠٤)، وقال شعيب: إسناده حسن.

وعن عبد الرحمن بن أبي عَمِيرة وكان من أصحاب رسول الله ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال لمعاويةَ: «اللَّهمَّ اجْعَلْهُ هادياً مَهْدِيّاً، واهْدِ بهِ»(١).

وعن عبد الرحمن بن أبي عَميرة؛ أن النبي ﷺ قال لمعاويةَ: «**اللَّهمَّ عَلِّمْهُ الكتابَ والحسابَ، وقِهِ العذابَ**»(٢).

ب ـ ثناء الصحابة والتابعين ومن بعدهم على معاوية:

•• وقد أثنى على معاويةَ الصحابة والتابعون ممن عاصره ورأى هَدْيه وسياسته وأعماله المجيدة الكثيرة، وحسبك بتزكية عمرَ له في توليته الشام كله، فما شكاه أحدٌ، ولا عَزَله الفاروق وقد عزل مَن هو خير من معاوية بكثير مثل سعد بن أبي وقّاص.

ـ عن أبي الدرداء قال: (ما رأيتُ أشبَهَ صلاةً برسول الله ﷺ من أميركم هذا. يعني معاوية)(٣).

ـ وقال سعد بن أبي وقّاص: (ما رأيتُ أحداً بعد عثمانَ أقضَى بحقٍّ من صاحب هذا الباب، يعني معاوية)(٤).

ـ وعن الزُّهْرِيِّ قال: (حدَّثني عروة بن الزبير أن المِسْوَر بنَ مَخْرَمة أخبره أنه قدِم وافداً على معاويــة، فقضَى حاجتَه، ثم دعاه فأَخْلَاه فقال:

---

(١) أخرجه الترمذي (٤١٧٧)، وأحمد (١٧٨٩٥)، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، وصححه الألباني، وقال شعيب: رجاله ثقات رجال الصحيح.

(٢) «سير أعلام النبلاء» ١٢٤/٣، «الإصابة» ٤٠٧/٢ وعزاه الحافظ هنا للطبراني، وقال الذهبي: حديث قوي، وقال شعيب: رجاله ثقات، وانظر كلام الألباني في الصحيحة: الحديث (١٩٦٩).

(٣) «سير أعلام النبلاء» ١٣٥/٣، وعزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٣٥٧/٩ للطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح غير قيس بن الحارث المَذْحِجي وهو ثقة.

(٤) «سير أعلام النبلاء» ١٥٠/٣، «مختصر ابن عساكر» ٤٧/٢٥.

يا مِسْـوَر، ما فعل طَعْنُك على الأئمـة؟! فقال المِسْـوَر: دَعْنا من هذا وأَحْسِنْ فيما قدِمْنَا له! قال معاوية: لا والله، لَتَكَلَّمَنَّ بذاتِ نَفْسك والذي تعيبُ علَيَّ. قال المِسْـوَر: فلم أتركْ شـيئاً أعيبُه عليه إلا بيَّنْتُه له، قال معاوية: لا بَرِئ من الذنب، فهل تَعُدُّ يا مِسْـور ما نلي من الإصلاح في أمر العامة، فإن الحسنة بعشر أمثالها، أم تَعُدُّ الذنوبَ وتتركُ الحسنات؟! قال المِسْـور: لا والله ما نذكر إلا ما نَرى من هذه الذنوب! قال معاوية: فإنَّا نعترفُ لله بكل ذَنْبٍ أذنباه، فهل لك يا مِسْـوَر ذنوبٌ في خاصَّتِك تخشـى أن تُهلِكَكَ إنْ لم يَغفِرْها الله؟ قال مِسْور: نعم، قال معاوية: فما يجعلُكَ أحقَّ أن ترجو المغفرة منِّـي؟! فوالله لَمَا أَلِي من الإصلاح أكثر مما تلي، ولكنِّي والله لا أُخيَّر بين أمرين: بين الله وبين غيره؛ إلا اخترتُ الله على ما سـواه، وأنا علـى دِين يَقبـل الله فيه العمـل، ويَجزي فيه بالحسنات، ويجزي فيه بالذنوب، إلا أن يعفو عمَّن يشاء، فأنا أحتسِبُ كلَّ حسنة عملتُها بأضعافها... فتفكَّرْ في ذلك! قال المِسْور: فعرفتُ أن معاوية قد خَصَمني حين ذَكَر لي ما ذَكر.

قال عروة: فلم نسـمع المِسْـور بعد ذلك يذكُـر معاويةَ إلا صلَّى عليه!!)[1].

ـ وعن ابن أبي مُلَيْكَة قال: (أوتَرَ معاويةُ بعد العشـاء بركعةٍ، وعنده مولى لابن عبـاس، فأتى ابنَ عباس، فقـال: دَعْهُ فإنه صَحِب رسـولَ الله ﷺ)[2].

---

(١) «تاريخ بغداد» ٢٠٨/١ ـ ٢٠٩، ابن عسـاكر: «مختصره» ٤٧/٢٥ ـ ٤٨، «سير أعلام النبلاء» ١٥٠/٣ ـ ١٥١، وقال شـعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات. وأخرجه من طريق آخر: عبد الرزاق في «مصنفه» (٢٠٧١٧) وسنده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٦٤).

ومولى ابن عباس المذكور هو كُريب، كما جاء في رواية أخرى: عن كُريب مولى ابن عباس: (أنه رأى معاويةَ صلَّى العشـاء، ثم أوتر بركعةٍ واحدة لم يَزِدْ، فأخبر ابنَ عباس، فقال: أصـابَ أي بُنَيَّ! ليس أحدٌ منَّا أعلَمَ من معاوية!)(١).

هكذا يقول حَبْر الأُمة، وإنما يَعرف الفَضْلَ لأهل الفضلِ أهلُ الفضل.

ـ وعن جَبَلة بن سُـحَيم: (عن عبد الله بن عُمر قـال: ما رأيتُ أحداً أَسْـوَدَ من معاوية! قلتُ: ولا عمـر؟! قال: كان عمر خيـراً منه، وكان معاوية أسودَ منه).

روي من طُـرق، وذكر ابنُ عمر فيها: (أبا بكـر وعمر وعثمان!)(٢). ومعنى أسود: أعظم سيادة.

ـ وجاء من وجهين عن الأعمش عن مجاهد قال: (لو أدركتُم معاويةَ لقلتُم: هذا المهدي).

ـ وقال أبو هريـرة المُكْتِب: (كنَّـا عند الأعمش فذكـروا عمر بنَ عبد العزيز وعَدْلَه، فقال الأعمـش: فكيف لو أدركتم معاويةَ؟ قالوا: في حِلْمه؟ قال: لا والله بل في عَدْله).

ـ وعن أبي بكر بن عيَّاش، عن أبي إسحاق السَّبِيعي قال: (ما رأيتُ بعدَه مثلَه ـ يعني معاوية ـ)(٣).

---

(١) «مسند الشـافعي» ١٠٨/١، «سـير أعلام النبلاء» ١٥١/٣ ـ ١٥٢، «الفتح» ٧١٤/٨ ـ ٧١٥ شرح الحديث (٣٧٦٤)، وقال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات.

(٢) «مختصر ابن عساكر» ٥٣/٢٥ ـ ٥٤، «منهاج السُنَّة» ١١١/٣، «سير أعلام النبلاء» ١٥٢/٣، «البداية والنهاية» ١٣٥/٨.

(٣) هذه الأخبار في: «مختصر ابن عساكر» ٥٣/٢٥، «منهاج السُنَّة» ٦٥٦/٣.

ـ وعن قَبِيصة بن جابر قال: (صحبتُ معاويةَ بن أبي سفيان؛ فما رأيتُ رجلاً أثقلَ حِلْماً ولا أبطأَ جهلاً ولا أبعدَ أناةً منه)(١).

ـ وعن ابن عباس قال: (لمَّا احتُضِر معاويةُ قال: إنِّي كنتُ مع رسول الله ﷺ على الصَّفَا، وإني دعوتُ بِمِشْقَصٍ، فأخذتُ من شَعره، وهو في موضع كذا وكذا، فإذا أنا مِتُّ، فخُذوا ذلك الشعرَ فاحْشُوا به فمي ومِنخري!)(٢).

•• فهذه شهادة النبي ﷺ لمعاوية وتزكيته له، وتلكم شهادات الصحابة الأخيار والتابعين لهم بإحسان، فما قيمة أي كلام يخالفهم ممن جاء بعدهم؟!

ومعاوية كما يقول الحافظ الذهبي: (قد سادَ وساسَ العالم بكمال عقله، وفَرْط حِلْمه، وسَعَة نفسه، وقوة دهائه، ورأيه. وكان محبَّباً إلى رعيَّتِه، عمل نيابة الشام عشرين سنة، والخلافة عشرين سنة، ولم يَهِجْه أحدٌ في دولته، بل دانت له الأُمم، وحَكَم على العرب والعجم، وكان ملكُه على الحرمين ومصر والشام والعراق وخراسان وفارس والجزيرة واليمن والمغرب وغير ذلك)(٣).

وتكلم شيخ الإسلام ابن تيمية بكلام جليل نفيس عن معاوية رضي الله عنه، في «منهاج السُّنَّة» و«مجموع الفتاوى»(٤).

---

(١) «المعرفة والتاريخ» ٤٥٨/١، «مختصر ابن عساكر» ٥٦/٢٥.
(٢) «سير أعلام النبلاء» ١٥٨/٣، «مختصر ابن عساكر» ٨٥/٢٥، المشقص: نصل طويل عريض.
(٣) «سير أعلام النبلاء» ١٣٣/٣.
(٤) انظر: «منهاج السُّنَّة» ١٢١/٣، ٦٦٤، ٧٣١، ٤٦٢/٤، «مجموع الفتاوى» ٥٨/٣٥ ـ ٦٦، وص ٣١١ في كتابنا هذا.

●● ولا يجوز سَبُّ أي صحابي أو الطعنُ عليه أو الإزراءُ به أو اتهامه، فضلاً عن لَعْنِه أو الحكم بضلالهِ وكُفْرِهِ وردَّته والعياذُ بالله تعالى، فقد زكَّاهم الله تعالى ونبيه ﷺ عموماً وخصوصاً.

قال ابن تيمية: (مَن لَعَن أحداً من أصحاب النبي ﷺ، كمعاوية بن أبي سفيان وعَمْرو بن العاص ونحوهما، ومن هو أفضَلُ من هؤلاء كأبي موسى الأشعري وأبي هريرة ونحوهما، أو من هو أفضل من هؤلاء كطلحة والزبير وعثمان وعليّ..... فإنه مستحقٌ للعقوبة البليغة باتفاق أئمة الدين، وتنازَعَ العلماء: هل يُعاقب بالقتل، أو ما دون القتل؟)(١).

ج ـ مؤهلات معاوية ومكونات شخصيته:

معاوية رضي الله عنه من رجالات الدهر وأفذاذ الرجال وخلاصة الحكام، ذو شخصية فريدة، عميق الغَوْر، شموليُّ الرؤية، متعدِّد المواهب، أصيلُ الغايات، رَحْب الصدر، راسخ الحِلْم، مبسوط العطاء، يَمُتُّ إلى الشرف والسيادة بأصل أصيل، خبيرٌ بالرجال من أصحاب الكفاءات والطموحات، متبصِّر بسيرورة أحداث التاريخ وتقلُّبات الدول والأُمم والجماعات، ذو اقتدار فذٍّ على حلِّ عُضَل المشكِلات، متوثِّب للتوسع بالدولة ونشر الرسالة... وبكلمة موجزة: معاوية رجلُ حكمٍ وسياسة، مناسبٌ لمكونات عصره وتقلُّبات دهره.

١ ـ فهو من حيث الإسلامُ والصحبةُ قد أسلَم أيام الفتح أو قبلها، وينضوي تحت قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ

(١) «مجموع الفتاوى» ٣٥/٥٨، وانظر: ٥٩ ـ ٦٦، «منهاج السُنَّة» ٣/١٢٥ ـ ١٢٦.

بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقوله ﷻ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠].

وعِرْضُه محميٌّ بقول رسول الله ﷺ: «**لا تَسُبُّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أَنفَقَ أحدُكم مثلَ أُحدٍ ذَهَباً ما بَلَغ مُدَّ أحدِهم ولا نَصِيفَه**»(١).

وله من المؤهلات الإسلامية والفضائل: أنه صحِب النبيَّ ﷺ، وكَتب له الوحي، وجاهد معه وغبَّر قدميه في سبيل الله، وروى عنه ﷺ وحدَّث بأحاديث كثيرة جليلة، ودَعَا له ﷺ كما تقدم، وأومأ إلى ولايته شؤونَ الحكم ـ صغيرة أو كبيرة ـ بقوله ﷺ: «**يا معاويةُ، إنْ وُلِّيتَ أمراً فاتَّقِ الله ﷻ واعْدِلْ**»، قال معاوية: فما زلتُ أظنّ أني مُبْتلًى بعملٍ لقول النبي ﷺ حتى ابتُلِيتُ(٢).

٢ ـ وله خبرة طويلة وعميقة في حكم البلاد وسياسة العباد:

فقد أمَّره أمير المؤمنين عمر على بعض ولايات الشام، ثم جَمع له الشامات كلها، ولم يَشْكُه أحد، ولم يعزله عمر؛ وهذا من أجلِّ الشهادات له بكياسته ونجاح سياسته ورضا الأُمة عنه، واستمر على بلاد الشام كلها طيلة عهد عثمان، فكانت مدة حكمه لها في ظل الخليفتين عشرين سنة(٣).

٣ ـ له ماضٍ مجيد في الفتوحات وقيادة الجيوش في البر والبحر:

وإليه يعود الفضل في ركوب المسلمين البحار والغزو فيها، وتكوين الأسطول البحري الإسلامي، وقد امتدح رسول الله ﷺ هذه السابقة منه

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١)، وأبو داود (٤٦٥٨)، وغيرهم.
(٢) أخرجه أحمد (١٦٩٣٣)، وقال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات.
(٣) انظر ما تقدم: ص ٣٦٧ في هذا الكتاب.

وأثنى على ذاك الجيش الذي يغزو في البحر مجاهداً في سبيل الله فاتحاً للأمصــار وراء البحار. وذلك في الحديث الصحيــح عن أم حَرَام بنت مِلْحَان: (أنها سمعتِ النبي ﷺ يقول: «**أَوَّلُ جيشٍ من أُمتي يَغزون البحرَ قد أَوْجَبوا**»، قالت أم حَرَام: قلتُ: يا رســول الله، أنــا فيهم؟ قال: «**أنت فيهم**». ثم قال النبي ﷺ: «**أولُ جيشٍ من أُمتي يَغزون مدينةَ قَيْصرَ مغفورٌ لهم**»، فقلتُ: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: «**لا**»)[(١)].

وقد تــمَّ ذلك في عهــد عثمان بن عفــان، حيث وافــق على غزو المســلمين في البحر بإلحاح من معاوية، فخــرج معاوية بجيش متجهاً إلى حِمْصَ ومنها إلى الساحل الســوري وتوجَّهوا إلى جزيرة (قُبْرص) وافتتحوها وأدخلوا الإسلام إليها سنة (٢٨هـ)[(٢)].

ولقد كان لمعاوية فضل الســبق في تكوين (البحرية الإســلامية)، وفتح الباب للمســلمين لخوض غمار البحار، وليتقنوا الحرب البحرية إضافة إلى تمرســهم بالحرب البرية، وبذلك مهــد لفتوحات الأندلس غرباً والهند شرقاً، وبهذا قدم للفتوحات الإسلامية أعظم الخدمات[(٣)].

٤ ـ معرفة عميقة محيطة بالرجال وكفاءاتهم ومكانتهم وأهميتهم:

ثم إن معاوية عارف بالرجال، يفهم نفسياتهم وأطوارهم، ويمتزج بتلك النفســية والأطوار فيسيِّرها نحو هدفه، ويُحســن التصرف بها كل الحُسن، يسوس الناس بما ينبغي أن يُساسوا به، فيُقْبِلون عليه متودِّدين طائعين[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٨٨، ٢٧٨٩)، ومسلم (١٩١٢)، وأبو داود (٢٤٩٠)، وغيرهم.
(٢) «نبوءات الرسول ﷺ» ١٣٦/١ ـ ١٣٨.
(٣) المرجع السابق ٢٨٧/١.
(٤) «الدولة الأموية» للدكتور يوسف العش، ص ١٣٧.



ويتضح ذلك من خلال سياسته في الشـام إبَّان عهد عمر وعثمان، مع الصحابة الأجلَّاء (عبادة بن الصامت وأبـي ذَرّ الغفاري) وغيرهما. وكذلك مع أصحاب الفتن والخلاف كما جرى له مع (المُسَـيَّرين من الكوفة) الذين أقلقوا الدولة في خلافة عثمان. وأيضاً مع الساسة والقادة في أثناء خلافه مع عليٍّ: كما ظهر مثلاً في تعامله مع ولاة مصر والعراق واليمن وغيرها، وكذلك مع الحسن بن علي، وقيس بن سعد بن عبادة والمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص، وكيف تمكن من توجيه الأحداث للوصول إلى الصلح.

وبعضُ الزائغين والمبغِضين السـبَّابين اللعَّانيـن، يعتبرون ذلك من معاوية ضعفاً في الدين والورع وترخصاً في شـراء الذِّمم وبَذْل الرِّشـا لذلك! ولكلٍّ وجهةٌ هو مولِّيهـا، و(النيَّات) والمقاصدُ هي أصل العمل والقبول عند الله تعالى.

٥ ـ النظرة العميقة الشمولية الممتدة للأحداث وسيرورتها:

ومما عُرف عن معاوية أنه كان بعيدَ النظر كل البعد، فهو لا يدرس مسـائل السـاعة وحدها، بل يرى من خلالها خطوطاً للمسـتقبل عليه رسمُها ووضعُها موضعَ التنفيذ. وهذا البعد في النظر والعمق في درس الأشياء يرافِقُه صبرٌ شديد وتحمُّل للمشاقّ دون تضجر وتأفف(١).

ومن تأمَّلَ في أقـوال معاوية ومواقفه وأعماله وسياسـته للأحداث والأشخاص والمشكِلات، منذ عهد عثمان وخروج السَّبِئيَّة وعَيْثِهم في الأمصار، وكذلـك طيلة عهد عليٍّ ثم مع السـبط الكريم الحسـن بن

(١) المرجع السابق.

علي... يرى حُسن هَدْي معاوية وعمقَ فكره وبُعْدَ نظره وشفوف ذهنه في استشراف المستقبل، ومن ثَم نجاح سياسته ومصداق رؤيته وخطته.

ومرة أخرى نقول: أصحاب الهوى والشنآن والكراهية والكيد للإسلام وأهله؛ ينفِّسون عما في صدورهم على الإسلام والمسلمين ودولتهم فيطعنون عليهم جميعاً من خلال قذف معاوية بالموبقات، وأنه صاحبُ مكرٍ وخِداع ودهاء خسيس في شراء الذِّمم وحَبْك المؤامرات لتحقيق مآرب شخصية تنتهي بالوصول إلى سدَّة الحكم.

٦ ـ الحلم والأناة وسعة الصدر واستيعاب المخالفين:

وهو أمر اشتهر معاوية به بين أقرانه من دُهاة العرب مثل عَمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وقيس بن سعد بن عبادة، وعُرِف به في سيرته الشخصية ومواقفه العامة مع الكبار والصغار والقريب والبعيد.

كان رضي الله عنه يرافقه حِلْمٌ راسخ وتواضعٌ أصيل، يصل به إلى أن يفتح صدره لجليسه ويرفعه إلى أكثر مما ينبغي، ويَبْسُط العُذْر، ولا يزيده جهلُ الجاهل عليه إلا حلماً.

ولقد وسِع بهذه الخصال الجليلة الموافقَ والمخالف، واستطاع أن يقود دولة واسعة الأرجاء مترامية الأطراف ممتزجة الأجناس متعددة الأعراق مختلفة الاتجاهات، فسَادَ العالمَ بحلْمِه ودهائه وصبره وحكمته.

٧ ـ العدل في الحكم:

وهو ركيزة أساسية وركنٌ أصيل لا تقوم الدول بدونه، ولا تستمر الحياة والحضارة بغيابه، ولا يَعمُّ الأمن والأمان باختلاله.

ومن أجلِّ البراهين على تحقيق معاوية للعدل في سلطانه؛ أنه حكم المسلمين أربعين سنة، عشرين منها أميراً للمؤمنين عامة، لم يَحدُثْ خلالها سوى خروقات قليلة، لكن السِّمَة العامة رضا الرعية عن سياسته، وأن الناس كانوا يحبُّونه وهو يحبُّهم.

وقد شهد بذلك معاصروه ومن جاء بعدهم ممن كان قريب العهد به، وفيهم صحابة أجِلَّاء وتابعيون أخيار، تُقبل شهاداتهم لجلالتهم وإمامتهم وصدقهم، لا كما يزوِّر أعداء الإسلام والمبغِضون ممن جاء بعد عهد معاوية بدهر، ولا تقبل شهادتهم لأنهم يَصدرون عن الهوى والبغضاء ومجافاة العدل والإنصاف.

٨ ـ الكرم والسخاء وبسط اليد:

وهي صفة مهمة وخطيرة في آنٍ واحد، وتجمُل بالمسؤول والأمير والحاكم شريطة أن تكون بحقٍّ وتهدف إلى غاية نبيلة، وقد كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم والذين لم يتمكن الإيمان ويرسخ في أنفسهم الأموالَ الطائلة ليأخذهم إلى الإسلام ويُطفئ شِرَّة نوازِعِهم، ويَدَعُ السابقين والأكابر إلى إيمانهم وإخلاصهم.

ومعاوية رضي الله عنه كان كريماً سخياً لا يُدانى في هذا، فالأموال تغدق من بين يديه دون حساب، وهو لا يعدُّها، لكنه يحسن التصرف فيها، فلا يعطيها إلا إذا عادت عليه وعلى المسلمين ودولتهم بالفائدة، ولا يتصرف فيها إلا في محلها، فهي خادمة له وتؤدي أوامره وتحقق غاياته[1] في تأليف القلوب وجَمْعِ الشمل وحلِّ المُعضِلات ودَرْء المفاسد والمشكِلات.

(١) انظر: «الدولة الأموية» للدكتور يوسف العش ص ١٣٧.

ومن أبرز أَعطياته الجزيلة ما كان يرسـل به إلى الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبيـر وعبد الله بن عمر وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم.

٩ ـ قدرة فائقة على حل المشكلات:

من أهم وأجلِّ وأوجَبِ ما يتميز به أميرٌ لمصرٍ أو حاكم لدولة، ومن باب أولى أمير المؤمنين في دولة شاسـعة وكتلة بشرية ضخمة مكونة من خليط هائل من الأعراق ـ أن يتصف بقدرة واسعة وسريعة وحكيمة في دراسـة المشـكِلات ومعرفة رجالها وبواعثها وأهدافها، ثم يحسن التعامل معها في توجيهها أو حَلّ مُعتاصِها....

ومعاوية بما آتاه الله تعالى مـن مواهب ومَلَكات وخصائص؛ تمكَّن من أن يُجابِه معضلات كثيرة، وأن يفكِّك عُراها ويتقي ويقي الأُمة شَرَّها وضرَّها على نحو فذٍّ.

لقد كانت أمامه مشكِلات ومعضِلات وتحديات متعددة وكبيرة، فما هي وكيف عالجها؟

كان أمامه رجالٌ كبار القَدْر لهم شـرف الصُحبة، وكان يعرف كيف يرفع من منزلتهم عنده وعند الناس، ويبذل لهم حقوقهم، ولا يَدَع أحداً ينقم عليهم أو يُسيء إليهم في قول أو فعل.

ثم هناك أهل الشـرف والبيوتات الكبيرة، فكان يحفظ لهم منزلتهم ويُغْـدِق عليهم الكثير بما يناسـب مكانتهم في المجتمـع، ويَحُوطهم بمظاهر الإكرام والتبجيل، ليبقوا كذلك عند العامة والخاصة.

ثـم أمامه أعراب يجب أن يسـبقَهم إلـى غايتهـم، وأن يقف أمام



تجاوزهم الحدود، وكان يسبقهم ببعدِ نظره وغَوْره، فيدهِشهم بفصاحته وانطلاق لسانه وأفكاره.

وأيضاً توجد في المجتمع الآراء والمذاهب والنزعات، وهذا يقتضي منه الحكمة والحلم والتسامح والتغاضي، وتحاشي التشدُّد والتعنّت إلا إذا قُصِد الخصام، مع استبعاد القتال إلى أقصى أجل.

وثمة أقطار مختلفة وأعراق متعددة وأمزجة شتى وألسنة متنوعة؛ في الشام والحجاز ومصر والعراق والمغرب والمشرق في فارس وسواها، يجب أن تحاط بعناية وتُدارى، وتُدار بأساليب شتى، لا بطريقة واحدة وميزان واحد؛ ولقد كان معاوية قديراً على تحقيق المواءمة إلى درجة باهرة[1].

وأثبت معاوية خلال حِقْبة امتدت سنين طويلة مقدرةً فائقة على حُسن السياسة والتعامل مع جميع الأطياف والفئات والجماعات والأفراد والمذاهب والانتماءات المحلية، والمعضلات والتحديات.

•• وخلافةُ معاوية وحكمُه وسياسته (حكومةُ مُلْكٍ وعدْلٍ ورحمة)، وهو أحدُ الخلفاء الاثني عشر الذين اجتمعت عليهم الأمة في تاريخ الإسلام، كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة:

ـ ففي حديث ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**أول هذا الأمر نبوة ورحمة، ثم يكون خلافة ورحمة، ثم يكون ملكاً ورحمة...**» الحديث[2].

---

(١) «الدولة الأموية» للدكتور يوسف العش، ص ١٣٧ ـ ١٣٨، بتصرف.

(٢) تقدم مع تخريجه: ص ٣٥٩ في هذا الكتاب.

- وعن جابر بن سَمُرة قال: (قال رسول الله ﷺ: «**لا يزالْ هذا الدينُ عَزيزاً مَنِيعاً، يُنْصَرون على من ناوَأَهم عليه، إلى اثني عشر خليفةً**»، قال: ثم تكلَّم بكلمةٍ أَصَمَّنِيها الناسُ، فقلتُ لأَبـي: ما قال؟ قال: «**كلُّهُم من قريشٍ**») لفظ ابن حبان.

وفي رواية لأبي داود: عن جابر قال: سـمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**لا يـزالُ هذا الدينُ قائماً حتـى يكونَ عليكم اثنا عشـر خليفةً، كلّهم تجتمعُ عليه الأمة**»[1].

ويذكـر العلّامة المؤرخ ابن خلـدون رأياً طريفاً فـي اعتبار معاوية مُلْحَقاً بالخلفاء الراشـدين، فيقول: (إن دولة معاوية وأخباره كان ينبغي أن تُلحق بدول الخلفاء الراشـدين وأخبارهم، فهـو تاليهم في الفضل والعدالة والصحبة)[2].

ويوضح هذا ما قاله العلّامة المحدِّث المجدِّد ولي الله الدّهلوي: (إن أهداف الخلافة الراشـدة لم تتحقق في عصر عليٍّ، ولكن عندما تولى معاوية الولاية فقد اتفق الناس عليـه ورُفِعت الفُرقة فيما بينهم واتحد المسـلمون على كلمة واحدة، رغـم أن معاوية ما كان يفوق على علي بـن أبي طالـب رضي الله عنه ولكنه قـد حقق أهـداف الخلافة الراشدة)[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٢٢)، ومسـلم (١٨٢١)، وأبـو داود (٤٢٧٩) و(٤٢٨٠)، وابن حبان (٦٦٦٢) و(٦٦٦٣)، وغيرهـم. وانظر: شـرح الحديـث في كتابي «نبوءات الرسـول ﷺ» ٢/٢٦٥ ـ ٢٧٢.

(٢) «تاريخ ابن خلدون» ٢/٤٥٨.

(٣) «إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء» ١/١٤٣، «علي وبنوه» للنجرامي: ص ٨٣.



المبحث الثاني ـ علاقات التبجيل والاحترام بين الحسن ومعاوية:

الـــذي تثبته النصوص الصحيحـــة وتقتضيه العقول الســـليمة وترتضيه القلوب النقية والنفوس الطاهرة الزكية ـ أن الصحابيين الجليلين والزعيمين الكبيرين الحسن ومعاوية ﭫ كانا على مســـتوى رفيع وهَدْيٍ حَسنٍ جميلٍ في علاقاتهما ببعضهما، من الإكبار والإكرام والتبجيل والاحترام، وحُسْـــنِ الظن، وجميلِ الأدب في الأقوال والأفعال والمواقف والتصرفات.

والذي يُثبت ذلك ويؤيِّده حديثُ رســـول الله ﷺ في بُشراه بالصلح ومَدْحِه له وثنائه على رجاله ثم الرغبةُ الراســـخة عند الحســـن بتحقيقه والتلميح والتصريح بمنهجه في هذا في مواقف متعددة متناسقة مطَّرِدة. وكذلك مبادرة معاوية وإســـراعه في إرســـاله وفداً للســـعي فـــي عَقْده وإمضائه. ثم ما تبع ذلـــك وزكَّاه وأيَّده من بيعة الحســـن لمعاوية على رؤوس الأشهاد، وحمله أخاه الحسين وابن عمه عبد الله بن جعفر على البيعة وكذا جميع أهل العـــراق وكافة أتباعه. وما كان من جانب معاوية من تقديم عروض الصلح وقبول ما يريده الحســـن من شروط، ومن ثم تمام الصلح ودخول معاوية الكوفة ثم ذهابه إلى دمشق، ورحيل الحسن بأهله وذويه إلى المدينة، على رضا تام من الفريقين.

إنه لو لم يَـــرَ كلُّ رجل في الآخـــر من الأهليـــة والفضل والصدق والرغبة في صلاح الدين والدولة والأُمة، لَمَا سعى إلى ذلك ولا رضي بالمفاوضة وبالتالي لَمَا جرَتْ مقدمات الصلح ولَمَا تحقق.

أَفَبَعْـــدَ أن اصطلَح الرجلان والتأَمَ الشـــملُ وتوحَّدتِ الدولة واجتمعتِ الأمة وطَفِئَت الفتن ـ يَنْكُثُ كلٌّ من الصحابيين بما اتفقا عليه، ويتجه كل

منهما إلى مساوئ الأقوال والأفعال؟! هذا ما لا يفعله آحاد الناس العقلاء، فضلاً عن الصحابيين الكريمين والزعيمين الجليلين الحسن ومعاوية!

وتأصيلاً على هذا، وبغضِّ النظر عن المواقف الرائعة الأخرى، فإنه لا يُعقل ولا يُقبل ما يختلِقُه ويرويه ويروِّجُه المبغِضون للصحابة والمفترون عليهم والساعون في إثارة الخلاف والبغضاء والشحناء في صفوف الأُمة، وبخاصة بعد تحقيق ذلك (الصلح الخالد المبارك)، وهدف الأفاكين من وراء ما يثيرونه:

ـ الإساءة للإسلام ورجاله ودولته.

ـ الطعن على بني أُمية وخاصة منهم أولئك الذين حملوا لواء الإسلام والفتوحات بعد الخلفاء الراشدين، وأوصَلُوا الإسلامَ إلى أقاصي المشرق والمغرب، وأطفؤوا نيران المجوسية وعقائد الوثنية.

ـ الإساءة إلى الحسن بن علي وآل البيت بأنهم كانوا طامحين إلى الحكم والتسلط على رقاب العباد، ساعين في شَقِّ صف الأُمة، سبَّابين شتَّامين يُكْثِرون الوقيعة بمن خالفهم، وهم برآء من ذلك.

ـ إحياء الفتن والنفخ في رمادها؛ لتفتيت وحدة الأُمة وهَرَاقة الدماء فيها!

١ ـ معاوية وتقديره واحترامه وصِلاته للحسن وآله:

روى أبو زُرْعة الدمشقي بإسناده عن قَبِيصة بن جابر قال: (قدِمْتُ على معاوية، فرفَعْتُ إليه حوائجي، فقضاها)، ثم ذكر قصة وفي آخرها: قال معاوية: (أما كِرْمةُ قريشٍ فسعيدُ بن العاص، وأما فتاها حياءً وحِلْماً وسخاءً فابنُ عامر، وأما الحسن بن علي فسيِّدٌ كريم)[1].

---

(١) «تاريخ أبي زرعة الدمشقي» ٥٩٢/١ ـ ٥٩٣. كِرْمة: كريم. تقول: رجلٌ كَريم وكَرِيمة وكِرْمة ومَكْرَم ومَكْرَمة وكُرَام وكُرَّام وكُرَّامة. «لسان العرب» ٥١٠/١٢.



وروى ابن أبي الحديد قصة جَرتْ بين الحسن بن علي وزياد بن أبيه ـ وكان والياً لمعاوية ـ فيها إساءة أدبية من زياد للحسن، فكتب معاوية إلى زياد يعنِّفه، وكان مما قاله في رسالته:

(وأما كتابُكَ إلى الحسن باسمه واسم أُمِّه، ولا تَنْسبه إلى أبيه، فإن الحسن وَيْحكَ من لا يُرْمَى به الرَّجَوَان[1]! وإلى أيِّ أمٍّ وكلْتَه لا أُمَّ لك! أمَا علمتَ أنها فاطمةُ بنت رسول الله ﷺ، فذاك أفخَرُ له لو كنتَ تعلمُه وتعقِلُه!

وكَتَب في أسفل الكتاب شعراً، من جملته:

أَمَا حَسَنٌ فابنُ الذي كان قبْلَه ... إذا سارَ سارَ الموتُ حيثُ يَسيرُ
وهل يَلِدُ الرِّئْبالُ إلَّا نظيرَهُ ... وذا حَسَنٌ شِبْهٌ له ونظيرُ
ولكنَّه لو يُوزَنُ الحِلْم والحِجَا ... بأمرٍ لقالوا: يَذْبُلٌ وثَبِيرُ[2]

ومما يدلُّ على إجلال معاوية للحسن أنه روى فضائلَه ومنزلته من قلب النبي ﷺ، فعن معاوية قال: (رأيتُ رسولَ الله ﷺ يَمُصُّ لسانَه أو قال: شفَتَه ـ يعني الحسنَ بن علي صلوات الله عليه ـ وإنه لن يُعَذَّبَ لسانٌ أو شَفَتانِ مَصَّهُما رسولُ الله ﷺ)[3].

وبقي معاوية طيلة حياة الحسن يُغدِق عليه من العطاء والجوائز والهبات إكراماً وصلةً وبِرّاً له ولأهله الأطهار.

فكان مما أعطاه بعد الصلح ما في بيت مال الكوفة ليقضي ديونه

(١) الرَّجَا: ناحيةُ كل شيء، وتثنيتُه: رَجَوَان، كعَصاً وعَصَوان. ورُمِيَ به الرَّجَوانِ: استُهِينَ به.
(٢) «شرح نهج البلاغة» ٣٦٦/٨، وتقدم الشعر، ص ٣٥٧ في هذا الكتاب.
(٣) أخرجه أحمد (١٦٨٤٨)، وقال شعيب: إسناده صحيح. وقد تقدم: ص ٨٦ في هذا الكتاب.

ومواعيده وجوائزَه للناس، ويُرضي أتباعه الذين لا يرضيهم ولا يصلحهم إلا المال.

وأجازه كذلك بثلاث مئة ألف درهم، وألــف ثوب، وثلاثين عبداً، ومئة جمل.

وكان الحسن يَفِدُ على معاوية بدمشق، فربما أجازه بأربع مئة ألف، وراتبه في كل سنة مئة ألف[1].

وروى جعفر بن محمد المعروف بالصــادق، عن أبيه محمد الباقر: (أن الحسن والحسين كانا يَقْبلان جوائز معاوية)[2].

ولما اســتقرت الخلافــة لمعاوية كان الحســين يتردَّد إليــه مع أخيه الحســن، فيُكرِمهمــا معاوية إكرامــاً زائداً، ويقــول لهما: مرحبــاً وأهلاً، ويعطيهمــا عطاءً جزيلاً. وقد دخــلا على معاوية يوماً فأمــر لهما في وقته بمئتــي ألف درهم، وقــال: خُذاها وأنا ابــنُ هند، ما أعطاهــا أحدٌ قبلي، ولا يُعطيها أحدٌ بعدي. فأما الحسن فكان رجلاً سِكِّيتاً، وأما الحسين فقال: والله ما أعطى أحدٌ قبلك ولا أحدٌ بعدك لرجلين أشرفَ ولا أفضَلَ منَّا!)[3].

ولما توفي الحسن كان الحسين يَفِدُ إلى معاوية في كل عام فيُعطيه ويكرمه، وقد كان في الجيش الذين غزوا القســطنطينية مع ابن معاوية يزيدَ، في سنة إحدى وخمسين هجرية[4].

---

(١) انظر ما تقدم: ص ٣٥٧ في هذا الكتاب.

(٢) «سير أعلام النبلاء» ٢٦٦/٣.

(٣) «البداية والنهايــة» ١٥٠/٨ ـ ١٥١، «مختصر ابن عســاكر» ٦٤/٢٥، ابن عســاكر «ترجمة الحسين» ص ٣٤.

(٤) «البداية والنهاية» ١٥١/٨.



٢ ـ منزلة معاوية عند الحسن:

أجَلُّ ما يُستدل به، وأعظمُ ما يُعتمد عليه في بيان منزلة معاوية عند الحسن، وإكباره له، ورضاه عن هَدْيه وسيرته ـ أنه تنازَلَ له عن الحكم، وبايَعَه على إمـرة المؤمنين، وأمر أخاه الحسـينَ وابنَ عمه عبد الله بن جعفر وأتباعَه بمبايعته، وقد تم ذلك.

فأيُّ إكبارٍ وإجلالٍ وإكرامٍ وتقدير لمعاوية أعظمُ من أن يراه الحسن أهلاً ليكون أميراً للمؤمنين وحاكماً عاماً لجميع المسلمين؟!

لو أن الحسـن ولى واحداً من رجاله ولاية علـى واحد من أمصار الدولة، لاعتُبِر ذلك تزكيةً له وثقـةً به وإجلالاً له، فكيف به وقد تنازل عن حقِّه في الخلافة التي تسـلَّمها وحَمَل أعباءها ستة أشهر، ثم سَلَّمها لمعاويـة سـليمةً باردة معافـاة لا شـائبة فيها ولا بغضاء ولا شـحناء ولا خلاف ولا دماء!

أَفَيَحتاج بعد هذا باحثٌ منصف أو رجلٌ عاقل عنده دين ومروءة أن يبحث عن أدلة وشـواهدَ ونصوص يَسـتضيء بها على حبِّ الحسـن لمعاوية وإجلاله له وثنائه عليه؟!

ثم إن الحسن قد عاش في ظلال خلافة معاوية عشرَ سنين، ما عَلِمنا ـ برواية مقبولة سليمة ـ أنه وقع به أو أساء إليه أو تكلم عليه بجرح أو عَيْب!

بل الواقع بخلاف ذلك نجدُ الحسن يأخذ على يدي أخيه الحسين، ويعِظُه ويُرشِـده ويأمره بالبيعـة، وينصحه بعدم إثـارة أي بلبلة عليه، ويحذِّره من الوشـاة والأوغاد وأصحـاب الأهواء والبغضـاء من أنهم

يتستَّرون بحبِّهم له ثم يَدخلون من هذا الباب للطعن عل معاوية وإثارة الحسين عليه وعلى حكمه.

وعندما تمَّ الصلح قال بعضُ أتباع الحسن له: يا مُذِلَّ المؤمنين! فرَدَّ عليهم بكلام كله حكمة وحِلْم وأدب وفَهْم؛ يروي ذلك عامر الشعبي فيقول: (حدثني سفيان بن الليل قال: قلتُ للحسن بن علي لمَّا قدِم من الكوفة إلى المدينة: يا مذلَّ المؤمنين! قال: لا تقُلْ ذاك، فإني سمعتُ أَبي يقول: لا تذهبُ الأيام والليالي حتى يَملك معاوية، فعلمتُ أن أمرَ الله واقعٌ، فكرِهتُ أن تُهراقَ بيني وبينه دماء المسلمين).

وفي رواية عن الحسن أنه سمع أباه علياً يقول: (لا تَكْرهوا إمارة معاوية؛ فوالله لئن فقدتُموه لَتَروُنَّ رؤوساً تَنْدُر عن كواهِلها كأنها الحَنْظل!)[١].

٣ ـ أقصوصة (سُمّ الحسن) واتهام معاوية بتدبيرها:

ذكرت كثير من المصادر التي ترجمت للحسن ﵁ أنه سُقِي السُّمُّ ومات بسببه، وأشار جمع من المصنفين والمؤلفين قديماً وحديثاً بأصابع الاتهام إلى معاوية ﵁ وأنه وراء قتل الحسن بالسمِّ، وأنه أبدى فرَحه بذلك!

•• طَرَف من الروايات:

١ ـ روى أبو الفرج الأصفهاني في «مقاتله» عن إسماعيل بن عبد الرحمن قال ـ بعد أن ذكَر تمامَ الصلح ـ: (وانصرف الحسن ﵁ إلى المدينة فأقام بها، وأراد معاويةُ البيعةَ لابنه يزيد، فلم يكن شيء

(١) «تاريخ ابن عساكر» ١٥١/٥٩. وانظر ما تقدم: ص ٢٧٣، ٢٩٢ في هذا الكتاب.

أثقَلَ من أمرِ الحسن بن علي وسعد بن أبي وقّاص، فَدَسَّ إليهما سُمّاً فماتا منه)[١]!

٢ ـ وروى عن أبي بكر بن حفص قال: (توفي الحسن بن علي وسعد بن أبي وقّاص في أيام متقاربة، بعدما مضى من إمارة معاوية عشرُ سنين، وكانوا يرون أنه سقاهما سُمّاً)[٢].

٣ ـ وروى أبو الفرج وغيره عن مُغِيرة بن مِقْسَم قال: (أَرسل معاويةُ إلى ابنة الأشعث: إني مزوِّجُكِ بيزيدَ ابني، على أن تَسُمِّي الحسنَ بن علي! وبَعث إليها بمئة ألف درهم، فقبِلَتْ، وسَمَّتِ الحسنَ. فسَوَّغَها المالَ ولم يزوِّجْها منه؛ فخَلَف عليها رجل من آل طلحة فأَوْلَدَها، فكان إذ وقع بينهم وبين بطونِ قريشٍ كلامٌ عيَّروهم، وقالوا: يا بَنِي مُسِمَّة الأزواج)[٣].

وعن مُغيرة، عن أم موسى سُرِّيَّة علي بن أبي طالب: (أنَّ جَعْدة بنتَ الأشعث بن قيس سَقتِ الحسنَ السُّمَّ، فاشتكى منه شكاة، فكان توضع تحته طَسْتٌ وتُرفع أخرى، نحواً من أربعين يوماً)[٤].

٤ ـ وروى محمد بن سَلَّام الجُمَحِيُّ عن ابن جُعْدُبة قال: (كانت جَعْدة بنتُ الأشعث بن قيس تحت الحسن بن علي، فدَسَّ إليها يزيدُ أن سُمِّي حَسناً، إنني زوجُك، ففعلَتْ. فلما مات الحسن بَعثت جعدةُ إلى يزيد تسألُه الوفاءَ بما وعدها، فقال: إنَّا والله لم نَرْضَكِ للحسن، فَنَرضاكِ لأنفُسِنا؟!)[٥].

---

(١) «مقاتل الطالبيين» ص ٨٠، ونقلها عنه ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» ٢٥٧/٨.
(٢) «مقاتل الطالبيين» ص ٨١، «شرح نهج البلاغة» ٢٥٨/٨.
(٣) «مقاتل الطالبيين» ص ٨٠، «الإرشاد» للمفيد ص ١٧١، «شرح نهج البلاغة» ٢٥٨/٨.
(٤) «تهذيب الكمال» ٢٥٢/٦ ـ ٢٥٣، «سير أعلام النبلاء» ٢٧٤/٣ ـ ٢٧٥.
(٥) «تهذيب الكمال» ٢٥٣/٦، «مختصر ابن عساكر» ٣٩/٧ ـ ٤٠.

٥ ـ وروى ابن سـعد من طريق الواقدي، عن عبد الله بن جعفر، عن عبد الله بن حسن قال: سـمعتُ بعضَ من يقول: (كان معاويةُ قد تلطَّف لبعض خَدَمهِ أن يَسقيه سُمّاً)(١).

ـ وذكر المسـعودي أن زوجة الحسن: جَعْدة بنت الأشعث بن قيس الكندي سَقَتْه السُّمَّ بأمرٍ من معاوية، وعِدَة منه بأن يزوِّجها ابنَه يزيد.

ولم يذكر غير هذه الرواية(٢).

ـ وقـال ابن عبد البـرّ: (وقـال قتـادة وأبو بكر بن حفص: سُـمَّ الحسنُ بن علي، سَمَّتْه امرأتُه بنتُ الأشـعث بن قيس الكندي. وقالت طائفة: كان ذلك منها بتدسـيس معاوية إليها، وما بَـذَل لها في ذلك، وكان لها ضرائر، فالله أعلم)(٣).

وتابعه ابن الأثير، وجزم به السيوطي!(٤)

ـ وجزم كثير من الرافضة المعاصرين بأن معاوية وراء هذه الحادثة:

فذكر أحدهم أن معاوية بعد أن اسـتقرَّ له الحكم أراد أن يعهد لابنه يزيد بالخلافة، ووجود الحسـن يُقلِقه، فكان مـن رأيه أن يتخلص منه، فتمَّ له ذلك عن طريق زوجته بنت الأشـعث، قـال: (وجَعْدة هذه بنتُ أبيها، من أسرة انتهازية مجرمة لها تاريخها الأسود، جُبلت على الطمع وحُبِّ الدنيا، فاستجابت لتنفيذ الطلب.

---

(١) «تهذيب الكمال» ٢٥٢/٦، «سير أعلام النبلاء» ٢٧٤/٣.
(٢) «مروج الذهب» ٦/٢.
(٣) «الاستيعاب» ٣٧٤/١.
(٤) «أسد الغابة» ١٥/٢، «تاريخ الخلفاء» ص ١٩٢.

قال فيها الإمام الصادق: إن الأشعث اشترك في دم أمير المؤمنين، وابنته جعدة سَمَّت ابنَه الحسن، وابنه اشترك في دم ابنه الثاني سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام)[١].

وقال نحوه الموصوف عند الرافضة بالإمام المجاهد راضي آل ياسين[٢].

نقد هذه الروايات:

حرصت على أن أسوق هذه الروايات المختلفة معزوَّةً إلى الراوي الذي قالها والذي ينتهي به السند، لنقدِها أولاً من حيث الإسناد، ثم من جهة المتن.

فمن حيث الإسناد:

١ ـ **الرواية الأولى**: بغضِّ النظر عن أبي الفرج الأصفهاني وكلامِ الأئمة في رَفْضِه وغلوِّه، فإن إسماعيل بن عبد الرحمن ترجم له الذهبي في «ميزان الاعتدال»، ونقل عن الأَزْدي قولَه فيه: منكَر الحديث. وذكر البخاري أنه لا يُتابَعُ على حديثه[٣].

٢، ٣ ـ **والروايتان الثانية والثالثة**: ضعيفتان أيضاً، فأبو بكر بن حفص ومغيرة بن مقسم لم يدركا زمن القصة، فروايتهما منقطعة في أقل أحوالها.

٤ ـ **والرواية الرابعة**: ابن سلَّام الجُمَحيّ عن ابن جُعْدُبة، وابن

(١) «الحسن رائد الواقعية السياسية» ص ٣٦٢، وهو ينقل عن: «أعيان الشيعة» للعاملي ٧٨/٤.

(٢) «صلح الحسن» ص ٥٩.

(٣) «ميزان الاعتدال» ٢٣٧/١، «التاريخ الكبير» ٣٦٢/١.

جعدبة هو يزيد بن عياض: كذَّبه الإمام مالك، وقال النسائي: متروك، كذاب، ليس بشيء! وقال أحمد بن صالح: كان يضع الحديث[١].

فهي رواية باطلة موضوعة!

٥ ـ **الرواية الخامسة**: ضعيفة جداً، فالواقدي ضعيف، وعبد الله بن حسن لم يدرك وفاة الحسن، ويرويها عن (بعض من يقول) وهو مُبْهَم!

فهذه الروايات أسانيدها كلها ضعيفة أو واهية، لا تقوم بها حجَّة في مثل هذا الأمر الجليل، وقضيةُ اغتيال رجل كبير مثل الحسن رضي الله عنه، ليست مما يُتسَاهَل فيه من حيث قبولُ الأخبار الضعيفة.

وأما من حيث المتن:

•• فقد ردَّ هذه الأُخلوقة جماعة من أكابر الحفاظ النقاد، ومنهم:

١ ـ الإمام أبو بكر بن العربي حيث قال: (فإن قيل: قد دَسَّ ـ معاوية ـ على الحسن مَن سَمَّه! قلنا: هذا مُحال من وجهين:

أحدهما: أنه ما كان ليَتَّقي من الحسن بأساً وقد سَلَّم الأمر.

الثاني: أنه أمرٌ مغيَّب لا يعلمه إلا الله، فكيف تحملونه بغير بيِّنة على أحد من خَلْقه في زمان متباعِد لم نثِق فيه بنقل ناقل، بين أيدي قوم ذوي أهواء، وفي حال فتنة وعصبية، يَنسب كل واحد إلى صاحبه ما لا ينبغي؟! فلا يُقبل منها إلا الصافي، ولا يُسمع فيها إلا من العدل الصميم)[٢].

---

(١) «الجرح والتعديل» ٢٨٢/٩، «تهذيب الكمال» ٢٢١/٣٢.

(٢) «العواصم من القواصم» ص ٢٢٠ ـ ٢٢١.



٢ ـ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأما قول الرافضي: إن معاوية سَمَّ الحسنَ.

فهذا مما ذكره بعض الناس، ولم يَثبت ذلك ببيِّنة شرعية، أو إقرارٍ مُعتبَرٍ، ولا نقلٍ يُجزم به. وهذا مما لا يمكن العلمُ به، فالقول به قول بلا علم).

وعلَّق على زعم بعض الروايات بأن الأشعث والدَ جَعْدة هو الذي أمرها بذلك: بأن الأشعث مات سنة (٤٠ أو ٤١هـ) قبل الحسن بعشر سنين، فكيف يكون هو الذي أمر ابنته أن تَسُمَّ الحسن[١]؟!

٣ ـ وقال الحافظ الذهبي: (هذا شيء لا يَصحّ، فمن الذي اطَّلع عليه؟!)[٢].

٤ ـ وذكر الحافظ ابن كثير بعض هذه الروايات، وأن ذلك بسعيٍ من معاوية ويزيد، ثم قال: (وعندي أن هذا ليس بصحيح ـ عن يزيد ـ وعدم صحته عن أبيه معاوية بطريق الأَوْلى والأَحرى)[٣].

٥ ـ وقال العلّامة المؤرخ ابن خلدون: (وما نُقل من أن معاوية دسَّ إليه السمَّ مع زوجته جَعْدة بنت الأشعث؛ فهو من أحاديث الشيعة وحاشا لمعاوية من ذلك)[٤].

وغَفَر الله للأئمة: ابن عبد البرّ وابن الأثير والسيوطي، كيف نقلوا هذه الأُخلوقة وسكتوا عليها ولم ينقدوها بكلمة!!

---

(١) «منهاج السُّنَّة النبوية» ١٢٦/٣، ١٢٧.

(٢) «تاريخ الإسلام ـ عهد معاوية» ص ٤٠.

(٣) «البداية والنهاية» ٤٣/٨.

(٤) «تاريخ ابن خلدون» ٥٢٧/٢.

قلت: إضافةً إلى ما تقدم من أقوال الجهابذة في إبطال هذه الأبطولة، فثَمَّةَ ما يَدْحَضُها ويبيِّن وهاءَها بل افتراءَها على معاوية:

١ ـ تقول إحدى الروايات: إن معاوية سَمَّ الحسنَ وسعدَ بن أبي وقّاص، وهي رواية بلهاء، وراويها لا يدري ما يخرج من رأسه! فالحسن توفي سنة (٤٩هـ) في رأي الأكثر، وسعد توفي سنة (٥٥هـ)، وبينهما ست سنين؛ فهل يُعقل أن يعيش سعد ست سنين ثم يموت من أثر السمِّ، أم أن السم قد أثَّر في الحسن من فوره، وأما سعدٌ فتمادى به التأثير ست سنين؟! أم أن معاوية دسَّ السم لهما في وقتين متباعدَيْن؟! ما هذا السخف.

٢ ـ تناقضت الروايات واضطربت: فروايةٌ تقول: إن الذي حضَّ جَعْدة على أن تَسُمَّ الحسن هو معاوية، ورواية ثانية تتهم يزيدَ بذلك، ورواية ثالثة تقول: الذي فعل ذلك بعض خدم الحسن.

وهذا اضطراب في الرواية، مع ضَعْفها، يُؤْذِن بسقوطها.

٣ ـ ثم هل جَعْدة بنت الأشعث بن قيس بحاجةٍ إلى المال أو المكانة الرفيعة والشرف، فتسعى لإرضاء معاوية ويزيد للزواج بيزيد؟

إنها ابنةُ الأشعث بن قيس الأمير الشريف المطاع أمير كِنْدة، وزوجُها الحسن بن علي أفضلُ الناس شرفاً وسيادة ومنزلة في زمانه... فماذا تريد جعدةُ أرفَعَ وأجَلَّ من هذا حتى تقوم بذاك الفعل الخطير الغادر؟!

٤ ـ وأمر رابع: وهو أن الحسن قد سالَمَ معاويةَ رضي الله عنهما، وتنازَلَ له عن الخلافة، ولم يبدُر منه أي إزعاج لمعاوية، ولا توجد رواية تدل على أن معاوية تخوَّف من الحسن، فلِمَ يُقْدِم على هذا العمل الدنيء؟!



والرواية التي تزعم أن معاوية خشي من الحسن لمَّا أراد أن يعهد بالخلافة لابنه يزيد؛ هي رواية ساقطة، فالحسن توفي سنة (٤٩هـ)، ومعاوية فكَّر بتولية يزيد في أواخر عهده بعد مضي نحو تسع سنين!

بل إن بقاء الحسن حياً سيكون في صالح معاوية، لأن الحسن يكره النزاع والفرقة، وقد يكون له دور إيجابي في تسكين أبناء الصحابة الذين يخالفون معاوية في توجهاته.

٥ ـ وأيضاً فإن معاوية ما كان يخشى من الحسن شيئاً، وهو يعلَمُ حبَّه للسِّلم والسلامة وسَعْيَه للصلح، وإنما كان يتخوَّف من الحسين، ولذا كان يلاطفه ويَصِله بالعطاء الجزيل، وأوصى ابنَه يزيد أن لا يُهَيِّجه بل يُضاعِف من إكرامه والإحسان إليه.... فلو كان معاوية يريد أن يَسُمَّ أحداً ـ وحاشاه من ذلك ـ لكان الأقرب أن يفعل ذلك مع الحسين أو عبد الله بن الزبير! لكن الروايات الهالكة لم تذكر شيئاً من هذا القَبِيل، بل ولم نقف على خبر من ذلك في كتب الرافضة مع كثرة وقيعتِهم في معاوية!!

٦ ـ ثم لماذا لم يَثُر الحسين لهذا الأمر إنْ وقع؟ ولِمَ لَمْ يجهر به وهو الذي أراد أن يقاتل الناس من أجل إنفاذ وصية الحسن في دفنه مع جدِّه رسول الله ﷺ؟! فكيف لا يحرِّك ساكناً والحسنُ قد مات مسموماً بفعل معاوية، وأولى الناس أن يعرف ذلك ويتصدى له هو الحسين!!

إن مثل هذه الأخبار الطائشة التالفة لا تُروى إلا للإساءة للصحابة الكرام ﷺ، ورميهم بنماذج من الأخلاق والأفعال تشبه ما عليه الناس اليوم من الصراع على السلطة واتباع أساليب الكيد والاغتيال للوصول إليها، وأصحاب نبينا ﷺ من أبعد الناس عن هذه الأفعال ولله الحمد.



الفصل الثالث

وداعاً يا ريحانة رسول الله ﷺ

بعد رحلة طويلة في الحياة أمضاها السِّبْط الكريم في محاضن النبوة وعناية الأبوين الكريمين، ومـع الخلفاء الراشـدين الأربعة، وأحداث التاريخ ومشـاهده وتقلُّباته ـ اقترب الحسـن من نهاية المَطَاف في هذه الدنيا القصيرة الفانية إلى دار البقاء والحياة الحقيقية في معناها السامي ونعيمها الذي لا يزول.

وقد دوَّن خلال حياته سـيرةً هي من أرقى وأطهر وأفضل ما يسجِّله أكابـر الرجال، وقدَّم للمسـلمين مواقفَ خالدة وأعمـالاً ماجدة وآثاراً باقية، كان أعظمها أثراً وأبقاها ذكراً وأكثرها خيراً على الإسـلام وأهله ذاكم (الصلح) الخالد المبارك الذي جمع الشـمل ووحَّد الكلمة وحَقَن الدماء وأعاد للأُمة الأمن والاستقرار.

بَيْـدَ أن نهاية هذا السـيد الجليل كانـت مُجْحِفةً بحقِّـه، فما كان يستحق سوى الإكرام والتبجيل، مؤلمةً ومحزِنةً له وللأُمة؛ إذ يُغتال من بين أيدي أهله وخاصَّته بطريقة خبيثة جبانة، بدلاً من أن يُحاط بالرعاية وتُبذل له كل وسائل الحماية والحفاظ على روحه الطاهرة....

إن الحاقدين الغَـدَرَة، والطُّغـاة الفَجَرة، لم يجترئوا على الحسـن وأحبَّته من المسلمين عامتهم وخاصتهم، بل كادوه ومَكَروا به، فجرَّعوه

كأسَ السمِّ لِيُنهوا حياته على وجه من الانتقام المقنَّع، وليُشِيعوا في الأمة الشكوكَ والظنون فيمن يكون وراء هذا العمل الخؤون، ويَتَّهِموا الأبرياء ويوجِّهوا أصابع الاتهام إلى رموز الأمة وقادتِها؛ ليجدِّدوا الطعنَ فيهم ويشحنوا القلوب والنفوس للخروج عليهم.

المبحث الأول ـ قصة سُمِّ الحسن، ومقدمات وفاته، ووصاياه:

•• قال عُمير بن إسحاق: (دخلتُ أنا وصاحبٌ لي على الحسن بن علي نعودُه، فقال لصاحبي: يا فلانُ سَلْنِي، قال: ما أنا بسائِلك شيئاً. ثم قام من عندنا فدخل كَنِيفاً له ثم خرج، فقال: أَيْ فلانُ، سَلْني قبلَ أن لا تسألَني، فإنِّي والله قد لَفَظْتُ طائفةً من كَبِدي قبلُ قلَّبْتُها بعودٍ كان معي، وإني قد سُقِيتُ السمَّ مِراراً، فلم أُسْقَ مثلَ هذا، فسَلْني. فقال: ما أنا بسائلك شيئاً، يُعافِيكَ الله إن شاء الله.

ثم خرجنا، فلما كان الغدُ أتيتُه وهو يَسُوقُ، فجاء الحسين فقعد عند رأسه فقال: أَيْ أَخي، أَنْبِئْني مَن سَقاكَ؟ قال: لِمَ؟ أَتقتُلُه؟ قال: نعم! قال: ما أنا بمحدِّثِك شيئاً، إنْ يكُ صاحبي الذي أظنُّ فالله أَشَدُّ نِقْمةً، وإلا فَواللهِ لا يُقْتَلُ بي بَريء!)[١].

وفي رواية: (قال الحسن: إنْ يكن الذي أظنُّ فاللهُ أشدُّ بأساً وأشدُّ تنكيلاً، وإنْ لا يكن فما أحبُّ أن يُقتل بي بريء! ثم قضَى رضوان الله تعالى عليه)[٢].

---

(١) «طبقات ابن سعد» بتحقيق محمد بن صامل السلمي ٣٣٥/١ رقم (٢٩٤)، «مختصر ابن عساكر» ٣٨/٧ ـ ٣٩، «تهذيب الكمال» ٢٥١/٦ ـ ٢٥٢، «سير أعلام النبلاء» ٢٧٣/٣. قوله (يسوق): يقال: ساق المريض يسوق، إذا أصابه نزع الروح.

(٢) «حلية الأولياء» ٣٨/٢. وبنحوه في «مصنف عبد الرزاق» ٤٥٢/١١ (٢٠٩٨٢).



وعندما عاينه الطبيب أكَّد له أن السم قد بلغ منه مبلغه فقطع أمعاءه وأصبح على شفير الهلاك:

روى ابن سعد من طريق الواقدي، عن عبد الله بن الحسن قال: (يُقال: إن الحسن كان سُقِي ثم أَفْلَت، ثم سُقي فأَفْلَت، ثم كانت الآخرةُ توفي فيها، فلما حضرَتْه الوفاة قال الطبيب وهو يختلِف إليه: هذا رجل قد قطع السمُّ أمعاءه! فقال الحسين: يا أبا محمد، خَبِّرني مَنْ سقاك؟ قال: ولِمَ يا أخي؟ قال: أقتُلُه والله قبل أن أدفنك، أو لا أقدِرُ عليه، أو يكون بأرض أتكلَّفُ الشخوصَ إليه! فقال: يا أخي، إنما هذه الدنيا ليالٍ فانية، دَعْه حتى ألتقي أنا وهو عند الله. وأبى أن يسمِّيه)[1].

وقد ذكَرتْ روايات كثيرة أن الحسن قد سُمَّ عن طريق بعض خدمه، أو زوجته جعدة بنت الأشعث، بتدسيس من معاوية بن أبي سفيان أو من ابنه يزيد... وكلها روايات واهية الأسانيد مضطربة، ومنكَرة في متونها، لا تصلح للاحتجاج كما أوضحناه مفصلاً.

والمتَّهَم برأينا هم المتضررون من الحسن وأعماله وبخاصة (الصلح) الذي عقده مع معاوية، أولئك أصحاب الأهواء ومختلِقو الفتن ومؤجِّجو نارها، الذين يَسْعَوْن جاهدين في إعادتها لتشيعَ الفوضى وتتجدَّدَ الحرب وتُسفك الدماء.... إنهم هم الذين بدؤوا مسلسل الاغتيالات الغامضة من لدن استشهاد عمر ثم عثمان ثم علي، وبعدهم الحسن حيث حاولوا قتْلَه في مطلع أيام خلافته عندما استشعروا رغبته في الصلح، ولمَّا تمَّ له ذلك، بَقَوا على حقدهم وكيدهم ينتظرون الفرصة السانحة للبطش به، وتحقق لهم ذلك بوضع السمِّ له في طعامه!

(١) «تهذيب الكمال» ٢٥٢/٦، «البداية والنهاية» ٤٣/٨.

إنه لا يوجد في صفوف المسلمين من له المصلحة في قتل الحسن، وليس ثَمّة رجلٌ أو فئة متضرِّرة متألمة من صنيع الحسن غير أولئك الأوغاد الغَدَرَة الحاقدين على الإسلام ورجاله وخاصة الكبار، إنهم هم المتهمون بدم الحسن رضي الله عنه.

•• وقد مرض الحسن أياماً طويلة، وكان الناس يعودونه؛ أميرُ المدينة وبنو هاشم فمن دونهم، وقد رأى رؤيا تدل على دنوِّ أجلهِ:

قال الحسن بن محمد ابن الحَنفيَّة: (لمَّا مرض حسن بن علي مرض أربعين ليلة، فلما اسْتُعِزَّ به وحضرت بنو هاشم، فكانوا لا يفارقونه، يبيتون عنده بالليل، وعلى المدينة سعيد بن العاص فكان سعيد يعودُه، فمرَّة يُؤذَن له ومرة يُحجب عنه، فلما استُعِزَّ به بعث مروانَ بن الحَكَم رسولاً إلى معاوية يخبره بِثِقَلِ الحسن بن علي)[١].

وعن عمران بن عبد الله بن طلحة قال: (رأى الحسن بن علي فيما يرى النائم بين عينيه مكتوباً: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فَقَصَّها على سعيد بن المسيِّب، فقال: إنْ صَدقَتْ رؤياك فقد حَضَر أَجَلُك. قال: فَسُمَّ في تلك السنة ومات رحمة الله عليه)[٢].

وفي رواية عن عمران قال: (رأى الحسن بن علي في منامه أنه مكتوب بين عينيه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ففَرِح بذلك! فبَلَغ سعيدَ بنَ المسيِّب فقال: إنْ كان رأى هذه الرؤيا؛ فقَلَّ ما بقي من أَجَلِه. قال: فلم يَلبث الحسن بعدها إلا أياماً حتى مات)[٣].

---

(١) «مختصر ابن عساكر» ٤٣/٧. استعز به: اشتد به المرض وأشرف على الهلاك.

(٢) «المستدرك» ١٧٦/٣.

(٣) «تهذيب الكمال» ٢٥١/٦، «سبل الهدى والرشاد» ٥٢٦/١١.

والرواية الأولى تدلُّ على أن الحسن أخبر بالرؤيا سعيداً، فَعَبَرها له، والرواية الثانية تذكر أن (المنام) نُقِل إلى ابن المسيِّب فعَبَرَهُ؛ ولا تناقض بينهما، بل يُحمل على أن الرؤيا نُقِلت عن الحسن إلى سعيد ففسَّرَها، ثم لَقِي الحسنُ سعيداً ـ وسعيد معه في المدينة ـ فأخبره بما رآه، فعَبَره له مشافهة.

وعن رَقَبَة بن مَصْقَلَة قال: (لمَّا نَزل بالحسن بن علي الموتُ قال: أَخرِجوا فراشي إلى صحن الدار، فأُخرِج، فقال: اللَّهمَّ إني أحتسِبُ نفسي عندك، فإني لم أُصَبْ بمثلها غيرَ رسول الله ﷺ)[1].

وفي رواية عن رقبة بن مَصْقَلَة قال: (لمَّا حَضَرَ الحسنَ بن علي الموتُ، قال: أَخْرِجوا فراشي إلى صحن الدار حتى أنظرَ في ملكوت السموات. فأخرجوا فراشَه، فرفع رأسَه إلى السماء فنظر، فقال: اللَّهمَّ إني أحتسِبُ نفسي عندك، فإنها أعزُّ الأنفس علَيَّ. قال: فكان مما صَنَع الله له أن احتسَب نفسه عنده)[2].

ولشدَّة خشيته من الله تعالى، وخوفهِ مما يَقْدَم عليه من أهوال الموت والقبر والقدوم على ربه ﷻ، اضطرب لذلك وجَزِعَ، مع ثباتِ إيمانه ورسوخِ رجائه به ﷻ، لكن المؤمن يخشى أن يأتيه ما لم يحتسِب!

روى يحيى بن مَعين في «تاريخه» قال: (لمَّا ثَقُل الحسن بن علي، دخل عليه الحسين بن علي فقال: يا أخي، لأيِّ شيء تجزع؟! تَقْدَمُ

(١) «صفة الصفوة» ٧٦٢/١، «سير أعلام النبلاء» ٢٧٥/٣.

(٢) «الحلية» ٣٨/٢ ـ ٣٩، «مختصر ابن عساكر» ٤٠/٧، «تهذيب الكمال» ٢٥٣/٦، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٧٨/٩. وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أن رقبة لم يسمع من الحسن.

على رسول الله ﷺ وعلى علي بن أبي طالب وهما أَبَواكَ، وعلى خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وهما أُمَّاكَ، وعلى حمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب وهما عَمَّاكَ! فقال: يا أخي، إني أَقْدَمُ على أمرٍ لم أَقدم على مثلِه!)[١].

وفي رواية عن محمد بن علي المعروف بالباقر قال: (لمَّا أنْ حَضَر الحسنَ بن علي الموتُ بكى بكاءً شديداً، فقال له الحسين: ما يُبكيك يا أخي؟ وإنما تقدَمُ على رسول الله ﷺ وعلى عليّ وفاطمة وخديجة، وهم وَلَدُوك! وقد أجرى الله لك على لسان النبي ﷺ أنك سيد شباب أهل الجنة، وقاسَمْتَ اللهَ مالَكَ ثلاث مرات، ومشيتَ إلى بيت الله على قدمَيْك خمسَ عشرة مرة حاجّاً! وإنما أراد أن يطيِّب نفسَه، قال: فوالله ما زاده إلا بكاءً وانتحاباً، وقال: يا أخي، إني أَقْدَم على أمرٍ عظيم مَهْولٍ لم أَقْدَم على مثله قط!)[٢].

•• **وكان من أمنيات الحسن ورغائب نفسه أن يُدفن بجوار جدِّه رسول الله ﷺ، فاستأذَنَ أمَّ المؤمنين عائشة في ذلك**، وأوصى أقاربه الأدنَيْن أنه لو وقع خلاف ورفض لهذا الأمر عند دفنه من قِبل بعض الناس، فَلْيُقطَع دابرُ الفتنة ويُدفن في البقيع مع أمه البتول فاطمة ﵂.

قال ابن عبد البرّ: رُوِّينا من وجوه أن الحسن بن علي لما حَضَرته الوفاة قال للحسين أخيه: يا أخي، إني قد كنتُ طلبتُ إلى عائشة إذا مِتُّ أن تأذَنَ لي فأُدْفَنَ في بيتها مع رسول الله ﷺ فقالت: نعم، وإني لا أدري لعلها كان ذلك منها حياءً، فإذا أنا مِتُّ فاطلُبْ ذلك إليها، فإنْ

---

(١) «تاريخ ابن معين» برواية الدوري: ١١٥/٢، «تهذيب الكمال» ٢٥٤/٦.

(٢) «تاريخ ابن عساكر» ١٠٩/١٤ ـ ١١٠، «مختصره» ٤١/٧.

طابَتْ نفسـها فادفِنِّي في بيتها، وما أظنُّ القومَ إلا سيمنعونك إذا أردتَ ذلك! فإن فعلوا فـلا تُراجِعْهم في ذلك، وادْفِنِّي فـي بَقيع الغَرقد فإن فيمن فيه أسوة)[١].

ويروى أن عائشـة قالت: (لا يكون لهـم[٢] رابع أبـداً، وإنه لبيتي أعطانيه رسول الله ﷺ في حياته).

قال الذهبي: إسناده مظلم[٣]!

•• من وصايا لحسن رضي الله عنه:

وقد أوصى الحسـن إخوته بوصايـا جليلة خالدة، تنبع من نفسـه الكريمة ونيَّتِهِ الصادقة وهَدْيه الرشيد وحبِّه الخالص لأهله وللمسلمين، وحرصه حتى آخر رَمَق على وحدتهم وحفظ أنفسهم وسلامة دولتهم.

وأهم تلك الوصايا الواضحة الناطقة الصريحة ما أَسَدَاه لشقيقه الأثير عنده الحسـين رضي الله عنه، لِما كان يَعلمُه منه من صلابة في الرأي وحدَّة في الطبع وجرأة وإقدام وأخذ الأمور بالعزائـم واندفاعٍ لتنفيذ ما يراه، ولِما يعلمه أيضاً من خبث طويَّة طائفة من الناس الذين لا يزالون مندسين في صفوف أتباعهم، يزعمـون حبَّهم لهم ورغبتَهم في رياسـتهم وقيادتهم للأُمة؛ وهم أكذبُ الناس وأميَلُهم إلى الفتنـة، وأحرصُهم على الغدر، وأسرعُهم إلى النكول والنكث بالعهد، والجبن عندما يجد الجِدّ!

(١) «الاسـتيعاب» ٣٧٥/١ ـ ٣٧٦، «أسد الغابة» ١٥/٢، «سـير أعلام النبلاء» ٢٧٨/٣ ـ ٢٧٩.
ويعني بالقوم: بني أُمية.

(٢) أي: للنبي ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر.

(٣) «سير أعلام النبلاء» ٢٧٦/٣.

ـ جاء في الخبر الذي أوردنا طرفاً منه عن ابن عبد البرّ قال: (رُوِّينا من وجوه أن الحسن بن علي لمَّا حضَرَتْه الوفاة قال للحسين أخيه: يا أخي، إن أباكَ رَحِمَهُ اللهُ لما قُبِض رسول الله ﷺ استَشْرَفَ لهذا الأمر[١] ورجَا أن يكون صاحبَهُ، فصَرَفَه الله عنه ووَلِيها أبو بكر، فلما حضَرتْ أبا بكر الوفاةُ تشوَّف لها أيضاً فصُرِفتْ عنه إلى عمر، فلما احتُضِر عمر جعلها شورى بين ستة هو أحدُهم، فلم يشكّ أنها لا تَعْدُوه، فصُرِفَت عنه إلى عثمان، فلما هَلَك عثمان بُويع ثم نُوزِع، حتى جرَّدَ السيف وطلَبها، فما صَفَا له شيء منها! وإني والله ما أَرى أن يَجمع الله فينا أهلَ البيت: النبوة والخلافة، **فلا أَعرفنَّ ما استَخَفَّكَ سفهاءُ أهلِ الكوفة فأَخرجُوكَ!!**)[٢].

وفي رواية عن الحسن أنه قال لأخيه الحسين: (**وإياكَ وأهلَ الكوفة أن يَسْتخِفوكَ فَيُخْرِجوكَ، فتندمَ حيث لا ينفعُ النَّدم!**)[٣].

ـ وأوصى الحسينَ كذلك وعَهِدَ إليه فقال: (هذا ما أوصى به الحسن بن علي إلى أخيه الحسين، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنه يعبده حقَّ عبادته لا شريكَ له في المُلك، ولا وليَّ له من الذُّل، وأنه خَلَق كل شيء فقدَّره تقديراً، وأنه أَوْلَى مَن عُبِد، وأحقُّ مَن حُمِد، مَن أطاعه رَشَد، ومن عصاه غوى، ومن تاب إليه اهتدى.

فإني أوصيك يا حسين بمن خَلَّفتُ من أهلي وولدي وأهل بيتك: أن تصفح عن مسيئهم، وتقبل من محسنهم، وتكون لهم خَلَفاً ووالداً.

---

(١) يعني الخلافة وولاية أمر المسلمين.
(٢) «الاستيعاب» ٣٧٥/١ ـ ٣٧٦، «سير أعلام النبلاء» ٢٧٨/٣.
(٣) انظر ما تقدم: ص ٣٣١ حاشية (٢) في هذا الكتاب.

وأن تدفنّي مع رسول الله ﷺ فإني أحقُّ به وببيته! فإن أبَوْا عليك؛ فأنشدتُكَ الله وبالقرابة التي قرب الله منك والرحم الماسة من رسول الله ﷺ أن لا يُهْرَق من أمري مِحْجَمةٌ من دمٍ)[١].

واستدعى أخاه لأبيه محمد ابن الحنفيَّة، فجاءه، فالتفتَ إلى الحسين فقال: (يا أخي، أوصيك بمحمدٍ خيراً؛ فإنه جلدةُ ما بين العينين!)، ثم التفتَ إلى محمد وقال: (يا محمد، وأنا أوصيك بالحسين، كاتِفْه ووَازِرْه)[٢].

المبحث الثاني ـ تاريخ وفاة الحسن، وعمره، والصلاة عليه وتشييعه ودفنه:

●● سنة وفاته[٣]:

قيل في وفاته عدة أقوال، أرجحها وأشهرها: سنة (٤٩هـ).

ـ قال خليفة بن خياط وسعيد بن عُفَير وابن سعد وابن مَنْده وغير واحد: مات الحسن بن علي في سنة تسع وأربعين للهجرة.

زاد بعضهم: في ربيع الأول منها، وهو ابن سبع وأربعين سنة.

ـ وقال المدائني والزبير بن بكار وهشام بن الكُلْبي وغيرهم: مات سنة خمسين.

---

(١) «أعيان الشيعة» لمحسن العاملي ٧٩/٤. وعبارة (فإني أحقُّ به وببيته) منكرة بمرة، فقد ثبت عنه أنه قال: في بيت عائشة.

(٢) «الأخبار الطوال» للدينوري، ص ٢٠٣.

(٣) «تاريخ بغداد» ١/١٤٠ ـ ١٤١، «أسد الغابة» ٢/١٠، ١٤، «الاستيعاب» ١/ ٣٧٣، «الإصابة» ١/٣٣٠، «تهذيب الكمال» ٦/٢٥٦ ـ ٢٥٧، «سير أعلام النبلاء» ٣/٢٧٧ ـ ٢٧٨.

ـ وقال البخاري: توفي سنة إحدى وخمسين.

وقيل غير ذلك، وغَلِط أبو نُعيم الفضل بن دُكَين فقال: توفي الحسن سنة ثمان وخمسين[١].

●● عمره:

ـ روى معروف بن خَرَّبُوذ وغير واحد عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر قال: مات الحسن بن علي وهو ابن سبع وأربعين سنة.

وكذا قال محمد بن سعد وغيره[٢].

قلت: وهذا يتفق مع ما تقدم من أن الحسن ولد في رمضان من سنة ثلاث، وتوفي سنة (٤٩هـ)، فيكون عمره (٤٧) سنة.

وصححه ابن كثير[٣].

ـ وروى سفيان بن عُيَيْنة، عن جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي بن الحسين قال: (قُتِل عليٌّ وهو ابنُ ثمانٍ وخمسين سنة، ومات لها حسنٌ، وقُتل لها الحسين،)[٤].

وتعقَّب الذهبي هذا فقال: (وغَلِطَ من نقل عن جعفر أن عُمُره ثمان وخمسون سنة غلَطاً بيِّناً)[٥].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» ٢٧٨/٣.

(٢) «تاريخ بغداد» ١٤٠/١ ـ ١٤١، «تهذيب الكمال» ٢٥٦/٦.

(٣) «البداية والنهاية» ٤٤/٨.

(٤) «المعرفة والتاريخ» ٤٠٨/٣، «تاريخ أبي زرعة الدمشقي» ص ٥٨٧، «تهذيب الكمال» ٢٥٦/٦.

(٥) «سير أعلام النبلاء» ٢٧٧/٣.

•• الصلاة عليه:

صلّى على الحسن الصحابيُّ الجليلُ الأمير الشريف النبيل سعيد بن العاص الأموي، أميرُ المدينة.

عن سالم بن أبي حَفْصة قال: سمعت أبا حازم الأَشْجعيَّ يقول: (إنّي لشاهدٌ يومَ مات الحسنُ بن علي، فرأيتُ الحسينَ بن علي يقول لسعيد بن العاص، ويَطْعُنُ في عُنقه ويقول: تقدَّمْ، فلولا أنها سُنَّة ما قدَّمْتُك، وكان بينهم شيء! فقال أبو هريرة: أَتَنْفَسُون على ابنِ نبيِّكم ﷺ بتربةٍ تَدْفِنُونَه فيها، وقد سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«مَنْ أَحَبَّهما فقد أَحبَّني، ومَن أَبْغَضَهما فقد أَبْغَضَنِي»**؟!)[١].

وهذا الخبر أسنده أبو الفرج الأصفهاني في «مقاتل الطالبيين»، ونقله عنه ابن أبي الحديد[٢].

ونقل ذلك عنهما أستاذ جامعي رافضيٌّ، ثم عقَّب فقال: (وهذا القول غير منطقيٍّ، وذلك لتوتّرِ العلاقات بين الأمويين والهاشميين، فكيف يقدِّم الإمامُ الحسين عميدَهم للصلاة عليه؟! والصحيح أنه لم يَحضر أحد من الأمويين في موكب التشييع سوى سعيد بن العاص)[٣].

قلت: داءُ الرَّفض قديمٌ متوارَث، يزداد ضراوةً مع الزمن، فرافضةُ

(١) أخرجه الحاكم ١٧١/٣، وعبد الرزاق (٦٣٦٩)، والبيهقي في «السنن» ٢٨/٤، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣٩٦١)، وغيرهم، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وحسّنه شعيب الأرنؤوط.

(٢) «مقاتل الطالبيين» ص ٨٣، «شرح نهج البلاغة» ٢٥٩/٨.

(٣) «الحسن رائد الواقعية السياسية» ص ٣٤٨.

اليوم أكثَرُ شنآناً للصحابة وأبعدُ عن الحق من سابقيهم، وزاوية الانحراف تزداد بمرور الزمن!

ولا قيمة علمية ولا أدبية ولا أخلاقية لهذا السخف، فالحديث صحيح ثابت ومن طريقِ شيعيٍّ غالٍ هو سالم بن أبي حفصة، وأثبته الحاكم في «مستدركه» والحاكم عنده تشيع قليل، وكذلك رواه شيعيان مشهوران هما أبو الفرج الأصفهاني وابن أبي الحديد، فما قيمة قول الخالفين المخالفين وحطهم على بني أمية كيفما كانوا؟!

•• تشييع الجُثْمان:

عن ثعلبة بن أبي مالك قال: (شَهِدْنا الحسنَ بن عليّ يوم مات ودفَنَّاه بالبَقيع، ولو طُرِحَتْ إبرةٌ ما وقعَتْ إلا على رأس إنسان!)[1].

وقال جَهْم بن أبي جَهْم: (لما مات الحسن بن علي، بعث بنو هاشم إلى العوالي صائحاً يصيح في كل قرية من قرى الأنصار بموتِ حسنٍ، فنزل أهل العوالي ولم يتخلَّف أحد عنه)[2].

•• دفنُه بالبقيع، وفتنةٌ كادَتْ تقع أَطْفَأَتْها حكمةُ الصحابةِ وأمير المدينة:

كان الحسن رضي الله عنه قد استأذن الصدِّيقة أمَّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن يُدفن في الحجرة الشريفة، فأَذِنَتْ له، وقد أوصى الحسن أخاه الحسين بأنه إذا وجد معارضة لذلك فَلْيَقطعْ دابرَ الفتنة وليدفنْهُ مع أُمِّه السيدة فاطمة في البقيع.

---

(١) «المستدرك» ١٧٣/٣، «تاريخ ابن عساكر» ١١٨/١٤، «مختصره» ٤٧/٧، «تهذيب الكمال» ٢٥٦/٦.

(٢) «مختصر ابن عساكر» ٤٧/٧.



جاء في الخبر من وجـوه متعددة؛ أن الحسـن بن علي قال لأخيه الحسين: (إني قد كنتُ طلبتُ إلى عائشة إذا مِتُّ أن تأذَن لي فأدفنَ في بيتها مع رسول الله ﷺ، فقالت: نعم، وإني لا أدري لعلَّها كان ذلك منها حياءً! فإذا أنا مِتُّ فاطلُبْ ذلك إليها، فإنْ طابت نفسُها فادفنِّي في بيتها، وما أظن القومَ إلا سـيمنعونك إذا أردتَ ذلك، فإنْ فعلوا فلا تُراجِعْهم في ذلك، وادفنِّي في بَقيع الغَرْقَد فإن فيمن فيه أسوة.

فلما مات الحسـن، أتى الحسين عائشـة فطلب ذلك إليها، فقالت: نَعم وكرامة. فبلغ ذلك مـروانَ وبني أمية، فقالـوا: والله لا يُدفَنُ هناك أبداً! مَنَعـوا عثمانَ من دفنه في المقبرة، ويريدون دفنَ حسـنٍ في بيت عائشة؟! فبلَغَ ذلك الحسينَ، فدخل هو ومن معه في السلاح، فبلَغَ ذلك مروانَ فاسْتَلأَمَ الحديدَ أيضاً!

فبلَغَ ذلك أبا هريرة، فقال: والله ما هو إلا ظلمٌ، يُمنع حسنٌ أن يُدفَنَ مع أبيه؛ والله إنه لابن رسـول الله ﷺ. ثم انطلق إلى الحسـين، فكلَّمَه وناشَدَه اللهَ، وقال له: أليسَ قد قال أخوك: إنْ خِفْتَ أن يكون قتالٌ فرُدَّني إلى مقبرة المسلمين؟ فلم يَزَلْ به حتى فَعل، وحَملَه إلى البقيع)[1].

ودفن الحسن إلى جنب أُمه فاطمة الزهراء رضي الله عنها وعن أبنائها.

ـ وتدلُّ الروايات على أن دفن الحسن بجوار النبي ﷺ كاد أن يُوقِع فتنة ويُشـعِلُ حرباً بين بني هاشـم وبني أمية، لولا حكمـةُ رهطٍ من الصحابة ومناصحتهم الحسين واحتجاجهم عليه بقول أخيه في وصيته: (لا يُهراق فيَّ محجمة من دم).

(١) تقدم طرف منه مع تخريجه: ص ٣٩٦ ـ ٣٩٧ حاشية (١) في هذا الكتاب.

وأما أمير المدينة سعيد بن العاص الأموي فقد أَظهَرَ حكمةً بالغة وحَصَافة وأريحية وحِلْماً وأناة وأدباً، وهو قَمِنٌ بذلك رضي الله عنه.

روى ابن عساكر وغيره، قالوا: (فانتهى الحسين إلى قبر النبي ﷺ فقال: احفروا هاهنا، فسكت عنه سعيد بن العاص وهو الأمير، واعتزل ولم يَحُلْ بينه وبينه. وصاح مروان في بني أُمية ولفِّها، وتلبَّسوا السلاح، وقال مروان: لا كان هذا أبداً. فقال له حسين: يا ابنَ الزَّرقاء، ما لَكَ ولهذا، أَوَالٍ أنت؟! قال: لا كان هذا ولا خَلَص إليه وأنا حيٌّ! فصاح حسين بحِلْف الفُضول)(١).

فقال الهاشميون: يُدفَن مع النبي ﷺ، حتى كانت بينهم المراماة بالنَّبل! فقام في ذلك رجال من قريش منهم: عبد الله بن جعفر، وعبد الله بن عمر، وسعد بن أبي وقّاص، والمِسْوَر بن مَخْرمة، ومحمد ابن الحَنفيَّة.

فجعل عبد الله بن جعفر يُلِحُّ على الحسين وهو يقول: (يا ابنَ عمٍّ، أَلَم تسمعْ إلى عهد أخيك: إنْ خِفْتَ أن يُهْرَاق فيَّ مِحْجَمةُ دمٍ فادفنّي بالبقيع مع أُمِّي؟ أُذَكِّرك اللهَ أن تسفك الدماء! وحسين يأبَى دفْنَه إلا مع النبي ﷺ، وهو يقول: ويَعْرِض مروان لي، ما لَه ولهذا؟!).

فقال المِسْوَر بن مَخْرَمةَ: (يا أبا عبد الله اسمع منِّي: قد دَعَوْتَنا بحِلْفِ الفُضول وأجبناك، تَعلَّمْ أني سمعتُ أخاكَ يقول قبل أن يموت بيوم: يا ابنَ مَخْرَمة، إني قد عَهِدتُ إلى أخي أن يدفنني مع رسول الله ﷺ إنْ وجد إلى ذلك سبيلاً، فإن خاف أن يُهْرَاق في ذلك مِحْجَمةٌ من دمٍ

(١) «مختصر ابن عساكر» ٧/٤٤.

فَلْيَدفِنِّي مع أُمِّي بالبقيع. وتعلَّمْ أنِّي أُذكِّرك الله في هذه الدماء، ألا ترى ما هاهنا من السلاح والرجال؟! والناس سِراع إلى الفتنة!).

وقال الحسن بن محمد ابن الحنفية: سمعتُ أَبي يقول: (لقد رأيتُني يومئذٍ وإني لأريد أن أضربَ عنق مــروان، ما حال بيني وبين ذلك أن لا أكون أراه مســتوجباً لذلك، إلا أني سمعت أخي يقول: إن خِفتُم أن يُهْرَاق فيَّ محجمةٌ من دمٍ فادفنوني بالبقيع. فقلت لأخي: يا أبا عبد الله، وكنتُ أرفقَهم به، إنَّا لا نَدَعُ قتالَ هؤلاء القــوم جُبناً عنهم، ولكنَّا إنما نتبع وصية أبي محمد، وإنه والله لو قال: ادفنوني مع النبي ﷺ لَمُتْنا من آخرنا أو ندفنه مع النبي ﷺ، ولكنه خاف ما قد ترى فقال: إنْ خِفتُم أن يُهــراق فيَّ محجمٌ مــن دم فادفنوني مع أُمي، فإنما نتَّبــع عهدَه وننفِّذ أمرَه!

قال: فأطاعَ حســينٌ بعــد أن ظننتُ أنــه لا يُطيــع، فاحتملناه حتى وضعناه بالبقيع)[١].

وروى أبو عَوَانة، عن حُصَيْن، عن أبي حازم قال: (لمَّا حُضِر الحسن قال للحسين: ادفنوني عند أبي ـ يعني النبيَّ ﷺ ـ إلا أن تخافوا الدماء، فإنْ خِفتُم الدماء فلا تُهرِيقوا فيَّ دماً، ادفنوني عند مقابر المسلمين. قال: فلما قُبض، تسلَّح الحسين وجمع مواليه، فقال له أبو هريرة: أَنْشُدُكَ اللهَ ووصيةَ أخيك، فإن القوم لــن يَدَعُوك حتى يكون بينكم دماء! قال: فلم يَزَل به حتى رَجَع. قال: ثم دفنوه في بَقيع الغَرْقَد)[٢].

---

(١) «تاريخ ابن عساكر» ١١٣/١٤ ـ ١١٤، «مختصره» ٤٤/٧ ـ ٤٥، «مقاتل الطالبيين» ص ٨١ ـ ٨٢.

(٢) «تهذيب الكمال» ٢٥٤/٦، «سير أعلام النبلاء» ٢٧٥/٣.

وجاء مثل ذلك عــن عبد الله بن عمر، حيث نصح الحســين بإنفاذ عهد أخيه إليه[١].

رضي الله عن السِّبْط الكريم الحسن بن علي، فلقد كان رجلَ إصلاحٍ ومشــعلَ هداية، وقدوةً في جمع الكلمة ووحدة الأُمة، وبقي على هذا النهج الرشــيد حتى آخر لحظة في حياته، بل وأوصى بالتزام هَدْيه بعد مماته، فكان في ذلك الخير للمسلمين جميعاً.

تزييف أكاذيب:

لا يترك الرافضــة حادثة ولا موقفــاً إلا ويثيرون حوله الشــكوك، ويخترعون الأكاذيب، ويرمون الأكابر والبرآء بالبهتان، فذلك إفكهم وما يفترون!

فقد تبيَّن أن الذي أثار حَفيظة الحسين والهاشميين، بل الذي أَشعل غضبَ الحســين وجعله يتمســك برأيه ويُصِرّ على دفن أخيه بالحجرة الشريفة؛ إنما هو موقفُ مروان بن الحَكَم ومن معه من بني أمية ومَنْعُهم من دفنه بجوار النبي ﷺ.

أما الصدِّيقة عائشــة أم المؤمنين ﵂، فكان موقفها كريماً نبيلاً فيه غاية الإجلال والإكرام للحســن ﵁، وذلك في قولها: (نعم وكرامة)، وهذا من جملة ما شجَّع الحسين بل أطمَعَه في تحقيق رغبة أخيه ﵁.

لكن بعض الروايات التالفــة وأكاذيب الرافضة تأبى إلا الطعن على الصديقة عائشــة أم المؤمنين وزوج النبي ﷺ فــي الدنيا والآخرة، ومن

(١) «سير أعلام النبلاء» ٣/٢٧٥.

لا يراها أمّاً له فقد أخرج نفسه من قول الله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾ [الأحزاب: ٦].

•• روى ابن عساكر بإسناده عن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير قال: سمعتُ عائشة تقول يومئذٍ: (هذا الأمر لا يكون أبداً، يُدفن ببقيع الغَرْقد ولا يكون لهم رابعاً! والله إنه لبيتي أعطانيه رسول الله ﷺ في حياته، وما دُفِن فيه عمر وهو خليفة إلا بإذني)[1].

وإسناده مظلم كما قال الذهبي[2]، وقد جاءت الروايات من وجوه عن أم المؤمنين بخلاف ذلك تماماً!

- ويزعم بعض الرافضة المعاصرين أن عائشة رضي الله عنها ناصرت بني أمية وناصروها، وحَضُّوا على مَنْع دفن الحسن رضي الله عنه في حجرتها، وأنها هدَّدَتْ قائلة: (لا تُدخِلوا بيتي مَن لا أحبّ، إنْ دُفِن الحسن في بيتي لأَجزّ ناصِيتي!)[3].

ويتساءل مستنكِراً: لماذا لا تحب عائشة ريحانةَ النبي ﷺ؟! ثم يقول: (لقد ارتكبَتْ عائشةُ خطأً كبيراً في فعلها هذا، وأظهرت بوضوح ما تُكِنّه من الحقد لأمير المؤمنين ولأولاده عليهم السلام، وهو أمرٌ لا نجدُ له مبرراً!)[4].

ثم ذكر أن عائشة جاءت على بغلة ومَنَعتْ سبطَ النبي ﷺ أن يُدفن مع جدِّه، فجاءها ابن أخيها القاسم بن محمد فزجرها وردَعَها عن

(١) «مختصر ابن عساكر» ٤٥/٧.
(٢) «سير أعلام النبلاء» ٢٧٦/٣.
(٣) «الحسن رائد الواقعية السياسية» ص ٣٤٩. والأعجب من ذلك أنه عزا الخبر إلى الصحيحين! وهو باطل.
(٤) الحسن رائد الواقعية السياسية، ص ٣٤٩، ٣٥١.

موقفها قائلاً: (يا عمَّة، ما غَسَلْنا رؤوسَنا من يوم الجمل الأحمر، أَتُريدين أن يُقال: يومُ البغلة الشهباء؟!)[١].

ونقله عن اليعقوبي المؤرخ الشيعي[٢].

وكأنه أحال على مليء ثقة! فاليعقوبي رافضيٌّ جَلْد، ومع هذا كان عنده تحوُّط أكثر من هذا الناقل عنه، فقال: (وقيل...) بصيغة التمريض.

ومع عدم الاحتجاج بروايته لأنه من أهل الأهواء الدعاة إلى بدعتهم، فإنه أَرسل الحكاية بلا إسناد، فهي ضَعف على ضعف.

وهل يجترئ القاسم بن محمد بن أبي بكر، بل هل يُظَنُّ به وهو الإمام الجليل العدل الثَّبْت الورع؛ أن يقول مثل هذا الهُجْر من القول لعمَّته أمِّ المؤمنين، وهو الذي تربى في حَجْرها وتخرَّج بها وتعلم منها العلم والورع؟!

أبمثل هذه الروايات اللقيطة يُحتجّ على تاريخنا وصحابة نبيِّنا العدول الأمناء على الوحي والسُنَّة!

والكلام مع هؤلاء طويل، حسبنا الإشارة إلى نموذج منهم، ليُستدل بالقليل على الكثير، وبالضعيف على الأضعف.

●● والأدهى من ذلك والأسوأُ قيلاً وأضلُّ سبيلاً: أن هذه الروايات والأقوال ترجع إلى أصل قديم عند الرافضة، ومُثْبَتةٌ في كتبهم المعتمَدَة عندهم!

---

(١) «الحسن رائد الواقعية السياسية» ص ٣٥٢، ومثله في: «صلح الحسن» ص ٣٣.

(٢) «تاريخ اليعقوبي» ١٣٤/٢.

روى الكُلِيني عن علي بن إبراهيم بسنده عن محمد بن مسلم قال: (سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لما حَضَر الحسنَ بن علي عليه السلام الوفاةُ قال للحسين عليه السلام: يا أخي، إني أوصيك بوصية فاحفَظْها، إذا أنا مِتُّ فهيِّئْني ثم وجِّهْني إلى رسول الله ﷺ لأُحْدِثَ به عهداً، ثم اصرفني إلى أمِّي عليها السلام، ثم رُدَّني فادفنّي بالبقيع. واعلَمْ أنه سيُصيبني من عائشة ما يعلم الله والناس: صنيعَها وعداوَتَها لله ولرسوله!! وعداوتها لنا أهل البيت!

فلما قُبِض الحسن عليه السلام ووُضِع على السرير، ثم انطَلَقوا به إلى مصلَّى رسول الله ﷺ الذي كان يصلّي فيه على الجنائز، فصلّى عليه الحسين عليه السلام، وحُمل وأُدْخِل إلى المسجد، فلما أُوقِف على قبر رسول الله ﷺ ذَهَب ذو العُوَيْنين إلى عائشة فقال لها: إنهم قد أقبلوا بالحسن ليدفنوه مع النبي ﷺ، فخرجَتْ مبادرة على بغل بسَرْج ـ فكانت أولَ امرأة ركبت في الإسلام سَرْجاً ـ فقالت: نَحّوا ابنَكم عن بيتي، فإنه لا يُدفن في بيتي ويُهْتَك على رسول الله حِجابُهُ، فقال لها الحسين عليه السلام: قديماً هَتَكْتِ أنت وأبوك حجابَ رسول الله ﷺ وأدخلتِ عليه بيتَه مَن لا يُحبُّ قُرْبَه، وإن الله سائِلُكِ عن ذلك يا عائشة!!)[1].

وفي رواية أخرى عن محمد بن مُسْلِم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول، فذكر نحوَ ما تقدم في صدر الرواية السابقة، ثم قال: قال الحسين بن علي لعائشة:

(قديماً هَتَكتِ أنتِ وأبوكِ حجابَ رسول الله ﷺ، وأَدخلتِ بيتَهُ من لا يحبُّ رسولُ الله قُرْبَه، وإن الله سائِلُكِ عن ذلك يا عائشة! إن أخي

(١) «أصول الكافي»، كتاب «الحجة» «باب الإشارة والنص على الحسين بن علي عليه السلام ١٧٤/١، الحديث رقم (١).

أمرني أن أقرِّبَه من أبيه رسول الله ﷺ لِيُحْدِثَ به عهداً، واعلَمِي أن أخي أعلَمُ الناسِ بالله ورسوله، وأعلمُ بكتابه من أن يَهْتِك على رسول الله سِتْرَه، لأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٥٣]. وقد أدخلتِ أنت بيتَ رسول الله ﷺ الرجالَ بغير إذنه، وقد قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ ﴾ [الحجرات: ٢]، ولَعَمْري لقد ضَربتِ أنتِ لأبيكِ وفاروقِهِ عند أُذُنِ رسول الله ﷺ المعاولَ، وقال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [الحجرات: ٣]. ولَعَمْري لقد أدخل أبوك وفاروقُه على رسول الله ﷺ بقُربهما منه الأذى، وما رَعَيا من حقِّه ما أمرهما الله به على لسان رسول الله، إن الله حرَّم من المؤمنين أمواتاً ما حَرَّم منهم أحياءً. وتالله يا عائشة لو كان هذا الذي كَرِهْتيه من دفنِ الحسن عند أبيه رسولِ الله ﷺ جائزاً فيما بيننا وبين الله؛ لَعَلمتِ أنه سيُدْفَنُ وإنْ رغِمَ مَعْطِسُكِ!!

قال: ثم تكلّم محمد ابن الحنفيَّة وقال: يا عائشة يوماً على بَغْلٍ، ويوماً على جملٍ! فما تَمْلِكين نفسكِ ولا تَمْلِكين الأرضَ عداوةً لبني هاشم!

قال: فأقبلَتْ عليه، فقالت: يا ابنَ الحنفية، هؤلاء الفواطمُ يتكلمون فما كلامُك!

فقال لها الحسين عليه السلام: وأنَّى تُبعدِين محمداً من الفواطم، فوالله لقد وَلَدَتْه ثلاثُ فواطِمَ: فاطمة بنت عمران بن عائذ بن عَمْرو بن مخزوم، وفاطمة بنت أسد بن هاشم، وفاطمة بنت زائدة بن الأصم بن رواحة بن حِجْر بن عبد مَعِيص بن عامر!

قال: فقالت عائشة للحسين عليه السلام: نَحُّوا ابنَكم واذهَبُوا به فإنكم قوم خَصِمون.

قال: فمضَى الحسين عليه السلام إلى قبر أمه، ثم أخرجه فدفنه بالبقيع)[1].

نقول في بيان الأباطيل في هذه الروايات:

١ ـ علي بن إبراهيم: رافضي جَلْد.

ومحمد بن مسلم الثقفي: نُقِل عن جعفر الصادق أقوال متعارضة فيه، وفي بعضها يجرحه جرحاً شديداً ويطعن في عقيدته!

في «رجال الكشي» بإسناده عن مُفَضَّل بن عُمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (لعنَ اللهُ محمدَ بنَ مسلم كان يقول: إن الله لا يعلمُ الشيء حتى يكون!)[2].

وهذا جَرْحٌ مفسَّر وهو مقدَّم على التعديل إنْ ثبت عن جعفر الصادق أبي عبد الله.

٢ ـ ما قيمة رواية خبرٍ يتحدث عن عداوة أم المؤمنين عائشة لله ولرسوله؟! بل ما قيمة الراوي في دينه وصدقه وعقله ومروءته إن كان له من ذلك شيء؟!

كيف علِمَ بهذه العداوة ولم يَعلم بها الزوجُ نفسه رسولُ الله ﷺ طيلة تلك السنوات التي كانت فيها الصديقة الطاهرة زوجةً له وإحدى أمهات المؤمنين اللائي قال الله فيهن: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾؟!

---

(١) «أصول الكافي»، كتاب «الحجة» ١/١٧٥ ـ ١٧٦، الحديث رقم (٣)، «الوافي» للفيض الكاشاني ٢/٣٤٠ ـ ٣٤١، الحديث رقم (٨٠٠).

(٢) رجال الكشي: ص ٢٤٥ رقم (٢٨٤).

ويجب أن نعلم أنه ما مــن خبر يَطعن على الخلفاء الراشــدين وأمهات المؤمنيــن، وينتقص من أقدارهــم وأقدارهن إلا وينطوي علــى الطعن على النبي ﷺ الــذي كان الخلفاء وزراءه وأمهات المؤمنيــن أزواجه؛ إذ كيف لم يعلم بهم جميعاً، ولم يتنزل الوحي الأمين بإعلامه بذلك، والعياذ بالله تعالى!

٣ ـ جاء في الخبر: (ذهب ذو العُوَيْنَين إلى عائشة فقال لها: إنهم قد أقبلوا بالحسن ليدفنوه مع النبي ﷺ، فخرجَتْ مبادرة على بغل بسَرْج):

وقد شــرح الفيض الكاشــاني اللفظ فقال: (كنى بذي العُوَيْنين عن الجاسوس) نقول: ذهب الجاسوس إلى أم المؤمنين عائشة؟! أين ذهب إليها وبيتُها هو حجرتُها حيث يريد القوم أن يدفنوا الحسن فيه! أين هي المسافة التي تحتاج أن يركب فيها ويذهب إلى عائشة؟!

يبدو أن الذي (وضع الخبر وافتراه) لم يرَ المسجد النبوي، ولا قرأ عنه أو عن السيرة النبوية شيئاً!

ولو فرضنا أن عائشــة كانت خارج بيتهــا، وأن (ذا العوينين) ذهب إليها حيث كانت داخل المدينــة أو خارجها، كيف علِمَ مكانها فقصدها ووجدها فيه؟!

الذي يفترضه العقل السليم أن ذا العُوَيْنين لا وجودَ له في التاريخ لا في الأحياء ولا في الأموات، والأخبار الكاذبة لم تحدِّد لنا اسمه ولا هويته.

٤ ـ وزاد المــؤرخ الرافضــي محمد بــن جرير بن رســتم الطبري الآمُلي[1] في كتابه «دلائل الإمامة»، فذكر:

---

(١) انظر ترجمته المختصرة جداً في: «سير أعلام النبلاء» ٢٨٢/١٤. وربما التبس بالإمام الجليل الشهير: محمد بن جرير بن يزيد الطبري، انظر: «سير أعلام النبلاء» ٢٦٧/١٤.

أن الحسين حين فَرِغ من أمر أخيه وصلّى عليه وسار بنفسه يريد قبر جدِّه رسول الله لِيَلْحَدَه معه، بَلَغ ذلك مروانَ بن الحَكَم طريدَ رسول الله، فذهب مسـرعاً على بغل حتى دخل على عائشة، وقال: يا أم المؤمنين، إن الحسين يريد أن يَدفن أخاه الحسن عند جدِّه، ووالله لئن دَفَنه ليذهبنَّ فخرُ أبيك وصاحبِهِ عمر إلى يوم القيامة! قالت: فما أصنعُ؟ قال: الْحَقِي وامْنَعيه من الدخول إليه، قالت: فكيـف أَلحقه؟ قال: هذا بغلي فاركبيه والحقي القومَ قبل الدخول!! فنزل عن بَغْله وركبَتْه وأسرعَتْ إلى القوم، وكانت أول امرأة ركبت السُّـروج، ولَحِقَتْهم وقد صـاروا إلى حَرَم قبر جدهم رسول الله، فرَمَتْ بنفسها بين القبر والقوم، وقالت: والله لا يُدفَن الحسـن هاهنا أو تُحلَق هذه! وأخرجت ناصيتها بيدها!! وكانت تقول: والله لا أُدْخِـل داري مَن أكرَهُه! وكادت الفتنة أن تقع، فقال الحسـين: هذه دار رسـول الله، وأنتِ حَشْيَة من تسع حَشـيات خَلَّفهنَّ رسول الله، فإنما نصيبُكِ من الدار موضعُ قدميك. وقال ابن عباس: يا حُميرا كم لنا منك! يومٌ على جمل ويوم على بَغْل!! فقالت له: إن تشـاء، فيومٌ على جمل ويومٌ على بغل، والله لا يَدخل الحسن داري)[1] أهـ.

قلت: كل مؤمن بالله ورسوله، وكل دارس منصف ذي مروءة، يعرف مـا كان عليه الصحابة ﭫ من طهـارة القلب وعفَّةِ اللسـان؛ يجزم بأن الحسين الطاهر الشـريف النقي الزكي لا يقول هذا الفحش من القول، الذي لا يقوله إلا السَّفِلة من الناس الفاحشين المتفحشين!

فالحَشْيَة: مِرْفَقةٌ تعظِّم بها المرأةُ عجيزتَها! يُقال: احْتَشَت المرأة الحَشْية وبها: لبستها. واحتشت المستحاضة: حَشَت نفسَها بالمَفَارم ونحوِها.

---

(١) «دلائل الإمامة» ص ٦١ ـ ٦٢.

إنه من المحال أن يَصْدُر هذا الكلام القبيح الفاحش من رجل تربى في بيت النبوة وفي حَجْـر أمير المؤمنين علي الـذي لم يتفاحش مع أعدائه ومع الذين حاربوه! فهل يتصور عاقل أن يقول الحسين مثل هذا لأُم المؤمنين، ومنزلتُها مع أخواتها أزواج النبي ﷺ فوق منزلة الملكات والأميرات وشريفات البيوتات وأعرق الأنساب في تاريخ بني الإنسان!

بل لا يصدر هـذا من مؤمن يحب الله ورسـوله، ويحـبُّ ما يحبُّه رسول الله ﷺ، وعائشةُ حبيبتُه رغم أنفِ كل معانِد، بل والله لا يقول هذا عن أُمهات المؤمنين الطاهرات إلا فاجر فاسـق زنديق! وحاشا الحسين السبط الكريم من أن يتفوه بهذا أو أن يزل به لسانه!

فقاتل الله من افترى على الحسين وأسـاء إليه وإلى الصديقة عائشة وإلى الإسلام وأهله وتاريخ أكابر رجاله.

٥ ـ أمـا ما جاء في الخبر من الحَطِّ على أبـي بكر وعمر في قوله: (ولَعَمري لقـد أَدخل أبوك وفاروقُـه على رسـول الله ﷺ بقُربهِما منه الأذى، وما رَعَيا من حقّه ما أمرهما الله به على لسـان رسول الله، إن الله حرَّم من المؤمنين أمواتاً ما حرَّم منهم أحياءً).

فهذا مما يعلم أهـل الحق وأصحـاب النفوس الطاهـرة والعقول السليمة بطلانَه بالضرورة، كما تكذِّبه حقائق التاريخ والواقع المشهود:

فهذا القـرآن الحكيم يقـول: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

والأحاديث النبوية الصحيحة مستفيضة في فضل الشيخين ومنزلتهما عند رسـول الله ﷺ، ومن ذلك أنه سُئل عن أحَبّ الناس إليه فقال: «أبو



بكر» ثـم «**عمر**». وكثيراً ما كان يقول: «جئتُ أنا وأبو بكر وعمر، ودخلتُ أنا وأبو بكر وعمر، وخرجتُ أنا وأبو بكر وعمر». وقال ﷺ عنهما: «**هذانِ السمعُ والبصرُ**».

وسُئل زين العابدين علي بن الحسين: (كيف كانت منزلة أبي بكر وعمر عند رسول الله ﷺ؟ فأشار بيده إلى القبر، ثم قال: بمنزلتهما منه الساعة)!

لكن الرافضةُ نكست قلوبهم وعقولهم فجعلوا المناقبَ مثالبَ!

وقد أَفَضْنا في بيان فضلهما ومنزلتهما في كتابينا: «أبو بكر» و«عمر».

٦ ـ وأخيراً نقول: ما جاء في هذه الروايات غير واردٍ في عقيدة الإمامية الاثني عشرية؛ لأن الأوصياء ـ والحسن هو الوصي الثاني ـ موجودون في السماء وليسوا في قبورهم!

نقل الفَيْض الكاشاني رواية (الكافي) و(من لا يحضره الفقيه) و(تهذيب الأحكام) بسندها عن أبي عبد الله جعفر الصادق قال: (ما من نبيٍّ ولا وصيٍّ نبيٍّ يبقى في الأرض أكثرَ من ثلاثة أيام حتى يُرفع روحُه ولحمه وعظمُه إلى السماء، وإنما يُؤتى مواضعُ آثارهم، ويبلِّغونهم من بعيد السلام، ويسمعونهم في مواضع آثارهم من قريب)[1].

فما دام أنهم سيُرفَعون إلى السماء، فلماذا اختلاقُ كل هذه الروايات وما الغاية منها إن لم تكن الوقوع في الصحابة والطعن على بيت النبوة وأمهات المؤمنين؟!

---

(١) «الوافي» ١٣٣٧/١٤ حديث (١٤٣٦٥)، وانظر: «السُّنَّة النبوية وعلومها بين أهل السُّنَّة والشيعة الإمامية» للدكتور عدنان زرزور، ص ٥٠٢ ـ ٥١٥.

المبحث الثالث ـ حزن المسلمين على الحسن ومراثيهم له:

ارتجَّت المدينة لوفاة السِّبط الجليل الحسن بن علي رضي الله عنه، وعَمَّ الحزن المسلمين في بلدانهم دانيها وقاصيها، وبكاه الأكابر ورثاه محبُّوه من أهله خاصة ومن الصحابة والمسلمين عامة.

●● وقف الحسين على قبر أخيه يوم مات، وقال: (رحمك الله أبا محمد، إن كنتَ لتناصرُ الحق مظانَّه، وتؤثر الله عند مَدَاحض الباطل في مواطن التقية بحسن الروية، وتستشف جليل معاظم الدنيا بعين لها حاقرة، وتفيض عليها يداً طاهرة، وتردع بادرة أعدائك بأيسر المُؤْنة عليك. وأنت ابنُ سلالة النبوة، ورضيع لُبَان الحكمة، وإلى رَوح وريحان وجنة نعيم. أعظَمَ الله لنا ولكم الأجر عليه، ووهب لنا ولكم السَّلْوةَ وحسنَ الاتساء عليه)[١].

ـ وعن عمر بن علي بن أبي طالب قال: (لمَّا قُبض الحسن بن علي بن أبي طالب، وقف على قبره أخوه محمد بن علي[٢] فقال: يرحمك الله أبا محمد، فإنْ عزَّتْ حياتُك لقد هَدَّتْ وفاتُك، ولَنِعْمَ الروحُ روحٌ تضمَّنَه بَدَنُك، ولَنِعْمَ البدنُ بدنٌ تضمَّنه كَفَنُك، وكيف لا يكون هكذا وأنت سَليل الهدى، وحليفُ أهل التقى، وخامس أصحاب الكساء، غَذَتْك أكفُّ الحق، ورُبِّيتَ في حَجْر الإسلام، ورَضَعْتَ ثدي الإيمان، وطِبْتَ حياً وميتاً، وإنْ كانت أنفسُنا غير طيِّبة بفِراقك، فلا نشكّ في الخَيْرة لك، يرحمك الله. ثم انصرف عن قبره)[٣].

---

(١) «مختصر ابن عساكر» ٤٦/٧. مداحض: جمع مدحضة وهي المزلة والمزلق.

(٢) هو المشهور بابن الحنفية.

(٣) «تهذيب الكمال» ٢٥٥/٦ ـ ٢٥٦، «مختصر ابن عساكر» ٤٦/٧ ـ ٤٧، «تاريخ اليعقوبي» ١٣٣/٢ ـ ١٣٤.

ـ وقال محمد بن إسحاق: حدثني مُسَاور مولى بني سَعْد بن بكر قال: (رأيتُ أبا هريرة قائماً على مسجد رسول الله ﷺ يوم مات الحسن بن علي، يبكي وينادي بأعلى صوته: يا أيها الناسُ، مات اليوم حِبُّ رسول الله ﷺ، فابكوا!)(١).

ـ وعن خالد بن مَعْدان قال: (وَفَد المِقْدامُ بن مَعْدِي كَرِبَ وعَمْرو بن الأسود إلى معاويةَ، فقال معاويةُ للمِقْدام: أَعَلِمْتَ أن الحسن بن علي توفِّي؟ فرَجَّعَ المِقْدام، فقال له معاوية: أَتُرَاها مصيبةً؟ فقال: ولِمَ لا أَراها مصيبة، وقد وَضَعَه رسول الله ﷺ في حِجْره وقال: «هذا منِّي وحسينٌ من عليٍّ»؟! رضي الله تعالى عنهما)(٢).

●● ومن مواقف معاوية لما جاءه خبر وفاة الحسن:

ـ عن ابن عباس: أنه دخل على معاوية، فلما جلس معه على فراشه قال معاوية: (يا أبا عباس، آجَرَكَ الله في الحسن بن علي، قال: أَماتَ؟ قال: نعم، قال: رحمة الله ورضوانه عليه وأَلحقَه بصالحِ سَلَفه. أَمَا والله يا معاوية، لا تَسدُّ حفرتَه ولا تأْكُلُ رزقَه ولا تُخَلَّد بعده، ولقد رُزِئْنا بأعظمَ فَقْداً منه رسول الله ﷺ، فما خَذَلنا الله بعده)(٣).

ـ وابن عبد البرّ مع ميله الشديد إلى الحسن، يذكر في «الاستيعاب» فيقول: (أتى ابن عباس إلى معاوية، فقال له: يا ابنَ عباس، احتسِب

---

(١) «تهذيب الكمال» ٢٥٥/٦، «مختصر ابن عساكر» ٤٦/٦.

(٢) أخرجه أحمد (١٧١٨٩) وهذا لفظه، وأبو داود مطولًا (٤١٣١)، وصححه الألباني وقال شعيب: إسناده ضعيف.

(٣) ذكره الهيثمي في «المجمع» ١٧٨/٩ ـ ١٧٩، وقال: رواه الطبراني وفيه يعقوب بن محمد الزهري وقد وثق وضعفه جماعة وبقية رجاله رجال الصحيح.

الحسـنَ لا يَحْزُنْكَ الله ولا يَسـوؤك، فقال: أمَّـا ما أبقـاكَ الله يا أميرَ المؤمنين فلا يَحْزُنني الله ولا يَسـوؤني! قال: فأعطـاه على كلمته ألفَ ألفٍ وعُروضاً وأشياء، وقال: خُذْها واقسمْها على أهلك)[1].

وأمـا ما نقل عن معاوية رضي الله عنه من أنه فرح وأظهر السـرور بموت الحسـن؛ فأخبار باطلة مكذوبة:

نقل المسـعودي عن محمد بن جرير الطبري، عن محمد بن حُميد الرازي، عن علي بـن مجاهد، عن محمد بن إسـحاق، عن الفَضْل بن عباس بن ربيعة قال: (وَفَد عبد الله بـن العباس على معاوية، قال: فوالله إني لفي المسـجد إذ كبَّرَ معاوية في الخَضْراء، فكَبَّر أهلُ الخضراء، ثم كَبَّر أهل المسـجد بتكبير أهل الخضراء! فخرجَتْ فاخِتَة بنتُ قَرَظَة بن عَمْرو بـن نوفل بن عبد مناف من خَوْخَة لها، فقالت: سَـرَّكَ الله يا أمير المؤمنين، ما هذا الذي بَلَغَك فَسُرِرْتَ به؟ قال: موت الحسن بن علي! فقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم بكت وقالت: مات سيد المسلمين، وابنُ بنت رسـول الله ﷺ، فقال معاويـة: نِعمًا واللهِ ما فعلـتِ، إنه كان كذلك!)[2].

قلت: هذا خبر تالف بل موضوع قبَّح الله مَن وَضَعَه!

وبغضِّ النظـر عن رأي النقاد في المسـعودي ورَفْضِه وانحرافه عن الصحابة وأنه متَّهم فـي نقله خاصة فيما يتعلق بخـلاف الصحابة وما جرى بينهم في الفتنة، فسَنَدُه فيه كذَّابانِ!

(١) «الاستيعاب» ١/٣٧٤.

(٢) «مـروج الذهب» ٣/٨. الخضـراء: هي دار الخلافـة، وتقع جنوبي الجامـع الأموي، وقد تحولت إلى مصبغة تعرف باسم (مصبغة الخضراء)، ثم تحولت أخيراً إلى مطبعة.

ـ محمد بن حُميد الرازي: قال البخاري: فيه نظر، وهي عبارة جَرْح شديدة عند البخاري. وقال النسائي: ليس بثقة. وقال الجُوْزَجاني: رديء المذهب غير ثقة. وقال إسحاق بن منصور. كذاب. وقال أبو زُرعة الرازي: كان يكذب[1].

ولم يحسِّن الرأيَ فيه غير يحيى بن معين.

ـ وشيخُه علي بن مجاهد: قال ابن معين: كان يَضَع الحديث. وقال يحيى بن الضُّرَيْس: كذاب. وقال الجُوْزَجاني: غير ثقة.

أفبمثل هذا السند يَفرح المسعودي وأمثاله من مبغضي الصحابة؟!.

ـ ونقل معنى الخبر بعضُ المعاصرين من الرافضة وممن يتبوأ (الأستاذية) في الجامعة، وزاد من عنده كلمات لا يقولها مَنْ عنده مَسْكَة من علم وأدب ومروءة في رجل عادي فضلاً عن أن يكون صحابياً كتب الوحي للنبي ﷺ وغزا معه، وتولى أمر المسلمين أربعين سنة، وتنازل له الحسن عن الخلافة!

قال الأستاذ الجامعي: (ثم التفتَ معاويةُ والسرورُ بادٍ على وجهه الأسود القبيح: يا ابن عباس، إنه ـ أي الحسن ـ ترك بنين صغاراً).

(ولم يكتفِ بهذا النفاق، فسكتَ بُرْهَة ثم أكمل محاورتَه اللئيمة: يا ابن عباس أصبحتَ سيدَ قومك!).

(فقال له ابن عباس: أمَّا ما أبقى الله أبا عبد الله الحسين، فلا. وأنهى محاورته معاويةُ المراوغ والداهية والحاقد: لله أبوك يا ابن عباس، ما استنبَّأتُك إلا وجدتك مُعَداً!)[2].

---

(١) «تهذيب الكمال» ١٠٢/٢٥ ـ ١٠٥.

(٢) «الحسن رائد الواقعية السياسية» ص ٣٥٩ ـ ٣٦٠.

ولقائلٍ عاقلٍ أن يقول: ولماذا يَفرح معاوية ويُسَرُّ ويُظْهِر الشماتة، وقد كانت علاقته بالحسن قائمة على الحبِّ والاحترام والصِّلة والعطاء والإكرام، ولم يَظهر من الحسن أدنى قول أو فعل يعكِّر صفوَ العلاقة الطيبة مع معاوية، فضلاً عن الانقلاب عليه والتحريض ضده؟! بل كان الحسن يُمسِك بيدِ أخيه الحسين كي لا يَسْتخفَّه أهل الأهواء ممن دَأَبوا على إشعال الفتن من لدن عثمان وإلى وقت خروج الحسين زمن يزيد بن معاوية!

ـ وقد حزن مروان بن الحَكَم لموت الحسن، وأثنى عليه في أخلاقه وسيرته:

عن جُويرية بن أسماء قال: (لمَّا مات الحسن بن علي بكى مروان في جنازته، فقال له حسين: أَتبكيه وقد كنتَ تُجرِّعه ما تجرَّعُه؟! فقال: إني كنتُ أفعلُ ذلك إلى أحلَمَ من هذا، وأشار بيده إلى الجَبَل)[1].

ـ وممن رثاه سُلَيمان بن قَتّة التَّيْمي، وكان مقرِئاً شاعراً من فحول الشعراء، عَرَض القرآنَ على ابن عباس، وسمع من معاوية وعمرو بن العاص، وكان يحب الحسن. وثقه يحيى بن معين[2].

قال سليمان في الحسن[3]:

يا كَذَّب اللهُ مَنْ نَعَى حَسناً ... ليس لِتكذيبِ نَعْيِهِ ثَمَنُ
كنتَ خليلي وكنتَ خالِصتي ... لكلِّ حيٍّ من أهله سَكَنُ
أَجولُ في الدار لا أَراكَ وفي ... الدارِ أناسٌ جِوارُهم غَبَنُ
بُدِّلْتُهم منكَ ليتَ أَنَّهُمُ ... أَضْحَوا وبيني وبينهم عَدَنُ

(١) «مختصر ابن عساكر» ٢٩/٧، وغيره، وقد تقدم: ص ١٠٤ في هذا الكتاب.
(٢) «سير أعلام النبلاء» ٥٩٦/٤.
(٣) «مقاتل الطالبيين» ص ٨٤، «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ٢٥٩/٨ ـ ٢٦٠.

ـ وحزن لوفاته أهل الأمصار:

قال أبو نَجِيح: (بَكَى على حسن بن علي بمكة والمدينة سبعاً: النساءُ والصبيانُ والرجال)[١].

وأما ما جاء في بعض الأخبار: عن الحسين بن الفَرج، عن محمد بن عُمر الواقدي، عن عبد الله بن جعفر، عن أم بَكْر بنت المِسْوَر قالت: (لما مات الحسن أقامت نساءُ بني هاشم النوحَ عليه شهراً).

زاد بعضهم: (ولبسوا الحِدادَ سنة)[٢].

فهو خبر مخالف للسُّنَّة في النَّوح والحِداد، ولا يَفعلُه أهل الصدر الأول، وإسناده تالف: الحسين: كذاب صاحب سكر، شاطر! والواقدي: ضعيف، وأم بكر: مجهولة.

●● ونختِم بهذا الكلام الطيب للشاعر محمد إقبال، قال[٣]:

في رَوْضِ فاطمةٍ نَما غُصْنانِ لم ... يُنْجِبْهمَا في النَّيِّراتِ سِوَاها
فأميرُ قافلةِ الجهادِ وقُطْبُ ... دائِرةِ الوئام والاتحادِ ابْنَاهَا
حسنُ الذي صانَ الجماعةَ بعدَمَا ... أَمْسَى تفرُّقُها يَحلُّ عُراهَا
تَركَ الإمامة ثم أصبحَ في ... الدِّيَارِ إمامَ أُلْفَتِها وحُسْنَ عُلاهَا



(١) «مختصر ابن عساكر» ٤٧/٧.

(٢) «المستدرك» ١٧٣/٣، «مختصر ابن عساكر» ٣٩/٧، ٤٥، «أسد الغابة» ١٥/٢، «تهذيب الكمال» ٢٥٢/٦.

(٣) «الدوحة النبوية» ص ٩٩.

الخاتمة

أَكْرِمْ بفاطِمــةَ البَتُولِ وبَعْلِها وبِمَــنْ هُما لمحمد سِــبْطَانِ
غُصْنانِ أَصْلُهُما بِرَوْضَةِ أحمدٍ للهِ درُّ الأَصْــلِ والغُصْنَــانِ(١)

ذلكم هو الغصن الرطيب الأول الحسـن بن علـي الذي انبثق من دَوْحة بني هاشـم، ونَسَـل من عليٍّ وفاطمة بنت رسول الله ﷺ، وخرج شَطْؤه من شجرة النبوة، وتفرَّع من ذروة الشرف والسيادة، ونما وترعرع في روضة سيد الخلق محمد ﷺ، فربَّاه ورعاه، وأدَّبه وعلَّمه ونشَّأه على أكرم الأخلاق، وأنبل الشِّيَم وأرفع الشـمائل وأفضل الفضائل، وتوسَّم فيه ورَجَا أن يكون سيداً في أمته مثلَ ما هو سيد في أصله ومَنْبِته فحقَّقَ الله رجاءَ نبيِّه وأقرَّ عينَه بهَدْي سِبْطه!

لقد كان الحسـن مـن كَمَلَة الرجـال الذين أكرمهـم الله بالمناقب والمحامـد، وجمَّلَهم بالأخـلاق الحميدة، وحَبَاهـم الصفات الجليلة، ووفَّقهم للسيرة الماجدة والأعمال الخالدة، فكان امتداداً لميراث النبوة، ومثلاً شـاهداً على صنعتها الرفيعة، وأنموذجاً باهراً للقدوة الحسنة في مختلِف مجالاتها وأطيب ثمراتها.

---

(١) من نونية القحطاني.

عاش طيلة عمره المبارك على هَدْي رشـيد ومسـلك حميد وسيرة طاهرة زكية، وفاح عبيرُ أخلاقه وشـمائله فعَمَّ النـاسَ جميعاً؛ المحبَّ منهم والجافي، والقريبَ والبعيد، والحاضـر والبادِ، وتحقق الناس فيه آثارَ تربية النبوة في ربانيته وعبادته، وزهـده وورعه، وتواضعه وحِلْمه وعفَّة لسانه، وجُودِهِ وسماحة نفسه، وحبِّه للناس وإحسانه إليهم والعفو عمن أساء إليه منهم، وأيقنوا أنه ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾ [آل عمران: ٣٤].

والمتأمل في سيرة هذا السـيد في مختلِف أطواره وأطوارها؛ يجدُه ملتزماً هدياً واحـداً ومنهجاً ثابتـاً طيلة حياته، مع الخلفاء الراشـدين الثلاثة أبي بكر وعمـر وعثمان، ثم مع أبيه أمير المؤمنين علي في مدة خلافته على ما جرى فيها من أحداث جسـام وفتن كبار... فكان رجلَ صلاح وإصلاح، وصاحبَ مسـالمة ومسامحة، مع الكبير والصغير، في الشـدة والرخاء، والحرب والسـلم، عندما يكون واحداً مـن الأُمة أو مسؤولاً مقرَّباً من مركز القرار أو حينما أُلقيت عليه أعباء الخلافة!

وكأنما صِيغَت شـخصيتُه وتكاملت مَلَكاته وتعاضدت أعماله ليكون مثلاً فذاً وتحقيقاً صادقاً لقول جدِّه رسول الله ﷺ فيه: «**إنَّ ابني هذا سيدٌ، ولعلَّ الله أن يُصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**». لذا عندما آلَت الخلافة إليه توَّج تلك المسيرة المباركة والمنهج الإصلاحي الثابت بذلك العمل الباذخ الشـامخ الذي خلَّد اسـمه بأن حقق نبوءةَ جده ﷺ ورجاءَه بأن يكون الرجل الذي يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين.

وبذلك (الصلح الخالد) كان الحسـن من أوائل المجدِّدين في هذه الأُمة؛ حيث قُطع دابرُ الفتن والتأم صفُّ المسـلمين واجتمعت كلمتُهم



وتوحدت دولتهم وحُقِنت دماؤهم، واستحقَّ الحسن مرتبة السيادة في الدنيا مثلما أنه سيد شباب أهل الجنة في الآخرة!

لقد رسم الحسن بن علي منهجاً راسخاً للأُمة عامة وللمسؤولين والطامحين إلى منابر الحكم خاصةً، وأَثبت بالبرهان العملي أن الرئاسة في الناس والسيادة فيهم إنما تكون بالحرص على الدين والعِرض والدماء والأنفس والأموال، والحِفاظ عليها والتضحية بكل شيء في سبيل صيانتها وحمايتها، وأن النفوس الكبيرة هي التي تقدِّم مصلحةَ الأُمة ووحدتها وصلاحها وفلاحها وسُؤْدُدَها وكرامتها؛ على الرغبات النفسية والأطماع الشخصية والنوازع القريبة الرخيصة...

وبهذا كان الحسن مثلاً في التاريخ على التضحية برغبات النفس الكبيرة، وعدمِ الخضوع لضغط الواقع والجمهور من المؤيدين، والاستقلالية في اتخاذ القرار والمضيّ فيه حتى حقق الغاية المرسومة والهدف المنشود ـ فاستحق الرفعة عند الله وعند الناس، والمدحَ والثناءَ والتبجيل والاحترام والإكرام ولسانَ الصدق إلى يوم الدين، وتَرَكَ بصمة لا يمحوها توالي الزمان وتغيرات الأحداث والأشخاص والاجتهادات فضلاً عن النزغات والنزوات.

والتاريخ يحفظ للرجال مواقفَهم وبصماتهم بقَدْر ما يقدِّمونه للأُمة والإنسانية من خير وصلاح، لا بمقدار مدَّة حكمهم وامتداد سلطانهم ومنزلة عشيرتهم؛ فإن هذا السيد المصلح العظيم تسلَّم الخلافة وقيادة الأُمة (نصف سنة) فقط؛ لكنه قدَّم فيها لدينه ولأُمته ما لم يقدِّمْه أناس حكموا الناس مدة تزيد عن مدته خمسين ضعفاً، فاستطال عليهم

بقامتـه التاريخية ودوَّن فـي صفحات التاريخ الصـادق أروعَ تضحية وأنبلَ موقف وأخلَدَ عمل؛ لا تزال الألسـن والأقلام والدعوات تذكره بالثناء والشكر والمحامد، وتشـير إليه أكفُّ الناس بالبَنَان، في الوقت الذي تقبِّح فيه تلك الألسنة والأقلام أعمالَ أناسيّ صغارٍ ملكوا البلاد وحكموا الناس عشرات السـنين، ولم يتركوا وراءهم سوى صفحات سوداء تغشِّيها السُّبَّة ويَستبطنُها العارُ والصَّغَار، مع ما يتنظرهم عند الله من سوء الحساب!!

إن سـيرة الحسـن وهَدْيَه في حياته الخاصة والعامة جديرة بالقراءة الفاحصة والتدبر اليقظ والاقتداء المسـتبصر، وقد عَرَضها هذا الكتاب بأدق تفاصيلها منذ تفتحت عينا الغلام على الدنيا، وسار معه في جميع أطوار حياته حتى تسـلم الخلافة ثـم تنازل عنها عازمـاً راضياً مغتبِطاً سعيداً، وعاش في كَنَف خلافة معاوية عشر سنين مبجَّلاً مكرَّماً محترماً، إلى أن لقي وجه ربه رضي الله عنه وأرضاه.

ولعل من الحِكَـم المخبوءة أن نقدِّم سـيرة الحسـن إلى الأُمة العربية والإسلامية في ظروف هي أنسبُ ما تكون في هذه السنوات القاسية، لِما تشـهدُه المنطقة العربية من تكالبٍ على السلطة وصراعٍ عنيفٍ مُستبسِلٍ للتمسك بكرسـي الحكم، مع استرخاص في سبيله لكلّ القيم والموازين والمبادئ الربانية والإنسانية المستقيمة، والعَبَث بالديـن والدماء والأعراض والممتلكات، وإهلاك الحَرْث والنَّسْـل، وتدمير الشـجر والحجر والماء والتراب والـدواب، والخلوّ من أيةِ قيمة كان عليها الإنسـان البدائي الأول، بل الوحوش الكاسـرة في غياهب غاباتها!



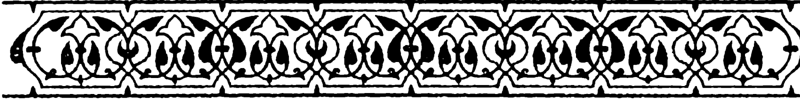
وختاماً أقول:

لقد عشتُ مع الحسن في سيرته وهَدْيه وأعماله ومشروعه الإصلاحي المبارك؛ سنةً من البحث والدرس والتنقيب ثم الجمع والتحليل والعرض والنقد، وبذلتُ قُصَارى جهدي حتى استوى هذا الكتاب على سُوقه، حسب علمي وطاقتي ورؤيتي واجتهادي... فما أحسنتُ فيه فمن الله تعالى وفضله وتوفيقه، وما كان فيه من هَنَات وخطأ فمنِّي، وأسأله الله تعالى العفو والمغفرة.

وأرجوه عزَّ وجهه أن يتقبَّله ويجعلَه في العلم النافع الذي يجري علَيَّ أجرُه ولا ينقطع ثوابه، إنه جواد كريم يحب العطاء ويُجزل الثواب، والحمد لله رب العالمين.

عبد الستار الشيخ

صباح الجمعة المبارك
٣/ربيع الآخر/١٤٣٦هـ
٢٠١٥/١/٢٣م
دبي ـ دولة الإمارات العربية المتحدة



المراجع

١ ـ أباطيل يجب أن تُمحى من التاريخ، د. إبراهيم علي شعوط، المكتب الإسلامي ـ بيروت.

٢ ـ أبو بكر الصديق، عبد الستار الشيخ، دار القلم ـ دمشق.

٣ ـ الأدب المفرد، البخاري، باعتناء محمد هشام برهاني، الإمارات. وباعتناء وترتيب صالح الشامي، دار القلم ـ دمشق.

٤ ـ إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء، ولي الله الدهلوي، تحقيق د. تقي الدين الندوي، تعريب جاويد أحمد الندوي، دار القلم ـ دمشق.

٥ ـ أزمة الخلافة والإمامة وآثارها المعاصرة، د. أسعد القاسم، الغدير ـ بيروت.

٦ ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البرّ، طُبع مع الإصابة، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٧ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، دار الفكر ـ بيروت.

٨ ـ الإسلام والخلافة في العصر الحديث، د. محمد ضياء الدين الريس، دار التراث ـ القاهرة.

٩ ـ الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

١٠ ـ أصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، شركة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

١١ ـ أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، د. ناصر عبد الله القفاري، دار الرضا ـ مصر.

١٢ ـ إعلام الموقعين، ابن القيم، المكتبة العصرية ـ بيروت.

١٣ ـ الإمامة والرد على الرافضة، أبو نعيم الأصبهاني، مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنوّرة.

١٤ ـ الإمامة والسياسة، منسوب لابن قتيبة، شركة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

١٥ ـ الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلام، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٦ ـ الإنصاف فيما وقع في العصر الراشدي من الخلاف، د. حامد الخليفة، دار القلم ـ دمشق.

١٧ ـ البداية والنهاية، ابن كثير، مكتبة المعارف ـ بيروت.

١٨ ـ تاريخ الإسلام، الذهبي، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

١٩ ـ التاريخ الأوسط، البخاري، تحقيق محمد إبراهيم اللحيدان، دار الصميعي ـ الرياض.

٢٠ ـ تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٢١ ـ تاريخ الخلفاء، السيوطي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

٢٢ ـ تاريخ الخلفاء الراشدين، د. محمد سهيل طقوش، دار النفائس ـ بيروت.

٢٣ ـ تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، دار طيبة ـ الرياض.

٢٤ ـ تاريخ دمشق، ابن عساكر، تحقيق جماعة من أهل العلم، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، وطبعات أخرى.

٢٥ ـ تاريخ دمشق «ترجمة علي بن أبي طالب»، تحقيق محمد باقر المحمودي، دار التعارف ـ بيروت.

٢٦ ـ تاريخ الدولة الأموية، د. محمد سهيل طقوش، دار النفائس ـ بيروت.

٢٧ ـ تاريخ أبي زرعة الدمشقي، تحقيق شكر الله القوجاني، مجمع اللغة العربية بدمشق.

٢٨ ـ تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ـ مصر.

٢٩ ـ التاريخ الكبير، الإمام البخاري، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، دار الفكر ـ بيروت.

٣٠ ـ تاريخ المدينة المنوّرة، عمر بن شبة، تحقيق فهيم محمد شلتوت، ـ المدينة المنوّرة.

٣١ ـ تاريخ اليعقوبي، تحقيق عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

٣٢ ـ تاريخنا المفترى عليه، د. يوسف القرضاوي، دار الشروق ـ القاهرة.

٣٣ ـ تاريخ يحيى بن معين برواية الدوري، تحقيق د. أحمد نور سيف، جامعة الملك عبد العزيز ـ مكة المكرّمة.

٣٤ ـ تبصير السوي ببطلان مرويات الوصي، عبد الفتاح محمد سرور، دار أضواء السلف ـ الرياض.

٣٥ ـ تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله ناصح علوان، دار السلام ـ حلب.

٣٦ ـ الترغيب والترهيب، المنذري، باعتناء مصطفى محمد عمارة، دار الحديث ـ القاهرة.

٣٧ ـ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار ابن كثير ـ دمشق.

٣٨ ـ تنزيه الشريعة المرفوعة، ابن عراق، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٣٩ ـ تهذيب الأسماء واللغات، النووي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٤٠ ـ تهذيب التهذيب، ابن حجر، دار الفكر ـ بيروت.

٤١ ـ تهذيب الكمال، المزي، تحقيق د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٤٢ ـ جامع الأصول، ابن الأثير، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، دار الفكر ـ بيروت.

٤٣ ـ الجامع الصحيح (صحيح البخاري)، البخاري، الطبعة السلطانية عن النسخة اليونينية، دار الجيل ـ بيروت، وطبعات أخرى.



٤٤ ـ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق عبد الرزاق مهدي، مكتبة الرشد ـ الرياض.

٤٥ ـ الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، دار الفكر ـ بيروت.

٤٦ ـ جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٤٧ ـ جوامع السيرة، وخمس رسائل ملحقة، ابن حزم، تحقيق د. إحسان عباس ود. ناصر الدين الأسد، دار المعارف ـ مصر.

٤٨ ـ حقبة من التاريخ، عثمان بن محمد الخميس، الطبعة السادسة.

٤٩ ـ الحسن بن علي، د. علي محمد محمد الصلابي، دار ابن كثير ـ دمشق.

٥٠ ـ الحسن بن علي رائد الواقعية السياسية، د. حسين إبراهيم الحاج حسن، دار الهادي ـ بيروت.

٥١ ـ حلية الأولياء، أبو نعيم الأصفهاني، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٥٢ ـ حياة الصحابة، محمد يوسف الكاندهلوي، تحقيق نايف العباس ومحمد علي دولة، دار القلم ـ دمشق.

٥٣ ـ دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، د. محمد ضيف الله بطاينة، دار الفرقان ـ عمان.

٥٤ ـ الدوحة النبوية الشريفة، د. فاروق حمادة، دار القلم ـ دمشق.

٥٥ ـ الدولة الأموية، د. يوسف العش، دار الفكر ـ دمشق.

٥٦ ـ دول الإسلام، الذهبي، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

٥٧ ـ رجال الفكر والدعوة، أبو الحسن الندوي، دار القلم ـ دمشق.

٥٨ ـ رجال الكشي، شيخ الطائفة الطوسي، طهران.

٥٩ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٦٠ ـ الزهد، أحمد بن حنبل، تحقيق حامد أحمد البسيوني، دار الحديث ـ القاهرة.

٦١ ـ سبل الهدى والرشاد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، لجنة إحياء التراث الإسلامي ـ القاهرة.

٦٢ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف ـ الرياض.

٦٣ ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف ـ الرياض.

٦٤ ـ السُنَّة، ابن أبي عاصم، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ـ دمشق، بيروت.

٦٥ ـ السُنَّة النبوية وعلومها بين أهل السُنَّة والشيعة الإمامية، د. عدنان محمد زرزور، دار الأعلام ـ عمان.

٦٦ ـ السنن الأربعة، للأئمة أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، دار الرسالة العالمية ـ دمشق، بيروت.

٦٧ ـ سنن الدارمي، تحقيق فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٦٨ ـ السنن الكبرى، البيهقي، وبذيله الجوهر النقي، دار المعرفة ـ بيروت.

٦٩ ـ السنن الكبرى، النسائي، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٧٠ ـ السياسة الشرعية، ابن تيمية، دار المعرفة ـ بيروت.

٧١ ـ سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق جماعة من أهل العلم، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٧٢ ـ السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق مصطفى السقا وزميليه، مؤسسة علوم القرآن ـ دمشق.

٧٣ ـ شبهات عن بني أُمية، سيد بن الشحات بن رمضان جمعة، مكتبة الرشد ـ الرياض.

٧٤ ـ شرح السُنَّة، البغوي تحقيق شعيب الأرنؤوط وزهير الشاويش، المكتب الإسلامي ـ بيروت.

٧٥ ـ شرح صحيح مسلم، النووي، دار أبي حيان ـ القاهرة.

٧٦ ـ شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الدمشقي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، دار عالم الكتب ـ الرياض.

٧٧ ـ شرح مشكل الآثار، الطحاوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٧٨ ـ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية ـ صيدا، بيروت.

٧٩ ـ الشيعة وأهل البيت، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السُنَّة ـ لاهور، باكستان.

٨٠ ـ صحاح السنن الأربعة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض.

٨١ ـ صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ـ بيروت.

٨٢ ـ صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٨٣ ـ صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٨٤ ـ صفة الصفوة، ابن الجوزي، تحقيق محمود فاخوري، دار المعرفة ـ بيروت.

٨٥ ـ صلح الحسن، راضي آل ياسين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

٨٦ ـ صورتان متضادتان، أبو الحسن الندوي، دار البشير ـ جدة.

٨٧ ـ ضعيف الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ـ بيروت.

٨٨ ـ طبقات ابن سعد، الطبقة الخامسة من الصحابة، تحقيق محمد صامل السلمي، جامعة أم القرى.

٨٩ ـ العبر في خبر من عبر، الذهبي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٩٠ ـ عثمان بن عفان، عبد الستار الشيخ، دار القلم ـ دمشق.
٩١ ـ عصر الخلافة الراشدة، د. أكرم ضياء العمري، مكتبة العبيكان الرياض.
٩٢ ـ علموا أولادكم محبة آل بيت النبي ﷺ، د. محمد عبده يماني، دار القبلة ـ جدة، مؤسسة علوم القرآن ـ دمشق.
٩٣ ـ علي بن أبي طالب، عبد الستار الشيخ، دار القلم ـ دمشق.
٩٤ ـ علي وبنوه، د. محمد يوسف النجرامي، دار المدني ـ جدة.
٩٥ ـ عمر بن الخطاب، عبد الستار الشيخ، دار القلم ـ دمشق.
٩٦ ـ العواصم من القواصم، ابن العربي، تحقيق محب الدين الخطيب، دار الجيل ـ بيروت.
٩٧ ـ فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، عبد الستار الشيخ، دار القلم ـ دمشق.
٩٨ ـ فتح الباري، ابن حجر، دار أبي حيان ـ القاهرة.
٩٩ ـ فتح الملهم وتكملته شرح صحيح مسلم، شبير أحمد العثماني ومحمد تقي العثماني، دار القلم ـ دمشق.
١٠٠ ـ الفتنة بين الصحابة، محمد حسان، مكتبة فياض ـ المنصورة.
١٠١ ـ الفتنة جدلية الدين والسياسة، هشام جعيط، دار الطليعة ـ بيروت.
١٠٢ ـ فتوح البلدان، البلاذري، المكتبة العصرية ـ صيدا، بيروت.

١٠٣ـفتوح مصر والمغرب، ابن عبد الحكم، مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة.

١٠٤ـالكامل في ضعفاء الرجال، ابن عدي، دار الفكر ـ بيروت.

١٠٥ـكتب حذّر منها العلماء، مشهور بن حسن آل سلمان، دار الصميعي ـ الرياض.

١٠٦ـلسان الميزان، ابن حجر، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

١٠٧ـمجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٠٨ـمجمل عقائد الشيعة والمراجعات في الميزان، أبو عبد الله النعماني الأثري، مكتبة الصحابة ـ الإمارات.

١٠٩ـمجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، السعودية.

١١٠ـ مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ابن منظور، دار الفكر ـ دمشق.

١١١ـ المرتضى علي بن أبي طالب، أبو الحسن الندوي، دار القلم ـ دمشق.

١١٢ـمروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي، المكتبة العصرية ـ صيدا، بيروت.

١١٣ـ المستدرك، الحاكم، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

١١٤ـمسند أحمد، تحقيق أحمد شاكر، وتحقيق شعيب الأرنؤوط، وطبعات أخرى.

١١٥ـمسند أحمد، مرتب على الأبواب، ترتيب صالح الشامي، دار القلم ـ دمشق.

١١٦ ـ مشكاة المصابيح، الخطيب التبريزي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ـ بيروت.

١١٧ ـ مصنف ابن أبي شيبة، دار الفكر ـ بيروت.

١١٨ ـ مصنف عبد الرزاق، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي ـ بيروت.

١١٩ ـ المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، ابن حجر، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار المعرفة ـ بيروت.

١٢٠ ـ معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار الفكر ـ بيروت.

١٢١ ـ المعرفة والتاريخ، الفسوي، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، مكتبة الدار ـ المدينة المنوّرة.

١٢٢ ـ مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصبهاني، تحقيق السيد أحمد صقر، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

١٢٣ ـ ملتقى الأصفياء في مناقب الإمام علي والسبطين والزهراء، عبد الفتاح بن حسين راوه المكي، مطبعة المدني ـ القاهرة.

١٢٤ ـ المنتظم، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٢٥ ـ من فِقه الدولة في الإسلام، د. يوسف القرضاوي، دار الشروق ـ القاهرة.

١٢٦ ـ مناقب علي والحسنين وأُمهما فاطمة الزهراء، د. عبد المعطي أمين قلعجي، دار الوعي ـ حلب.

١٢٧ ـ منهاج السُنَّة النبوية، ابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، دار الفضيلة ـ الرياض.

١٢٨ـ منهج دراسة التاريخ الإسـلامي، د. محمد أمحزون، دار طيبة ـ الرياض.

١٢٩ـ موطأ مالـك، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقـي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

١٣٠ـموقـف الصحابة من الفرقـة والتفرق، د. أسـماء بنت سـليمان السويلم، دار الفضيلة ـ الرياض.

١٣١ـ ميزان الاعتـدال، الذهبي، تحقيـق علي محمـد البجاوي، دار المعرفة ـ بيروت.

١٣٢ـ نبوءات الرسول ﷺ دروس وعبر، عبد الستار الشيخ، دار القلم ـ دمشق.

١٣٣ـ نسـب قريش، مصعب الزبيري، تحقيق ليفي بروفنسال، مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة.

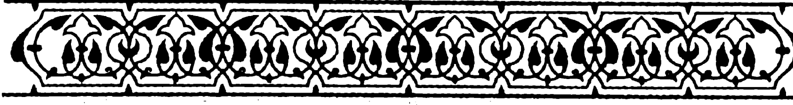
١٣٤ـ النهاية في غريـب الحديث والأثر، ابن الأثيـر، تحقيق الزاوي والطناحي، المكتبة العلمية ـ بيروت.

١٣٥ـ الوافـي بالوفيات، صـلاح الديـن الصفدي، تحقيـق رمضان عبد التواب، دار صادر ـ بيروت.

١٣٦ـ وفيات الأعيان، ابن خلكان، تحقيق د. إحسان عباس، دار الفكر ـ بيروت.

وغير ذلك كثير من كتب الحديث، وشروحه، ومصطلحه، والتفسير، والرجال، والتاريخ، والسير، والفرق والمذاهب، واللغة.

❁ ❁ ❁



الفهرس

الباب الثاني
في عهد الخلفاء الراشدين الأربعة

الباب الثالث
بيعة الحسن بالخلافة وصلحه مع معاوية



الباب الرابع
حياة الحسن ما بعد الصلح

